المهذب المنير

لزاد المسير في علم التفسير

(تَفْسِيرُ سُورَةِ الفاتِحَة والزَّهْرَاوَيْن)

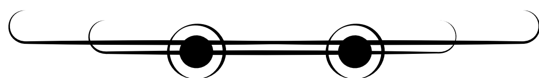
هذَّبه وعلَّقَ عليه :
عُبيدُ ربِّهِ الكَثِيريُّ
- وفَّقه اللهُ وغفرَ له -

نُسخةٌ مؤقَّتة

المُهَذَّبُ المُنِيرُ

لِزَادِ المَسِيرِ فِي عِلْمِ التَّفْسِيرِ

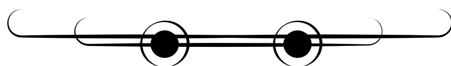
(تَفْسِيرُ سُورَةِ الفاتِحَة والزَّهْرَاوَيْن)



هذَّبهُ وعلَّقَ عليه :

عُبيدُ رَبِّهِ الكَثِيريُّ

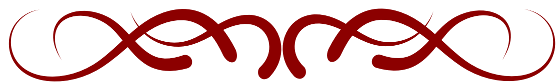
- وفَّقه اللهُ وغفرَ له -



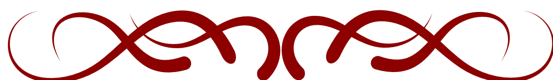
نُسخةٌ مؤقَّتة




بسم الله الرحمن الرحيم



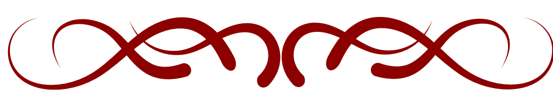












م

المقدمة

الحمد لله الذي أنزل علىٰ عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا والصلاة والسلام علىٰ نبينا محمد المبعوث بالذكر الحكيم للعالمين بشيرا ونذيرا صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحبه أجمعين أما بعد فإن العلوم وإن تباينت أصولها، وغرَّبت وشرَّقت فصولها، واختلفت أحوالها وأتهمت وأنجدت أقوالها وتنوعت أبوابها وأشأمت وأعرقت أصحابها وتغايرت مسائلها وأيمنت وأيسرت وسائلها فإنها عظيمة نوالها إلا أن أعلاها قدرا، وأغلاها مهرا وأسناها مبنىٰ، وأسماها معنىٰ وأوضحها سبيلا وأصحها دليلا وأفصحها نطقا علم التفسير لتعلقه بكلام الحكيم الخبير الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد.

قال ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَكُم بُرۡهَٰنٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ نُورٗا مُّبِينٗا ١٧٤ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَٱعۡتَصَمُواْ بِهِۦ فَسَيُدۡخِلُهُمۡ فِي رَحۡمَةٖ مِّنۡهُ وَفَضۡلٖ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَيۡهِ صِرَٰطٗا مُّسۡتَقِيمٗا ١٧٥﴾ [سورة النساء:١٧٤-١٧٥].

قال تبارك وتعالىٰ: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ كَثِيرٗا مِّمَّا كُنتُمۡ تُخۡفُونَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖۚ قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ ١٥ يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ

وَيُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِهِۦ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿١٦﴾ [سورة المائدة:١٥-١٦].

قال سُبحانه وتعالى: ﴿الٓمٓصٓ ﴿١﴾ كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيۡكَ فَلَا يَكُن فِي صَدۡرِكَ حَرَجٞ مِّنۡهُ لِتُنذِرَ بِهِۦ وَذِكۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٢﴾ ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَۗ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾﴾ [سورة الأعراف:١-٣].

قال جلَّ وعلا: ﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴿١﴾ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۚ إِنَّنِي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ ﴿٢﴾﴾ [سورة هود:١-٢].

قال جلَّ جلاله: ﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ﴿١﴾﴾ [سورة إبراهيم:١].

قال عزَّ وجلَّ: ﴿وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ تِبۡيَٰنٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُسۡلِمِينَ ﴿٨٩﴾﴾ [سورة النحل:٨٩].

قال تبارك وتعالى: ﴿حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلٞ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢﴾ كِتَٰبٞ فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا لِّقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ﴿٣﴾ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا فَأَعۡرَضَ أَكۡثَرُهُمۡ فَهُمۡ لَا يَسۡمَعُونَ ﴿٤﴾﴾ [سورة فصلت:١-٤].

روى **أحمد في «مسنده»**: حدثنا وَكِيعٌ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ. وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ، عَنْ سُفْيَانَ، عَنْ عَلْقَمَةَ بْنِ مَرْثَدٍ، عَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَنْ عُثْمَانَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَفْضَلُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ**».

قال **أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ السَّلَمِيُّ**: فَذَلِكَ الَّذِي أَقْعَدَنِي هَذَا الْمَقْعَدَ ".

روى **مسلم في «صحيحه»**: حدثنا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا الْفَضْلُ بْنُ دُكَيْنٍ، عَنْ مُوسَىٰ بْنِ عُلَيٍّ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبِي، يُحَدِّثُ عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ، قَالَ: خَرَجَ رَسُولُ

اللهِ ﷺ وَنَحْنُ فِي الصُّفَّةِ، فَقَالَ: «**أَيُّكُمْ يُحِبُّ أَنْ يَغْدُوَ كُلَّ يَوْمٍ إِلَىٰ بُطْحَانَ، أَوْ إِلَىٰ الْعَقِيقِ، فَيَأْتِيَ مِنْهُ بِنَاقَتَيْنِ كَوْمَاوَيْنِ فِي غَيْرِ إِثْمٍ، وَلَا قَطْعِ رَحِمٍ؟**»، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ نُحِبُّ ذَلِكَ، قَالَ: «**أَفَلَا يَغْدُو أَحَدُكُمْ إِلَىٰ الْمَسْجِدِ فَيَعْلَمُ، أَوْ يَقْرَأُ آيَتَيْنِ مِنْ كِتَابِ اللهِ ﷻ، خَيْرٌ لَهُ مِنْ نَاقَتَيْنِ، وَثَلَاثٌ خَيْرٌ لَهُ مِنْ ثَلَاثٍ، وَأَرْبَعٌ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَرْبَعٍ، وَمِنْ أَعْدَادِهِنَّ مِنَ الْإِبِلِ**».

قال أحمد في «مسنده»: حدثنا عَفَّانُ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو عَوَانَةَ، حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ الْأَعْمَشُ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**مَا مِنْ قَوْمٍ يَجْتَمِعُونَ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللهِ ﷻ، يَقْرَءُونَ وَيَتَعَلَّمُونَ كِتَابَ اللهِ ﷻ يَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ، إِلَّا حَفَّتْ بِهِمُ الْمَلَائِكَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ، وَمَا مِنْ رَجُلٍ يَسْلُكُ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ بِهِ الْعِلْمَ، إِلَّا سَهَّلَ لَهُ بِهِ ـ أَوْ سُهِّلَ بِهِ ـ طَرِيقًا الْجَنَّةِ، وَمَنْ يُبْطِئُ بِهِ عَمَلُهُ، لَا يُسْرِعُ بِهِ نَسَبُهُ**».

اعلم – وفقك الله لمرضاته – أن علم القرآن أساس لكل علم نافع ويرجع أصله لتفهم معاني الكتاب وتحصيل علومه وهذا فضل ومنة من الرحمن سبحانه يختص بها من يشاء من عباده والله ذو الفضل العظيم.

فنسأل الله أن يجعلنا منهم إنه سميع قريب.

قال ﷻ: ﴿يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ﴾ [سورة البقرة:٢٦٩].

قال الطبري في «تفسيره»: حدثنا المثنىٰ، قال: حدثنا عبد الله بن صالح، قال: حدثني معاوية، عن علي، عن ابن عباس في قوله: ﴿وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا

كَثِيرًاۗ﴾، يعني: المعرفة بالقرآن ناسخه ومنسوخه، ومحكمه ومتشابهه، ومقدمه ومؤخره، وحلاله وحرامه، وأمثاله.

وأخرج ابْن أبي حَاتِم في «تفسيره»: عن ابْن عَبَّاس قَالَ: «إِن الْقُرْآن ذُو شجون وفنون وَظُهُور وبطون، لَا تَنْقَضِي عجائبه وَلَا تبلغ غَايَته فَمن أوغل فِيهِ بِرِفْق نجا وَمن أوغل فِيهِ بعنف غوىٰ، أَخْبَار وأمثال وَحرَام وحلال وناسخ ومنسوخ ومحكم، ومتشابه وَظهر وبطن.

فظهره التِّلَاوَة وبطنه التَّأْوِيل فجالسوا بِهِ الْعلمَاء وجانبوا بِهِ السُّفَهَاء وَإِيَّاكُم وزلة الْعَالم».

قلت: والناظر فيما صنف الناس في تفسير القرآن من التصانيف وجدها مختلفة الأوصاف، متباينة الأصناف، فمنهم من آثر الإختصار، ومنهم من طوّل حتىٰ كثّر الأسفار، ومنهم من تكلم في بعض علوم القرآن دون بعض.

ولقد رأيت كتاب «**زاد المسير في علم التفسير**» قد سلك صاحبه طريقة اختصار الأقوال المأثورة وحصرها بأعداد مسبورة فألفيتها حسنة للمبتدي في علم التأويل والتفسير.

جيدة لقارئ القرآن إذا أراد الحفظ والتذكير، فأحببت تهذيبه وتنقيحه للخاص والعام مع ذكر زيادات بحسب الحاجة والمقام من كتاب موسوعة التفسير بالمأثور.

واعلم – وفقك الله – أن أصل كل تهذيب التنقية من الشوائب والزوائد مع الإصلاح والتوضيح فعملت علىٰ ذلك من خلال هذا التهذيب والترتيب فحذفت فروع القراءات والإعراب وما لا يستقيم من المذاهب والعقائد علىٰ طريقة أصحاب

الحديث.

وقد أضيف له بحسب الحاجة والمقام حتىٰ يكتمل التأويل للآية ويستبين بعض الأخبار والآثار دون تطويل

وبالله التوفيق وحده لا شريك له.

وقد أسميته: «**المهذب المنير لزاد المسير في علم التفسير**».

أرجو من الله تعالىٰ أن يجعله خالصا لوجهه الكريم وأن لا يجعل لغيره فيه شيئا إنه جواد كريم.

وأسأله بمنه ورحمته أن ينفع به المسلمين وأصحاب الحديث نفعا يزيدهم إيمانا ويقينا في كلام ربهم ﷻ إنه سميع الدعاء.

وأستغفر الله الحي القيوم وأتوب إليه ظاهرا وباطنا إنه هو الغفور الرحيم.



✍ قال المصنف:

فصل في فضل علم التفسير

١- روى **أبو عبد الرحمن السّلميّ، عن ابن مسعود قال:** كنا نتعلّم من رسول الله ﷺ العشر، فلا نجاوزها إلىٰ العشر الأخر حتىٰ نعلم ما فيها من العلم والعمل.

٢- وروى **قتادة عن الحسن أنّه قال:** ما أنزل الله آية إلا أحبّ أن أعلم فيم أنزلت، وماذا عنىٰ بها.

٣- وقال **إياس بن معاوية**: مثل من يقرأ القرآن ومن يعلم تفسيره أو لا يعلم، مثل قوم جاءهم كتاب من صاحب لهم ليلا، وليس عندهم مصباح، فتداخلهم لمجيء الكتاب روعة لا يدرون ما فيه، فإذا جاءهم المصباح عرفوا ما فيه.

فصل في مدّة نزول القرآن:

٤- روى **عكرمة عن ابن عباس قال:** أُنزلَ القرآنُ جملة واحدة من اللّوح المحفوظ في ليلة القدر إلىٰ بيت العزّة، ثم أنزل بعد ذلك في عشرين سنة.

٥- وقال **الشعبي:** فرّق الله تنزيل القرآن، فكان بين أوله وآخره عشرون سنة.

٦- وقال **الحسن:** ذكر لنا أنه كان بين أوّله وآخره ثماني عشرة سنة، أنزل عليه بمكة ثماني سنين، وبالمدينة عشر سنين.

فصل: واختلفوا في أول ما نزل من القرآن:

فأثبت المنقول أنّ أول ما نزل من القرآن: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ﴾ [سورة العلق:١]،. رواه عروة عن عائشة وبه قال قتادة وأبو صالح. وروي عن جابر بن عبد الله: أن أوّل ما نزل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ١﴾ [سورة المدثر:١].

والصحيح أنه لما نزل عليه ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ﴾ رجع فتدثّر فنزل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ١﴾

٧ - **يدل عليه ما أخرج في «الصحيحين» من حديث جابر قال:** سمعت النبيّ ﷺ وهو يحدّث عن فترة الوحي، فقال في حديثه: «فبينا أنا أمشي إذ سمعت صوتا من السماء، فرفعت رأسي، فإذا الملك الذي جاءني بحراء جالس علىٰ كرسيّ بين السماء والأرض، فجثثت منه رعبا، فرجعت فقلت: زمّلوني، زمّلوني، فدثّروني، فأنزل الله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ١﴾» ومعنىٰ جثثت: فرقت. يقال: رجل مجؤوث ومجثوث. وقد صحّفه بعض الرواة فقال: جبنت، من الجبن، والصحيح الأول.

٨ - **وروي عن الحسن وعكرمة:** أن أوّل ما نزل: ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾.

فصل: واختلفوا في آخر ما نزل:

٩ - **فروىٰ البخاري في أفراده من حديث ابن عباس، قال:** آخر آية أنزلت علىٰ النبيّ ﷺ، آية الرّبا.

١٠ - **وفي أفراد مسلم عنه:** آخر سورة نزلت جميعا: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ١﴾ [سورة النصر:١].

١١ - **وروىٰ الضّحّاك عن ابن عباس قال:** آخر آية أنزلت: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِۖ﴾ [سورة البقرة:٢٨١].، وهذا مذهب سعيد بن جبير وأبي صالح.

١٢ - **وروىٰ أبو إسحاق عن البراء قال:** آخر آية نزلت: ﴿يَسۡتَفۡتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفۡتِيكُمۡ فِي ٱلۡكَلَٰلَةِۚ﴾ [سورة النساء:١٧٦].، وآخر سورة نزلت «براءة».

١٣ - **وروي عن أبيّ بن كعب:** أن آخر آية نزلت: ﴿لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ﴾ [سورة التوبة:١٢٨]، إلىٰ آخر السورة.

فصل في الإستعاذة:

قد أمر الله ﷻ بالاستعاذة عند القراءة بقوله تعالىٰ: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾﴾ [سورة النحل:٩٨]، ومعناه: إذا أردت القراءة. ومعنىٰ أعوذ: ألجأ وألوذ.

فصل في ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾

١٤ - قال ابن عمر: نزلت في كل سورة.

فأما تفسيرها:

فقوله: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ﴾ اختصار، كأنه قال: أبدأ باسم الله، أو: بدأت باسم الله.

والله أصله من الإله أي أله الرجل يأله إِلاهة، بمعنىٰ: عبد يعبد عبادة. وروي عن ابن عباس أنه قال: «ويذرك وإلاهتك» أي: عبادتك. قال:

والتأله: التعبد.

فمعنىٰ الإِله: المعبود

فأما ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ﴾: فمشتق من الرحمة، مبني علىٰ المبالغة، ومعناه: ذو الرحمة التي لا نظير له فيها. وبناء فعلان في كلامهم للمبالغة

و ﴿ٱلرَّحِيمِ﴾: خاصّ للمؤمنين. قال ﷻ: ﴿وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾﴾ [سورة الأحزاب:٤٣]

والرحيم: بمعنىٰ الرّاحم.



١

﴿سُورَةُ الفَاتِحَةِ﴾

[الآيات ١ الىٰ ٦]

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ٢ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ٣ إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ٤ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ٥ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ٦﴾

١٥ - روى أبو هريرة أن رسول الله ﷺ قال- وقرأ عليه أبيّ بن كعب أم القرآن- فقال: «والذي نفسي بيده، ما أُنزل في التوراة، ولا في الانجيل، ولا في الزبور، ولا في الفرقان مثلها، هي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيته».

سبب النزول

واختلف العلماء في نزولها على قولين:

أحدهما: أنها مكية، وهو مروي عن علي بن أبي طالب، والحسن، وأبي العالية، وقتادة، وأبي ميسرة.

والثاني: أنها مدنية، وهو مرويّ عن أبي هريرة، ومجاهد، وعبيد بن عمير، وعطاء الخراساني.

- وعن ابن عباس كالقولين.

قال ﷻ: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾

فأما تفسيرها: ف الْحَمْدُ هو الثناء على المحمود

فأما «الرب» فهو المالك، ولا يذكر هذا الاسم في حق المخلوق إلا بالاضافة، فيقال: هذا رب الدار، ورب العبد.

فالرب يقال على ثلاثة أوجه:

أحدها: المالك. يقال: رب الدار.

والثاني: المصلح، يقال: رب الشيء.

والثالث: السيد المطاع: قال تعالىٰ: ﴿فَيَسۡقِي رَبَّهُۥ خَمۡرٗاۖ﴾ [سورة يوسف:٤١].

وللمفسرين في المراد ب ﴿ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ هاهنا خمسة أقول:

أحدها: الخلق كلّه، السّماوات والأرضون ما فيهنّ وما بينهن. رواه الضحّاك عن ابن عباس.

والثاني: كل ذي رُوح دب علىٰ وجه الأرض. رواه أبو صالح عن ابن عباس.

والثالث: أنهم الجن والإنس. روي ايضا عن ابن عباس، وبه قال مجاهد، ومقاتل.

والرابع: أنهم الجن والإنس والملائكة، نقل عن ابن عباس أيضا.

والخامس: أنهم الملائكة، وهو مروي عن ابن عباس أيضا.

قال ﷻ: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٢ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ۝٣﴾

وفي «الدّين» ها هنا قولان:

أحدهما: أنه الحساب. قاله ابن مسعود.

والثاني: الجزاء.

١٦ - قاله **ابن عباس:** ولما أخبر الله ﷻ في قوله: ﴿رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ أنه مالك الدنيا.

قال ﷻ: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ﴾

وفي المراد بهذه العبارة ثلاثة أقوال:

أحدها: أنها بمعنى التوحيد: روي عن علي، وابن عباس في آخرين.

والثاني: أنها بمعنى الطاعة، كقوله ﴿لَّا تَعۡبُدُواْ ٱلشَّيۡطَٰنَ﴾ [سورة يس:٦٠].

والثالث: أنها بمعنى الدعاء كقوله ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي﴾ [سورة غافر:٦٠].

قال ﷻ: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾

فيه أربعة أقوال:

أحدها: ثبتنا. قاله عليّ، وأبيّ.

والثاني: أرشدنا.

والثالث: وفقنا.

والرابع: ألهمنا.

رويت هذه الثلاثة عن ابن عباس.

وفي المراد بالصّراط ها هنا أربعة أقوال:

أحدها: أنه كتاب الله، رواه عليّ عن النبيّ ﷺ.

والثاني: أنه دين الإسلام: قاله ابن مسعود، وابن عباس، والحسن، وأبو العالية في آخرين.

والثالث: أنه الطريق الهادي إلىٰ دين الله: رواه أبو صالح عن ابن عباس، وبه قال مجاهد.

والرابع: أنه طريق الجنة: نقل عن ابن عباس أيضـًا.

قال ﷻ: ﴿ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ﴾

١٧ - **قال ابن عباس:** هم النبيُّون، والصديقون، والشهداء، والصالحون.

قال ﷻ: ﴿غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾

١٨ - فأما ﴿غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ﴾ فهم اليهود و ﴿وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾: النصارىٰ. رواه عدي بن حاتم عن النبيّ ﷺ.

قلت:

١٩ - قال أَبُو مُحَمَّدٍ بن أبي حاتم في «تفسيره»: وَلا أَعْلَمُ فِي هَذَا الحرف اختلافا بين المفسرين.

فائدة: وفي معنى «آمين» ثلاثة أقوال:

أحدها: أن معنىٰ آمين: كذلك يكون. حكاه ابن الأنباري عن ابن عباس، والحسن.

والثاني: أنها بمعنىٰ: اللهم استجب. قاله الحسن

والثالث: أنه اسم من أسماء الله تعالىٰ. قاله مجاهد، وهلال بن يساف، وجعفر بن محمد.



٢

﴿سُورَةُ البَقَرَةِ﴾

قال المصنف:

فضل سورة البقرة:

٢٠ - روى **أبو هريرة عن النّبيّ ﷺ أنّه قال:** «**لا تجعلوا بيوتكم مقابر، فإنّ البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة لا يدخله الشّيطان**»[(١)].

٢١ - وروى **أبو أمامة عن النّبيّ ﷺ أنّه قال:** «**اقرأوا الزّهراوين: البقرة وآل عمران، فإنّهما يأتيان يوم القيامة كأنّهما غمامتان، أو غيايتان، أو فرقان من طير صوافّ، اقرءوا البقرة، فإنّ أخذها بركة، وتركها حسرة، ولا تستطيعها البطلة**»[(٢)]

فصل في نزولها:

٢٢ - قال **ابن عباس:** هي أوّل ما نزل بالمدينة، وهذا قول الحسن، ومجاهد، وعكرمة، وجابر بن زيد، وقتادة، ومقاتل.

---

(١) رواه أحمد في مسنده ومسلم في صحيحه وغيرهما عَن سُهَيْل عَن أَبِيه عَن أبي هُرَيْرَة أَن رَسُول الله ﷺ به.

(٢) رواه أحمد في مسنده ومسلم في صحيحه من طريق مَمْطُور أبي سَلام عَن أبي أُمَامَة قَالَ: سَمِعت رَسُول الله ﷺ يَقُول الحديث.

تفسير السورة:

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿الٓمٓ ١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ٢ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ٣ وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ وَبِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ٤ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ٥﴾

قال عز وجل: ﴿الٓمٓ ١﴾

فيها أربعة أقوال:

أحدها: أنها من أسرار القرآن.

٢٣ - **يروى** عن أبي بكر الصّديق رضي الله عنه قوله: لله عز وجل في كل كتاب سر، وسر الله في القرآن أوائل السور، وإلىٰ هذا المعنىٰ ذهب الشعبي، وأبو صالح، وابن زيد.

والثاني: أنها حروف من أسماء، فاذا أُلفت ضرباً من التأليف كانت أسماء من أسماء الله عز وجل.

٢٤ - **قال علي بن أبي طالب**: هي أسماء مقطعة، لو علم الناس تأليفها علموا اسم الله الذي إذا دعي به أجاب.

٢٥ - **وسئل ابن عباس** عن «آلر» و «حم» و «نون»، فقال: اسم الرحمن علىٰ

الهجاء، وإِلىٰ نحو هذا ذهب أبو العالية، والربيع بن أنس.

والثالث: أنها حروف أقسم الله بها: قاله ابن عباس، وعكرمة.

والرابع: أنها أسماء للسور: روي عن زيد بن أسلم، وابنه، وأبي فاختة سعيد بن علاقة مولىٰ أم هانئ.

وأما معناها فإنه قد قيل:

أولا: أَنا الله أعلم: رواه أَبو الضحىٰ عن ابن عباس، وبه قال ابن مسعود، وسعيد بن جبير.

والثاني: أنه قسم: رواه أبو صالح عن ابن عباس، وخالد الحذاء عن عكرمة.

والثالث: أنها حروف من أسماء، **ثم فيها قولان:**

أَحدهما: أَن الألف من «الله» واللام من «جبريل» والميم من «محمد»، قاله ابن عباس.

والقول الثاني: أَن الألف من «الله» تعالىٰ، واللام من «لطيف» والميم من «مجيد» قاله أبو العالية.

والرابع: أنه اسم من أسماء القرآن،

٢٦ - **قاله** مجاهد، والشعبي، وقتادة، وابن جريج.

قال ﷻ: ﴿ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ٢﴾

قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ﴾ بمعنىٰ هذا،وهو قول ابن عباس، ومجاهد، وعكرمة،

والكسائي، وأبي عبيدة.

- و﴿ٱلۡكِتَٰبُ﴾: القرآن

قوله تعالى: ﴿لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ﴾: الرَّيب: الشك

ودلالة النفي في هذه الآية قيل فيها ثلاثة أوجه:

أحدها: أن ظاهرها النفي، ومعناها النهي، وتقديرها: لا ينبغي لأحد أن يرتاب به لإتقانه وإحكامه.

ومثله: ﴿مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشۡرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَيۡءٖۚ﴾ [سورة يوسف:٣٨]، أي: ما ينبغي لنا، ومثله: ﴿فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ﴾ [سورة البقرة:١٩٧]،، وهذا مذهب الخليل، وابن الأنباري.

والثاني: أن معناها: ﴿لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ﴾ أنه هدىً للمتقين: قاله المبرّد.

والثالث: أن معناها: ﴿لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ﴾ أنه من عند الله: قاله مقاتل في آخرين.

قال ﷻ: ﴿ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ٣﴾

وفي المراد ﴿بِٱلۡغَيۡبِ﴾ **ها هنا ستة أقوال:**

أحدها: أنه الوحي: قاله ابن عباس، وابن جريج.

والثاني: القرآن: قاله أبو رزين العقيلي، وزر بن حبيش.

والثالث: الله ﷻ: قاله عطاء، وسعيد بن جبير.

والرابع: ما غاب عن العباد من أمر الجنة والنار، ونحو ذلك مما ذكر في القرآن. رواه السدي عن أشياخه، وإليه ذهب أبو العالية، وقتادة.

والخامس: أنه قدر الله ﷻ: قاله الزهري.

والسادس: أنه الايمان بالرسول في حق من لم يره: قاله ابن مسعود.

وفي معنى إقامتها ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه تمام فعلها علىٰ الوجه المأمور به: روي عن ابن عباس، ومجاهد.

والثاني: أنه المحافظة علىٰ مواقيتها ووضوئها وركوعها وسجودها: قاله قتادة، ومقاتل.

والثالث: أنه إِدامتها، والعرب تقول في الشيء.

الراتب: قائم، وفلان يقيم أرزاق الجند.

- **قاله** ابن كيسان.

وفي المراد بهذه النفقة أربعة أقوال:

أحدها: أنها النفقة علىٰ الأهل والعيال: قاله ابن مسعود، وحذيفة.

والثاني: أنها الزكاة المفروضة: قاله ابن عباس، وقتادة.

والثالث: أنها الصدقات النوافل: قاله مجاهد والضحاك.

والرابع: أنها النفقة التي كانت واجبة قبل وجوب الزكاة، ذكره بعض المفسرين.

قال ﷻ: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ وَبِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ٤﴾

قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ﴾، **اختلفوا فيمن نزلت على قولين:**

أحدهما: أنها نزلت في عبد الله بن سلام وأصحابه: رواه الضحاك عن ابن عباس،

واختاره مقاتل.

والثاني: أنها نزلت في العرب الذين آمنوا بالنبي وبما أُنزل من قبله: رواه أبو صالح عن ابن عباس.

قال ﷻ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ٥﴾

٢٧ - **قال ابن عباس**: علىٰ نور واستقامة

﴿ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾: الفائزون ببقاء الأبد. وأصل الفلاح: البقاء

٢٨ - **قال ابن الأنباري**: ومنه: حيَّ علىٰ الفلاح، معناه: هلموا إِلىٰ سبيل الفوز ودخول الجنة.

قال ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ٦﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ **في نزولها أربعة أقوال**:

أحدها: أنها نزلت في قادة الأحزاب: قاله أبو العالية.

والثاني: أنها نزلت في أبي جهل وخمسة من أهل بيته: قاله الضحاك.

والثالث: أنها نزلت في طائفة من اليهود، ومنهم حيي بن أخطب: قاله ابن السائب.

والرابع: أنها نزلت في مشركي العرب، كأبي جهل وأبي طالب وأبي لهب وغيرهم ممن لم يسلم: قاله مقاتل.

فأما تفسيرها:

قوله تعالى: ﴿سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ﴾، أي: متعادل عندهم الانذار وتركه، والانذار: إِعلام مع تخويف.

قال ﷻ: ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَعَلَىٰ سَمۡعِهِمۡۖ وَعَلَىٰٓ أَبۡصَٰرِهِمۡ غِشَٰوَةٞۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ٧﴾

قوله تعالى: ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ﴾، الختم: الطبع قاله أبو مالك.

قوله تعالى: ﴿وَعَلَىٰٓ أَبۡصَٰرِهِمۡ غِشَٰوَةٞۖ﴾، الغشاوة: الغطاء

✍ قال المصنف:

قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ﴾ اختلفوا فيمن نزلت علىٰ قولين:

أحدهما: أنها في المنافقين، ذكره السدي عن ابن مسعود، وابن عباس، وبه قال أبو العالية، وقتادة، وابن زيد.

والثاني: أنها في منافقي أهل الكتاب. رواه أبو صالح عن ابن عباس. وقال ابن سيرين: كانوا يتخوفون من هذه الآية.

٢٩ - وقال **قتادة**: هذه الآية نعت المنافق، يعرف بلسانه، وينكر بقلبه، ويصدّق بلسانه، ويخالف بعمله، ويصبح علىٰ حالٍ، ويمسي علىٰ غيرها، ويتكفّأ تكفّؤ السّفينة، كلما هبّت ريح هبّ معها.

قال ﷻ: ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخۡدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ وَمَا يَشۡعُرُونَ ٩﴾

قوله تعالى: ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ﴾.

٣٠ - قال **ابن عباس:** كان عبد الله بن أُبيّ، ومعتب بن قشير، والجدّ بن القيس إذا لقوا الذين آمنوا قالوا: آمنا، ونشهد أن صاحبكم صادق، فاذا خلوا لم يكونوا كذلك، فنزلت هذه الآية.

وفي معنى خداعهم الله: انهم كانوا يخادعون المؤمنين، فكأنهم خادعوا الله: روي عن ابن عباس.

قال ﷻ: ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضٗاۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمُۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡذِبُونَ ١٠﴾

قوله تعالى: ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ﴾، المرض هاهنا: الشك، قاله عكرمة، وقتادة.

﴿فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضٗاۖ﴾ هذا الإخبار من الله ﷻ أنه فعل بهم ذلك.

قال ﷻ: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ لَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ قَالُوٓاْ إِنَّمَا نَحۡنُ مُصۡلِحُونَ ١١﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ لَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ **اختلفوا فيمن نزلت على قولين:**

أحدهما: أنها نزلت في المنافقين الذين كانوا على عهد رسول الله ﷺ: وهو قول الجمهور، منهم ابن عباس، ومجاهد.

والثاني: أن المراد بها قوم لم يكونوا خلقوا حين نزولها: قاله سلمان الفارسي.

وفي المراد بالفساد ها هنا أربعة أقوال:

أحدها: أنه الكفر، قاله ابن عباس.

والثاني: العمل بالمعاصي، قاله أبو العالية، ومقاتل.

والثالث: أنه الكفر والمعاصي، قاله السّدي عن أشياخه.

والرابع: أنه ترك امتثال الأوامر، واجتناب النواهي، قاله مجاهد

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾، **فيه أربعة أقوال:**

أحدها: أن معناه إنكار ما عرفوا به، وتقديره: ما فعلنا شيئًا يوجب الفساد.

والثاني: أن معناه: إنا نقصد الإصلاح بين المسلمين والكافرين، والقولان عن ابن عباس.

والثالث: أنهم أرادوا: في مصافاة الكفار صلاح لا فساد، قاله مجاهد وقتادة.

والرابع: أنهم أرادوا أن فعلنا هذا هو الصلاح، وتصديق محمد هو الفساد، قاله السّدي.

قال ﷻ: ﴿أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾﴾

وفي الذي لم يشعروا به قولان:

أحدهما: أنه إِطلاع الله نبيه علىٰ كذبهم، قاله ابن عباس.

والثاني: أنه إِسرارهم بأنفسهم بكفرهم، قاله ابن زيد.

قال ﷻ: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ قَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ ۗ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟﴾، **في المقول لهم قولان**:

أحدهما: أنهم اليهود، قاله ابن عباس، ومقاتل.

والثاني: المنافقون، قاله مجاهد، وابن زيد.

وفي القائلين لهم قولان:

أحدهما: أنهم أصحاب النبيّ ﷺ، قاله ابن عباس، ولم يعيّن أحداً من أصحابه.

والثاني: أنهم معينون، وهم سعد بن معاذ، وأبو لبابة وأسيد: ذكره مقاتل.

وفي الإيمان الذي دعوا إليه قولان:

أحدهما: أنه التصديق بالنبي، وهو قول من قال: هم اليهود.

والثاني: أنه العمل بمقتضىٰ ما أظهروه، وهو قول من قال: هم المنافقون.

وفي المراد بالناس ها هنا ثلاثة أقوال:

أحدها: جميع الصحابة، قاله ابن عبَّاس.

والثاني: عبد الله بن سلام، ومن أسلم معه من اليهود، قاله مقاتل.

والثالث: معاذ بن جبل، وسعد بن معاذ، وأسيد بن حضير، وجماعة من وجوه الأنصار، عدهم الكلبي.

وفيمن عنوا بالسفهاء ثلاثة أقوال:

أحدها: جميع الصحابة: قاله ابن عبَّاس.

والثاني: النساء والصبيان: قاله الحسن.

والثالث: ابن سلام وأصحابه: قاله مقاتل.

وفيما عنوه بالعيب من إيمان الذين زعموا أنهم السفهاء قولان:

أحدها: أنهم أرادوا دين الإِسلام: قاله ابن عباس، والسُّدي.

والثاني: أنهم أرادوا البعث والجزاء: قاله مجاهد.

قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ﴾.

٣١ - **قال مقاتل**: لا يعلمون أنهم هم السّفهاء.

قال ﷻ: ﴿وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ **اختلفوا فيمن نزلت على قولين:**

أحدهما: أنها نزلت في عبد الله بن أبي وأصحابه: قاله ابن عباس.

والثاني: أنها نزلت في المنافقين وغيرهم من أهل الكتاب الذين كانوا يظهرون للنبيّ ﷺ من الإيمان ما يلقون رؤساءهم بضدّه، قاله الحسن.

وفي المراد: بشياطينهم ثلاثة أقوال:

أحدها: أنهم رؤوسهم في الكفر، قاله ابن مسعود، وابن عباس، والحسن، والسّدي.

والثاني: إِخوانهم من المشركين، قاله أبو العالية، ومجاهد.

والثالث: كهنتهم، قاله الضَّحاك، والكلبي.

قوله تعالى ﴿إِنَّا مَعَكُمْ﴾ فيه قولان:

أحدهما: أنَّهم أرادوا: إنا معكم علىٰ دينكم.

والثاني: إِنا معكم علىٰ النّصرة والمعاضدة. والهزء: السّخرية

قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَسۡتَهۡزِئُ﴾ فيها وجوه:

أحدها: أنه يفتح لهم باب من الجنة وهم في النار، فيسرعون إليه فيغلق، ثم يفتح لهم باب آخر، فيسرعون فيغلق، فيضحك منهم المؤمنون: روي عن ابن عباس.

والثاني: أنه إذا كان يوم القيامة جمدت النَّار لهم كما تجمد الإِهالة في القدر، فيمشون فتنخسف بهم. روي عن الحسن البصري.

والثالث: أن الاستهزاء بهم: إذا ضرب بينهم وبين المؤمنين بسور له باب، باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب، فيبقون في الظلمة، فيقال لهم: ﴿ٱرۡجِعُواْ وَرَآءَكُمۡ فَٱلۡتَمِسُواْ نُورٗاۖ﴾ [سورة الحديد:١٣].: قاله مقاتل.

قوله: ﴿وَيَمُدُّهُمۡ فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ يَعۡمَهُونَ ١٥﴾ [سورة البقرة:١٥].

فيه ثلاثة أقوال:

أحدها: يمكِّن لهم، قاله ابن مسعود.

والثاني: يملي لهم، قاله ابن عباس.

والثالث: يزيدهم، قاله مجاهد.

قال ﷻ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلۡهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمۡ وَمَا كَانُواْ مُهۡتَدِينَ ١٦﴾

قوله تعالى ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلۡهُدَىٰ﴾ **في نزولها ثلاثة أقوال:**

أحدها: أنها نزلت في جميع الكفار، قاله ابن مسعود، وابن عباس.

والثاني: أنها في أهل الكتاب، قاله قتادة والسدي ومقاتل.

والثالث: أنها في المنافقين، قاله مجاهد.

وفي كيفية استبدالهم الضلالة بالهدى قولان:

أحدها: أنهم آمنوا ثم كفروا، قاله مجاهد.

والثاني: أن اليهود آمنوا بالنبي قبل مبعثه، فلما بعث كفروا به، قاله مقاتل.

قال ﷻ: ﴿مَثَلُهُمۡ كَمَثَلِ ٱلَّذِي ٱسۡتَوۡقَدَ نَارٗا فَلَمَّآ أَضَآءَتۡ مَا حَوۡلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمۡ وَتَرَكَهُمۡ فِي ظُلُمَٰتٖ لَّا يُبۡصِرُونَ ١٧﴾

قوله تعالى: ﴿مَثَلُهُمۡ كَمَثَلِ ٱلَّذِي ٱسۡتَوۡقَدَ نَارٗا﴾ هذه الآية نزلت في المنافقين.

والمثل بتحريك الثاء: ما يضرب ويوضع لبيان النظائر في الأحوال.

وفي قوله تعالى: ﴿ٱسۡتَوۡقَدَ﴾ **قولان:**

أحدهما: أن السين زائدة وهذا قول الجمهور.

والثاني: أن السين داخلة للطلب، أراد: كمن طلب من غيره نارا.

فصل: اختلف العلماء في الذي ضرب الله تعالى له هذا المثل من أحوال المنافقين على قولين:

أحدهما: أنه ضرب لكلمة الإسلام التي يلفظون بها، ونورها صيانة النفس وحقن الدماء، فاذا ماتوا سلبهم الله ذلك العزَّ، كما سلب صاحب النَّار ضوءه: وهذا المعنىٰ مروي عن ابن عباس.

والثاني: أنه ضرب لإقبالهم علىٰ المؤمنين وسماعهم ما جاء به الرسول، فذهاب نورهم: إِقبالهم علىٰ الكافرين والضلال، وهذا قول مجاهد.

وفي المراد بـ «الظلمات» ها هنا أربعة أقوال:

أحدها: العذاب، قاله ابن عباس.

والثاني: ظلمة الكفر، قاله مجاهد.

والثالث: ظلمة يلقيها الله عليهم بعد الموت، قاله قتادة.

والرابع: أنها نفاقهم، قاله السدي.

قال ﷻ: ﴿صُمٌّۢ بُكۡمٌ عُمۡيٌ فَهُمۡ لَا يَرۡجِعُونَ ١٨﴾

قوله تعالى: ﴿صُمٌّۢ بُكۡمٌ عُمۡيٌ﴾.

الصمم: انسداد منافذ السمع، وهو أشد من الطرش.

وفي البكم أقوال:

أحدها: أنه الخرس، قاله مقاتل، وأبو عبيد، وابن فارس.

وقوله تعالى: ﴿فَهُمۡ لَا يَرۡجِعُونَ﴾ **فيه ثلاثة أقوال:**

أحدها: لا يرجعون عن ضلالتهم، قاله قتادة ومقاتل.

والثاني: لا يرجعون إِلىٰ الإسلام، قاله السدي.

والثالث: لا يرجعون عن الصمم والبكم والعمىٰ.

قال ﷻ: ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَٰتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِيٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ وَٱللَّهُ مُحِيطٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ١٩﴾

والصيب: المطر.

وفي «الرعد» أقوال:

أحدها: أنه صوت ملك يزجر السحاب، وقد روي هذا المعنىٰ مرفوعا إلىٰ النبيّ ﷺ، وبه قال ابن عباس ومجاهد.

٣٢ - **وفي رواية عن مجاهد:** أنه صوت ملك يسبح.

٣٣ - **وقال عكرمة:** هو ملك يسوق السحاب كما يسوق الحادي الإبل.

والثاني: أنه ريح تختنق بين السماء والأرض.

٣٤ - **وقد روي عن أبي الجلد أنه قال:** الرعد: الريح.

وفي «البرق» أقوال:

أحدها: أنه مخاريق يسوق بها الملك السحاب، روي هذا المعنىٰ مرفوعـًا إلىٰ النبيّ ﷺ، وهو قول علي بن أبي طالب.

٣٥ - **وفي رواية عن علي قال:** هو ضربة بمخراق من حديد.

٣٦ - **وعن ابن عباس:** أنه ضربة بسوط من نور.

٣٧ - **وقال مجاهد:** البرق: مصع ملك، والمصع: الضرب والتحريك.

والثاني: أن البرق: الماء، قاله أبو الجلد.

والصواعق: جمع صاعقة، وهي صوت شديد من صوت الرعد يقع معه قطعة من نار تحرق ما تصيبه.

٣٨ - **وروي عن شهر بن حوشب:** أن الملك الذي يسوق السحاب، إذا اشتد غضبه، طار من فيه النار، فهي الصواعق.

قال ﷻ: ﴿يَكَادُ ٱلْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَٰرَهُمْۖ كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْا۟ فِيهِ وَإِذَآ أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا۟ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿يَكَادُ ٱلْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَٰرَهُمْۖ﴾

يكاد بمعنى: يقارب.

واختلف العلماء ما الذي يشبه الرعد مما يتعلق بأحوال المنافقين على أقوال:

أحدها: أنه التخويف الذي في القرآن، قاله ابن عباس.

والثاني: أنه ما يخافون أن يصيبهم من المصائب إذا علم النبي والمؤمنون بنفاقهم، قاله مجاهد والسدي.

واختلفوا: ما الذي يشبه البرق من أحوالهم على ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه ما يتبين لهم من مواعظ القرآن وحكمه.

والثاني: أنه ما يضيء لهم من نور إسلامهم الذي يظهرونه.

والثالث: أنه مثل لما ينالونه باظهار الإسلام من حقن دمائهم، فانه بالإضافة إِلىٰ ما ذخر لهم في الأجل كالبرق.

واختلفوا في معنى قوله: ﴿يَجۡعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمۡ فِيٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ﴾، على قولين:

أحدهما: أنهم كانوا يفرون من سماع القرآن لئلا يأمرهم بالجهاد مخافة الموت، قاله الحسن والسدي.

والثاني: أنه مثل لإعراضهم عن القرآن كراهية له، قاله مقاتل.

واختلفوا في معنى: ﴿كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوۡاْ فِيهِ﴾ على أقوال:

أحدها: أن معناه:كلما أتاهم القرآن بما يحبون تابعوه، قاله ابن عباس والسدي.

والثاني: أن إضاءة البرق حصول ما يرجونه من سلامة نفوسهم وأموالهم، فيسرعون إلىٰ متابعته، قاله قتادة.

والثالث: أن تكلمهم بالاسلام، ومشيهم فيه: اهتداؤهم به، فاذا تركوا ذلك وقفوا في ضلالة، قاله مقاتل.

ومعنى ﴿قَامُواْۚ﴾: وقفوا.

قوله تعالى: ﴿وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمۡعِهِمۡ وَأَبۡصَٰرِهِمۡۚ﴾

٣٩ – **قال مقاتل**: معناه: لو شاء لأذهب أسماعهم وأبصارهم عقوبة لهم.

٤٠ – **قال مجاهد**: من أول البقرة أربع آيات في نعت المؤمنين، وآيتان في نعت الكافرين، وثلاث عشرة في نعت المنافقين.

قال ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ٢١﴾

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ﴾ اختلف العلماء فيمن عنى بهذا الخطاب على أربعة أقوال:

أحدها: أنه عام في جميع الناس، وهو قول ابن عباس.

والثاني: أنه خطاب لليهود دون غيرهم، قاله الحسن ومجاهد.

والثالث: أنه خطاب للكفار من مشركي العرب وغيرهم، قاله السدي.

والرابع: أنه خطاب للمنافقين واليهود، قاله مقاتل

وفي المراد بالعبادة ها هنا قولان:

أحدهما: التوحيد.

والثاني: الطاعة، رويا عن ابن عباس.

وفي (لعل) قولان:

أحدهما: أنها بمعنى كي وإلى هذا المعنى ذهب مقاتل وقطرب وابن كيسان.

والثاني: أنها بمعنى الترجي، ومعناها: اعبدوا الله راجين للتقوى، ولأن تقوا أنفسكم- بالعبادة- عذاب ربكم. وهذا قول سيبويه.

٤١ - **قال ابن عباس**: لعلكم تتقون الشرك.

٤٢ - **وقال الضحاك**: لعلكم تتقون النار.

٤٣ - **وقال مجاهد**: لعلّكم تطيعون.

قال ﷻ: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾

إنما سميت الأرض أرضـًا لسعتها، من قولهم:أرِضت القرحة: إذا اتسعت، وقيل: لانحطاطها عن السماء، وكل ما سفل: أرض، وقيل: لأن الناس يرضونها بأقدامهم، وسميت السماء سماء لعلوها.

٤٤ - **وقال ابن عباس:** البناء ها هنا بمعنىٰ السقف.

قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾، يعني: من السحاب، ماءً يعني المطر.

قوله تعالى: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا﴾، يعني: شركاء، أمثالا. يقال: هذا ند هذا، ونديده.

وفيما أريد بالأنداد ها هنا قولان:

أحدهما: الأصنام، قاله ابن زيد.

والثاني: رجال كانوا يطيعونهم في معصية الله، قاله السدي

قوله تعالى ﴿وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ **فيه أقوال:**

أحدها: وأنتم تعلمون أنه خلق السماء، وأنزل الماء، وفعل ما شرحه في هذه الآيات، وهذا المعنىٰ مرويّ عن ابن عباس وقتادة ومقاتل.

والثاني: وأنتم تعلمون أنه ليس ذلك في كتابكم التوراة والانجيل، روي عن ابن عباس أيضـًا، وهو يخرج علىٰ قول من قال الخطاب لأهل الكتاب.

والثالث: وأنتم تعلمون أنه لا ند له، قاله مجاهد.

قال ﷻ: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [سورة البقرة:٢٣].

قوله تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ﴾ سبب نزولها أن اليهود قالوا: هذا الذي يأتينا به محمد لا يشبه الوحي، وإنا لفي شك منه، فنزلت هذه الآية. وهذا مروي عن ابن عباس ومقاتل.

قوله تعالى: ﴿فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ﴾ السورة تهمز ولا تهمز، فمن همزها جعلها من أسأرت، يعني أفضلت كأنها قطعة من القرآن.

٤٥ – قال **أبو عبيدة**: إِنما سُميت السورة سورة لأنه يرتفع فيها من منزلة إِلىٰ منزلة، مثل سورة البناء.

وفي هاء «مثله» تعود علىٰ القرآن المنزّل قاله قتادة ومقاتل.

قوله تعالى: ﴿وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ﴾ معناه: استعينوا من المعونة، قاله السدي.

وفي «شهدائهم» ثلاثة أقوال:

أحدها: أنهم آلهتهم، قاله ابن عباس والسديّ ومقاتل.

والثاني: أنهم أعوانهم، روي عن ابن عباس أيضـًا.

والثالث: أَن معناه:فأتوا بناس يشهدون أن ما تأتون به مثل القرآن، روي عن مجاهد.

قوله تعالى: ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ أي في قولكم: إن القرآن ليس من عند الله، قاله ابن عباس.

قال ﷻ: ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟ فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٤﴾﴾

والوقود: بفتح الواو: الحطب.

وفي الحجارة قولان:

أَحدهما: أنها أصنامهم التي عبدوها، قاله الربيع بن أنس.

والثاني: أنها حجارة الكبريت، وهي أشد الأشياء حراً، إذا أحميت يعذبون بها.

قال ﷻ: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُوا۟ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُوا۟ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُوا۟ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [سورة البقرة:٢٥].

قوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾. البشارة: أول خبر يرد علىٰ الإنسان، وسمي بشارة، لأنه يؤثر في بشرته، فان كان خيراً، أثر المسرة والانبساط، وإن شراً، أثر الانجماع والغم، والأغلب في عرف الاستعمال أن تكون البشارة بالخير، وقد تستعمل في الشر، ومنه قوله تعالىٰ: ﴿بَشِّرِ ٱلْمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣٨﴾﴾ [سورة النساء:١٣٨].

قوله تعالى: ﴿هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ﴾ **فيه ثلاثة أقوال**:

أحدها: أن معناه: هذا الذي طعمنا من قبل، فرزق الغداة كرزق العشيّ، روي عن ابن عباس والضحاك ومقاتل.

والثاني: هذا الذي رزقنا من قبل في الدنيا، قاله مجاهد وابن زيد.

والثالث: أن ثمر الجنة إذا جُنيَ خلفه مثله، فاذا رأوا ما خلف الجنىٰ، اشتبه عليهم، فقالوا: ﴿هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقۡنَا مِن قَبۡلُۖ﴾، قاله يحيىٰ بن أبي كثير وأبو عبيدة.

قوله تعالى: ﴿وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهٗاۖ﴾ **فيه ثلاثة أقوال**:

أحدها: أنه متشابه في المنظر واللون، مختلف في الطعم، قاله ابن عباس ومجاهد وأبو العالية والضحاك والسدي ومقاتل.

والثاني: أنه متشابه في جودته، لا رديء فيه، قاله الحسن وابن جريج.

والثالث: أنه يشبه ثمار الدنيا في الخلقة والاسم، غير أنه أحسن في المنظر والطعم، قاله قتادة وابن زيد.

قوله تعالى: ﴿وَلَهُمۡ فِيهَآ أَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞۖ﴾ أي: الخَلْق، فإنهن لا يحضن ولا يبلن ولا يأتين الخلاء، وفي الخُلُق، فإنهن لا يحسدن ولا يغرن ولا ينظرن إلىٰ غير أزواجهن.

٤٦ – **قال ابن عباس**: نقية عن القذىٰ والأذىٰ.

قال ﷻ: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسۡتَحۡيِۦٓ أَن يَضۡرِبَ مَثَلٗا مَّا بَعُوضَةٗ فَمَا فَوۡقَهَاۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَيَعۡلَمُونَ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّهِمۡۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلٗاۘ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرٗا وَيَهۡدِي بِهِۦ كَثِيرٗاۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلۡفَٰسِقِينَ ٢٦﴾

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسۡتَحۡيِۦٓ أَن يَضۡرِبَ مَثَلٗا﴾ **في سبب نزولها قولان:**

أحدهما: أنه لما نزل قوله تعالىٰ: ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخۡلُقُواْ ذُبَابٗا وَلَوِ ٱجۡتَمَعُواْ لَهُۥۖ﴾ [سورة الحج:٧٣]، ونزل قوله: ﴿كَمَثَلِ ٱلۡعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتۡ بَيۡتٗاۖ﴾ [سورة العنكبوت:٤١]. قالت اليهود: وما هذا من الأمثال؟! فنزلت هذه الآية، قاله ابن عباس والحسن وقتادة ومقاتل.

والثاني: أنه لما ضرب الله المثلين، وهما قوله تعالىٰ: ﴿كَمَثَلِ ٱلَّذِي ٱسۡتَوۡقَدَ نَارٗا﴾ [سورة البقرة:١٧]، وقوله: ﴿أَوۡ كَصَيِّبٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ [سورة البقرة:١٩]، قال المنافقون: الله أجل وأعلىٰ من أن يضرب هذه الأمثال، فنزلت هذه الآية، رواه السدي عن أشياخه. وروي عن الحسن ومجاهد نحوه.

وقوله تعالى ﴿أَن يَضۡرِبَ مَثَلٗا﴾:

٤٧ - **قال ابن عباس:** أن يذكر شبهًا.

والبعوضة: صغيرة البقّ.

وفي قوله تعالى ﴿فَمَا فَوۡقَهَاۚ﴾: معناه فما فوقها في الكبر، قاله ابن عباس، وقتادة،

وابن جريج.

قال الله تعالى ﴿مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَـٰذَا مَثَلًاۘ﴾:

مبتدأ من قول الله تعالىٰ، قاله السّدّيّ ومقاتل.

وقوله ﴿يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًاۚ﴾:

أنه مبتدأ من كلام الله تعالىٰ من قوله تعالىٰ، قاله السّدّيّ ومقاتل

قال الله تعالى ﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَـٰسِقِينَ ٢٦﴾:

فأما الفسق فهو في اللغة: الخروج، يقال: فسقت الرطبة: إذا خرجت من قشرها، فالفاسق: الخارج عن طاعة الله إِلىٰ معصيته.

وفي المراد بالفاسقين ها هنا، ثلاثة أقوال:

أحدها: أنهم اليهود، قاله ابن عباس ومقاتل.

والثاني: المنافقون، قاله أبو العالية والسّدّيّ.

والثالث: جميع الكفار.

قال ﷻ: ﴿ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَـٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ ٢٧﴾

قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ﴾

هذه صفة للفاسقين، وقد سبقت فيهم الأقوال الثلاثة.

والنقض: ضد الإِبرام، ومعناه: حل الشيٰء بعد عقده. وينصرف النقض إِلىٰ كل

شيء بحسبه، فنقض البناء: تفريق جمعه بعد إحكامه. ونقض العهد: الإعراض عن المقام على أحكامه.

وفي هذا العهد أقوال:

أحدها: أنه ما عهد إلى أهل الكتاب من صفة محمد ﷺ والوصية باتباعه، قاله ابن عباس ومقاتل.

والثاني: ما عُهد إليهم في القرآن، فأقروا به ثم كفروا فنقضوه، قاله السدي

وفي الذي أمر الله به أن يوصل، ثلاثة أقوال:

أحدها: الرحم والقرابة، قاله ابن عباس وقتادة والسّدّي.

والثاني: أنه رسول الله ﷺ قطعوه بالتكذيب، قاله الحسن.

والثالث: الإيمان بالله، وأن لا يفرق بين أحد من رسله، فآمنوا ببعض وكفروا ببعض، قاله مقاتل.

وفي فسادهم في الأرض أقوال:

أحدها: استدعاؤهم الناس إلى الكفر، قاله ابن عباس.

والثاني: أنه العمل بالمعاصي، قاله السّدّيّ، ومقاتل

قال ﷻ: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَـٰكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا﴾ الآية

استفهام في معنى التعجب أي كيف يكفرون، وقد ثبتت حجة الله عليهم.

قال ﷻ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ ۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾، أي: لأجلكم، فبعضه للانتفاع، وبعضه للإتباع. ثُمَّ اسْتَوىٰ إِلَىٰ السَّماءِ أي علا وارتفع.

وأيهما أسبق في الخلق: الأرض، أم السماء؟ فيه قولان:

أحدهما: الأرض، قاله مجاهد.

والثاني: السماء، قاله مقاتل.

٤٨ - **فقال ابن عبَّاس:** بدأ بخلق الأرض في يومين، ثم خلق السماوات في يومين، ثم دحا الأرض وبينها الجبال، وقدر فيها أقواتها في يومين.

والعليم: جاء علىٰ بناء: فعيل، للمبالغة في وصفه بكمال العلم.

قال ﷻ: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾

قوله تعالى ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ﴾ **وفي هؤلاء الملائكة قولان:**

أحدهما: أنهم جميع الملائكة، قاله السدي عن أشياخه.

والثاني: أنهم الذين كانوا مع إبليس حين أُهبط إلىٰ الأرض، ذكره أبو صالح عن

ابن عباس.

واختلفوا ما المقصود في إخبار الله ﷻ الملائكة بخلق آدم على أقوال:

أحدها: أن الله تعالىٰ علم في نفس إبليس كبراً، فأحب أن يطلع الملائكة عليه، وأن يظهر ما سبق عليه في علمه، رواه الضحاك عن ابن عباس، والسدي عن أشياخه.

والثاني: أنه أراد أن يبلو طاعة الملائكة، قاله الحسن.

والثالث: أنه لما خلق النار خافت الملائكة، فقالوا: ربنا لمن خلقت هذه؟ قال: لمن عصاني، فخافوا وجود المعصية منهم، وهم لا يعلمون بوجود خلق سواهم، فقال لهم: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾، قاله ابن زيد.

وفي معنى خلافة آدم قولان:

أحدهما: أنه خليفة عن الله تعالىٰ في إقامة شرعه، ودلائل توحيده، والحكم في خلقه، وهذا قول ابن مسعود ومجاهد.

والثاني: أنه خلف من سلف في الأرض قبله، وهذا قول ابن عباس والحسن

وهل علمت الملائكة أنهم يفسدون بتوقيف من الله تعالىٰ، أم قاسوا علىٰ حال من قبلهم؟

فيه قولان:

أحدهما: أنه بتوقيف من الله تعالىٰ، قاله ابن مسعود وابن عباس والحسن ومجاهد وقتادة، وابن زيد وابن قتيبة، وروىٰ السدي عن أشياخه: أنهم قالوا: ربنا وما يكون ذلك الخليفة؟ قال: يكون له ذرية يفسدون في الأرض ويتحاسدون، ويقتل بعضهم بعضاً، فقالوا: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا﴾

والثاني: أنهم قاسوه علىٰ أحوال من سلف قبل آدم، روي نحو هذا عن ابن عباس وأبي العالية ومقاتل.

وفي معنى تسبيحهم أقوال:

أحدها: أنه الصلاة، قاله ابن مسعود وابن عباس.

والثاني: أنه قول: سبحان الله، قاله قتادة.

والثالث: أنه التعظيم والحمد، قاله أبو صالح

وقوله تعالى: ﴿وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾

القدس: الطهارة.

وفي معنى تقديسهم ثلاثة أقوال:

أحدها: أن معناه: نتطهر لك من أعمالهم، قاله ابن عباس.

والثاني: نعظمك، ونكبرك، قاله مجاهد.

والثالث: نصلي لك قاله قتادة.

قوله تعالى ﴿قَالَ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٣٠﴾ **فيه أقوال:**

أحدها: أن معناه: أعلم ما في نفس إبليس من البغىٰ والمعصية، قاله ابن عباس، ومجاهد، والسدي عن أشياخه.

والثاني: أعلم أنه سيكون من ذلك الخليفة أنبياء وصالحون، قاله قتادة.

والثالث: أعلم أني أملأ جهنم من الجنة والناس، قاله ابن زيد.

(الإشارة إلى خلق آدم عليه السلام)

٤٩- **روى** أبو موسىٰ عن النبيّ ﷺ، أنه قال: «**إنّ الله، عز وجل، خلق آدم من قبضة**

قبضها من جميع الأرض، فجاء بنو آدم علىٰ قدر الأرض، منهم الأحمر والأبيض والأسود، وبين ذلك، والسهل والحزن، وبين ذلك، والخبيث والطيب»، قال الترمذي: هذا حديث صحيح.

٥٠ - وقد أخرج البخاري ومسلم في «الصحيحين» من حديث أبي هريرة عن النبيّ ﷺ، أنه قال: «خلق الله تعالىٰ آدم طوله ستون ذراعـًا» .

٥١ - وأخرج مسلم في أفراده من حديث أبي هريرة عن النبيّ ﷺ، أنّه قال: «خلق الله آدم بعد العصر يوم الجمعة آخر الخلق، في آخر ساعة من ساعات الجمعة، ما بين العصر إلىٰ الليل».

٥٢ - قال ابن عباس: لما نفخ فيه الروح، أتته النفخة من قبل رأسه، فجعلت لا تجري منه في شيء إلا صار لحما ودما.

قال ﷻ: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلۡأَسۡمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمۡ عَلَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِي بِأَسۡمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ٣١﴾

قوله تعالى ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلۡأَسۡمَآءَ كُلَّهَا﴾ **في تسميته بآدم قولان:**

أحدهما: لأنه خلق من أديم الأرض، قاله ابن عباس وابن جبير

والثاني: أنه من الأدمة في اللون، قاله الضحاك والنضر بن شميل.

وفي الأسماء التي علمّه قولان:

أحدهما: أنه علمه كل الأسماء، وهذا قول ابن عباس وسعيد بن جبير ومجاهد وقتادة.

والثاني: أنه علمه أسماء معدودة لمسميات مخصوصة.

ثم فيها أربعة أقوال:

أحدها: أنه علمه أسماء الملائكة، قاله أبو العالية.

والثاني: أنه علَّمه أسماء الأجناس دون أنواعها، كقولك: إِنسان وملك وجني وطائر، قاله عكرمة.

والثالث: أنه علمه أسماء ما خلق في الأرض من الدواب والهوام والطير، قاله مقاتل.

والرابع: أنه علمه أسماء ذريته، قاله ابن زيد.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ عَرَضَهُمْ﴾

يريد: أعيان الخلق علىٰ الملائكة، قال ابن عباس: الملائكة هاهنا:هم الذين كانوا مع إبليس خاصة.

قوله تعالى: ﴿أَنبِئُونِي﴾**:** أخبروني.

قوله تعالى ﴿إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ فيه قولان:

أحدهما: إن كنتم صادقين أني لا أخلق خلقا هو أفضل منكم وأعلم، قاله الحسن.

والثاني: أني أجعل فيها من يفسد فيها، قاله السدي عن أشياخه.

قال ﷻ: ﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ﴾ لا اختلاف بين أهل اللغة أن التسبيح هو: التنزيه لله

تعالىٰ عن كل سوء.

قال ﷻ: ﴿قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئۡهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡ قَالَ أَلَمۡ أَقُل لَّكُمۡ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ غَيۡبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَأَعۡلَمُ مَا تُبۡدُونَ وَمَا كُنتُمۡ تَكۡتُمُونَ ٣٣﴾

قوله تعالى: ﴿قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئۡهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡۖ﴾ أي: أخبرهم.

وفي الهاء والميم من «أسمائهم» قولان:

أحدهما: أنها تعود علىٰ المخلوقات التي عرضها، قاله الأكثرون.

والثاني: أنها تعود علىٰ الملائكة، قاله الربيع بن أنس.

وفي الذي أبدوه قولان:

أحدهما: أنه قولهم: ﴿قَالُوٓاْ أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا﴾ ذكره السدي عن أشياخه.

والثاني: أنه ما أظهروه من السمع والطاعة لله حين مروا علىٰ جسد آدم، فقال إبليس: إن فضّل عليكم هذا ما تصنعون؟ فقالوا: نطيع ربنا، فقال إبليس في نفسه: لئن فضّلت عليه لأهلكنه، ولئن فضّل عليّ لأعصينه، قاله مقاتل.

وفي الذي كتموه قولان:

أحدهما: أنه اعتقاد الملائكة أن الله تعالىٰ لا يخلق خلقاً أكرم منهم، قاله الحسن وأبو العالية وقتادة.

والثاني: أنه ما أسره إبليس من الكبر والعصيان. رواه السدي عن أشياخه، وبه قال مجاهد وابن جبير ومقاتل.

قال ﷻ: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾﴾

قوله تعالى ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟﴾ **وفي هؤلاء الملائكة قولان:**

أحدهما: أنهم جميع الملائكة، قاله السدي عن أشياخه.

والثاني: أنهم طائفة من الملائكة، روي عن ابن عباس.

قوله تعالى ﴿إِلَّآ إِبْلِيسَ﴾ **في هذا الاستثناء قولان:**

أحدهما: أنه استثناء من الجنس، فهو علىٰ هذا القول من الملائكة، قاله ابن مسعود في رواية، وابن عباس. وقد روي عن ابن عباس أنه كان من الملائكة، ثم مسخه الله تعالىٰ شيطانـًا.

والثاني: أنه من غير الجنس، فهو من الجن، قاله الحسن والزهري.

٥٣ - قال **ابن عباس**: كان إبليس من خزان الجنة، وكان يدير أمر السماء الدنيا.

قوله تعالى: ﴿أَبَىٰ﴾ معناه: امتنع.

قوله تعالى: ﴿وَٱسْتَكْبَرَ﴾استفعل من: الكبر

وفي ﴿وَكَانَ﴾ **قولان:**

أحدهما: أنها بمعنىٰ: صار، قاله قتادة.

والثاني: أنها بمعنىٰ الماضي، فمعناه: كان في علم الله كافراً، قاله مقاتل وابن الأنباري.

قال ﷻ: ﴿وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٣٥﴾

قوله تعالى: ﴿وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ﴾

أي: بالأكل لا بالدُّنو منها.

٥٤ - عن عبد الله بن عباس -من طريق السدي، عن أبي مالك وأبي صالح- قال: الرَّغَد: الهَنِيء.

وفي الشجرة ستة أقوال:

أحدها: أنها السنبلة، وهو قول ابن عباس، وعبد الله بن سلام، وكعب الأحبار، ووهب بن منبه، وقتادة، وعطية العوفي، ومحارب بن دثار، ومقاتل.

والثاني: أنها الكرم، روي عن ابن مسعود وابن عباس وسعيد بن جبير وجعدة بن هبيرة.

والثالث: أنها التين، روي عن الحسن، وعطاء بن أبي رباح، وابن جريج.

والرابع: أنها شجرة يقال لها: شجرة العلم، قاله أبو صالح عن ابن عباس.

والخامس: أنها شجرة الكافور، نقل عن علي بن أبي طالب.

والسادس: أنها النخلة، روي عن أبي مالك.

٥٥ - وقد ذكروا وجهاً سابعاً عن وهب بن منبه أنّه قال: هي شجرة يقال لها

شجرة الخلد، وهذا لا يعدّ وجها لأن الله تعالىٰ سمّاها شجرة الخلد وإنما الكلام في جنسها.

قلت: والأول أنها شجرة السنبلة أو الحنطة هو قول الأكثر الأشهر.

٥٦ - **قال ابن الأنباري:** الظلم: وضع الشيء في غير موضعه، ويقال: ظلم الرجل سقاءه اذا سقاه قبل أن يخرج زبده.

٥٧ - **وقال أبو العالية:** كان لها ثفل من بين أشجار الجنة، فلما أكل منها قيل: أخرج إلىٰ الدار التي تصلح لما يكون منك.

قال ﷻ: ﴿فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا﴾

أزلهما بمعنى: استزلهما

وفي كيفية إزلاله لهما، ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه احتال حتىٰ دخل اليهما الجنة، وكان الذي أدخله الحية، قاله ابن عباس والسدي.

والثاني: أنه وقف علىٰ باب الجنة، وناداهما، قاله الحسن.

والثالث: أنه وسوس اليهما، وأوقع في نفوسهما من غير مخاطبة ولا مشاهدة، قاله ابن إسحاق وفيه بعد.

قوله تعالى ﴿وَقُلْنَا ٱهْبِطُواْ﴾ **فيه ستة أقوال:**

أحدها: أنه انصرف إلىٰ آدم وحواء والحية، قاله أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: إلىٰ آدم وحواء وإبليس والحية، حكاه السدي عن ابن عباس.

والثالث: إلىٰ آدم وإبليس، قاله مجاهد.

الرابع: إلىٰ آدم وحواء وإبليس، قاله مقاتل

واختلف العلماء: هل أهبطوا جملة أو متفرّقين؟

على قولين:

أحدهما: أنهم أهبطوا جملة، لكنهم نزلوا في بلاد متفرقة، قاله كعب، ووهب.

والثاني: أنهم أهبطوا متفرقين، فهبط إبليس قبل آدم، وهبط آدم بالهند، وحواء بجُدَّة، وإِبليس بالأبلَّة، قاله مقاتل.

٥٨ - **وروي عن ابن عباس** أنه قال: أهبطت الحية بنصيبين.

وفي العداوة المذكورة هاهنا أقوال:

أحدها: أن ذرية بعضهم أعداء لبعض، قاله مجاهد.

والثاني: أن إبليس عدو لآدم وحواء، وهما له عدو، قاله مقاتل

وفي المستقر قولان:

أحدهما: أن المراد به القبور، حكاه السدي عن ابن عباس.

قلت: وهو قول ابن مسعود أيضا كما في الموسوعة.

والثاني: موضع الاستقرار، قاله أبو العالية، وابن زيد.

٥٩ - **قال ابن عباس**: إِلىٰ حِينٍ، أي: إلىٰ فناء الأجل بالموت.

قال ﷻ: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٖ فَتَابَ عَلَيۡهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ٣٧﴾

قوله تعالى: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٖ﴾ تلقّىٰ: بمعنىٰ أخذ، وقبل.

وفي الكلمات أقوال:

أحدها: أنها قوله تعالىٰ: ﴿رَبَّنَا ظَلَمۡنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمۡ تَغۡفِرۡ لَنَا وَتَرۡحَمۡنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٢٣﴾ [سورة الأعراف:٢٣]. قاله ابن عباس، والحسن، وسعيد بن جبير، ومجاهد، وعطاء الخراساني، وعبيد بن عمير، وأبيّ بن كعب، وابن زيد.

والثاني: أنه قال: أي رب ألم تخلقني بيدك؟ قال: بلىٰ. قال: ألم تنفخ فيّ من روحك؟ قال: بلىٰ، قال: ألم تسبق رحمتك إليّ قبل غضبك؟ قال: بلىٰ. قال: ألم تسجد لي ملائكتك وتسكني جنتك؟ قال: بلىٰ. قال: أي ربّ، إن تبت وأصلحت، أراجعي أنت إلىٰ الجنة؟ قال: نعم. حكاه السدي عن ابن عباس.

والثالث: أنه قال: اللهم لا إله إلا أنت، سبحانك وبحمدك، رب إني ظلمت نفسي فاغفر لي، إنك خير الغافرين، اللهم لا إله إلا أنت، سبحانك وبحمدك، رب إني ظلمت نفسي فارحمني، فأنت خير الراحمين، اللهم لا إله إلا أنت، سبحانك وبحمدك، رب إني ظلمت نفسي فتب عليَّ، إنك أنت التواب الرحيم، رواه ابن أبي نجيح عن مجاهد.

قوله تعالى: ﴿فَتَابَ عَلَيۡهِۚ﴾ أصل التوبة: الرجوع.

قال ﷻ: ﴿قُلْنَا ٱهْبِطُواْ مِنْهَا جَمِيعًاۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ٣٨﴾

وفي المراد ب «الهدى» أنه الرسول، قاله ابن عباس ومقاتل

قوله تعالى: ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾

والمعنىٰ: فلا خوف عليهم فيما يستقبلون من العذاب، ولا هم يحزنون عند الموت. والخوف لأمر مستقبل، والحزن لأمر ماض.

قال ﷻ: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٣٩﴾

فيها ثلاثة أقوال:

أحدها: أنها العلامة، فمعنىٰ آية: علامة لانقطاع الكلام الذي قبلها والذي بعدها وهذا اختيار أبي عبيد.

والثاني: أنها سميت آية، لأنها جمعت حروفا من القرآن، وطائفة منه.

والثالث: أنها سميت آية، لأنها عجب، وذلك أن قارئها يستدل إذا قرأها علىٰ مباينتها كلام المخلوقين، وهذا كما تقول: فلان آية من الآيات أي: عجب من العجائب. ذكره ابن الأنباري.

قال ﷻ: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِيٓ أُوفِ بِعَهۡدِكُمۡ وَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ ٤٠﴾

والنعمة: المنة.

وفي المراد بهذه النعمة أقوال:

أحدها: أنها ما استودعهم من التوراة التي فيها صفة رسول الله ﷺ، قاله ابن عباس.

والثاني: أنها ما أنعم به على آبائهم وأجدادهم إِذ أنجاهم من آل فرعون، وأهلك عدوهم، وأعطاهم التوراة، ونحو ذلك، قاله الحسن.

قوله تعالى ﴿وَأَوۡفُواْ﴾ وفي المراد بعهده: أربعة أقوال:

أحدها: أنه ما عهده إليهم في التوراة من صفة محمّد ﷺ، رواه أبو صالح عن ابن عباس.

والثاني: أنه امتثال الأوامر، واجتناب النواهي، رواه الضحاك عن ابن عباس.

والثالث: أنه الإسلام، قاله أبو العالية.

والرابع: أنه العهد المذكور في قوله تعالىٰ: ﴿وَلَقَدۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَبَعَثۡنَا مِنۡهُمُ ٱثۡنَيۡ عَشَرَ نَقِيبٗا﴾ قاله قتادة.

قوله تعالىٰ: ﴿أُوفِ بِعَهۡدِكُمۡ﴾

٦٠ - **قال ابن عباس**: أدخلكم الجنة.

قوله تعالى: ﴿وَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ﴾ أي: خافون.

٦١ - عن عبد الله بن عباس -من طريق ابن إسحاق بسنده- في قوله ﴿وَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ ۝﴾، أي: أنْ أُنزِل بكم ما أنزَلْتُ بمَن كان قبلكم من آبائكم، من النَّقْمات التي عرفتم؛ من المَسْخِ وغيره.

٦٢ - قال مقاتل بن سليمان: ﴿وَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ ۝﴾، يعني: وإيّاي فخافونِ في محمد ﷺ، فمَن كَذَّب به فله النار.

قال ﷻ: ﴿وَءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلْتُ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوٓاْ أَوَّلَ كَافِرٍۭ بِهِۦ ۖ وَلَا تَشْتَرُواْ بِـَٔايَٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّٰىَ فَٱتَّقُونِ ۝﴾

قوله تعالى: ﴿وَءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلْتُ﴾، يعني القرآن ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ﴾ يعني التوراة او الإنجيل، فإن القرآن يصدقهما أنهما من عند الله، ويوافقهما في صفة النبيّ ﷺ.

قول الله تعالى ﴿وَلَا تَكُونُوٓاْ أَوَّلَ كَافِرٍۭ بِهِۦ ۖ﴾

٦٣ - عن عبد الله بن عباس -من طريق ابن إسحاق بسنده- في قوله: ﴿وَءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلْتُ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوٓاْ أَوَّلَ كَافِرٍۭ بِهِۦ ۖ﴾، وعندكم فيه من العلم ما ليس عند غيركم.

٦٤ - قال مقاتل بن سليمان: ﴿وَلَا تَكُونُوٓاْ أَوَّلَ كَافِرٍۭ بِهِۦ ۖ﴾ يعني: محمدًا. فتتابع اليهود كلها علىٰ كُفْرٍ به، فلما كفروا تتابعت اليهود كلها: أهل خيبر، وأهل فَدَك، وأهل قُرَيْظة، وغيرهم علىٰ الكفر بمحمد ﷺ. ثم قال لرؤوس اليهود: ﴿وَلَا تَشْتَرُواْ بِـَٔايَٰتِى ثَمَنًا﴾.

وفي هاء ﴿بِهِۦ﴾ أنها تعود إلى المنزّل، قاله ابن مسعود وابن عباس.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَشْتَرُواْ بِـَٔايَٰتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّٰيَ فَٱتَّقُونِ ۝٤١﴾ أي: لا تستبدلوا ثمناً قليلاً.

وفيه ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه ما كانوا يأخذون من عرض الدنيا.

والثاني: بقاء رئاستهم عليهم.

والثالث: أخذ الأجرة على تعليم الدين.

٦٥ - عن سعيد بن جبير -من طريق عطاء بن دينار- في قوله: ﴿وَلَا تَشْتَرُواْ بِـَٔايَٰتِي ثَمَنًا قَلِيلًا﴾، قال: وإنّ آياتِه كتابُه الذي أُنزِل إليهم، وإنّ الثمن القليل هو الدنيا وشهواتُها.

قال ﷻ: ﴿وَلَا تَلْبِسُواْ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُواْ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝٤٢﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَلْبِسُواْ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ﴾ تلبسوا: بمعنى تخلطوا.

وفي المراد بالحق قولان:

أحدهما: أنه أمر النبي ﷺ، قاله ابن عباس، ومجاهد وقتادة، وأبو العالية، والسدي ومقاتل.

والثاني: أنه الإسلام، قاله الحسن

٦٦ - عن عبد الله بن عباس -من طريق أبي رَوْق، عن الضحاك- في قوله: ﴿وَلَا

تَلْبِسُواْ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ﴾، قال: لا تَخْلِطوا الصدق بالكذب.

٦٧ - عن مجاهد -من طريق ابن جُرَيْج- ﴿وَلَا تَلْبِسُواْ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ﴾، قال: اليهودية والنصرانية بالإسلام

٦٨ - عن قتادة -من طريق سعيد- في قوله: ﴿وَلَا تَلْبِسُواْ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ﴾ قال: لا تلبسوا اليهودية والنصرانية بالإسلام، ﴿وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أنّ دين الله الإسلام، وأنّ اليهودية والنصرانية بِدْعَة ليست من الله.

٦٩ - عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم -من طريق ابن وهْب- في قوله: ﴿وَلَا تَلْبِسُواْ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ﴾، قال: الحق: التوراة التي أنزل الله. والباطل: الذي كتبوه بأيديهم.

قلت: قوله تعالى: ﴿وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ يبين أن كفر علماء اليهود كفر جحود وعناد لا كفر جهل.

قال ﷻ: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ٤٣﴾

قوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾

يريد: الصلوات الخمس، وهي هاهنا اسم جنس، والزكاة: مأخوذة من الزكاء، وهو النماء والزيادة

قوله تعالى ﴿وَٱرْكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾: أي: صلوا مع المصلين.

٧٠ - قال ابن عباس: يريد محمّدا ﷺ، وأصحابه رضي الله عنهم

قال ﷻ: ﴿۞ أَتَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبِرِّ وَتَنسَوۡنَ أَنفُسَكُمۡ وَأَنتُمۡ تَتۡلُونَ ٱلۡكِتَٰبَۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴿٤٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿أَتَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبِرِّ﴾

٧١ - **قال ابن عباس:** نزلت في اليهود، كان الرجل يقول لقرابته من المسلمين في السر: اثبت على ما أنت عليه فإنه حق.

وفي «البر» هاهنا أقوال:

أحدها: أنه التمسك بكتابهم، كانوا يأمرون باتباعه ولا يقومون به.

والثاني: اتّباع محمّد ﷺ، روي القولان عن ابن عباس.

قوله تعالى: ﴿وَتَنسَوۡنَ﴾، أي: تتركون.

وفي ﴿ٱلۡكِتَٰبَۚ﴾ قولان:

أحدهما: أنه التوراة، قاله الجمهور.

والثاني: أنه القرآن، فلا يكون الخطاب على هذا القول لليهود.

وفي الموسوعة:

٧٢ - عن عبد الله بن عباس -من طريق أبي رَوْقٍ، عن الضحاك- في قوله: ﴿أَفَلَا تَعۡقِلُونَ﴾، قال: أفلا تفقهون، فنهاهم عن هذا الخلق القبيح.

٧٣ - عن زيد بن أسلم -من طريق ابنه عبد الرحمن- في قوله: ﴿أَفَلَا تَعۡقِلُونَ﴾ أفلا تتفكرون.

قال ﷻ: ﴿وَٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلۡخَٰشِعِينَ ۝٤٥﴾

الأصل في الصبر: الحبس، فالصابر حابس لنفسه عن الجزع.

وفيما أمروا بالصبر عليه أقوال:

أحدها: أنه أداء الفرائض، قاله ابن عباس ومقاتل.

والثاني: أنه ترك المعاصي، قاله قتادة.

قوله تعالى ﴿وَإِنَّهَا﴾ في المكنى عنها أقوال:

أحدها: أنه الصلاة، قاله ابن عباس، والحسن، ومجاهد، والجمهور.

والثاني: أنها الكعبة والقبلة، لأنها لما ذكرت الصلاة، دلت علىٰ القبلة، ذكره الضحاك عن ابن عباس، وبه قال مقاتل.

٧٤ - قال **الحسن والضحاك:** الكبيرة: الثقيلة، مثل قوله تعالىٰ: ﴿كَبُرَ عَلَى ٱلۡمُشۡرِكِينَ مَا تَدۡعُوهُمۡ إِلَيۡهِۚ﴾ [سورة الشورى:١٣]، أي: ثقل.

والخشوع في اللغة: التطامن والتواضع، وقيل: السّكون.

قال ﷻ: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَنِّي فَضَّلۡتُكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٤٧﴾

قوله تعالى: ﴿وَأَنِّي فَضَّلۡتُكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾، يعني: علىٰ عالمي زمانهم، قاله ابن عباس، وأبو العالية ومجاهد وابن زيد.

٧٥ - قال **ابن قتيبة:** وهو من العام الذي أريد به الخاص.

قال ﷻ: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ ﴿٤٨﴾﴾

٧٦ - **قال الزجاج:** كانت اليهود تزعم أَن آباءها الأنبياء تشفع لهم يوم القيامة، فآيسهم الله بهذه الآية من ذلك.

والشفاعة مأخوذة من الشفع الذي يخالف الوتر، وذلك أن سؤال الشفيع يشفع سؤال المشفوع له.

فأما «**العدل**» فهو الفداء، وسمي عدلاً، لأنه يعادل المفدىٰ.

قوله تعالى: ﴿وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ﴾، أي: يمنعون من عذاب الله.

قال ﷻ: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَٰلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٤٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ﴾

تقديره: واذكروا إذ نجيناكم، وهذه النعم علىٰ آبائهم كانت.

وفي ﴿آلِ فِرْعَوْنَ﴾ **ثلاثة أقوال:**

أحدها: أنهم أهل مصر، قاله مقاتل.

والثاني: أهل بيته خاصة، قاله أبو عبيدة.

والثالث: أتباعه علىٰ دينه، قاله الزجاج.

وفرعون: اسم أعجمي، وقيل: هو لقبه.

وفي اسمه أربعة أقوال:

أحدها: الوليد بن مصعب، قاله الأكثرون.

والثاني: فيطوس، قاله مقاتل.

والثالث: مصعب بن الريان، حكاه ابن جرير الطبري.

والرابع: مغيث، ذكره بعض المفسرين.

قوله تعالى: ﴿يَسُومُونَكُمْ﴾، أي: يولونكم، يقال: فلان يسومك خسفاً، أي: يوليك ذلاً واستخفافاً. وسُوءَ الْعَذابِ: شديده.

قوله تعالى: ﴿وَيَسْتَحْيُونَ﴾، أي: يستبقون ﴿نِسَآءَكُمْ﴾، أي: بناتكم.

وإنما استبقوا نساءكم للاستذلال والخدمة.

وفي البلاء هاهنا قولان:

أحدهما: أنه بمعنىٰ النعمة، قاله ابن عباس ومجاهد وأبو مالك.

والثاني: أنه النقمة، رواه السدي عن أشياخه.

٧٧ - قال **أبو العالية**: وكان السبب في ذبح الأبناء، أن الكهنة قالت لفرعون: سيولد العام بمصر غلام يكون هلاكك علىٰ يديه، فقتل الأبناء.

قال ﷻ: ﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ فَأَنجَيْنَٰكُمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ۝٥٠﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ﴾، الفرق: الفصل بين الشيئين، و «بكم» بمعنىٰ «لكم».

وفي قوله تعالى: ﴿وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾، من نظر العين، ومعناه: وأنتم ترونهم يغرقون

٧٨ - **روى السدي عن أشياخه:** أن الله تعالىٰ أمر موسىٰ أن يخرج ببني إسرائيل، وألقىٰ علىٰ القبط الموت، فمات بكر كل رجل منهم، فأصبحوا يدفنونه، فشغلوا عن طلبهم حتىٰ طلعت الشمس، قال عمرو بن ميمون: فلما خرج موسىٰ بلغ ذلك فرعون، فقال: لا تتبعوهم حتىٰ يصيح الديك، فما صاح ديك ليلتئذ.

٧٩ - **قال أبو السليل:** لما انتهىٰ موسىٰ إِلىٰ البحر قال: هيه أبا خالد، فأخذه أفكل، يعني رعدة.

٨٠ - **قال مقاتل:** تفرق الماء يميناً وشمالاً كالجبلين المتقابلين، وفيهما كوىً ينظر كل سبط إلىٰ الآخر.

٨١ - **قال السدي:** فلما رآه فرعون متفرقًا قال: ألا ترون البحر فرق مني، فانفتح لي؟! فأتت خيل فرعون فأبت أن تقتحم، فنزل جبريل علىٰ ماذيانة فتشامت الحصن ريح الماذيانة، فاقتحمت في إثرها، حتىٰ إِذا همَّ أولهم أن يخرج، ودخل آخرهم، أمر البحر أن يأخذهم، فالتطم عليهم.

قال ﷻ: ﴿وَإِذۡ وَٰعَدۡنَا مُوسَىٰٓ أَرۡبَعِينَ لَيۡلَةٗ ثُمَّ ٱتَّخَذۡتُمُ ٱلۡعِجۡلَ مِنۢ بَعۡدِهِۦ وَأَنتُمۡ ظَٰلِمُونَ ۝٥١﴾

ومعنى الآية: وعدنا موسىٰ تتمة أربعين يوما أو انقضاء أربعين ليلة. وموسىٰ: اسم أعجمي، أصله بالعبرانية: موشىٰ، ف (مو): هو الماء، و(شىٰ): هو الشجر، لأنه وجد عند الماء والشجر، فعرب بالسين.

ولماذا كان هذا الوعد؟ فيه قولان:

أحدهما: لأخذ التوراة.

والثاني: للتكليم.

وفي هذه المدة قولان:

أحدهما: أنها ذو القعدة وعشر من ذي الحجة، وهذا قول من قال: كان الوعد لإعطاء التوراة.

والثاني: أنها ذو الحجة وعشر من المحرم، وهو قول من قال: كان الوعد للتكليم.

قال ﷻ: ﴿ثُمَّ عَفَوْنَا عَنكُم مِّنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ عَفَوْنَا عَنكُم مِّنْ بَعْدِ﴾، من بعده، أي: من بعد انطلاقه إلىٰ الجبل.

(الإشارة إلى اتخاذهم العجل)

٨٢ - **روى السدي عن أشياخه:** أنه لما انطلق موسىٰ، واستخلف هارون، قال هارون: يا بني إسرائيل! إِن الغنيمة لا تحل لكم، وإِن حليّ القبط غنيمة فاجمعوه واحفروا له حفيرة، فادفنوه، فان أحلّه موسىٰ فخذوه، وإلا كان شيئًا لم تأكلوه، ففعلوا.

٨٣ - **قال السدي:** وكان جبريل قد أتىٰ إلىٰ موسىٰ ليذهب به إلىٰ ربه، فرآه السامريّ، فأنكره وقال: إن لهذا شأنًا، فأخذ قبضة من أثر حافر الفرس، فقذفها في الحفيرة، فظهر العجل.

وقيل: إِن السامريّ أمرهم بالقاء ذلك الحليّ، وقال: إنما طالت غيبة موسىٰ عنكم لأجل ما معكم من الحلي، فاحفروا لها حفيرة وقربوه إلىٰ الله، يبعث لكم نبيكم،

فإنه كان عارية.

وفي سبب اتخاذ السامري عجلاً قولان:

أحدهما: أن السامري كان من قوم يعبدون البقر، فكان ذلك في قلبه، قاله ابن عباس.

والثاني: أن بني إسرائيل لما مروا على قوم يعكفون على أصنام لهم، أعجبهم ذلك، فلما سألوا موسى أن يجعل لهم إلهًا وأنكر عليهم، أخرج السامريّ لهم في غيبته عجلاً لما رأى من استحسانهم ذلك، قاله ابن زيد.

وفي كيفية اتخاذ العجل قولان:

أحدهما: أن السامري كان صوّاغًا فصاغه وألقى فيه القبضة، قاله علي وابن عباس.

والثاني: أنهم حفروا حفيرة، وألقوا فيها حلي قوم فرعون وعواريهم تنزهًا عنها، فألقى السامريّ القبضة من التراب فصار عجلاً. روي عن ابن عباس أيضًا. قال ابن عباس: صار لحمًا ودمًا وجسداً، فقال لهم السامري: هذا إلهكم وإله موسى قد جاء، وأخطأ موسى الطريق، فعبدوه وزفنوا حوله.

قال ﷻ: ﴿وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ۝٥٣﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْفُرْقَانَ﴾، الكتاب: التوراة.

وفي الفرقان أقوال:

أحدها: أنه النصر، قاله ابن عباس وابن زيد.

والثاني: أنه ما في التوراة من الفرق بين الحق والباطل، فيكون الفرقان نعتًا للتوراة، قاله أبو العالية.

والثالث: أنه الكتاب هذا قول مجاهد.

قال ﷻ: ﴿وَإِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِۦ يَٰقَوۡمِ إِنَّكُمۡ ظَلَمۡتُمۡ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلۡعِجۡلَ فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمۡ فَٱقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ عِندَ بَارِئِكُمۡ فَتَابَ عَلَيۡكُمۡۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ٥٤﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِۦ يَٰقَوۡمِ إِنَّكُمۡ ظَلَمۡتُمۡ أَنفُسَكُم﴾ القوم: اسم للرجال والنساء وإنما سموا قومًا، لأنهم يقومون بالأمور.

قوله تعالى ﴿فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمۡ﴾ **واختلفوا فيمن خوطب بهذا على أقوال:**

أحدها: أنه خطاب للكل، قاله السدي عن أشياخه.

والثاني: أنه خطاب لمن لم يعبد ليقتل من عبد، قاله مقاتل.

وفي الإشارة بقوله: «ذا» في «ذلكم» قولان:

أحدها: أنه يعود إِلىٰ القتل.

والثاني: أنه يعود إلىٰ التوراة.

(الإشارة إلى قصتهم في ذلك)

٨٤ - **قال ابن عباس**: قالوا لموسىٰ: كيف يقتل الآباء الأبناء، والإخوة الإخوة؟ فأنزل الله عليهم ظلمة لا يرىٰ بعضهم بعضًا، فقالوا: فما آية توبتنا؟ قال: أن يقوم السلام ولا يقتل، وترفع الظلمة. فقتلوا حتىٰ خاضوا في الدماء، وصاح الصبيان: يا موسىٰ: العفو العفو. فبكىٰ موسىٰ، فنزلت التوبة، وقام السّلام، وارتفعت الظلمة.

٨٥ - **قال مجاهد:** بلغ القتلىٰ سبعين ألفاً.

٨٦ - **قال قتادة:** جعل القتل للقتيل شهادة، وللحيّ توبة.

قال ﷻ: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٥﴾ ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٦﴾﴾

قوله تعالى ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾ **في القائلين لموسى ذلك قولان:**

أحدهما: أنهم السبعون المختارون، قاله ابن مسعود وابن عباس.

والثاني: جميع بني إسرائيل إلا من عصم الله منهم، قاله ابن زيد.

قال: وذلك أنه أتاهم بكتاب الله، فقالوا: والله لا نأخذ بقولك حتىٰ نرىٰ الله جهرة فيقول: هذا كتابي.

ومعنى «الصاعقة»: ما يصعقون منه، أي: يموتون.

ومن الدليل علىٰ أنهم ماتوا، قوله تعالىٰ: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم﴾ هذا قول الأكثرين.

وفي الموسوعة:

٨٧ - **عن قتادة بن دِعامة، في الآية، قال: عُوقِب القوم، فأماتهم الله عقوبة**

قوله تعالى ﴿وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾ **فيه ثلاثة أقوال:**

أحدها: أن معناه: ينظر بعضكم إلىٰ بعض كيف يقع ميتاً.

والثاني: ينظر بعضكم إِلىٰ إِحياء بعض.

والثالث: تنظرون العذاب كيف ينزل بكم، وهو قول من قال: نزلت نار فأحرقتهم.

قال ﷻ: ﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ۖ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ ۚ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ۝٥٧﴾

قوله تعالى: ﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامَ﴾.

الغمام: السحاب، سمي غماماً، لأنه يغم السماء، أي: يسترها، وكل شيء غطيته فقد غممته، وهذا كان في التيه.

وفي ﴿ٱلْمَنَّ﴾ **ثمانية أقوال:**

أحدها: أنه الذي يقع على الشجر فيأكله الناس، قاله ابن عباس والشعبي والضحاك.

والثاني: أنه الترنجبين، روي عن ابن عباس أيضاً، وهو قول مقاتل.

قلت: بتشديد التاء والراء وسكون النون وفتح الجيم وكسر الباء وهو طل ينزل من السماء علىٰ شجر أو حجر ويحلو وينعقد عسلا.

والثالث: أنه صمغه، قاله مجاهد.

والرابع: أنه يشبه الرُّبَ الغليظ، قاله عكرمة.

والخامس: أنه شراب، قاله أبو العالية، والربيع بن أنس.

والسادس: أنه خبز الرقاق مثل الذرة، أو مثل النَّقي، قاله وهب.

والسابع: أنه عسل، قاله ابن زيد.

والثامن: أنه الزنجبيل، قاله السدي.

وفي ﴿وَٱلسَّلۡوَىٰۖ﴾ أنه طائر، قال بعضهم: يشبه السماني، وقال بعضهم: هو السماني.

قوله تعالى: ﴿وَمَا ظَلَمُونَا﴾،

٨٨ - قال **ابن عباس:** ما نقصونا وضرّونا، بل ضرّوا أنفسهم.

قال ﷻ: ﴿وَإِذۡ قُلۡنَا ٱدۡخُلُواْ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةَ فَكُلُواْ مِنۡهَا حَيۡثُ شِئۡتُمۡ رَغَدٗا وَٱدۡخُلُواْ ٱلۡبَابَ سُجَّدٗا وَقُولُواْ حِطَّةٞ نَّغۡفِرۡ لَكُمۡ خَطَٰيَٰكُمۡۚ وَسَنَزِيدُ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٥٨﴾

قوله تعالى ﴿وَإِذۡ قُلۡنَا ٱدۡخُلُواْ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةَ﴾ **في القائل لهم قولان:**

أحدهما: أنه موسىٰ بعد مضيّ الأربعين سنة.

والثاني: أنه يوشع بن نون بعد موت موسىٰ

والقرية: مأخوذة من الجمع، ومنه: قريت الماء في الحوض. والمقراة: الحوض يجمع فيه الماء.

وفي المراد بهذه القرية قولان:

أحدهما: أنها بيت المقدس، قاله ابن مسعود وابن عباس وقتادة والسّدّيّ والرّبيع، وروي عن ابن عباس أنها أريحا.

٨٩ - قال **السدي:** وأريحا: هي أرض بيت المقدس.

والثاني: أنها قرية من أداني قرىٰ الشام، قاله وهب.

قوله تعالى: ﴿وَٱدۡخُلُواْ ٱلۡبَابَ﴾

٩٠ - قال **ابن عباس:** وهو أحد أبواب بيت المقدس.

وهو يدعىٰ باب حطة.

وقوله: ﴿سُجَّدًا﴾، أي: ركعـًا.

٩١ - **قال وهب:** أمروا بالسجود شكرا لله ﷻ إذ ردهم إليها.

و (**حطة**) **من**: حططت، أي: حط عنا ذنوبنا.

وفي معنى «حطة» ثلاثة أقوال:

أحدها: أن معناه: استغفروا، قاله ابن عباس ووهب.

والثاني: أن معناها: قولوا: هذا الأمر حق كما قيل لكم، ذكره الضحاك عن ابن عباس.

والثالث: أن معناها: لا إله إلا الله، قاله عكرمة.

٩٢ - **قال ابن جرير الطبري:** فيكون المعنىٰ: قولوا الذي يحط عنكم خطاياكم، وهو قول «لا إله إلا الله».

ولماذا أمروا بدخول القرية؟ فيه قولان:

أحدهما: أن ذلك لذنوب ركبوها فقيل: ﴿ٱدۡخُلُواْ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةَ﴾، ﴿وَٱدۡخُلُواْ ٱلۡبَابَ سُجَّدًا وَقُولُواْ حِطَّةٞ نَّغۡفِرۡ لَكُمۡ﴾، قاله وهب.

والثاني: أنهم ملوا المن والسلوىٰ،

فقيل: اهْبِطُوا مِصْراً، فكان أول ما لقيهم أريحا، فأمروا بدخولها.

قال ﷻ: ﴿فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿٥٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ﴾

اعلم أن الله ﷻ، أمرهم في دخولهم بفعل وقول، فالفعل السجود، والقول: حطة، فغير القوم الفعل والقول.

فأما تغيير الفعل ففيه خمسة أقوال:

أحدها: أنهم دخلوا متزحفين علىٰ أوْراكهم. رواه أبو هريرة عن النبيّ ﷺ.

والثاني: أنهم دخلوا من قبل أستاههم، قاله ابن عباس وعكرمة.

والثالث: أنهم دخلوا مقنعي رؤوسهم، قاله ابن مسعود.

والرابع: أنهم دخلوا علىٰ حروف عيونهم، قاله مجاهد.

والخامس: أنهم دخلوا مستلقين، قاله مقاتل.

وأما تغيير القول ففيه خمسة أقوال:

أحدها: أنهم قالوا مكان «حطة»: حبة في شعرة، رواه أبو هريرة عن النبي ﷺ.

والثاني: أنهم قالوا: حنطة، قاله ابن عباس، وعكرمة، ومجاهد، ووهب، وابن يزيد.

والثالث: أنهم قالوا: حنطة حمراء فيها شعرة، قاله ابن مسعود

والرابع: أنهم قالوا: حبة حنطة مثقوبة فيها شعيرة سوداء، قاله السدي عن أشياخه.

والخامس: أنهم قالوا: سنبلة، قاله أبو صالح.

فأما الرجز: فهو العذاب، قاله الكسائي وأبو عبيدة والزّجّاج

وفي ماهية هذا العذاب ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه ظلمة وموت، فمات منهم في ساعة واحدة، أربعة وعشرون ألفًا، وهلك سبعون ألفا عقوبة، قاله ابن عباس.

والثاني: أنه أصابهم الطاعون، عذبوا به أربعين ليلة ثم ماتوا، قاله وهب بن منبه.

والثالث: أنه الثلج، هلك به منهم سبعون ألفا، قاله سعيد بن جبير.

قوله تعالى: ﴿بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ﴾

وفي الموسوعة:

٩٣ - عن عبد الله بن عباس -من طريق عكرمة- في قوله ﴿بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ﴾:

أي: بما تَعَدَّوْا مِن أمري.

قال ﷻ: ﴿۞ وَإِذِ ٱسۡتَسۡقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِۦ فَقُلۡنَا ٱضۡرِب بِّعَصَاكَ ٱلۡحَجَرَۖ فَٱنفَجَرَتۡ مِنۡهُ ٱثۡنَتَا عَشۡرَةَ عَيۡنٗاۖ قَدۡ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٖ مَّشۡرَبَهُمۡۖ كُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ مِن رِّزۡقِ ٱللَّهِ وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ ٦٠﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِذِ ٱسۡتَسۡقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِۦ﴾ استسقى بمعنى: استدعى ذلك، كقولك: استنصر.

وفي «الحجر» قولان:

أحدهما: أنه حجر معروف عين لموسى، قاله ابن عباس، وابن جبير، وقتادة، وعطية، وابن زيد، ومقاتل،

واختلفوا في صفته على ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه كان حجراً مربعـًا، قاله ابن عباس.

والثاني: كان مثل رأس الثور، قاله عطية.

والثالث: مثل رأس الشاة، قاله ابن زيد.

قوله تعالى: ﴿فَٱنفَجَرَتۡ مِنۡهُ﴾

تقدير معناه: فضرب فانفجرت.

ولما كان القوم اثني عشر سبطا، أخرج الله لهم اثني عشرة عينا، ولأنه كان فيهم تشاحن فسلموا بذلك منه.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَعۡثَوۡاْ﴾.

العثو: أشد الفساد، يقال: عثي، وعثا، وعاث.

قال ﷻ: ﴿وَإِذۡ قُلۡتُمۡ يَٰمُوسَىٰ لَن نَّصۡبِرَ عَلَىٰ طَعَامٖ وَٰحِدٖ فَٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ يُخۡرِجۡ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلۡأَرۡضُ مِنۢ بَقۡلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَاۖ قَالَ أَتَسۡتَبۡدِلُونَ ٱلَّذِي هُوَ أَدۡنَىٰ بِٱلَّذِي هُوَ خَيۡرٌۚ ٱهۡبِطُواْ مِصۡرٗا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلۡتُمۡۗ وَضُرِبَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلۡمَسۡكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٖ مِّنَ ٱللَّهِۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَانُواْ يَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقۡتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّۗ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ٦١﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِذۡ قُلۡتُمۡ يَٰمُوسَىٰ لَن نَّصۡبِرَ عَلَىٰ طَعَامٖ وَٰحِدٖ﴾، هذا قولهم في التّيه، وعنوا بالطعام.

الواحد: المن والسلوىٰ.

٩٤ - قال **محمد بن القاسم:** كان المن يؤكل بالسلوىٰ والسلوىٰ بالمن، فلذلك كانا طعامًا واحداً.

وفي «الفوم» أقوال:

أحدها: أنه الحنطة، قاله ابن عباس، والسدي عن أشياخه، والحسن وأبو مالك

والثاني: أنه الثوم وهذا قول مجاهد، والربيع بن أنس، ومقاتل، والكسائي، والنضر بن شميل وابن قتيبة.

قوله تعالى: ﴿أَتَسۡتَبۡدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدۡنَىٰ﴾

أي: أردأ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ، أي: أعلىٰ، يريد: أن المن والسلوىٰ أعلىٰ ما طلبتم.

قوله تعالى: ﴿ٱهۡبِطُواْ مِصۡرٗا﴾ **فيه قولان:**

أحدهما: أنه اسم لمصر من الأمصار غير معين، قاله ابن مسعود، وابن عباس، وقتادة، وابن زيد، وإنما أمروا بالمصر، الذي طلبوه في الأمصار.

والثاني: أنه أراد البلد المسمىٰ بمصر.

٩٥ - قال **أبو صالح عن ابن عباس:** أراد مصر فرعون، وهذا قول أبي العالية والضحاك.

٩٦ - وسئل **عنها الأعمش،** فقال: هىٰ مصر التي عليها صالح بن علي.

قوله تعالى: ﴿وَضُرِبَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلذِّلَّةُ﴾، أي: ألزموها.

٩٧ - وقال **الحسن:** هي الجزية.

وفي المسكنة أنها الفقر والفاقة، قاله أبو العالية، والسدي، وأبو عبيدة.

٩٨ - وروي **عن السدي قال:** هي فقر النفس.

قوله تعالى: ﴿وَبَآءُو﴾، أي: رجعوا قوله تعالىٰ بغضب من الله.

قوله تعالى: ﴿وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾

٩٩ - قال عبد الله بن مسعود: كانت بنو اسرائيل تقتل في اليوم ثلاثمائة نبيّ، ثم تقوم سوق بقلهم في آخر النهار.

قوله تعالى: ﴿وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ﴾، العدوان: أشد الظلم.

الاعتداء: مجاوزة القدر في كل شيء.

قال ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأٓخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝٦٢﴾

قوله تعالى ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾، **فيهم خمسة أقوال**:

أحدها: أنهم قوم كانوا مؤمنين بعيسىٰ قبل أن يبعث محمد ﷺ، قاله ابن عباس.

والثاني: أنهم الذين آمنوا بموسىٰ، وعملوا بشريعته إلىٰ أن جاء عيسىٰ، فآمنوا به وعملوا بشريعته إلىٰ أن جاء محمد. وهذا قول السدي عن أشياخه.

والثالث: أنهم المنافقون، قاله سفيان الثوري.

والرابع: أنهم الذين كانوا يطلبون الإسلام، كقس بن ساعدة، وبحيرا، وورقة بن نوفل، وسلمان.

والخامس: أنهم المؤمنون من هذه الأمة

قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هَادُواْ﴾ أصل هادوا في اللغة: تابوا.

١٠٠ - **وروي عن ابن مسعود** أن اليهود سموا بذلك لقول موسىٰ: ﴿هُدْنَآ إِلَيْكَ﴾، والنصارىٰ لقول عيسىٰ: ﴿مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ وقيل سموا النصارىٰ لقرية نزلها المسيح، اسمها: ناصرة، وقيل: لتناصرهم.

١٠١ - **قال الزجاج**: معنىٰ الصابئين: الخارجون من دين إلىٰ دين، يقال: صبأ فلان: إذا خرج من دينه.

وفي الصابئين سبعة أقوال:

أحدها: أنه صنف من النصارىٰ ألين قولاً منهم، وهم السائحون المحلَّقة أوساط رؤوسهم، روي عن ابن عباس.

والثاني: أنهم قوم بين النصارىٰ والمجوس، ليس لهم دين، قاله مجاهد.

والثالث: أنهم قوم بين اليهود والنصارىٰ، قاله سعيد بن جبير.

والرابع: قوم كالمجوس، قاله الحسن والحكم.

والخامس: فرقة من أهل الكتاب يقرءون الزبور، قاله أبو العالية.

والسادس: قوم يصلون إلىٰ القبلة، ويعبدون الملائكة، ويقرءون الزبور، قاله قتادة.

والسابع: قوم يقولون: لا إِله إلا الله، فقط، وليس لهم عمل ولا كتاب ولا نبي، قاله ابن زيد.

قوله تعالى: ﴿وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾

١٠٢ - **قال ابن عباس**: أقام الفرائض.

قال ﷻ: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ﴾ الخطاب بهذه الآية لليهود.

والميثاق: مفعال من التوثق بيمين أو عهد أو نحو ذلك من الأمور التي تؤكد القول. وفي هذا الميثاق أنه أخذ ميثاقهم أن يعملوا بما في التوراة، فكرهوا الإقرار بما فيها، فرفع عليهم الجبل، قاله مقاتل.

قوله تعالى: ﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ﴾

١٠٣ - قال **أبو عبيدة:** الطور في كلام العرب: الجبل.

وأي الجبال هو؟ فيه ثلاثة أقوال:

أحدها: جبل من جبال فلسطين، قاله ابن عباس.

والثاني: جبل نزلوا بأصله، قاله قتادة. والثالث: الجبل الذي تجلىٰ له ربه، قاله مجاهد.

وجمهور العلماء علىٰ أنه إنما رفع الجبل عليهم لإبائهم التوراة. وقال السدي: لإبائهم دخول الأرض المقدّسة.

قوله تعالى: ﴿خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ﴾

وفي المراد «بقوّة» أربعة أقوال:

أحدها: الجد والاجتهاد، قاله ابن عباس وقتادة والسدي.

والثاني: الطاعة، قاله أبو العالية.

والثالث: العمل بما فيه، قاله مجاهد.

والرابع: الصدق، قاله ابن زيد

قوله تعالى ﴿وَٱذۡكُرُواْ مَا فِيهِ﴾: اذكروا ما تضمنه من الثواب والعقاب، قاله ابن عباس.

قوله تعالى: ﴿لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾

١٠٤ - **قال ابن عباس**: تتقون العقوبة.

قال ﷻ: ﴿ثُمَّ تَوَلَّيۡتُم مِّنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَۖ فَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ لَكُنتُم مِّنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٦٤﴾

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ تَوَلَّيۡتُم﴾

أي: أعرضتم عن العمل بما فيه من بعد إعطاء المواثيق ليأخذنّه بجد، فلولا فضل الله عليكم ورحمته لكنتم من الخاسرين بالعقوبة.

قال ﷻ: ﴿وَلَقَدۡ عَلِمۡتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعۡتَدَوۡاْ مِنكُمۡ فِي ٱلسَّبۡتِ فَقُلۡنَا لَهُمۡ كُونُواْ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ٦٥﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ عَلِمۡتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعۡتَدَوۡاْ مِنكُمۡ فِي ٱلسَّبۡتِ﴾

السبت: اليوم المعروف.

١٠٥ - **قاله ابن الأنباري**: ومعنىٰ السبت في كلام العرب: القطع.

وفي صفة اعتدائهم في السبت قولان:

أحدهما: أنهم أخذوا الحيتان يوم السبت، قاله الحسن ومقاتل.

والثاني: أنهم حبسوها يوم السبت وأخذوها يوم الأحد، وذلك أن الرجل كان يحفر الحفرة ويجعل لها نهراً إلىٰ البحر، فاذا كان يوم السبت فتح النهر، وقد حرم الله عليه العمل يوم السبت، فيقبل الموج بالحيتان حتىٰ يلقيها في الحفيرة، فيريد الحوت الخروج فلا يطيق، فيأخذها يوم الأحد، قاله السدي.

(الإشارة إلى قصة مسخهم)

١٠٦ - روى **عثمان بن عطاء عن أبيه قال**: نودي الذين اعتدوا في السبت ثلاثة أصوات: نودوا: يا أهل القرية، فانتبهت طائفة (ثم نودوا: يا أهل القرية فانتبهت طائفة أكثر من الأولىٰ)، ثم نودوا: يا أهل القرية، فانتبه الرجال والنساء والصبيان، فقال الله لهم: ﴿كُونُواْ قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾، فجعل الذين نهوهم يدخلون عليهم فيقولون: يا فلان ألم ننهكم؟ فيقولون برءوسهم: بلىٰ. قال قتادة: فصار القوم قردة تعاوي، لها أذناب بعد ما كانوا رجالا ونساء. وفي رواية عن قتادة: صار الشبان قردة، والشيوخ خنازير، وما نجا إلا الذين نهوا، وهلك سائرهم. وقال غيره: كانوا نحواً من سبعين ألفًا، وعلىٰ هذا القول العلماء.

١٠٧ - قال **ابن عباس**: لم يحيوا علىٰ الأرض إلا ثلاثة أيّام، ولم يحي مسخ في الأرض فوق ثلاثة أيام، ولم يأكل ولم يشرب ولم ينسل. وزعم مقاتل أنهم عاشوا سبعة أيام، وماتوا في اليوم الثامن، وهذا كان في زمان داود عليه السلام.

قوله تعالى: ﴿خَاسِئِينَ﴾: الخاسئ في اللغة: المبعد، يقال للكلب: اخسأ، أي:

تباعد.

قال ﷻ: ﴿فَجَعَلْنَٰهَا نَكَٰلٗا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةٗ لِّلْمُتَّقِينَ ٦٦﴾

قوله تعالى: ﴿فَجَعَلْنَٰهَا﴾ في المكنى عنها أربعة أقوال:

أحدها: أنها الخطيئة، رواه عطية عن ابن عباس.

والثاني: العقوبة، رواه الضحاك عن ابن عباس

والثالث: أنها القرية، والمراد أهلها، قاله قتادة.

والرابع: أنها الأمة التي مسخت، قاله الكسائي.

وفي النكال: أنه العقوبة، قاله مقاتل.

قوله تعالى ﴿لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا﴾ فيه ثلاثة أقوال:

أحدها: لما بين يديها من القرىٰ وما خلفها، رواه عكرمة عن ابن عباس.

والثاني: لما بين يديها من الذنوب، وما خلفها: ما عملوا بعدها، رواه عطية عن ابن عباس.

والثالث: لما بين يديها من السنين التي عملوا فيها بالمعاصي، وما خلفها: ما كان بعدهم في بني اسرائيل لئلا يعملوا بمثل أعمالهم، قاله عطية.

وفي المتقين قولان:

أحدهما: أنه عام في كل متق إلىٰ يوم القيامة، قاله ابن عباس.

والثاني: أن المراد بهم أمّة محمد ﷺ، قاله السدي عن أشياخه، وذكره عطية وسفيان.

قال ﷻ: ﴿وَإِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تَذۡبَحُواْ بَقَرَةٗۖ قَالُوٓاْ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوٗاۖ قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ٦٧ قَالُواْ ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٞ لَّا فَارِضٞ وَلَا بِكۡرٌ عَوَانُۢ بَيۡنَ ذَٰلِكَۖ فَٱفۡعَلُواْ مَا تُؤۡمَرُونَ ٦٨﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تَذۡبَحُواْ بَقَرَةٗۖ﴾

(ذكر السبب في أمرهم بذبح البقرة)

١٠٨ - روى **ابن سيرين عن عبيدة قال:** كان في بني اسرائيل رجل عقيم لا يولد له، وله مال كثير، وكان ابن أخيه وارثه، فقتله واحتمله ليلا، فأتىٰ به حيّا آخرين، فوضعه علىٰ باب رجل منهم، ثم أصبح يدعيه حتىٰ تسلحوا، وركب بعضهم إلىٰ بعض، فأتوا موسىٰ فذكروا له ذلك، فأمرهم بذبح البقرة.

١٠٩ - وروى **السدي عن أشياخه**: أن رجلاً من بني إِسرائيل كانت له بنت وابن أخ فقير، فخطب إليه ابنته، فأبىٰ، فغضب وقال: والله لأقتلنّ عمي، ولآخذنّ ماله ولأنكحنّ ابنته، ولآكلنّ ديته، فأتاه فقال: قد قدم تجار في بعض أسباط بني إِسرائيل، فانطلق معي فخذ لي من تجارتهم لعلي أصيب فيها ربحـًا، فخرج معه، فلما بلغا ذلك السبط، قتله الفتىٰ، ثم رجع، فلما أصبح، جاء كأنه يطلب عمّه لا يدري أين هو، فإذا بذلك السبط قد اجتمعوا عليه، فأمسكهم وقال: قتلتم عمّي، وجعل يبكي وينادي: وا عمّاه.

١١٠ - قال **أبو العالية:** والذي سأل موسىٰ أن يسأل الله البيان: القاتل، وقال غيره: بل القوم اجتمعوا فسألوا موسىٰ.

فلما أمرهم بذبح بقرة قالوا ﴿أَتَتَّخِذُنَا هُـزُوًاۖ﴾.

قال ﷻ: ﴿قَالُواْ ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوۡنُهَاۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٞ صَفۡرَآءُ فَاقِعٞ لَّوۡنُهَا تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ ٦٩ قَالُواْ ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ إِنَّ ٱلۡبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيۡنَا وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهۡتَدُونَ ٧٠﴾

في الصفراء أنه من الصفرة، وهو: اللون المعروف، قاله ابن عباس، وقتادة، وابن زيد ويدل علىٰ ذلك قوله تعالىٰ: ﴿فَاقِعٞ لَّوۡنُهَا﴾

ومعنىٰ ﴿تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ﴾: تعجبهم، قال ابن عباس: شدد القوم فشدّد عليهم

١١١ – وروى **أبو هريرة** رضي الله عنه: عن النّبيّ ﷺ، أنه قال: «لولا أن بني إسرائيل استثنوا لم يعطوا الذي أعطوا»، يعني بذلك قولهم: ﴿وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهۡتَدُونَ﴾

وفي المراد باهتدائهم قولان:

أحدهما: أنهم أرادوا: المهتدون إلىٰ البقرة، وهو قول الأكثرين.

والثاني: إلىٰ القاتل، ذكره أبو صالح عن ابن عباس

قال ﷻ: ﴿قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٞ لَّا ذَلُولٞ تُثِيرُ ٱلۡأَرۡضَ وَلَا تَسۡقِي ٱلۡحَرۡثَ مُسَلَّمَةٞ لَّا شِيَةَ فِيهَاۚ قَالُواْ ٱلۡـَٰٔنَ جِئۡتَ بِٱلۡحَقِّۚ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُواْ يَفۡعَلُونَ ٧١﴾

قوله تعالى: ﴿قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٞ لَّا ذَلُولٞ﴾

١١٢ – قال **قتادة**: لم يذلها العمل فتثير الأرض.

١١٣ - **قال ابن قتيبة:** يقال في الدواب: دابة ذلول: بينة الذل. بكسر الذال، وفي الناس: رجل ذليل بين الذل، بضم الذال. تُثِيرُ الْأَرْضَ: تقلبها للزراعة، ويقال للبقرة: المثيرة.

ومعنىٰ: ﴿وَلَا تَسْقِى ٱلْحَرْثَ﴾: لا يستقىٰ عليها الماء لسقي الزرع.

قوله تعالى ﴿مُسَلَّمَةٌ﴾ فيه أربعة أقوال:

أحدها: مسلَّمة من العيوب، قاله ابن عباس، وأبو العالية، وقتادة، ومقاتل.

والثاني: مسلَّمة من العمل، قاله الحسن وابن قتيبة.

والثالث: مسلّمة من الشية، قاله مجاهد وابن زيد.

والرابع: مسلَّمة القوائم والخلق، قاله عطاء الخراساني.

فأما الشية، الوشي في اللغة: خلط لون بلون

معنى الكلام: ليس فيها لون يفارق سائر لونها، وقال عطاء الخراساني: لونها لون واحد.

قوله تعالى: ﴿ٱلْـَٔـٰنَ جِئْتَ بِٱلْحَقِّ﴾

ومعنىٰ ﴿جِئْتَ بِٱلْحَقِّ﴾: بينت لنا.

قوله تعالى ﴿وَمَا كَادُواْ يَفْعَلُونَ﴾، فيه قولان:

أحدهما: لغلاء ثمنها، قاله ابن كعب القرظي.

والثاني: لخوف الفضيحة علىٰ أنفسهم في معرفة القاتل منهم، قاله وهب.

١١٤ - **قال ابن عباس:** مكثوا يطلبون البقرة أربعين سنة حتىٰ وجدوها عند رجل،

فأبىٰ أن يبيعها الا بملء مسكها ذهبـًا، وهذا قول مجاهد، وعكرمة، وعبيدة، ووهب، وابن زيد، والكلبي، ومقاتل في مقدار الثمن.

فأما السبب الذي لأجله غلا ثمنها، فيحتمل وجهين:

أحدهما: أنهم شددوا فشدد الله عليهم.

والثاني: لإكرام الله ﷻ صاحبها، فإنه كان براً بوالديه. فذكر بعض المفسرين أنه كان شاب من بني اسرائيل براً بأبيه، فجاء رجل يطلب سلعة هي عنده، فانطلق ليبيعه إياها، فاذا مفاتيح حانوته مع أبيه، وأبوه نائم، فلم يوقظه ورد المشتري، فأضعف له المشتري الثمن، فرجع إلىٰ أبيه فوجده نائمـًا، فعاد إلىٰ المشتري فرده، فأضعف له الثمن، فلم يزل ذلك دأبهما حتىٰ ذهب المشتري، فأثابه الله علىٰ بره بأبيه أن نتجت له بقرة من بقرة تلك البقرة.

١١٥ – **وروي عن وهب بن منبه في حديث طويل**: أن فتىٰ كان براً بوالديه، وكان يحتطب علىٰ ظهره، فاذا باعه تصدق بثلثه، وأعطىٰ أمه ثلثه، وأبقىٰ لنفسه ثلثه، فقالت له أمه يومـًا: إني ورثت من أبيك بقرة، فتركتها في البقر علىٰ اسم الله، فاذا أتيت البقر، فادعها باسم إله إبراهيم، فذهب فصاح بها، فأقبلت، فأنطقها الله، فقالت: اركبني يا فتىٰ، فقال: لم تأمرني أمي بهذا.

فقالت: أيها البر بأمه، لو ركبتني لم تقدر عليّ، فانطلق، فلو أمرت الجبل أن ينقلع من أصله لانقلع ببرّك لأمك. فلما جاء بها قالت أمه: بعها بثلاثة دنانير علىٰ رضىً مني، فبعث الله ملكـًا فقال: بكم هذه؟ قال: بثلاثة دنانير علىٰ رضىً من أمي. قال: لك ستة ولا تستأمرها، فأبىٰ، ورجع إلىٰ أمه فأخبرها، فقالت: بعها بستة علىٰ رضىً مني، فجاء

الملك فقال: خذ اثني عشر ولا تستأمرها، فأبىٰ، وعاد إِلىٰ أمه فأخبرها، فقالت: يا بني، ذاك مَلَك، فقل له: بكم تأمرني أن أبيعها؟ فجاء إليه فقال له ذلك، فقال: يا فتىٰ يشتري بقرتك هذه موسىٰ بن عمران لقتيل يقتل في بني إسرائيل.

قال ﷻ: ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٧٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا﴾ هذه الآية مؤخرة في التلاوة، مقدمة في المعنىٰ، لأن السبب في الأمر بذبح البقرة قتل النفس، فتقدير الكلام: وإِذ قتلتم نفساً فادّارأتم فيها، فسألتم موسىٰ فقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً﴾ [سورة البقرة:٦٧].

ومعنى قوله تعالى: ﴿فَادَّارَأْتُمْ﴾: اختلفتم، قاله ابن عباس ومجاهد.

ادّارأتم بمعنى: تدارأتم، أي: تدافعتم، وألقىٰ بعضكم علىٰ بعض، تقول: درأت فلانـًا: إذا دفعته، وداريته: إذا لاينته، ودريته إذا ختلته.

قال ﷻ: ﴿فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٧٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا﴾

من قال: أقاموا في طلبها أربعين سنة، قال: ضربوا قبره، ومن لم يقل ذلك، قال: ضربوا جسمه قبل دفنه،

وفي الذي ضرب به ستة أقوال:

أحدها: أنه ضرب بالعظم الذي يلي الغضروف، رواه عكرمة عن ابن عباس.

والثاني: أنه ضرب بالفخذ، روي عن ابن عباس أيضًا، وعكرمة، ومجاهد، وقتادة، وذكر عكرمة ومجاهد أنه الفخذ الأيمن.

والثالث: أنه البضعة التي بين الكتفين، رواه السدي عن أشياخه.

والرابع: أنه الذنب، رواه ليث عن مجاهد.

والخامس: أنه عجب الذنب، وهو عظم عليه بني البدن، روي عن سعيد بن جبير.

والسادس: أنه اللسان، قاله الضحاك.

وفي الكلام اختصار تقديره: فقلنا: اضربوه ببعضها ليحيا، فضربوه فحيي، فقام فأخبر بقاتله.

وفي قاتله أربعة أقوال:

أحدها: بنو أخيه، رواه عطية عن ابن عباس.

والثاني: ابنا عمه، رواه أبو صالح عن ابن عباس، وهذان القولان يدلان علىٰ أن قاتله أكثر من واحد.

والثالث: ابن أخيه، قاله السدي عن أشياخه وعبيدة.

والرابع: أخوه، قاله عبد الرحمن بن زيد.

قوله تعالى ﴿كَذَٰلِكَ يُحْيِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ **فيه قولان:**

أحدهما: أنه خطاب لقوم موسىٰ.

والثاني: لمشركي قريش، احتج عليهم إذ جحدوا البعث بما يوافق عليه أهل الكتاب.

١١٦ - قال **أبو عبيدة:** وآياته: عجائبه.

قال ﷻ: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ۚ وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٧٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم﴾

١١٧ - قال **ابراهيم بن السري:** قست في اللغة: غلظت ويبست وعست. فقسوة القلب: ذهاب اللين والرحمة والخشوع منه. والقاسي: والعاسي: الشديد الصلابة

وفي المشار إليهم بها قولان:

أحدهما: جميع بني إسرائيل.

والثاني: القاتل.

١١٨ - قال **ابن عباس:** قال الذين قتلوه بعد أن سمىٰ قاتله: والله ما قتلناه.

وفي كاف «ذلك» أقوال:

أحدها: أنه إشارة إلىٰ إحياء الموتىٰ، فيكون الخطاب لجميع بني إسرائيل.

والثاني: إلىٰ كلام القتيل، فيكون الخطاب للقاتل، ذكرهما المفسرون.

قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُ﴾

١١٩ - قال **مجاهد:** كل حجر ينفجر منه الماء، وينشق عن ماء، أو يتردىٰ من رأس

جبل، فمن خشية الله.

قال ﷻ: ﴿۞ أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا۟ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾﴾

قوله تعالى ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا۟ لَكُمْ﴾ **في المخاطبين بهذه الآية أقوال:**

أحدها: أنه النبيّ ﷺ خاصة، قاله ابن عباس، ومقاتل.

والثاني: أنهم المؤمنون، تقديره: أفتطمعون أن تصدقوا نبيكم، قاله أبو العالية وقتادة.

وفي سماعهم لكلام الله قولان:

أحدهما: أنهم قرءوا التوراة فحرّفوها، هذا قول مجاهد والسدي في آخرين، فيكون سماعهم لكلام الله بتبليغ نبيهم، وتحريفهم: تغيير ما فيها.

والثاني: أنهم التّسعون رجلا الذين اختارهم موسىٰ، فسمعوا كلام الله كفاحًا عند الجبل، فلمّا جاءوا إلىٰ قومهم قالوا: قال لنا: كذا وكذا، وقال في آخر قوله: إن لم تستطيعوا ترك ما أنهاكم عنه فافعلوا ما تستطيعون. هذا قول مقاتل.

ومعنى عَقَلُوهُ: سمعوه ووَعوْه.

وفي قوله تعالى ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ **قولان:**

أحدهما: وهم يعلمون أنهم حرّفوه.

والثاني: وهم يعلمون عقاب تحريفه.

قال ﷻ: ﴿وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوٓا۟ أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَآجُّوكُم بِهِۦ عِندَ رَبِّكُمْ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٧٦﴾ أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ هذه الآية نزلت في نفر من اليهود، كانوا إذا لقوا النبيّ ﷺ والمؤمنين قالوا: آمنا، وإذا خلا بعضهم إلىٰ بعض، قالوا: أتحدثونهم بما فتح الله عليكم، هذا قول ابن عباس وأبي العالية ومجاهد وقتادة وعطاء الخراساني وابن زيد ومقاتل.

وفي معنى: ﴿بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ **قولان**:

أحدهما: بما قضىٰ الله عليكم.

والفتح: القضاء.

ومنه قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ﴾ [سورة الأعراف:٨٩].

١٢٠ - **قال السدي عن أشياخه**: كان ناس من اليهود آمنوا ثم نافقوا، فكانوا يحدثون المؤمنين بما عذبوا به، فقال بعضهم لبعض: أتحدثونهم بما فتح الله عليكم من العذاب، ليقولوا: نحن أحب إلىٰ الله منكم، وأكرم علىٰ الله منكم.

والثاني: أن معناه: بما علمكم الله. قال ابن عباس وأبو العالية وقتادة: الذي فتحه عليهم، ما أنزله من التوراة في صفة محمّد ﷺ.

١٢١ - **وقال مقاتل**: كان المسلم يلقىٰ حليفه، أو أخاه من الرضاعة من اليهود، فيسأله: أتجدون محمداً في كتابكم؟ فيقولون: نعم، إنه لحق. فسمع كعب بن

الأشرف وغيره، فقال لليهود في السر: أتحدثون أصحاب محمد بما فتح الله عليكم؟ أَي: بما بين لكم في التوراة من أمر محمد ليخاصموكم به عند ربكم باعترافكم أنه نبي، أفلا تعقلون أن هذا حجة عليكم؟!

قوله تعالى: ﴿عِندَ رَبِّكُمْۚ﴾ **فيه قولان:**

أحدهما: أنه بمعنىٰ: في حكم ربكم، كقوله تعالىٰ: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡكَٰذِبُونَ ١٣﴾ [سورة النور:١٣].

والثاني: أنه أراد به يوم القيامة.

قال ﷻ: ﴿وَمِنۡهُمۡ أُمِّيُّونَ لَا يَعۡلَمُونَ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ وَإِنۡ هُمۡ إِلَّا يَظُنُّونَ ٧٨﴾

قوله تعالى: ﴿وَمِنۡهُمۡ أُمِّيُّونَ﴾، يعنىٰ: اليهود. والأمي: الذي لا يكتب ولا يقرأ، قاله مجاهد.

وفي معنى الكلام ثلاثة أقوال:

أحدها: أنها الأكاذيب. قال ابن عباس: إلا أمانيَّ: يريد إلا قولاً يقولونه بأفواههم كذبـًا. وهذا قول مجاهد

والثاني: أن الأماني: التلاوة، فمعناه: لا يعلمون فقه الكتاب، إنما يقتصرون علىٰ ما يسمعونه يتلىٰ عليهم وهذا قول الكسائي

والثالث: أنها أمانيهم علىٰ الله، قاله قتادة.

قوله تعالى: ﴿وَإِنۡ هُمۡ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾،

١٢٢ - **قال مقاتل:** ليسوا علىٰ يقين، فان كذب الرؤساء أو صدقوا تابعوهم.

قال ﷻ: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا ﴿٧٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ﴾ هذه الآية نزلت في أهل الكتاب الذين بدلوا التوراة وغيّروا صفة النبيّ ﷺ فيها. وهذا قول ابن عباس وقتادة وابن زيد وسفيان

وفيما ﴿يَكْسِبُونَ﴾ **قولان:**

أحدهما: أنه عوض ما كتبوا.

والثاني: إثم ما فعلوا.

قال ﷻ: ﴿وَقَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً ۚ قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ ٱللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ عَهْدَهُۥٓ ۖ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً ۚ﴾، وهم: اليهود.

وفيما عنوا بهذه الأيام قولان:

أحدهما: أنهم أرادوا أربعين يومـًا، قاله ابن عباس وعكرمة، وأبو العالية، وقتادة، والسدي.

ولماذا قدروها بأربعين؟ فيه ثلاثة أقوال:

أحدها: أنهم قالوا: بين طرفي جهنم مسيرة أربعين سنة، ونحن نقطع مسيرة كل سنة في يوم، ثم ينقضي العذاب وتهلك النار، قاله ابن عباس.

والثاني: أنهم قالوا: عتب علينا ربنا في أمر، فأقسم ليعذبنا أربعين ليلة، ثم يدخلنا الجنة، فلن تمسنا النار إلا أربعين يومـًا تحلّة القسم، وهذا قول الحسن وأبي العالية.

والثالث: أنها عدد الأيام التي عبدوا فيها العجل، قاله مقاتل.

والقول الثاني: أن الأيام المعدودة سبعة أيام، وذلك لأن عندهم أن الدنيا سبعة آلاف سنة، والناس يعذبون لكل ألف سنة يومـًا من أيام الدنيا، ثم ينقطع العذاب، قاله ابن عباس.

قوله تعالى ﴿قُلۡ أَتَّخَذۡتُمۡ عِندَ ٱللَّهِ عَهۡدٗا﴾، أي: عهد إليكم أنه لا يعذّبكم إلا هذا المقدار؟!

قال ﷻ: ﴿بَلَىٰۚ مَن كَسَبَ سَيِّئَةٗ وَأَحَٰطَتۡ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٨٢﴾﴾

بلىٰ: رد لقولهم: ﴿لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامٗا مَّعۡدُودَةٗۚ﴾

والسيئة هاهنا: الشرك في قول ابن عباس وعكرمة، وأبي وائل، وأبي العالية، ومجاهد، وقتادة، ومقاتل.

﴿وَأَحَٰطَتۡ بِهِۦ﴾، أي: أحدقت به خَطِيئَتُهُ

١٢٣ - **قال عكرمة**: مات ولم يتب منها.

قال ﷻ: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ ﴿٨٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾، هذا الميثاق مأخوذ عليهم في التوراة.

قوله تعالى: ﴿وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾، أي: ووصّيناهم بآبائهم وأمهاتهم خيراً.

وأما الإحسان إلىٰ الوالدين فهو برهما.

١٢٤ - **قال ابن عباس:** لا تنفض ثوبك فيصيبهما الغبار.

١٢٥ - **وقالت عائشة:** ما بر والده من شدَّ النظر إليه، وقال عروة: لا تمتنع عن شيء أحبَّاه.

قوله تعالى: ﴿وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾، أي: ووصيناهم بذي القربىٰ أن يصلوا أرحامهم. وأما اليتامىٰ فجمع: يتيم. قال الأصمعي: اليتم في الناس، من قبل الأب، وفي غير الناس: من قبل الأمّ

﴿وَٱلْمَسَٰكِينِ﴾: جمع مسكين، وهو اسم مأخوذ من السكون، كأن المساكين قد أسكنه الفقر.

وقوله تعالى: ﴿وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾

واختلفوا في المخاطب بهذا على قولين:

أحدهما: أنهم اليهود، قاله ابن عباس، وابن جبير، وابن جريج. ومعناه: اصدقوا

وبينوا صفة النبي ﷺ.

والثاني: أنهم أمّة محمد ﷺ، قال أبو العالية: قولوا للناس معروفًا

١٢٦ - **وقال محمّد بن عليّ بن الحسين** رحمه الله: كلموهم بما تحبون أن يقولوا لكم.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ﴾، أي: أعرضتم إلا قليلاً منكم.

وفيهم قولان:

أحدهما: أنهم أوّلوهم الذين لم يبدلوا.

والثاني: أنهم الذين آمنوا بالنبيّ محمّد ﷺ في زمانه.

قال عز وجل: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَآءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٨٤﴾ ثُمَّ أَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَٰرِهِمْ تَظَٰهَرُونَ عَلَيْهِم بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَٰرَىٰ تُفَٰدُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ ۚ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٨٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَآءَكُمْ﴾، أي: لا يسفك بعضكم دم بعض، ولا يخرج بعضكم بعضًا من داره. قال ابن عباس: ثم أقررتم يومئذ بالعهد، وأنتم اليوم تشهدون علىٰ ذلك، فالإقرار علىٰ هذا متوجه إِلىٰ سلفهم، والشهادة متوجهة إِلىٰ خلفهم.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ﴾، أي: يقتل بعضكم بعضًا.

١٢٧ - **روىٰ السدي عن أشياخه قال:** كانت قريظة حلفاء الأوس، والنضير حلفاء الخزرج فكانوا يقاتلون في حرب سمير، فيقاتل بنو قريظة مع حلفائها النّضير، وكانت النضير تقاتل قريظة وحلفاءها، فيغلبونهم فيقتلون ويخربون الديار ويخرجون منها، فاذا أسر الرجل من الفريقين كليهما جمعوا له حتىٰ يفدوه، فتعيِّرهم العرب بذلك فتقول: كيف تقاتلونهم وتفدونهم؟! فيقولون: أمرنا أن نفديهم، وحرم علينا قتلهم. فتقول العرب: فلم تقاتلونهم؟ فيقولون: نستحيي أن يستذلّ حلفاؤنا، فعيّرهم الله ﷻ، فقال: ﴿ثُمَّ أَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَٰرِهِمْ﴾ إلىٰ قوله تعالىٰ: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾، فكان إيمانهم ببعضه فداءهم الأسارىٰ، وكفرهم قتل بعضهم بعضـًا.

فالتظاهر: التعاون.

١٢٨ - **قال ابن قتيبة:** وأصله من الظهر، فكأن التظاهر: أن يجعل كل واحد من الرجلين الآخر ظهراً له يتقوىٰ به، ويستند إِليه. قال مقاتل: والإثم: المعصية، والعدوان: الظلم.

قوله تعالى: ﴿وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَٰرَىٰ تُفَٰدُوهُمْ﴾، أصل الأسر: الشد.

قوله تعالى: ﴿تُفَٰدُوهُمْ﴾

والمفادة: إِعطاء شيء، وأخذ شيء مكانه.

قوله تعالى ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ، وهو: فكاك الأسرى.

﴿وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾ وهو: الإخراج والقتل.

١٢٩ - **وقال مجاهد:** تفديه في يد غيرك، وتقتله أنت بيدك؟!

وفي المراد بالخزي قولان:

أحدهما: أنه الجزية، قاله ابن عباس.

والثاني: قتل قريظة ونفي النضير، قاله مقاتل.

قال ﷻ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا بِٱلۡأٓخِرَةِۖ فَلَا يُخَفَّفُ عَنۡهُمُ ٱلۡعَذَابُ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ ٨٦﴾

قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا بِٱلۡأٓخِرَةِۖ﴾

١٣٠ - **قال ابن عباس:** هم اليهود.

١٣١ - **وقال مقاتل:** باعوا الآخرة بما يصيبونه من الدنيا.

قال ﷻ: ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ وَقَفَّيۡنَا مِنۢ بَعۡدِهِۦ بِٱلرُّسُلِۖ وَءَاتَيۡنَا عِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدۡنَٰهُ بِرُوحِ ٱلۡقُدُسِۗ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمۡ رَسُولُۢ بِمَا لَا تَهۡوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسۡتَكۡبَرۡتُمۡ فَفَرِيقٗا كَذَّبۡتُمۡ وَفَرِيقٗا تَقۡتُلُونَ ٨٧﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ﴾ يريد التوراة: ﴿وَقَفَّيۡنَا﴾: أتبعنا والبينات: الآيات الواضحات كإبراء الأكمه والأبرص، وإحياء الموتىٰ. وأيدناه: قويناه. والأيد: القوة.

وفي روح القدس ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه جبريل.

والقدس: الطهارة، وهذا قول ابن عباس، وقتادة، والضحاك، والسدي في آخرين.

والقول الثاني: أنه الاسم الذي كان يحيي به الموتىٰ، رواه الضحاك عن ابن عباس.

والثالث: أنه الإنجيل، قاله ابن زيد.

قال ﷻ: ﴿وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ ۚ بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ ۚ﴾ فمعناه: ذوات غلف، فكأنهم قالوا: قلوبنا في أوعية يقصدون إعراضه عنهم، وكأنهم يقولون: ما نفهم شيئًا.

وقوله تعالى: ﴿فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ﴾ **فيه أقوال**:

أحدها: فقليل من يؤمن منهم، قاله ابن عباس وقتادة.

والثاني: أن المعنىٰ: قليل ما يؤمنون به.

١٣٢ - قال معمر: يؤمنون بقليل مما في أيديهم، ويكفرون بأكثره.

قال ﷻ: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ ۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾ بِئْسَمَا ٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بَغْيًا أَن يُنَزِّلَ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ ۚ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٩٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾، يعني: القرآن.

﴿يَسۡتَفۡتِحُونَ﴾: يستنصرون.

وكانت اليهود إذا قاتلت المشركين استنصروا باسم نبيّ الله محمد ﷺ.

قوله تعالى: ﴿بِئۡسَمَا ٱشۡتَرَوۡاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمۡ﴾، بئس: كلمة مستوفية لجميع الذم، ونقيضها: «نعم».

واشتروا، بمعنىٰ: باعوا، والذي باعوها به قليل من الدنيا.

قوله تعالى: ﴿بَغۡيًا﴾

١٣٣ - قال قتادة: حسداً.

ومعنى الكلام: كفروا بغياً، لأَنْ نزَّل الله الفضل علىٰ النبي ﷺ.

وفي قوله تعالى: ﴿بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍۚ﴾ **خمسة أقوال:**

أحدها: أن الغضب الأول لاتخاذهم العجل والثاني: لكفرهم بمحمد، حكاه السدي عن ابن مسعود وابن عباس.

والثاني: أن الأول لتكذيبهم رسول الله، والثاني: لعداوتهم لجبريل. رواه شهر عن ابن عباس.

والثالث: أن الأول حين قالوا: ﴿يَدُ ٱللَّهِ مَغۡلُولَةٌۚ﴾، والثاني: حين كذّبوا نبي الله: رواه أبو صالح عن ابن عباس.

والرابع: أن الأول لتكذيبهم بعيسىٰ والإنجيل، والثاني: لتكذيبهم بمحمد والقرآن، قاله الحسن، والشعبي، وعكرمة، وأبو العالية، وقتادة، ومقاتل.

والخامس: أن الأول لتبديلهم التّوراة، والثاني: لتكذيبهم محمّدا ﷺ، قاله

مجاهد.

والمهين: المذلّ.

قال ﷻ: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ ۗ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٩١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾، يعني: القرآن، ﴿قَالُوا۟ نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا﴾، يعنون: التّوراة.

وفي قوله تعالى: ﴿وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ﴾ أنه أراد بما سواه قاله مقاتل.

قوله تعالى: ﴿فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ﴾ هذا جواب قولهم: ﴿نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا﴾، فإن الأنبياء جاءوا بتأييد التوراة. وإنما نسب القتل إلىٰ المتأخّرين لأنهم في ذلك علىٰ رأي المتقدّمين. وتقتلون بمعنىٰ: قتلتم.

قال ﷻ: ﴿وَلَقَدْ جَآءَكُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿٩٢﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱسْمَعُوا۟ ۖ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ ۚ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِۦٓ إِيمَٰنُكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٩٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَآءَكُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ **فيها قولان**:

أحدهما: ما في الألواح من الحلال والحرام، قاله ابن عباس.

والثاني: الآيات التسع، قاله مقاتل.

وفي هاء «بعده» أنها تعود إلى موسى، فمعناه: من بعد انطلاقه إلىٰ الجبل، قاله ابن عباس ومقاتل.

قوله تعالى: ﴿قَالُواْ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا﴾،

١٣٤ - قال **ابن عباس**: كانوا إذا نظروا إلىٰ الجبل، قالوا: سمعنا وأطعنا، وإذا نظروا إلىٰ الكتاب قالوا: سمعنا وعصينا.

قوله تعالى: ﴿وَأُشْرِبُواْ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ﴾، أي: سقوا حب العجل، فحذف المضاف، وهو الحب، وأقام المضاف إليه مقامه.

قوله تعالى: ﴿قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِۦٓ إِيمَٰنُكُمْ﴾، أي: أن تكذّبوا المرسلين، وتقتلوا النبيين بغير حق، وتكتموا الهدىٰ.

قوله تعالى ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ **في «إن» قولان**:

أحدهما: أنها بمعنىٰ: الجحد، فالمعنىٰ: ما كنتم مؤمنين إذ عصيتم الله، وعبدتم العجل.

والثاني: أن تكون «إِن» شرطًا معلقًا بما قبله، فالمعنىٰ: إن كنتم مؤمنين فبئس الإيمان إيمان يأمركم بعبادة العجل وقتل الأنبياء: ذكرهما ابن الأنباريّ.

قال ﷻ: ﴿قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ عِندَ ٱللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٩٤﴾ وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٩٥﴾ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ ۚ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِۦ مِنَ ٱلْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ﴾، كانت اليهود تزعم أن الله تعالىٰ لم يخلق الجنة إلا لإسرائيل وولده، فنزلت هذه الآية.

ومن الدليل علىٰ علمهم بأن النبيّ ﷺ صادق، أنهم ما تمنوا الموت، وأكبر الدليل علىٰ صدقه أنه أخبر أنهم لا يتمنونه، بقوله تعالىٰ: ﴿وَلَن يَتَمَنَّوْهُ﴾ فما تمناه أحد منهم.

والذي قدمته أيديهم: قتل الأنبياء وتكذيبهم، وتبديل التوراة.

قوله تعالى: ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ﴾، اللام: لام القسم، والنون توكيد له،

والمعنى: ولتجدنَّ اليهود في حال دعائهم إلىٰ تمني الموت أحرص الناس علىٰ حياة، وأحرص من الذين أشركوا.

وفي ﴿ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟﴾ قولان:

أحدهما: أنهم: المجوس، قاله ابن عباس.

والثاني: مشركو العرب، قاله مقاتل.

قوله تعالى: ﴿يَوَدُّ أَحَدُهُمْ﴾، في الهاء والميم من «أحدهم» ترجع إلىٰ اليهود، قاله مقاتل.

قال ﷻ: ﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٩٧﴾ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٩٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ﴾.

١٣٥ - قال **ابن عباس:** أقبلت اليهود إلىٰ النبي ﷺ، فقالوا: من يأتيك من الملائكة؟ قال: جبريل. فقالوا: ذاك ينزل بالحرب والقتال، ذاك عدونا، فنزلت هذه الآية والتي تليها.

وإنما قال: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ﴾، ولم يقل: لهم، ليدل علىٰ أنهم كافرون بهذه العداوة.

قال ﷻ: ﴿أَوَكُلَّمَا عَٰهَدُواْ عَهْدًا نَّبَذَهُۥ فَرِيقٌ مِّنْهُم ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٠﴾ وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿أَوَكُلَّمَا عَٰهَدُواْ عَهْدًا﴾،

١٣٦ - قال **ابن عباس ومجاهد:** والمشار إليهم: اليهود، وقيل: العهد الذي عاهدوه، أنهم قالوا: والله لئن خرج محمد لنؤمننَّ به.

١٣٧ - وروي **عن عطاء:** أنها العهود التي كانت بين رسول الله ﷺ وبينهم، فنقضوها، كفعل قريظة والنضير.

ومعنى نبذه: رفضه.

قوله تعالى: ﴿نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ﴾، يعني اليهود.

والكتاب: التوراة.

وفي قوله تعالى: ﴿كِتَٰبَ ٱللَّهِ﴾ **قولان**:

أحدهما: أنه القرآن.

والثاني: أنه التوراة، لأن الكافرين بمحمد ﷺ قد نبذوا التوراة.

قال ﷻ: ﴿وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُوا۟ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ۚ وَلَقَدْ عَلِمُوا۟ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ خَيْرٌ ۖ لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينُ﴾ **في سبب نزولها قولان**:

أحدهما: أن اليهود كانوا لا يسألون النبي عن شيء من التوراة إلا أجابهم، فسألوه عن السحر وخاصموه به، فنزلت هذه الآية، قاله أبو العالية.

والثانية: أنه لما ذكر سليمان في القرآن قال يهود المدينة: ألا تعجبون لمحمد

يزعم أن ابن داود كان نبيـًا؟! والله ما كان إلا ساحراً، فنزلت هذه الآية، قاله ابن إسحاق.

و «تتلو» **بمعنى**: تلت، و «علىٰ» بمعنىٰ: «في»

وفي كيفية ما تلت الشياطين على ملك سليمان ستة أقوال:

أحدها: أنه لما خرج سليمان عن ملكه كتبت الشياطين السحر، ودفنته في مصلاه، فلما توفي استخرجوه، وقالوا: بهذا كان يملك الملك، ذكر هذا المعنىٰ أبو صالح عن ابن عباس، وهو قول مقاتل.

والثاني: أن آصف كان يكتب ما يأمر به سليمان، ويدفنه تحت كرسيه، فلما مات سليمان، استخرجته الشياطين، فكتبوا بين كل سطرين سحراً وكذبـًا، وأضافوه إلىٰ سليمان، رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس.

والثالث: أن الشياطين كتبت السحر بعد موت سليمان، ثم أضافته إليه، قاله عكرمة.

والرابع: أن الشياطين ابتدعت السحر، فأخذه سليمان، فدفنه تحت كرسيه لئلا يتعلمه الناس، فلما قبض استخرجته، فعلمته الناس وقالوا: هذا علم سليمان، قاله قتادة.

والخامس: أن سليمان أخذ عهود الدواب، فكانت الدابة إذا أصابت إنسانـًا طلب إليها بذلك العهد، فتخلّي عنه، فزاد السحرة السجع والكفر، قاله أبو مجلز.

والسادس: أن الشياطين كانت في عهد سليمان تسترق السمع، فتسمع من كلام الملائكة ما يكون في الأرض من موت أو غيث أو أمر، فيأتون الكهنة فيخبرونهم،

فتحدث الكهنة الناس، فيجدونه كما قالوا، حتىٰ إذا أمنتهم الكهنة كذبوا لهم، وأدخلوا فيه غيره، فزادوا مع كل كلمة سبعين كلمة، فاكتتب الناس ذلك الحديث في الكتب، وفشا في بني إسرائيل أن الجن تعلم الغيب، فبعث سليمان في الناس، فجمع تلك الكتب في صندوق، ثم دفنها تحت كرسيه، ولم يكن أحد من الشياطين يستطيع أن يدنو من الكرسي إلا احترق، وقال: لا أسمع أحداً يذكر أن الشياطين يعلمون الغيب إلا ضربت عنقه. فلما مات سليمان جاء شيطان إلىٰ نفر من بني إسرائيل، فدلهم علىٰ تلك الكتب وقال: إنما كان سليمان يضبط أمر الخلق بهذا ففشا في الناس أن سليمان كان ساحرا، واتخذ بنو إسرائيل تلك الكتب، فلما جاء محمّد ﷺ، خاصموه بها، هذا قول السّدّيّ.

فَهَذِهِ نُبْذَةٌ مِنْ أَقْوَالِ أَئِمَّةِ السَّلَفِ فِي هَذَا الْمَقَامِ، وَلَا يَخْفَىٰ مُلَخَّصُ الْقِصَّةِ وَالْجَمْعُ بَيْنَ أَطْرَافِهَا، وَأَنَّهُ لَا تَعَارُضَ بَيْنَ السِّيَاقَاتِ عَلَىٰ اللَّبِيبِ الفَهِمِ، وَاللهُ الهَادِي.

وفي قوله: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ﴾ دليل علىٰ كفر الساحر، لأنهم نسبوا سليمان إلىٰ السحر، لا إلىٰ الكفر.

قوله تعالى: ﴿وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ﴾

١٣٨ - وقال أَبُو الْعَالِيَةِ: لَمْ يَنْزِلْ عَلَيْهِمَا السِّحْرُ، يَقُولُ: عَلِمَا الْإِيمَانَ وَالْكُفْرَ، فَالسِّحْرُ مِنَ الْكُفْرِ، فَهُمَا يَنْهَيَانِ عَنْهُ أَشَدَّ النَّهْيِ. رَوَاهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ.

١٣٩ - قال ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ: حُدّثت عَنْ عُبَيد اللهِ بْنِ مُوسَىٰ، أَخْبَرَنَا فُضَيْلُ بْنُ مَرْزُوقٍ، عَنْ عَطِيَّةَ ﴿وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ﴾ قَالَ: مَا أَنْزَلَ اللهُ عَلَىٰ جِبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ السِّحْرَ.

قلت: والذي عليه عامة آثار السَّلَفِ رحمهم الله أَنَّهُمَا كَانَا مَلَكَيْنِ مِنَ السَّمَاءِ، وَأَنَّهُمَا أُنْزِلَا إِلَىٰ الْأَرْضِ، فَكَانَ مِنْ أَمْرِهِمَا مَا كَانَ.

١٤٠ - قال أحمد فِي مُسْنَدِهِ: حَدَّثَنَا يَحْيَىٰ بْنُ أَبِي بُكَيْرٍ، حَدَّثَنَا زُهَيْرُ بْنُ مُحَمَّدٍ، عَنْ مُوسَىٰ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنْ نَافِعٍ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ: أَنَّهُ سَمِعَ نَبِيَّ اللهِ ﷺ يَقُولُ: " إِنَّ آدَمَ - عليه السلام -لَمَّا أَهْبَطَهُ اللهُ إِلَىٰ الْأَرْضِ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ: أَيْ رَبِّ ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [سورة البقرة:٣٠]، قَالُوا: رَبَّنَا، نَحْنُ أَطْوَعُ لَكَ مِنْ بَنِي آدَمَ. قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ لِلْمَلَائِكَةِ: هَلُموا مَلَكَيْنِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ حَتَّىٰ نُهْبِطَهُمَا إِلَىٰ الْأَرْضِ، فَنَنْظُرَ كَيْفَ يَعْمَلَانِ؟ قَالُوا: بِرَبِّنَا، هاروتَ وماروتَ. فَأُهْبِطَا إِلَىٰ الْأَرْضِ ومثُلت لَهُمَا الزُّهَرة امْرَأَةً مِنْ أَحْسَنِ الْبَشَرِ، فَجَاءَتْهُمَا، فَسَأَلَاهَا نَفْسَهَا. فَقَالَتْ: لَا وَاللهِ حَتَّىٰ تَتَكَلَّمَا بِهَذِهِ الْكَلِمَةِ مِنَ الْإِشْرَاكِ. فَقَالَا وَاللهِ لَا نُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا أَبَدًا. فَذَهَبَتْ عَنْهُمَا ثُمَّ رَجَعَتْ بِصَبِيٍّ تَحْمِلُهُ، فَسَأَلَاهَا نَفْسَهَا. فَقَالَتْ: لَا وَاللهِ حَتَّىٰ تَقْتُلَا هَذَا الصَّبِيَّ. فَقَالَا لَا وَاللهِ لَا نَقْتُلُهُ أَبَدًا. ثُمَّ ذَهَبَتْ فَرَجَعَتْ بقَدَحِ خَمْرٍ تَحْمِلُهُ، فَسَأَلَاهَا نَفْسَهَا. فَقَالَتْ: لَا وَاللهِ حَتَّىٰ تَشْرَبَا هَذَا الْخَمْرَ. فَشَرِبَا فَسَكِرَا، فَوَقَعَا عَلَيْهَا، وَقَتَلَا الصَّبِيَّ. فَلَمَّا أَفَاقَا قَالَتِ الْمَرْأَةُ: وَاللهِ مَا تَرَكْتُمَا شَيْئًا أَبَيْتُمَاهُ عَلَيَّ إِلَّا قَدْ فَعَلْتُمَاهُ حِينَ سَكِرْتُمَا. فخيرَا بَيْنَ عَذَابِ الدُّنْيَا وَعَذَابِ الْآخِرَةِ، فَاخْتَارَا عَذَابَ الدُّنْيَا ".

وفي الذي أنزل على الملكين قولان:

أحدهما: أنه السحر، روي عن ابن مسعود والحسن، وابن زيد.

والثاني: أنه التفرقة بين المرء وزوجه، لا السحر، روي عن مجاهد وقتادة، وعن

ابن عباس كالقولين.

١٤١ - **قال الزجاج:** وهذا من باب السحر أيضـًا.

(الإشارة إلى قصة الملكين)

ذكر العلماء أن الملكين إنما أنزلا إلىٰ الأرض لسبب، وهو أنه لما كثرت خطايا بني آدم دعت عليهم الملائكة، فقال الله تعالىٰ: لو أنزلت الشهوة والشياطين منكم منزلتهما من بني آدم، لفعلتم مثل ما فعلوا، فحدثوا أنفسهم أنهم إن ابتلوا، اعتصموا، فأوحىٰ الله إليهم أن اختاروا من أفضلكم ملكين.

فاختاروا هاروت وماروت. وهذا مروي عن ابن مسعود، وابن عباس.

واختلف العلماء: ماذا فعلا من المعصية على ثلاثة أقوال:

أحدها: أنهما زنيا، وقتلا، وشربا الخمرة، قاله ابن عباس.

والثاني: أنهما جارا في الحكم، قاله عبيد الله بن عتبة.

والثالث: أنهما هما بالمعصية فقط.

١٤٢ - **ونقل عن عليّ** رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن الزهرة كانت امرأة جميلة وأنها خاصمت إلىٰ الملكين هارون وماروت، فراودها كل واحد منهما علىٰ نفسها، ولم يُعلم صاحبه، وكانا يصعدان السماء آخر النهار، فقالت لهما: بم تهبطان وتصعدان؟ قالا: باسم الله الأعظم، فقالت: ما أنا بمواتيتكما إلىٰ ما تريدان حتىٰ تعلمانيه، فعلماها إياه، فطارت إلىٰ السماء، فمسخها الله كوكبـًا.

فأما بابل فروي عن الخليل أن ألسن الناس تبلبلت بها.

واختلفوا في حدها على ثلاثة أقوال:

أحدها: أنها: الكوفة وسوادها، قاله ابن مسعود.

والثاني: أنها من نصيبين إلىٰ رأس العين، قاله قتادة.

والثالث: أنها جبل في وهدة من الأرض، قاله السدي.

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ﴾ أي اختبار وابتلاء.

قوله تعالى: ﴿إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾، يريد: بقضائه.

﴿وَلَقَدْ عَلِمُواْ﴾: إشارة إلىٰ اليهود ﴿لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ﴾، يعني: اختاره، يريد: السحر. واللام لام اليمين. فأما الخلاق هو النصيب الوافر من الخير.

قوله تعالى: ﴿وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ﴾، أي: باعوها به، لَوْ كانُوا يَعْلَمُونَ العقاب فيه.

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُواْ﴾ يعني: اليهود، والمثوبة: الثواب. ﴿لَّوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ﴾ أي: يعملون بعلمهم.

قال ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا وَقُولُواْ ٱنظُرْنَا وَٱسْمَعُواْۗ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ١٠٤﴾

و«**راعنا**» بلا تنوين من راعيت، وبالتنوين من الرعونة.

١٤٣ - قال **ابن قتيبة**: راعناً بالتنوين: هو اسم مأخوذ من الرعن والرّعونة، أراد: لا تقولوا جهلاً ولا حمقاً.

١٤٤ - وقال **غيره**: كان الرجل إذا أراد استنصات صاحبه، قال: راعني سمعك،

فكان المنافقون يقولون:

راعنا، يريدون: أنت أرعن. وقوله: ﴿ٱنظُرۡنَا﴾ بمعنىٰ: انتظرنا.

١٤٥ - **وقال مجاهد:** ﴿ٱنظُرۡنَا﴾: اسمع منّا.

١٤٦ - **وقال ابن زيد:** لا تعجل علينا.

قوله: ﴿وَٱسۡمَعُواْۗ﴾أي: ما تؤمرون به.

قال ﷻ: ﴿مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ وَلَا ٱلۡمُشۡرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيۡكُم مِّنۡ خَيۡرٖ مِّن رَّبِّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَخۡتَصُّ بِرَحۡمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ١٠٥﴾

قوله تعالى: ﴿مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ﴾

١٤٧ - **قال ابن عباس:** هم يهود المدينة، ونصارىٰ نجران، والمشركون مشركوا أهل مكة.

قوله تعالى: ﴿أَن يُنَزَّلَ عَلَيۡكُم﴾، أي: علىٰ رسولكم. ﴿مِّنۡ خَيۡرٖ مِّن رَّبِّكُمۡ﴾، أراد: النبوة والإسلام.

في هذه الرحمة قولان:

أحدهما: أنها النبوة، قاله علي بن أبي طالب، ومحمد بن علي بن الحسين، ومجاهد

والثاني: أنها الإسلام، قاله ابن عباس ومقاتل.

قال ﷻ: ﴿مَا نَنسَخۡ مِنۡ ءَايَةٍ أَوۡ نُنسِهَا نَأۡتِ بِخَيۡرٍ مِّنۡهَآ أَوۡ مِثۡلِهَآۗ أَلَمۡ تَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ١٠٦ أَلَمۡ تَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٍ ١٠٧﴾

قوله تعالى: ﴿مَا نَنسَخۡ مِنۡ ءَايَةٍ﴾.

سبب نزولها: أن اليهود قالت لما نسخت القبلة: إن محمداً يحل لأصحابه إذا شاء، ويحرم عليهم إذا شاء فنزلت هذه الآية.

تقول العرب: نسخت الشمس الظل: إذا أذهبته وحلت محله.

وفي المراد بهذا النسخ ثلاثة أقوال:

أحدها: رفع اللفظ والحكم قول السدي.

والثاني: تبديل الآية بغيرها: قول مقاتل، رويا عن ابن عباس

والثالث: رفع الحكم مع بقاء اللفظ، رواه مجاهد عن أصحاب ابن مسعود، وبه قال أبو العالية.

وقرئ ﴿نَنسَؤُهَا﴾ بفتح النون مع الهمزة، والمعنىٰ: نؤخرها

قوله تعالى: ﴿نَأۡتِ بِخَيۡرٍ مِّنۡهَآ﴾

١٤٨ - قال **ابن عباس**: بألين منها، وأيسر علىٰ الناس.

قوله تعالى: ﴿أَوۡ مِثۡلِهَآ﴾، أي: في الثواب والمنفعة، فتكون الحكمة في تبديلها بمثلها الاختبار.

فَتَأْوِيلُ الْآيَةِ: أَلَمْ تَعْلَمْ يَا مُحَمَّدُ أَنَّ لِي مُلْكَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَسُلْطَانَهُمَا دُونَ

غَيْرِي، أَحْكُمُ فِيهِمَا وَفِيمَا فِيهِمَا بِمَا أَشَاءُ، وَآمُرُ فِيهِمَا وَفِيمَا فِيهِمَا بِمَا أَشَاءُ، وَأَنْهَىٰ عَمَّا أَشَاءُ، وَأَنْسَخُ وَأُبَدِّلُ وَأُغَيِّرُ مِنْ أَحْكَامِي الَّتِي أَحْكُمُ بِهَا فِي عِبَادِي مَا أَشَاءُ إِذَا أَشَاءُ، وَأُقِرُّ فِيهِمَا مَا أَشَاءُ.

قال ﷻ: ﴿أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْـَٔلُوا۟ رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ ۗ وَمَن يَتَبَدَّلِ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١٠٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْـَٔلُوا۟ رَسُولَكُمْ﴾ في سبب نزولها أقوال:

أحدها: أن رافع بن حريملة، ووهب بن زيد، قالا لرسول الله ﷺ: ائتنا بكتاب نقرؤه تنزله من السماء علينا، وفجّر لنا أنهارا حتىٰ نتبعك، فنزلت هذه الآية، قاله ابن عباس.

والثاني: أن قريشا سألت النبيّ ﷺ أن يجعل لهم الصفا ذهبًا، فقال: «هو لكم كالمائدة لبني إسرائيل» فأبوا. قاله مجاهد.

والثالث: أن رجلاً قال: يا رسول الله، لو كانت كفاراتنا ككفارات بني إسرائيل، فقال النبيّ ﷺ: «**اللهم لا نبغيها، ما أعطاكم الله خير مما أعطىٰ بني إسرائيل، كانوا إذا أصاب أحدهم الخطيئة وجدها مكتوبة علىٰ بابه وكفارتها، فان كفرها كانت له خزيًا في الدنيا، وإن لم يكفرها كانت له خزيًا في الآخرة، فقد أعطاكم الله خيراً مما أعطىٰ بني إسرائيل، فقال:** ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾﴾ [سورة النساء:١١٠] وقال: «**الصّلوات الخمس، والجمعة إلىٰ الجمعة كفّارات لما بينهن**» فنزلت هذه الآية، قاله أبو العالية.

والرابع: أن جماعة من المشركين جاءوا إلىٰ النبيّ ﷺ، فقال بعضهم: لن نؤمن لك حتىٰ تفجِّر لنا من الأرض ينبوعـًا.

وقال آخر: لن أؤمن حتىٰ تسير لنا جبال مكة، وقال عبد الله بن أبي أمية: لن أؤمن لك حتىٰ تأتي بكتاب من السماء، فيه: من الله ربّ العالمين إلىٰ ابن أمية: اعلم أني قد أرسلت محمدا إلىٰ الناس. وقال آخر: هلا جئت بكتابك مجتمعـًا، كما جاء موسىٰ بالتوراة. فنزلت هذه الآية. ذكره محمّد بن إسحاق الأنباري.

وفي المخاطبين بهذه الآية أقوال:

أحدها: أنهم قريش، قاله ابن عباس ومجاهد.

والثاني: اليهود، قاله مقاتل

فأما الرسول ها هنا: فهو: محمّد ﷺ، والذي سئل موسىٰ من قبل قولهم: ﴿أَرِنَا ٱللَّهَ جَهۡرَةً﴾ [سورة النساء:١٥٣]، وهل سألوا ذلك نبيـًا أم لا؟

أنهم سألوا ذلك، فقالوا: ﴿لَن نُّؤۡمِنَ لَكَ حَتَّىٰ﴾.... **الآية** [سورة البقرة:٥٥]

﴿تَأۡتِيَ بِٱللَّهِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا ٩٢﴾ [سورة الإسراء:٩٢]، قاله ابن عباس.

١٤٩ - **وقال أبو العالية:** المعنىٰ: ومن يتبدل الشدة بالرّخاء.

وسواء السبيل: وسطه

قال ﷻ: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ **في سبب نزولها ثلاثة أقوال:**

أحدها: أن حيي بن أخطب، وأبا ياسر كانا جاهدين في رد الناس عن الإسلام، فنزلت هذه الآية، قاله ابن عبّاس.

والثاني: أن كعب بن الأشرف كان يهجو النبيّ ﷺ، ويحرض عليه كفار قريش في شعره، وكان المشركون واليهود من أهل المدينة يؤذون رسول الله ﷺ حين قدمها، فأمر النبيّ ﷺ بالصفح عنهم، فنزلت هذه الآية، قاله عبد الله بن كعب بن مالك.

والثالث: أن نفراً من اليهود دعوا حذيفة وعماراً إلىٰ دينهم، فأبيا، فنزلت هذه الآية، قاله مقاتل.

ومعنى ﴿وَدَّ﴾: أحب وتمنىٰ. وأَهْلِ الْكِتابِ: اليهود

والمعنى: مودتهم لكفركم من عند أنفسهم، لا أنه عندهم الحق

قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ﴾.

١٥٠ - **قال ابن عباس**: فجاء الله بأمره في النضير بالجلاء والنفي، وفي قريظة بالقتل والسبي.

فصل: وقد روي عن ابن عباس وابن مسعود، وأبي العالية، وقتادة رضي الله عنهم: أن العفو والصفح منسوخ بقوله تعالىٰ: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ

﴿وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ﴾ [سورة التوبة:٢٩].

قال ﷻ: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيۡرٖ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ١١٠﴾

قوله تعالى: ﴿تَجِدُوهُ﴾، أي: تجدوا ثوابه.

قال ﷻ: ﴿وَقَالُواْ لَن يَدۡخُلَ ٱلۡجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوۡ نَصَٰرَىٰۗ تِلۡكَ أَمَانِيُّهُمۡۗ قُلۡ هَاتُواْ بُرۡهَٰنَكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ١١١ بَلَىٰۚ مَنۡ أَسۡلَمَ وَجۡهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحۡسِنٞ فَلَهُۥٓ أَجۡرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ١١٢﴾

قوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ لَن يَدۡخُلَ ٱلۡجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوۡ نَصَٰرَىٰ﴾.

١٥١ - قال **ابن عباس:** اختصم يهود المدينة ونصارىٰ نجران عند النبيّ ﷺ، فقالت اليهود: ليست النصارىٰ علىٰ شيء، ولا يدخل الجنة إلا من كان يهوديًا، وكفروا بالإنجيل وعيسىٰ، وقالت النصارىٰ: ليست اليهود علىٰ شيء، وكفروا بالتوراة وموسىٰ، فقال الله تعالىٰ ﴿تِلۡكَ أَمَانِيُّهُمۡ﴾.

واعلم أن الكلام في هذه الآية مجمل ومعناه: قالت اليهود لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً.

وقالت النصارىٰ: لن يدخل الجنة إِلا من كان نصرانيًا. والهود، جمع: هائد.

﴿تِلۡكَ أَمَانِيُّهُمۡ﴾، أي: ذاك شيء يتمنونه، وظن يظنونه، هذا معنىٰ قول ابن عباس، ومجاهد.

قوله تعالى ﴿قُلْ هَاتُواْ بُرْهَانَكُمْ﴾، أي: حجتكم إن كنتم صادقين بأن الجنة لا يدخلها إلا من كان هوداً أو نصارىٰ.

ثم بين الله تعالىٰ أن ليس كما زعموا، فقال: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ﴾، وأسلم بمعنىٰ: أخلص.

وفي الوجه قولان:

أحدهما: أنه الدين.

والثاني: العمل.

قوله تعالى: ﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾، أي: في عمله، ﴿فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ﴾.

ضَمِنَ لَهُمْ تَعَالَىٰ عَلَىٰ ذَلِكَ تَحْصِيلَ الْأُجُورِ، وَآمَنَهُمْ مِمَّا يَخَافُونَهُ مِنَ الْمَحْذُورِ ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ فِيمَا يَسْتَقْبِلُونَهُ، ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ عَلَىٰ مَا مَضَىٰ مِمَّا يَتْرُكُونَهُ، كَمَا قَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ: ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ يعني: في الآخرة ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ يَعْنِي: لَا يَحْزَنُونَ لِلْمَوْتِ.

قال ﷻ: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَارَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَارَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ ٱلْكِتَابَ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١١٣﴾﴾

١٥٢ - **قال مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ:** حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي مُحَمَّدٍ، عَنْ عِكْرِمَةَ أَوْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: لما قَدِمَ أَهْلُ نَجْرَانَ مِنَ النَّصَارَىٰ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ،

أَتَتْهُمْ أَحْبَارُ يَهُودَ، فَتَنَازَعُوا عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ رَافِعُ بْنُ حُرَيْملة مَا أَنْتُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ، وَكَفَرَ بِعِيسَىٰ وَبِالْإِنْجِيلِ. وَقَالَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ نَجْرَانَ مِنَ النَّصَارَىٰ لِلْيَهُودِ: مَا أَنْتُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ. وَجَحَدَ نُبُوَّةَ مُوسَىٰ وَكَفَرَ بِالتَّوْرَاةِ. فَأَنْزَلَ اللهُ فِي ذَلِكَ مِنْ قَوْلِهِمَا ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَـٰرَىٰ عَلَىٰ شَىْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ ٱلْكِتَـٰبَ﴾ قَالَ: إِنَّ كُلًّا يَتْلُو فِي كِتَابِهِ تَصْدِيقَ مَنْ كَفَرَ بِهِ، أَيْ: يَكْفُرُ الْيَهُودُ بِعِيسَىٰ وَعِنْدَهُمُ التَّوْرَاةُ، فِيهَا مَا أَخَذَ اللهُ عَلَيْهِمْ عَلَىٰ لِسَانِ مُوسَىٰ بِالتَّصْدِيقِ بِعِيسَىٰ، وَفِي الْإِنْجِيلِ مَا جَاءَ بِهِ عِيسَىٰ بِتَصْدِيقِ مُوسَىٰ، وَمَا جَاءَ مِنَ التَّوْرَاةِ مِنْ عِنْدِ اللهِ، وَكُلٌّ يَكْفُرُ بِمَا فِي يَدِ صَاحِبِهِ.

١٥٣ - **وقال مُجَاهِدٌ فِي تَفْسِيرِ هَذِهِ الْآيَةِ:** قَدْ كَانَتْ أَوَائِلُ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ.

وقال قَتَادَةُ: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَـٰرَىٰ عَلَىٰ شَىْءٍ﴾ قَالَ: بَلَىٰ، قَدْ كَانَتْ أَوَائِلُ النَّصَارَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ، وَلَكِنَّهُمُ ابْتَدَعُوا وَتَفَرَّقُوا. ﴿وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَىْءٍ﴾ قَالَ: بَلَىٰ قَدْ كَانَتْ أَوَائِلُ الْيَهُودِ عَلَىٰ شَيْءٍ، وَلَكِنَّهُمُ ابْتَدَعُوا وَتَفَرَّقُوا.

قوله تعالى: ﴿وَهُمْ يَتْلُونَ ٱلْكِتَـٰبَ﴾، أي: كل منهم يتلو كتابه بتصديق ما كفر به، قاله السدي، وقتادة.

قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾، **وفيهم قولان:**

أحدهما: أنهم مشركو العرب قالوا لمحمد وأصحابه: لستم علىٰ شيء، قاله السدي عن أشياخه.

والثاني: أنهم أمم كانوا قبل اليهود والنصارىٰ، كقوم نوح وهود وصالح، قاله عطاء.

قال ﷻ: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَـٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ وَسَعَىٰ فِى خَرَابِهَآ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَ ۚ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ وَلَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَـٰجِدَ ٱللَّهِ﴾ **اختلفوا فيمن نزلت على قولين**:

أحدهما: أنها نزلت في الروم، كانوا ظاهروا بختنصر علىٰ خراب بيت المقدس من أجل أن بني إسرائيل قتلوا يحيىٰ بن زكريا، فخرب وطرحت الجيف فيه، قاله ابن عباس في آخرين.

والثاني: أنها في المشركين.

الذين حالوا بين رسول الله ﷺ وبين مكة يوم الحديبية، قاله ابن زيد.

وفي المراد بخرابها قولان:

أحدهما: أنه نقضها.

والثاني: منع ذكر الله فيها.

قوله تعالى ﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَ﴾ **فيه قولان**:

أحدهما: أنه إخبار عن أحوالهم بعد ذلك.

١٥٤ - **قال السدي**: لا يدخل رومي بيت المقدس إلا وهو خائف أن يضرب عنقه، أو قد أخيف بأداء الجزية.

والثاني: أنه خبر في معنىٰ الأمر، تقديره: عليكم بالجد في جهادهم كي لا يدخلها أحدٌ إلا وهو خائف.

قوله تعالى ﴿لَهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا خِزۡيٞ﴾ **فيه ثلاثة أقوال**:

أحدها: أن خزيهم الجزية، قاله ابن عباس.

والثاني: أنه فتح القسطنطينة، قاله السدي.

والثالث: أنه طردهم عن المسجد الحرام، فلا يدخله مشرك أبداً ظاهراً، قاله ابن زيد.

قال ﷻ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡمَشۡرِقُ وَٱلۡمَغۡرِبُۚ فَأَيۡنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجۡهُ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ ١١٥ وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدٗاۗ سُبۡحَٰنَهُۥۖ بَل لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ كُلّٞ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ١١٦﴾

قوله تعالى ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡمَشۡرِقُ وَٱلۡمَغۡرِبُ﴾ **في نزولها أربعة أقوال**:

أحدها: أن الصحابة كانوا مع رسول الله ﷺ في غزوة في ليلة مظلمة، فلم يعرفوا القبلة، فجعل كل واحد منهم مسجداً بين يديه وصلىٰ، فلما أصبحوا إذا هم علىٰ غير القبلة، فذكروا ذلك لرسول الله ﷺ، فأنزل الله تعالىٰ هذه الآية. رواه عامر بن ربيعه.

والثاني: أنها نزلت في التطوع بالنافلة. قاله ابن عمر.

والثالث: أنه لما نزل قوله تعالىٰ: ﴿ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ﴾ [سورة غافر:٦٠]، قالوا: إلىٰ أين؟ فنزلت هذه الآية، قاله مجاهد.

والرابع: أنه لما مات النجاشي، وأمرهم النبيّ ﷺ بالصلاة عليه قالوا: إنه كان لا

يصلي إلىٰ القبلة فنزلت هذه الآية، قاله قتادة.

قوله تعالى: ﴿فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾ قبلة الله، قاله عكرمة ومجاهد.

١٥٥ - قال أَبُو عُبَيْدٍ الْقَاسِمُ بْنُ سَلَّامٍ فِي كِتَابِ النَّاسِخِ وَالْمَنْسُوخِ: أَخْبَرَنَا حَجَّاجُ بْنُ مُحَمَّدٍ، أَخْبَرَنَا ابْنُ جُرَيْجٍ وَعُثْمَانُ بْنُ عَطَاءٍ، عَنْ عَطَاءٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: أَوَّلُ مَا نُسِخَ مِنَ الْقُرْآنِ فِيمَا ذُكِرَ لَنَا -وَاللهُ أَعْلَمُ- شأْنُ الْقِبْلَةِ: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُۚ فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِۚ﴾ فاستقبل رَسُولُ اللهِ ﷺ فَصَلَّىٰ نَحْوَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ، وَتَرَكَ الْبَيْتَ الْعَتِيقَ، ثُمَّ صَرَفَهُ إِلَىٰ بَيْتِهِ الْعَتِيقِ وَنَسَخَهَا، فَقَالَ: ﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ﴾ [سورة البقرة: ١٥٠].

فصل: وهذه الآية مستعملة الحكم في المجتهد إذا صلىٰ إلىٰ غير القبلة، وفي صلاة المتطوع علىٰ الراحلة، والخائف. وقد ذهب قوم إلىٰ نسخها، فقالوا: إنها لما نزلت توجه رسول الله إلىٰ بيت المقدس، ثم نسخ ذلك بقوله: ﴿وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ﴾، وهذا مروي عن ابن عباس.

اختلفوا فيمن نزلت على أقوال:

أحدها: أنها نزلت في اليهود إذ جعلوا عزيراً ابن الله، قاله ابن عباس.

والثاني: أنها نزلت في نصارىٰ نجران حيث قالوا: عيسىٰ ابن الله، قاله مقاتل.

١٥٦ - قال الْبُخَارِيُّ فِي تَفْسِيرِ هَذِهِ الْآيَةِ مِنَ الْبَقَرَةِ: أَخْبَرَنَا أَبُو الْيَمَانِ، أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ أَبِي حُسَين، حَدَّثَنَا نَافِعُ بْنُ جُبَيْرٍ -هُوَ ابْنُ مُطْعَمٍ- عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: كَذَّبني ابْنُ آدَمَ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ،

وَشَتَمَنِي وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ، فَأَمَّا تَكْذِيبُهُ إِيَّايَ فَيَزْعُمُ أَنِّي لَا أَقْدِرُ أَنْ أُعِيدَهُ كَمَا كَانَ، وَأَمَّا شَتْمُهُ إِيَّايَ فَقَوْلُهُ: لِي وَلَدٌ. فَسُبْحَانِي أن أتخذ صاحبة أو ولدا ".

فأما القنوت: هو في اللغة بمعنيين:

أحدهما: القيام.

والثاني: الطاعة. والمشهور في اللغة والاستعمال أن القنوت: الدعاء في القيام، فالقانت: القائم بأمر الله.

ويجوز أن يقع في جميع الطاعات

وللمفسرين في المراد بالقنوت هاهنا ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه الطاعة، قاله ابن عباس، وابن جبير، ومجاهد، وقتادة.

والثاني: أنه الإقرار بالعبادة، قاله عكرمة، والسدي.

والثالث: القيام، قاله الحسن، والربيع.

قال ﷻ: ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ١١٧﴾

قوله تعالى: ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾.

البديع: المبدع، وكل من أنشأ شيئًا لم يسبق إليه قيل له أبدعت.

ومعناه: أنه فطر الخلق مخترعًا له لا على مثال سبق.

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا﴾.

١٥٧ - **قال ابن عباس**: معنى القضاء: الإرادة. وقال مقاتل: إذا قضى أمراً في علمه، ﴿فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾.

قال ﷻ: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ لَوۡلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ أَوۡ تَأۡتِينَآ ءَايَةٞۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِم مِّثۡلَ قَوۡلِهِمۡۘ تَشَٰبَهَتۡ قُلُوبُهُمۡۗ قَدۡ بَيَّنَّا ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يُوقِنُونَ ١١٨﴾

قوله تعالى ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ لَوۡلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ﴾ **فيهم ثلاثة أقوال:**

أحدها: أنهم اليهود، قاله ابن عباس.

والثاني: النصارىٰ، قاله مجاهد.

والثالث: مشركو العرب، قاله قتادة، والسدي عن أشياخه.

ولَوْلا بمعنىٰ: هلا.

وفي قوله تعالى ﴿ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِم﴾ **ثلاثة أقوال:**

أحدها: أنهم اليهود، قاله ابن عباس، ومجاهد.

والثاني: اليهود والنصارىٰ، قاله السدي عن أشياخه.

والثالث: اليهود والنصارىٰ وغيرهم من الكفار، قاله قتادة.

قوله تعالى: ﴿تَشَٰبَهَتۡ قُلُوبُهُمۡ﴾، أي: في الكفر

قال ﷻ: ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗاۖ وَلَا تُسۡـَٔلُ عَنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡجَحِيمِ ١١٩﴾

قوله تعالى ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ﴾ **في سبب نزولها قولان:**

أحدهما: أنّ النبيّ ﷺ قال يوماً: «ليت شعري ما فعل أبواي!»، فنزلت هذه الآية، قاله ابن عباس.

والثاني: أنّ النبيّ ﷺ قال: «لو أنزل الله بأسه باليهود لآمنوا» فنزلت هذه الآية، قاله مقاتل.

وفي المراد بِالحَقِّ هاهنا ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه القرآن، قاله ابن عباس.

والثاني: الإسلام، قاله ابن كيسان.

والثالث: الصّدق.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تُسْـَٔلُ﴾ ولذلك سميت الجحيم.

١٥٨ - **وقال ابن الأنباري**: قال أحمد بن عبيد: إنما سميت النار جحيمًا، لأنها أكثر وقودها، من قول العرب: جحمت النار أجحمها: إذا أكثرت لها الوقود.

قال ﷻ: ﴿وَلَن تَرۡضَىٰ عَنكَ ٱلۡيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمۡۗ قُلۡ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلۡهُدَىٰۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعۡتَ أَهۡوَآءَهُم بَعۡدَ ٱلَّذِي جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٍ ١٢٠﴾

قوله تعالى ﴿وَلَن تَرۡضَىٰ عَنكَ ٱلۡيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ﴾ **في سبب نزولها ثلاثة أقوال:**

أحدها: أن يهود المدينة ونصارىٰ نجران كانوا يرجون أن يصلّي النبيّ ﷺ إلىٰ قبلتهم، فلمّا صرف إلىٰ الكعبة يئسوا منه، فنزلت هذه الآية، قاله ابن عباس.

والثاني: أنهم دعوه إلىٰ دينهم، فنزلت، قاله مقاتل

١٥٩ - **قال ابن عباس**: و﴿هُدَى ٱللَّهِ﴾ هاهنا: الإسلام.

وفي الذي جاءه من العلم أربعة أقوال:

أحدها: أنه التحول إلىٰ الكعبة، قاله ابن عباس.

والثاني: أنه البيان بأن دين الله الإسلام.

والثالث: أنه القرآن.

والرابع: العلم بضلالة القوم.

قوله تعالى: ﴿مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ﴾ ينفعك ﴿وَلَا نَصِيرٍ﴾ يمنعك من عقوبته.

قال ﷻ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٢١﴾ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّى فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٢٢﴾ وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَٰعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿١٢٣﴾﴾

قوله تعالى ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾. **اختلفوا فيمن نزلت هذه الآية على قولين**:

أحدهما: أنها نزلت في الذين آمنوا من اليهود، قاله ابن عباس.

والثاني: في المؤمنين من أصحاب النبيّ ﷺ، قاله عكرمة، وقتادة.

وفي الكتاب قولان:

أحدهما: أنه القرآن، قاله قتادة.

والثاني: أنه التوراة، قاله مقاتل.

قوله تعالى: ﴿يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ﴾، أي: يعملون به حق عمله، قاله مجاهد. قوله تعالىٰ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ﴾ في هاء أنها تعود علىٰ الكتاب.

١٦٠ - قال ابْنُ مَسْعُودٍ: وَالذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنَّ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أَنْ يُحِلَّ حَلَالَهُ وَيُحَرِّمَ

حَرَامَهُ وَيَقْرَأُهُ كَمَا أَنْزَلَهُ اللهُ، وَلَا يُحَرِّفَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ، وَلَا يَتَأَوَّلَ مِنْهُ شَيْئًا عَلَىٰ غَيْرِ تَأْوِيلِهِ.

١٦١ - وقال السُّدِّيُّ: عَنْ أَبِي مَالِكٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي هَذِهِ الْآيَةِ، قَالَ: يُحِلُّون حَلَالَهُ ويُحَرِّمُون حَرَامَهُ، وَلَا يُحَرِّفُونه عَنْ مَوَاضِعِهِ.

١٦٢ - وقال الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ: يَعْمَلُونَ بِمُحْكَمِهِ، وَيُؤْمِنُونَ بِمُتَشَابِهِهِ، يَكِلُونَ مَا أَشْكَلَ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ عَالِمِهِ.

قوله تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَنِّي فَضَّلۡتُكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٢٢ وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا لَّا تَجۡزِي نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٖ شَيۡـٔٗا وَلَا يُقۡبَلُ مِنۡهَا عَدۡلٞ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَٰعَةٞ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ ١٢٣﴾ [سورة البقرة:١٢٢-١٢٣] قَدْ تَقَدَّمَ نَظِيرُ هَذِهِ الْآيَةِ فِي صَدْرِ السُّورَةِ.

قال ﷻ: ﴿وَإِذِ ٱبۡتَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٖ فَأَتَمَّهُنَّۖ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامٗاۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِيۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهۡدِي ٱلظَّٰلِمِينَ ١٢٤﴾

وفي الكلمات خمسة أقوال:

أحدها: أنها خمس في الرأس، وخمس في الجسد. أما التي في الرأس، فالفرق، والمضمضة، والاستنشاق، وقص الشارب، والسواك. وفي الجسد: تقليم الأظافر، وحلق العانة، ونتف الإبط، والاستطابة بالماء، والختان، رواه طاوس عن ابن عباس.

والثاني: أنها عشر ست في الإنسان، وأربع في المشاعر، فالتي في الإنسان: حلق العانة، ونتف الإبط، وتقليم الأظافر، وقص الشارب، والسواك، والغسل من الجنابة، والغسل يوم الجمعة. والتي في المشاعر:

الطواف بالبيت، والسعي بين الصفا والمروة، ورمي الجمار، والإفاضة. رواه حنش بن عبد الله عن ابن عباس.

والثالث: أنها المناسك، رواه قتادة عن ابن عباس.

والرابع: أنه ابتلاه بالكوكب، والشمس، والقمر، والهجرة، والنار، وذبح ولده، والختان، قاله الحسن. والخامس: أنها كل مسألة في القرآن، مثل قوله: ﴿رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا﴾ [سورة إبراهيم:٣٥]، ونحو ذلك، قاله مقاتل.

١٦٣ - روى ابن أبي حاتم في تفسيره: من طريق دَاوُد بْنُ أَبِي هِنْدٍ، عَنْ عِكْرِمة، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ قَالَ: مَا ابتلي بهذا الدين أحد فقام به كُلِّهِ إِلَّا إِبْرَاهِيمَ، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ﴾ قُلْتُ لَهُ: وَمَا الكلماتُ الَّتِي ابْتَلَىٰ اللهُ إِبْرَاهِيمَ بِهِنَّ فَأَتْمَهُنَّ؟ قَالَ: الْإِسْلَامُ ثَلَاثُونَ سَهْمًا، مِنْهَا عَشْرُ آيَاتٍ فِي بَرَاءَةَ: ﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ ٱلْحَٰمِدُونَ﴾ [سورة التوبة:١١٢] إِلَىٰ آخِرِ الْآيَةِ، وَعَشْرُ آيَاتٍ فِي أَوَّلِ سُورَةِ ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ①﴾ [سورة المؤمنون:١] وَ ﴿سَأَلَ سَآئِلٌۢ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ①﴾ [سورة المعارج:١] وَعَشْرُ آيَاتٍ فِي الْأَحْزَابِ: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ﴾ [سورة الأحزاب:٣٥]. إِلَىٰ آخِرِ الْآيَةِ، فَأَتْمَهُنَّ كُلَّهُنَّ، فَكُتِبَتْ لَهُ بَرَاءَةٌ. قَالَ اللهُ: ﴿وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ㊲﴾ [سورة النجم:٣٧].

وفي العهد هاهنا سبعة أقوال:

أحدها: أنه الإمامة، رواه أبو صالح عن ابن عباس، وبه قال مجاهد، وسعيد بن جبير.

والثاني: أنه الطاعة، رواه الضحاك عن ابن عباس.

والثالث: الرحمة، قاله عطاء وعكرمة.

والرابع: الدين، قاله أبو العالية.

والخامس: النبوة، قاله السدي عن أشياخه.

والسادس: الأمان، قاله أبو عبيدة.

والسابع: الميثاق

وفي المراد بالظالمين هاهنا قولان:

أحدهما: أنهم الكفار، قاله ابن جبير، والسدي.

والثاني: العصاة، قاله عطاء.

١٦٤ - وقال ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ: حَدَّثَنِي أَبِي، حَدَّثَنَا مَالِكُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ، حَدَّثَنَا شَرِيكٌ، عَنْ مَنْصُورٍ، عَنْ مُجَاهِدٍ، فِي قَوْلِهِ: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِي﴾ قَالَ: أَمَّا مَنْ كَانَ مِنْهُمْ صَالِحًا فَسَأَجْعَلُهُ إِمَامًا يُقْتَدَىٰ بِهِ، وَأَمَّا مَنْ كَانَ ظَالِمًا فَلَا وَلَا نُعْمَةَ عَيْنٍ.

١٦٥ - وقال سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ: ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ الْمُرَادُ بِهِ الْمُشْرِكُ، لَا يَكُونُ إِمَامٌ ظَالِمٌ. يَقُولُ: لَا يَكُونُ إِمَامٌ مُشْرِكٌ.

قال ﷻ: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ۖ وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ١٢٥﴾

والمثاب والمثابة واحد، كالمقام والمقامة، والمثابة: المعاد، من قولك: ثبت إلىٰ كذا، أي: عدت إليه، فأراد: أن الناس يعودون إليه مرة بعد مرة.

قوله تعالى: ﴿وَأَمْنًا﴾

١٦٦ - قال **ابن عباس:** يريد أن من أحدث حدثاً في غيره، ثم لجأ إليه فهو آمن، ولكن ينبغي لأهل مكة أن لا يبايعوه، ولا يطعموه، ولا يسقوه، ولا يؤووه، ولا يكلم حتىٰ يخرج، فاذا خرج أقيم عليه الحد.

وفي ﴿مَّقَامِ إِبۡرَٰهِيمَ﴾، **ثلاثة أقوال:**

أحدها: أنه الحرم كله، قاله ابن عباس.

والثاني: عرفة والمزدلفة والجمار، قاله عطاء. وعن مجاهد كالقولين.

١٦٧ - وقد **روي عن ابن عباس، وعطاء، ومجاهد، قالوا**: الحج كله مقام إبراهيم.

والثالث: الحجر، قاله سعيد بن جبير.

١٦٨ - روىٰ **البخاري في الصحيح:** حَدَّثَنَا مُسدَّد، حَدَّثَنَا يَحْيَىٰ، عَنْ حُمَيْدٍ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ. قَالَ: قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ وافقتُ رَبِّي فِي ثَلَاثٍ، أَوْ وَافَقَنِي رَبِّي فِي ثَلَاثٍ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، لَوِ اتَّخَذْتَ مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّىٰ؟ فَنَزَلَتْ: ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبۡرَٰهِـۧمَ مُصَلّٗى﴾.

وفي سبب **وقوف إبراهيم على الحجر قولان:**

أحدهما: أنه جاء يطلب ابنه إسماعيل، فلم يجده، فقالت له زوجته: انزل، فأبىٰ، فقالت: فدعني أغسل رأسك، فأتته بحجر فوضع رجله عليه، وهو راكب، فغسلت شقه، ثم رفعته وقد غابت رجله فيه، فوضعته تحت الشق الآخر وغسلته، فغابت رجله فيه، فجعله الله من شعاره، ذكره السدي عن ابن مسعود وابن عباس.

والثاني: أنه قام علىٰ الحجر لبناء البيت، وإسماعيل يناوله الحجارة، قاله سعيد بن جبير

قوله تعالى: ﴿وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ﴾، أي: أمرناهما وأوصيناهما.

قوله تعالى: ﴿أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ﴾

١٦٩ - قال **قتادة**: يريد من عبادة الأوثان والشرك، وقول الزور.

فان قيل: لم يكن هناك بيت، فما معنى أمرهما بتطهيره؟

فعنه جوابان:

أحدهما: أنه كانت هناك أصنام، فأمر بإخراجها، قاله عكرمة.

والثاني: أن معناه: ابنياه مطهراً، قاله السدي.

والعاكفون: المقيمون، يقال: عكف يعكف ويعكف عكوفاً: إذا أقام، ومنه: الاعتكاف.

قال ﷻ: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٢٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا﴾، البلد: صدر القرى.

والمراد بالبلد هاهنا: مكة.

ومعنى ﴿ءَامِنًا﴾: ذا أمنٍ.

وفي المراد بهذا الأمن ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه سأله الأمن من القتل.

والثاني: من الخسف والقذف. والثالث: من القحط والجدب.

١٧٠ - قال **مجاهد:** قال إبراهيم: لمن آمن، فقال الله ﷻ: ومن كفر فسأرزقه.

قوله تعالى: ﴿فَأُمَتِّعُهُۥ﴾ والإمتاع: إعطاء ما تحصل به المتعة.

والاضطرار: الإلجاء إلىٰ الشّيء، والمصير: ما ينتهي إليه الأمر.

قال ﷻ: ﴿وَإِذۡ يَرۡفَعُ إِبۡرَٰهِـۧمُ ٱلۡقَوَاعِدَ مِنَ ٱلۡبَيۡتِ وَإِسۡمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلۡ مِنَّآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ١٢٧ رَبَّنَا وَٱجۡعَلۡنَا مُسۡلِمَيۡنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةٗ مُّسۡلِمَةٗ لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبۡ عَلَيۡنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ١٢٨ رَبَّنَا وَٱبۡعَثۡ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُزَكِّيهِمۡۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ١٢٩﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِذۡ يَرۡفَعُ إِبۡرَٰهِـۧمُ ٱلۡقَوَاعِدَ مِنَ ٱلۡبَيۡتِ وَإِسۡمَٰعِيلُ﴾.

القواعد: أساس البيت، واحدها:قاعدة

قوله تعالى ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلۡ مِنَّآۖ﴾، أي: يقولان: ربنا.

(إشارة إلى بناء البيت)

١٧١ - روى **أنس** عن النبي ﷺ، قال: «**كانت الملائكة تحج إلىٰ البيت قبل آدم**».

١٧٢ - وقال **ابن عباس:** لما أهبط آدم قال الله تعالىٰ له: يا آدم! اذهب فابن لي بيتًا فطف به، واذكرني حوله كما رأيت ملائكتي تصنع حول عرشي. فأقبل يسعىٰ حتىٰ انتهىٰ إلىٰ البيت الحرام، وبناه من خمسة أجبل: من لبنان، وطور سيناء، وطور زيتا، والجودي، وحراء، فكان آدم أول من أسس البيت، وطاف به، ولم يزل كذلك حتىٰ بعث الله الطوفان، فدرس موضع البيت، فبعث الله إبراهيم وإسماعيل.

١٧٣ - وقال **علي بن أبي طالب** رضي الله عنه: لما أمر الله تعالىٰ إبراهيم ببناء البيت ضاق

به ذرعـًا، ولـم يدر كيف يصنع، فأنزل الله عليه كهيئة السحابة، فيها رأس يتكلم، فقال: يا إبراهيم! علّم علىٰ ظلي، فلمّا علّم ارتفعت. وفي رواية عنه أنه كان يبني عليها كل يوم، قال: وحفر إبراهيم من تحت السكينة، فأبدىٰ عن قواعد، ما تحرك القاعدة منها دون ثلاثين رجلاً. فلما بلغ موضع الحجر، قال لإسماعيل: التمس لي حجراً فذهب يطلب حجراً، فجاء جبريل بالحجر الأسود، فوضعه، قال: من جاءك بهذا الحجر؟ قال: جاء به من لم يتكل علىٰ بنائي وبنائك.

١٧٤ - وقال **ابن عباس، وابن المسيب، وأبو العالية:** رفعا القواعد التي كانت قواعد قبل ذلك.

١٧٥ - وقال **السّدّيّ:** لمّا أمره ببناء البيت لم يدر أين يبني، فبعث الله ريحـًا، فكنست حول الكعبة عن الأساس الأول الذي كان البيت عليه قبل الطوفان.

قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَٱجۡعَلۡنَا مُسۡلِمَيۡنِ لَكَ﴾.

المسلم في اللغة: الذي قد استسلم لأمر الله، وخضع. والمناسك: المتعبدات. فكل متعبد منسَك ومنسِك.

قوله تعالىٰ: ﴿وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا﴾، أي: مذابحنا، قاله مجاهد.

١٧٦ - وقال **غيره:** هي جميع أفعال الحج.

١٧٧ - قال **قتادة:** أراهما الله مناسكهما: الموقف بعرفات، والإفاضة من جمع، ورمي الجمار، والطواف، والسعي.

١٧٨ - وقال **أبو مجلز:** لما فرغ إبراهيم من البيت أتاه جبريل، فأراه الطواف، ثم أتىٰ به جمرة العقبة، فعرض له الشيطان، فأخذ جبريل سبع حصيات، وأعطىٰ

إبراهيم سبعـًا، وقال له: ارم وكبر، فرميا وكبرا مع كل رمية حتىٰ غاب الشيطان. ثم أتىٰ به الجمرة الوسطىٰ، فعرض لهما الشيطان، فأخذ جبريل سبع حصيات، وأعطىٰ إبراهيم سبع حصيات، فقال له: ارم وكبر، فرميا وكبرا مع كل رمية حتىٰ غاب الشيطان. ثم أتىٰ به الجمرة القصوىٰ، فعرض لهما الشيطان، فأخذ جبريل سبع حصيات، وأعطىٰ إبراهيم سبع حصيات. فقال له: ارم وكبر، فرميا وكبرا مع كل رمية حتىٰ غاب الشيطان، ثم أتىٰ به منىٰ، فقال: هاهنا يحلق الناس رؤوسهم، ثم أتىٰ به جمعـًا، فقال: هاهنا يجمع الناس، ثم أتىٰ به عرفة، فقال: أعرفت؟ قال: نعم. قال: فمن ثم سميت عرفات.

قوله تعالى ﴿رَبَّنَا وَٱبۡعَثۡ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ﴾، **في الهاء والميم من فِيهِمْ قولان:**

أحدهما: أنها تعود علىٰ الذرية، قاله مقاتل.

والثاني: علىٰ أهل مكة في قوله: ﴿وَٱرۡزُقۡ أَهۡلَهُۥ﴾ [سورة البقرة:١٢٦].

والمراد بالرّسول: محمّد ﷺ

١٧٩ - **وقد روىٰ أبو أمامة** عن النبيّ ﷺ، أنه قيل: يا رسول الله! ما كان بدء أمرك؟ قال: «**دعوة أبي إبراهيم، وبشرىٰ عيسىٰ، ورأت أُمي أنه خرج منها نور أضاءت له قصور الشام**».

والكتاب: القرآن.

والحكمة: السنة، قاله ابن عباس.

وروي عنه: الحكمة: الفقه والحلال والحرام، ومواعظ القرآن

وفي قوله تعالى ﴿وَيُزَكِّيهِمۡۖ﴾، **أقوال:**

أحدها: أن معناه: يأخذ الزكاه منهم فيطهرهم بها، قاله ابن عباس.

والثاني: يطهرهم من الشرك والكفر، قاله مقاتل.

قال ﷻ: ﴿وَمَن يَرۡغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبۡرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفۡسَهُۥۚ وَلَقَدِ ٱصۡطَفَيۡنَٰهُ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَإِنَّهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ١٣٠ إِذۡ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسۡلِمۡۖ قَالَ أَسۡلَمۡتُ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٣١ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبۡرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعۡقُوبُ يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٣٢﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَن يَرۡغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبۡرَٰهِـۧمَ﴾.

سبب نزولها: أن عبد الله بن سلام دعا ابني أخيه مهاجراً وسلمة إلى الإسلام، فأسلم سلمة، ورغب عن الإسلام مهاجر، فنزلت هذه الآية، قاله مقاتل.

والمعنى: ما يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه. ويقال: رغبت في الشيء: إذا أردته. ورغبت عنه: إذا تركته. وملة إبراهيم: دينه.

قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَن سَفِهَ نَفۡسَهُۥ﴾ إلا من أهلك نفسه، قاله أبو عبيدة.

قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾،

١٨٠ - **قال ابن الأنباري**: لمن الصالحي الحال عند الله تعالى.

قوله تعالى: ﴿إِذۡ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسۡلِمۡۖ﴾، وذلك حين وقوع الاصطفاء.

١٨١ - قال ابن عباس: لما رأىٰ الكوكب والقمر والشمس، قال له ربه: أسلم، أي: أخلص.

قوله تعالى: ﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ﴾ وهاء «بها» تعود علىٰ الملّة، قاله عكرمة.

١٨٢ - قال مقاتل: وبنوه أربعة: إسماعيل، وإسحاق، ومدين، ومدائن.

وذكر غير مقاتل أنهم ثمانية.

قوله تعالى: ﴿فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾، يريد: الزموا الإسلام، فاذا أدرككم الموت صادفكم عليه.

قال ﷻ: ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٣٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ﴾.

سبب نزولها: أن اليهود قالوا للنبيّ ﷺ: ألست تعلم أن يعقوب أوصىٰ بنيه يوم مات باليهودية؟ فنزلت هذه الآية، قاله مقاتل.

قوله تعالى: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ﴾، أي: مضت، يشير إلىٰ إبراهيم وبنيه، ويعقوب وبنيه.

١٨٣ - وقال أَبُو الْعَالِيَةِ، وَالرَّبِيعُ، وَقَتَادَةُ: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ﴾ يَعْنِي: إِبْرَاهِيمَ،

وَإِسْمَاعِيلَ، وَإِسْحَاقَ، وَيَعْقُوبَ، وَالْأَسْبَاطِ.

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ﴾ أَيْ: مَضَتْ ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ﴾ أَيْ: إِنَّ السَّلَفَ الْمَاضِينَ مِنْ آبَائِكُمْ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ وَالصَالِحِينَ لَا يَنْفَعُكُمُ انْتِسَابُكُمْ إِلَيْهِمْ إِذَا لَمْ تَفْعَلُوا خيرًا يعود نفعهُ عَلَيْكُمْ، فَإِنَّ لَهُمْ أَعْمَالَهُمُ التِي عَمِلُوهَا ولكم أعمالكم: ﴿وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٣٤﴾﴾ [سورة البقرة].

قال ﷻ: ﴿وَقَالُوا۟ كُونُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ تَهْتَدُوا۟ ۗ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٣٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ كُونُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ﴾

معناه: قالت اليهود: كونوا هوداً، وقالت النصارىٰ: كونوا نصارىٰ، تهتدوا. ﴿بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ حَنِيفًا ۖ﴾، المعنىٰ: بل نتبع ملة إبراهيم في حال حنيفيته

١٨٤ - قال مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي مُحَمَّدٍ، حَدَّثَنِي سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ أَوْ عِكْرِمَةُ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: قَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ صُوريا الأعورُ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ: مَا الْهُدَىٰ إِلَّا مَا نَحْنُ عَلَيْهِ، فَاتَّبِعْنَا يَا مُحَمَّدُ تَهْتَدِ. وَقَالَتِ النَّصَارَىٰ مِثْلَ ذَلِكَ. فَأَنْزَلَ اللهُ ﷻ: ﴿وَقَالُوا۟ كُونُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ تَهْتَدُوا۟﴾

وفي الحنيف أنه المستقيم، ومنه قيل للأعرج: حنيف، نظراً له إلىٰ السلامة

وقد وصف المفسرون الحنيف بأوصاف،

١٨٥ - فقال **عطاء**: هو المخلص

١٨٦ - وقال غيرهما: هو الذي يوحّد ويحج، ويضحي ويختتن، ويستقبل الكعبة.

١٨٧ - وقال أَبُو قِلَابَةَ: الْحَنِيفُ الذِي يُؤْمِنُ بِالرُّسُلِ كُلِّهِمْ مِنْ أَوَّلِهِمْ إِلَىٰ آخِرِهِمْ. وَقَالَ قَتَادَةُ: الْحَنِيفِيَّةُ: شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ. يَدْخُلُ فِيهَا تحريمُ الْأُمَّهَاتِ وَالْبَنَاتِ وَالْخَالَاتِ وَالْعَمَّاتِ وَمَا حَرَّمَ اللهُ، ﷻ والختانُ.

فأمّا الأسباط: فهم بنو يعقوب، وكانوا اثني عشر رجلاً.

قال ﷻ: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ١٣٦﴾

١٨٨ - وقال قَتَادَةُ: أَمَرَ اللهُ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يُؤْمِنُوا بِهِ، ويصدقُوا بِكُتُبِهِ كُلِّهَا وَبِرُسُلِهِ.

١٨٩ - وقال سُلَيْمَانُ بْنُ حَبِيبٍ: إِنَّمَا أُمِرْنَا أَنْ نُؤْمِنَ بِالتَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ، وَلَا نَعْمَلُ بِمَا فِيهِمَا.

قال ﷻ: ﴿فَإِنۡ ءَامَنُواْ بِمِثۡلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهۡتَدَواْۖ وَّإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا هُمۡ فِي شِقَاقٖۖ فَسَيَكۡفِيكَهُمُ ٱللَّهُۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ١٣٧﴾

قوله تعالى: ﴿فَإِنۡ ءَامَنُواْ﴾، يعني: أهل الكتاب.

وفي قوله تعالى: ﴿بِمِثۡلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ﴾ ثلاثة أقوال:

أحدها: أن معناه: مثل إيمانكم، فزيدت الباء للتوكيد، قاله ابن الأنباري.

والثاني: أن المراد بالمثل هاهنا: الكتاب، وتقديره: فان آمنوا بكتابكم كما آمنتم

بكتابهم، قاله أبو معاذ النحوي.

والثالث: أن المثل هاهنا: صلة، والمعنىٰ: فان آمنوا بما آمنتم به.

فأما الشقاق فهو المشاقة والعداوة، ومنه قولهم: فلان قد شق عصا المسلمين، يريدون: فارق ما اجتمعوا عليه من اتباع إمامهم، فكأنه صار في شق غير شقهم.

قوله تعالى: ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ﴾، هذا ضمان لنصر النبيّ ﷺ.

قال ﷻ: ﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ ﴿١٣٨﴾ قُلْ أَتُحَآجُّونَنَا فِى ٱللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُخْلِصُونَ ﴿١٣٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ﴾

سبب نزولها: أن النصارىٰ كانوا إذا ولد لأحدهم ولد، فأتىٰ عليه سبعة أيام، صبغوه في ماء لهم، يقال له: المعمودية، ليطهروه بذلك، ويقولون: هذا طهور مكان الختان، فاذا فعلوا ذلك قالوا: صار نصرانيـًا حقـًا، فنزلت هذه الآية، قاله ابن عباس.

١٩٠ - قال ابن مسعود وابن عباس، وأبو العالية، ومجاهد، والنخعي، وابن زيد: ﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ﴾: دينه.

فقال الله تعالىٰ: ﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ﴾، أي: الزموا صبغة الله، لا صبغة النصارىٰ أولادهم، وأراد بها ملة إبراهيم.

قوله تعالى: ﴿قُلۡ أَتُحَآجُّونَنَا فِي ٱللَّهِ﴾،

١٩١ - **قال ابن عباس:** يريد: يهود المدينة، ونصارىٰ نجران.

والمحاجة: المخاصمة في الدين، فان اليهود قالت: نحن أهل الكتاب الأول. وقيل: ظاهرت اليهود عبدة الأوثان، فقيل لهم: تزعمون أنكم موحدون، ونحن نوحد، فلم ظاهرتم من لا يوحد؟!

قال ﷻ: ﴿أَمۡ تَقُولُونَ إِنَّ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطَ كَانُواْ هُودًا أَوۡ نَصَٰرَىٰۗ قُلۡ ءَأَنتُمۡ أَعۡلَمُ أَمِ ٱللَّهُۗ وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ١٤٠ تِلۡكَ أُمَّةٞ قَدۡ خَلَتۡۖ لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَلَكُم مَّا كَسَبۡتُمۡۖ وَلَا تُسۡـَٔلُونَ عَمَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٤١﴾

قوله تعالى: ﴿أَمۡ تَقُولُونَ إِنَّ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ﴾ ... **الآية.**

سبب نزولها: أن يهود المدينة، ونصارىٰ نجران قالوا للمؤمنين: إن أنبياءَ الله كانوا منا من بني إسرائيل، وكانوا علىٰ ديننا، فنزلت هذه الآية، قاله مقاتل.

وفي الشهادة التي كتموها قولان:

أحدهما: أن الله تعالىٰ شهد عندهم بشهادة لإبراهيم ومن ذكر معه أنهم كانوا مسلمين، فكتموها، قاله الحسن، وزيد بن أسلم.

والثاني: أنهم كتموا الإسلام وأمر محمد وهم يعلمون أنه نبيّ ودينه الإسلام، قاله أبو العالية، وقتادة.

لطائف عقدية:

- تحقيق معنى الحنيفية

١٩٢ - **قال الطبري في تفسيره:** الحنيف" عندي، هو الاستقامة علىٰ دين إبراهيم، واتباعه علىٰ ملته وذلك أن الحنيفية لو كانت حج البيت، لوجب أن يكون الذين كانوا يحجونه في الجاهلية من أهل الشرك كانوا حنفاء. وقد نفىٰ الله أن يكون ذلك تحنفا بقوله: ﴿وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسۡلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٦٧﴾ [سورة آل عمران:٦٧] فكذلك القول في الختان. لأن"الحنيفية" لو كانت هي الختان، لوجب أن يكون اليهود حُنفاء. وقد أخرجهم الله من ذلك بقوله: ﴿مَا كَانَ إِبۡرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصۡرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسۡلِمًا﴾ [سورة آل عمران:٦٧]. فقد صحّ إذًا أن"الحنيفية" ليست الختانَ وحدَه، ولا حجَّ البيت وحده، ولكنه هو ما وصفنا: من الاستقامة علىٰ ملة إبراهيم، واتباعه عليها، والائتمام به فيها.

فإن قال قائل: أوَ ما كان مَنْ كان من قبل إبراهيم ﷺ، من الأنبياء وأتباعهم، مستقيمين علىٰ ما أمروا به من طاعة الله استقامةَ إبراهيم وأتباعه؟

قيل: بَلىٰ.

فإن قال: فكيف أضيف"الحنيفية" إلىٰ إبراهيم وأتباعه علىٰ ملته خاصة، دون سائر الأنبياء قبله وأتباعهم؟

قيل: إنّ كل من كان قبل إبراهيم من الأنبياء كان حنيفًا متّبعًا طاعة الله، ولكن الله تعالىٰ ذكره لم يجعل أحدًا منهم إمامًا لمن بعده من عباده إلىٰ قيام الساعة، كالذي فعل

من ذلك بإبراهيم، فجعله إمامًا فيما بيّنه من مناسك الحج والختان، وغير ذلك من شرائع الإسلام، تعبُّدًا به أبدًا إلىٰ قيام الساعة. وجعل ما سنّ من ذلك عَلَمًا مميّزًا بين مؤمني عباده وكفارهم، والمطيعِ منهم له والعاصي. فسمِّي الحنيفُ من الناس "حنيفًا" باتباعه ملته، واستقامته علىٰ هديه ومنهاجه، وسُمِّي الضالُّ من ملته بسائر أسماء الملل، فقيل: "يهودي، ونصرانيّ، ومجوسيّ"، وغير ذلك من صنوف الملل.

وأما قوله: ﴿وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٦٧﴾ [سورة آل عمران:٦٧]، **يقول:** إنه لم يكن ممن يدين بعبادة الأوثان والأصنام، ولا كان من اليهود ولا من النصارىٰ، بل كان حنيفًا مسلمًا.

- وجوب آثار الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ

لقول الله تعالىٰ: ﴿فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟﴾ [سورة البقرة:١٣٧]. فالتشبيه إنما وقع بين التصديقين والإقرارين اللذين هما إيمان هؤلاء وإيمان هؤلاء من صفة الإيمان بالله تعالىٰ ونحوه.

١٩٣ - قال ابن ماجه في سننه: حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ، حَدَّثَنَا وَكِيعٌ، حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ نَجِيحٍ -وَكَانَ ثِقَةً- عَنْ أَبِي عِمْرَانَ الْجَوْنِيِّ عَنْ جُنْدُبِ بْنِ عَبْدِ اللهِ، قَالَ: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَنَحْنُ فِتْيَانٌ حَزَاوِرَةٌ، فَتَعَلَّمْنَا الْإِيمَانَ قَبْلَ أَنْ نَتَعَلَّمَ الْقُرْآنَ، ثُمَّ تَعَلَّمْنَا الْقُرْآنَ، فَازْدَدْنَا بِهِ إِيمَانًا.

قال ﷻ: ﴿سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِي كَانُوا۟ عَلَيْهَا ۚ قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٤٢﴾﴾

قوله تعالى ﴿سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ **فيهم ثلاثة أقوال:**

أحدها: أنهم اليهود، قاله البراء بن عازب، ومجاهد، وسعيد بن جبير.

والثاني: أنهم أهل مكة، رواه أبو صالح عن ابن عباس.

والثالث: أنهم المنافقون، ذكره السدي عن ابن مسعود، وابن عباس.

وقد يمكن أن يكون الكل قالوا ذلك، والآية نزلت بعد تحويل القبلة.

والسفهاء: الجهلة.

ما ولاهم، أي: صرفهم عن قبلتهم، يريد: قبلة المقدس.

١٩٤ - قال الْبُخَارِيُّ: حَدَّثَنَا أَبُو نُعَيم، سَمِعَ زُهَيراً، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، عَنِ الْبَرَاءِ، رضي الله عنه؛ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ صَلَّىٰ إِلَىٰ بَيْتِ الْمَقْدِسِ ستَّة عَشَرَ شَهْرًا أَوْ سَبْعَةَ عَشَرَ شَهْرًا، وَكَانَ يُعْجِبُهُ أَنْ تَكُونَ قِبْلَتُهُ قِبَلَ الْبَيْتِ، وَأَنَّهُ صَلَّىٰ أَوَّلَ صَلَاةٍ صَلاهَا، صَلَاةَ الْعَصْرِ، وَصَلَّىٰ مَعَهُ قَوْمٌ. فَخَرَجَ رَجُلٌ مِمَّنْ كَانَ صَلَّىٰ مَعَهُ، فَمَرَّ عَلَىٰ أَهْلِ الْمَسْجِدِ وَهُمْ رَاكِعُونَ، فَقَالَ: أَشْهَدُ بِاللهِ لَقَدْ صليتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ قبَل مَكَّةَ، فداروُا كَمَا هُمْ قِبَلَ الْبَيْتِ. وَكَانَ الذِي مَاتَ عَلَىٰ الْقِبْلَةِ قَبْلَ أَنْ تُحَوّل قِبَلَ الْبَيْتِ رِجالًا قُتِلُوا لَمْ نَدْرِ مَا نَقُولُ فِيهِمْ، فَأَنْزَلَ اللهُ ﷻ ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٣﴾﴾ [سورة البقرة:١٤٣]. وَقَدْ جَاءَ فِي هَذَا الْبَابِ أحاديثُ كَثِيرَةٌ، وحاصلُ الْأَمْرِ أَنَّهُ قَدْ

كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أمِرَ بِاسْتِقْبَالِ الصَّخْرَةِ مِنْ بَيْتِ الْمَقْدِسِ، فَكَانَ بِمَكَّةَ يُصَلِّي بَيْنَ الرُّكْنَيْنِ، فتكُونُ بَيْنَ يَدَيْهِ الْكَعْبَةُ وَهُوَ مُسْتَقْبَلٌ صَخْرَةَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ، فَلَمَّا هَاجَرَ إِلَىٰ الْمَدِينَةِ تَعَذَّر الجمعُ بَيْنَهُمَا، فَأَمَرَهُ اللهُ بِالتَّوَجُّهِ إِلَىٰ بَيْتِ الْمَقْدِسِ، قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ وَالْجُمْهُورُ.

واختلف العلماء في مدّة صلاة النبيّ ﷺ إلى بيت المقدس، بعد قدومه المدينة على ستة أقوال:

أحدها: أنه ستة عشر شهراً، أو سبعة عشر، قاله البراء بن عازب.

والثاني: سبعة عشر شهراً، قاله ابن عباس.

والثالث: ثلاثة عشر شهراً، قاله معاذ بن جبل.

والرابع: تسعة أشهر، قاله أنس بن مالك.

والخامس: ستة عشر شهراً.

والسادس: ثمانية عشر شهراً، روي القولان عن قتادة.

وهل كان استقباله بيت المقدس برأيه، أو عن وحي؟ فيه قولان:

أحدهما: أنه كان بأمر الله تعالىٰ ووحيه، قاله ابن عباس، وابن جريج

والثاني: أنه كان باجتهاده ورأيه، قاله الحسن وأبو العالية، وعكرمة، والربيع.

١٩٥ - **وقال قتادة**: كان الناس يتوجهون إلىٰ أي جهة شاؤوا، بقوله: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ﴾ [سورة البقرة:١١٥]. ثم أمرهم باستقبال بيت المقدس.

قال ﷻ: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۝١٤٣﴾

قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾.

سبب نزولها:

أن اليهود قالوا: قبلتنا قبلة الأنبياء، ونحن عدلٌ بين الناس، فنزلت هذه الآية، قاله مقاتل.

والأمة: الجماعة.

والوسط: العدل، قاله ابن عباس، وأبو سعيد، ومجاهد، وقتادة

قوله تعالى: ﴿لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ أن معناه: لتشهدوا للأنبياء علىٰ أممهم.

١٩٦ - وقال الْإِمَامُ أَحْمَدُ: حَدَّثَنَا وَكِيع، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: يُدْعَىٰ نُوحٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُقَالُ لَهُ: هَلْ بلَّغت؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ. فَيُدْعَىٰ قَوْمُهُ فَيُقَالُ لَهُمْ: هَلْ بَلَّغَكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: مَا أَتَانَا مِنْ نَذِيرٍ وَمَا أَتَانَا مِنْ أَحَدٍ، فَيُقَالُ لِنُوحٍ: مَنْ يَشْهَدُ لَكَ؟ فَيَقُولُ: مُحَمَّدٌ وَأُمَّتُهُ" قَالَ: فَذَلِك قَوْلُهُ: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾.

١٩٧ - وقال الْإِمَامُ أَحْمَدُ أَيْضًا: حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ، حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ أَبِي سَعِيدِ الْخُدْرِيِّ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَكَذَٰلِكَ

جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا﴾. قَالَ: عَدْلًا.

قوله تعالى: ﴿وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗا﴾، يعني: محمّدا ﷺ.

وبماذا يشهد عليهم؟ فيه ثلاثة أقوال:

أحدها: بأعمالهم، قاله ابن عباس، وأبو سعيد الخدري، وابن زيد.

والثاني: بتبليغهم الرسالة، قاله قتادة، ومقاتل.

والثالث: بإيمانهم، قاله أبو العالية.

فيكون علىٰ هذا «عليكم» بمعنىٰ: لكم.

١٩٨ - **قال عكرمة:** لا يسأل عن هذه الأمة إلا نبيها.

قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلۡنَا ٱلۡقِبۡلَةَ ٱلَّتِي كُنتَ عَلَيۡهَآ﴾، يريد: قبلة بيت المقدس.

إِلَّا لِنَعْلَمَ فيه أقوال:

أحدها: لنرىٰ.

والثاني: لنميز.

- رُويا عن ابن عباس.

قوله تعالى: ﴿مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيۡهِ﴾، أي: يرجع إِلىٰ الكفر، قاله ابن زيد، ومقاتل.

قوله تعالى: ﴿وَإِن كَانَتۡ لَكَبِيرَةً﴾، **في المشار إليها قولان:**

أحدهما: أنه التولية إلىٰ الكعبة، قاله ابن عباس، ومجاهد، وقتادة، ومقاتل.

والثاني: أنها قبلة بيت المقدس قبل التحول عنها، قاله أبو العالية، والزجاج.

قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْۚ﴾، **نزل على سبب**:

وهو أن المسلمين قالوا: يا رسول الله، أرأيت إخواننا الذين ماتوا وهم يصلون إلىٰ بيت المقدس؟ فأنزل الله: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْۚ﴾ والإيمان المذكور هاهنا أريد به: الصلاة في قول الجماعة

١٩٩ - وفي الصَّحِيحِ مِنْ حَدِيثِ أَبِي إِسْحَاقَ السَّبِيعي، عَنِ الْبَرَاءِ، قَالَ: مَاتَ قَوْمٌ كَانُوا يُصَلُّونَ نَحْوَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ فَقَالَ النَّاسُ: مَا حَالُهُمْ فِي ذَلِكَ؟ فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْۚ﴾.

قال ﷻ: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَاۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ١٤٤﴾

قوله تعالى: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ﴾

سبب نزولها: أن النبيّ ﷺ كان يحب أن يوجه إلىٰ الكعبة، قاله البراء، وابن عباس، وابن المسيب، وأبو العالية، وقتادة.

وذكر بعض المفسرين أن هذه الآية مقدمة في النزول علىٰ قوله تعالىٰ: ﴿سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ [سورة البقرة:١٤٢].

واختلفوا في سبب اختيار النبيّ ﷺ الكعبة على بيت المقدس على قولين:

أحدهما: لأنّها كانت قبلة إبراهيم، روي عن ابن عباس.

والثاني: لمخالفة اليهود، قاله مجاهد.

ومعنى تقلب وجهه: نظره إليها يمينًا وشمالاً.

و (**فِي**) **بمعنى**: إلىٰ.

وتَرْضاها بمعنى: تحبها.

و (**الشطر**): النحو من غير خلاف.

٢٠٠ - **قال ابن عمر**: أتىٰ الناس آت وهم في صلاة الصبح بقباء، فقال: إن رسول الله ﷺ قد أُنزل عليه الليلة قرآن، وأمر أن يستقبل الكعبة، ألا فاستقبلوها، وكانت وجوههم إلىٰ الشام، فاستداروا وهم في صلاتهم.

فصل: اختلف العلماء أي وقت حولت القبلة؟ على ثلاثة أقوال:

أحدها: أنها حولت في صلاة الظهر يوم الاثنين للنصف من رجب علىٰ رأس سبعة عشر شهراً من مقدم رسول الله ﷺ المدينة، قاله البراء بن عازب، ومعقل بن يسار.

والثاني: أنها حولت يوم الثلاثاء للنصف من شعبان علىٰ رأس ثمانية عشر شهراً من مقدمه المدينة، قاله قتادة.

والثالث: جمادىٰ الآخرة، حكاه ابن سلامة المفسر عن إبراهيم الحربي.

وفي ﴿ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ﴾ اليهود، قاله مقاتل.

قوله تعالى: ﴿لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾ يشير إلىٰ ما أُمر به من التوجه إلىٰ الكعبة، ثم توعدهم بباقي الآية علىٰ كتمانهم ما علموا.

ومن أين علموا أنه الحق؟ فيه أربعة أقوال:

أحدها: أن في كتابهم الأمر بالتوجه إليها، قاله أبو العالية.

والثاني: يعلمون أن المسجد الحرام قبلة إبراهيم.

والثالث: أن في كتابهم أن محمداً رسول صادق، فلا يأمر إلا بحق.

والرابع: أنهم يعلمون جواز النّسخ.

قال ﷻ: ﴿وَلَئِنْ أَتَيْتَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٍ مَّا تَبِعُوا۟ قِبْلَتَكَ ۚ وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ ۚ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ ۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٤٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَئِنْ أَتَيْتَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٍ﴾ **سبب نزولها**: أن يهود المدينة ونصارىٰ نجران قالوا للنبيّ ﷺ: ائتنا بآية كما أتىٰ الأنبياء قبلك، فنزلت هذه الآية، قاله مقاتل.

قوله تعالى: ﴿مَّا تَبِعُوا۟ قِبْلَتَكَ ۚ﴾، يريد: الكعبة ﴿وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ ۚ﴾ لأن اليهود يصلون قبل المغرب إلىٰ بيت المقدس، والنصارىٰ قبل المشرق ﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم﴾ فصليت إلىٰ قبلتهم ﴿مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ﴾،

٢٠١ - **قال مقاتل**: يريد بالعلم: البيان.

قال ﷻ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَعۡرِفُونَهُۥ كَمَا يَعۡرِفُونَ أَبۡنَآءَهُمۡۖ وَإِنَّ فَرِيقٗا مِّنۡهُمۡ لَيَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ١٤٦﴾

قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَعۡرِفُونَهُۥ﴾. في هاء «يعرفونه» قولان:

أحدهما: أنها تعود علىٰ النبيّ ﷺ، قاله ابن عباس.

والثاني: تعود علىٰ صرفه إلىٰ الكعبة، قاله أبو العالية، وقتادة، والسدي، ومقاتل. وروي عن ابن عباس أيضاً.

وفي الحق الذي كتموه قولان:

أحدهما: أنه النبي ﷺ، قاله مجاهد.

والثاني: أنه التوجه إلىٰ الكعبة، قاله السدي، ومقاتل في آخرين.

وفي قوله تعالى ﴿وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ﴾ **قولان:**

أحدهما: وهم يعلمون أنه حق.

والثاني: وهم يعلمون ما علىٰ مخالفته من العقاب

قال ﷻ: ﴿ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُمۡتَرِينَ ١٤٧﴾

قوله تعالى: ﴿ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ﴾. أي: هذا الحق من ربك. والممترون: الشاكُّون، والخطاب عامّ.

قال ﷻ: ﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا ۖ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ ۚ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٤٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ﴾، أي: لكل أهل دين وجهة.

المراد بالوجهة: القبلة، قاله ابن عباس في آخرين. يقال: جهة، ووجهة

٢٠٢ - قال الْعَوْفِيُّ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: ﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا﴾ يَعْنِي بِذَلِكَ: أَهْلَ الْأَدْيَانِ، يَقُولُ: لِكُلٍّ قِبْلَةٌ يَرْضَوْنَهَا، وَوِجْهَةُ اللهِ حَيْثُ تَوَجَّهَ الْمُؤْمِنُونَ. وَقَالَ أَبُو الْعَالِيَةِ: لِلْيَهُودِيِّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا، وَلِلنَّصْرَانِيِّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا، وهداكم أَنْتُمْ أَيَّتُهَا الْأُمَّةُ (الْمُوقِنُونَ) لِلْقِبْلَةِ التِي هِيَ الْقِبْلَةُ. وَرُوِيَ عَنْ مُجَاهِدٍ، وَعَطَاءٍ، وَالضَّحَّاكِ، وَالرَّبِيعِ بْنِ أَنَسٍ، وَالسُّدِّيِّ نَحْوَ هَذَا.

٢٠٣ - وقال مُجَاهِدٌ فِي الرِّوَايَةِ الْأُخْرَىٰ: وَلَكِنْ أَمَرَ كلَّ قَوْمٍ أَنْ يُصَلُّوا إِلَى الْكَعْبَةِ وَهَذِهِ الْآيَةُ شَبِيهَةٌ بِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ ۖ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ ۚ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا﴾ [سورة المائدة:٤٨].

وفي «هو» ثلاثة أقوال:

أحدها: أنها ترجع إلىٰ الله تعالىٰ، فالمعنىٰ: الله مولّيها إياهم، أي: أمرهم بالتوجه إليها.

والثاني: ترجع إلىٰ المتولي، فالمعنىٰ: هو موليها نفسه، فيكون «هو» ضمير كل.

والثالث: يرجع إلىٰ البيت، قاله مجاهد: أمر كل قوم أن يصلُّوا إلىٰ الكعبة

قوله تعالى: ﴿فَٱسۡتَبِقُواْ ٱلۡخَيۡرَٰتِۚ﴾، أي: بادروها.

٢٠٤ - **وقال قتادة**: لا تغلبوا علىٰ قبلتكم.

قوله تعالى ﴿أَيۡنَ مَا تَكُونُواْ يَأۡتِ بِكُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًاۚ﴾،

٢٠٥ - **قال ابن عباس وغيره**: هذا في يوم القيامة.

٢٠٦ - **وقال هَاهُنَا**: ﴿أَيۡنَ مَا تَكُونُواْ يَأۡتِ بِكُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ١٤٨﴾ [سورة البقرة:١٤٨] **هُوَ قَادِرٌ عَلَىٰ جَمْعِكُمْ مِنَ الْأَرْضِ، وَإِنْ تَفَرَّقَتْ أَجْسَادُكُمْ وَأَبْدَانُكُمْ.**

قال ﷻ: ﴿وَمِنۡ حَيۡثُ خَرَجۡتَ فَوَلِّ وَجۡهَكَ شَطۡرَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِۖ وَإِنَّهُۥ لَلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ١٤٩ وَمِنۡ حَيۡثُ خَرَجۡتَ فَوَلِّ وَجۡهَكَ شَطۡرَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِۚ وَحَيۡثُ مَا كُنتُمۡ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ شَطۡرَهُۥ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيۡكُمۡ حُجَّةٌ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡ فَلَا تَخۡشَوۡهُمۡ وَٱخۡشَوۡنِي وَلِأُتِمَّ نِعۡمَتِي عَلَيۡكُمۡ وَلَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ١٥٠﴾

قوله تعالى: ﴿وَمِنۡ حَيۡثُ خَرَجۡتَ فَوَلِّ وَجۡهَكَ شَطۡرَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِۖ﴾، فانه تكرير تأكيد، ليحسم طمع أهل الكتاب في رجوع المسلمين أبداً إلىٰ قبلتهم.

قوله تعالى: ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ﴾، في «**الناس**» **قولان**:

أحدهما: أنهم أهل الكتاب، قاله ابن عباس، وأبو العالية، وقتادة، ومقاتل.

والثاني: مشركو العرب، رواه السدي عن أشياخه.

فمن قال بالأول قال: احتجاج أهل الكتاب أنهم قالوا للنبيّ ﷺ: ما لك تركت

قبلة بيت المقدس؟! إن كانت ضلالة فقد دنت الله بها، وإن كانت هدىً، فقد نقلت عنها. وقال قتادة: قالوا: اشتاق الرجل إلىٰ بيت أبيه ودين قومه.

ومن قال بالثاني قال: احتجاج المشركين أنهم قالوا: قد رجع إلىٰ قبلتكم، ويوشك أن يعود إلىٰ دينكم.

وتسمية باطلهم حجة علىٰ وجه الحكاية عن المحتج به، كقوله تعالىٰ: ﴿حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ [سورة الشورى:١٦] وقوله: ﴿فَرِحُوا بِمَا عِندَهُم مِّنَ الْعِلْمِ﴾ [سورة غافر:٨٣].

قوله تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾

٢٠٧ - **قال ابن عباس:** ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ﴾ في انصرافكم إلىٰ الكعبة ﴿وَاخْشَوْنِي﴾ في تركها.

وَقَالُوا: اشْتَاقَ الرَّجُلُ إِلَىٰ بَيْتِ أَبِيهِ وَدِينِ قَوْمِهِ. وَكَانَ حُجَّتُهُمْ عَلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ انْصِرَافَهُ إِلَىٰ الْبَيْتِ الْحَرَامِ أَنْ قَالُوا: سَيَرْجِعُ إِلَىٰ دِينِنَا كَمَا رَجَعَ إِلَىٰ قِبْلَتِنَا.

٢٠٨ - **قال ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ: وَرُوِيَ عَنْ مُجَاهِدٍ، وَعَطَاءٍ، وَالضَّحَّاكِ، وَالرَّبِيعِ بْنِ أَنَسٍ، وَقَتَادَةَ، وَالسُّدِّيِّ، نَحْوَ هَذَا.**

وَقَوْلُهُ: ﴿وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ﴾ عَطْفٌ عَلَىٰ ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ﴾ أَيْ: وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ فِيمَا شَرَعْتُ لَكُمْ مِنَ اسْتِقْبَالِ الْكَعْبَةِ، لِتَكْمُلَ لَكُمُ الشَّرِيعَةُ مِنْ جَمِيعِ وُجُوهِهَا ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ أَيْ: إِلَىٰ مَا ضَلّت عَنْهُ الْأُمَمُ هَدَيْنَاكُمْ إِلَيْهِ، وخَصصْناكم بِهِ، وَلِهَذَا كَانَتْ هَذِهِ الْأُمَّةُ أشرفَ الْأُمَمِ وَأَفْضَلَهَا.

٢٠٩ - **روى مسلم في الصحيح من حديث أبي هريرة وحذيفة رضي الله عنهما قالا:** قال

رسول الله - ﷺ -: "أضلَّ الله ﷻ عن الجمعة من كان قبلنا؛ فكان لليهود يوم السبت، وكان للنصارىٰ يوم الأحد، فجاء الله بنا فهدانا الله ليوم الجمعة، فجعل الجمعة والسبت، والأحد، وكذلك هم تبع لنا يوم القيامة، نحن الآخرون من أهل الدنيا، والأولون يوم القيامة، المقضيُّ لهم قبل الخلائق".

قال ﷻ: ﴿كَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِيكُمۡ رَسُولٗا مِّنكُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمۡ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمۡ تَكُونُواْ تَعۡلَمُونَ ١٥١﴾

قوله تعالى: ﴿كَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِيكُمۡ رَسُولٗا مِّنكُمۡ﴾، معلقة بقوله: ﴿فَٱذۡكُرُونِيٓ﴾،

٢١٠ - وقد روي معناه عن عليّ، وابن عباس، ومجاهد، ومقاتل.

والآية خطاب لمشركي العرب.

والكتاب: القرآن.

والحكمة: السّنّة.

قال ﷻ: ﴿فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِي وَلَا تَكۡفُرُونِ ١٥٢﴾

قوله تعالى: ﴿فَٱذۡكُرُونِيٓ﴾.

٢١١ - قال ابن عباس، وابن جبير: اذكروني بطاعتي أذكرْكم بمغفرتي.

٢١٢ - وقال الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ، وَأَبُو الْعَالِيَةِ، وَالسُّدِّيُّ، وَالرَّبِيعُ بْنُ أَنَسٍ: إِنَّ اللهَ يَذْكُرُ مَنْ ذَكَرَهُ، وَيَزِيدُ مَنْ شَكَرَهُ وَيُعَذِّبُ مَنْ كَفَرَهُ.

قال ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٥٣﴾

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ﴾

سبب نزولها: أن المشركين قالوا: سيرجع محمد إلىٰ ديننا، كما رجع إلىٰ قبلتنا، فنزلت هذه الآية، قاله قتادة. وقال ابن عباس: استعينوا علىٰ طلب الآخرة بالصبر علىٰ أداء الفرائض، وبالصّلاة.

قال ﷻ: ﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتُۢۚ بَلْ أَحْيَآءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ ١٥٤﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتُۢۚ﴾

سبب نزولها: أنهم كانوا يقولون لقتلىٰ بدر وأُحد: مات فلان ببدر، مات فلان بأحد، فنزلت هذه الآية قاله ابن عباس

٢١٣ - **كما جَاءَ فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ: "إِنَّ أَرْوَاحَ الشُّهَدَاءِ فِي حَوَاصِلِ طَيْرٍ خُضْرٍ تَسْرَحُ فِي الْجَنَّةِ حَيْثُ شَاءَتْ ثُمَّ تَأْوِي إِلَىٰ قَنَادِيلَ مُعَلَّقة تَحْتَ الْعَرْشِ، فاطَّلع عَلَيْهِمْ رَبُّكَ اطِّلاعَة فَقَالَ: مَاذَا تَبْغُونَ؟ فَقَالُوا: يَا رَبَّنَا، وَأَيُّ شَيْءٍ نَبْغِي، وَقَدْ أَعْطَيْتَنَا مَا لَمْ تُعْطِ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ؟ ثُمَّ عَادَ إِلَيْهِمْ بِمِثْلِ هَذَا، فَلَمَّا رَأَوْا أَنَّهُمْ لَا يُتْرَكُون مِنْ أَنْ يَسْأَلُوا، قَالُوا: نُرِيدُ أَنْ تَرُدَّنَا إِلَى الدَّارِ الدُّنْيَا، فَنُقَاتِلَ فِي سَبِيلِكَ، حَتَّىٰ نُقْتَلَ فِيكَ مَرَّةً أُخْرَىٰ؛ لِمَا يَرَوْنَ مِنْ ثَوَابِ الشَّهَادَةِ -فَيَقُولُ الرَّبُّ ﷻ: إِنِّي كتبتُ أَنَّهم إِلَيْهَا لَا يَرْجِعُونَ.**

قال ﷻ: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾﴾

قوله تعالى ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ﴾ **وفيمن أُريد بهذه الآية أربعة أقوال:**

أحدها: أنهم أصحاب النبي خاصة، قاله عطاء.

والثاني: أنهم أهل مكة.

والثالث: أن هذا يكون في آخر الزمان. قال كعب: يأتي علىٰ الناس زمان لا تحمل النخلة إلا تمرة.

والرابع: أن الآية علىٰ عمومها.

فأما الخوف:

٢١٤ - فقال **ابن عباس**: وهو الفزع في القتال.

والجوع: المجاعة التي أصابت أهل مكة سبع سنين.

ونقص من الأموال: ذهاب أموالهم، والأنفس بالموت والقتل الذي نزل بهم، والثمرات لم تخرج كما كانت تخرج.

﴿قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ﴾: يريدون: نحن عبيده يفعل بنا ما يشاء، ﴿وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾، يريدون: نحن مقرّون بالبعث والجزاء علىٰ أعمالنا، والثواب علىٰ صبرنا.

٢١٥ - قال **سعيد بن جبير**: لقد أُعطيتْ هذه الأمة عند المصيبة شيئًا لم يعطه

الأنبياء قبلهم ﴿ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ١٥٦ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ﴾ ولو أعطيها الأنبياء لأعطيها يعقوب، إذ يقول: ﴿يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ﴾ [سورة يوسف:٨٤].

قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ﴾ قال سعيد بن جبير: الصلوات من الله: المغفرة، ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ﴾ بالاسترجاع.

٢١٦ - **وقال عمر بن الخطاب:** نعم العدلان، ونعمت العلاوة: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ ١٥٧﴾

قال ﷻ: ﴿۞إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلۡمَرۡوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِۖ فَمَنۡ حَجَّ ٱلۡبَيۡتَ أَوِ ٱعۡتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَاۚ وَمَن تَطَوَّعَ خَيۡرٗا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ١٥٨ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلۡهُدَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أُوْلَٰٓئِكَ يَلۡعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلۡعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ١٥٩﴾

قوله تعالى ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلۡمَرۡوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِۖ﴾ في سبب نزولها ثلاثة أقوال:

أحدها: أن رجالاً من الأنصار ممن كان يهلُّ لمناة في الجاهلية- ومناة: صنم كان بين مكة والمدينة- قالوا: يا رسول الله! إنا كنا لا نطَّوف بين الصفا والمروة تعظيماً لمناة، فهل علينا من حرج أن نطوف بهما؟ فنزلت هذه الآية. رواه عروة عن عائشة.

والثاني: أن المسلمين كانوا لا يطوفون بين الصفا والمروة، لأنه كان على الصفا تماثيل وأصنام فنزلت هذه الآية. رواه عكرمة عن ابن عباس

٢١٧ - **وقال الشعبي:** كان وثن على الصفا يدعىٰ: إساف، ووثن على المروة يدعىٰ: نائلة، وكان أهل الجاهلية يسعون بينهما ويمسحونهما، فلما جاء الإسلام كفوا عن السعي بينهما، فنزلت هذه الآية.

والثالث: أنّ الصحابة قالت للنبيّ ﷺ: إنا كنا نطوف في الجاهلية بين الصفا والمروة، وإن الله تعالىٰ ذكر الطواف بالبيت، ولم يذكره بين الصفا والمروة، فهل علينا من حرج أن لا نطَّوَّف بهما، فنزلت هذه الآية. رواه الزهري، عن أبي بكر بن عبد الرحمن عن جماعة من أهل العلم.

٢١٨ - **قال الْإِمَامُ أَحْمَدُ:** حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ دَاوُدَ الْهَاشِمِيُّ، أَخْبَرَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ سَعْدٍ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ عُرْوَةَ، عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: قُلْتُ: أَرَأَيْتِ قَوْلَ الله تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾ قُلْتُ: فَوَاللهِ مَا عَلَىٰ أَحَدٍ جُنَاحٌ أَنْ لَا يطَّوف بِهِمَا؟ فَقَالَتْ عَائِشَةُ: بِئْسَمَا قُلْتَ يَا ابْنَ أُخْتِي إِنَّهَا لَوْ كَانَتْ عَلَىٰ مَا أَوّلتَها عليه كانت: فلا جناح عليه أَلَّا يَطَّوَفَ بِهِمَا، وَلَكِنَّهَا إِنَّمَا أُنْزِلَتْ أَنَّ الْأَنْصَارَ كَانُوا قَبْلَ أَنْ يُسْلِمُوا كَانُوا يُهِلّون لِمَنَاةَ الطَّاغِيَةِ، الَّتِي كَانُوا يَعْبُدُونَهَا عِنْدَ الْمُشَلَّل. وَكَانَ مَنْ أَهلَّ لَهَا يَتَحَرَّجُ أَنْ يطوَّف بِالصَّفَا وَالْمَرْوَةِ، فَسَأَلُوا عَنْ ذَلِكَ رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّا كُنَّا نَتَحَرَّجُ أَنْ نطَّوف بِالصَّفَا وَالْمَرْوَةِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ. فَأَنْزَلَ اللهُ ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ﴾ إِلَىٰ قَوْلِهِ: ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾ قَالَتْ عَائِشَةُ: ثُمَّ قَدْ سَنَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ الطَّوَافَ بِهِمَا، فَلَيْسَ لِأَحَدٍ أَنْ يَدع الطَّوَافَ بِهِمَا. أَخْرَجَاهُ فِي الصَّحِيحَيْنِ.

الصفا في اللغة: الحجارة الصلبة الصلدة التي لا تنبت شيئًا، وهو جمع، واحده

صفاة وصفا، مثل: حصاة وحصىٰ.

والمروة: الحجارة اللينة،

وهذان الموضعان من شعائر الله، أي: من أعلام متعبداته.

وواحد الشعائر: شعيرة.

والشعائر: كل ما كان من موقف أو مسعىٰ أو ذبح.

والشعائر: من شعرت بالشيء: إذا علمت به، فسميت الأعلام التي هي متعبدات الله: شعائر.

والحج في اللغة: القصد، وكذلك كل قاصد شيئًا فقد اعتمره.

والجناح: الإثم، أخذ من جنح: إذا مال وعدل، وأصله من جناح الطائر

وإنما اجتنب المسلمون الطواف بينهما، لمكان الأوثان

فقيل لهم: إن نصب الأوثان بينهما قبل الإسلام لا يوجب اجتنابهما، فأعلم الله ﷻ أنه لا جناح في التطوف بهما، وأن من تطوع بذلك.

قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾ يشكر سعي عبده ويُثِيبُه عَلَىٰ الْقَلِيلِ بِالْكَثِيرِ ﴿عَلِيمٌ﴾ بِقَدْرِ الْجَزَاءِ فَلَا يَبْخَسُ أَحَدًا ثَوَابَهُ.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ﴾، قال أبو صالح عن ابن عباس: نزلت في رؤساء اليهود، كتموا ما أنزل الله في التوراة من البينات والهدىٰ.

فالبينات: الحلال والحرام والحدود والفرائض.

والهدى: نعت النّبيّ ﷺ وصفته ﴿مِنۢ بَعۡدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ﴾

٢١٩ - قال مقاتل: لبني إسرائيل.

وفي الكتاب قولان:

أحدهما: أنه التوراة، وهو قول ابن عباس.

والثاني: التوراة والإنجيل، قاله قتادة.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ إشارة إلى الكاتمين ﴿يَلۡعَنُهُمُ ٱللَّهُ﴾

وفي اللاعنين أربعة أقوال:

أحدها: أن المراد بهم: «دواب الأرض»، رواه البراء عن النبيّ ﷺ، وهو قول مجاهد، وعكرمة. قال مجاهد: يقولون إنما منعنا القطر بذنوبكم فيلعنونهم.

والثاني: أنهم المؤمنون، قاله عبد الله بن مسعود.

والثالث: أنهم الملائكة والمؤمنون، قاله أبو العالية، وقتادة.

والرابع: أنهم الجن والإنس وكل دابة، قاله عطاء.

٢٢٠ - روى ابن أبي حاتم في تفسيره: من طريق زَاذَانَ أَبِي عُمَر عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ، قَالَ: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي جِنَازَةٍ، فَقَالَ: "إِنَّ الْكَافِرَ يُضْرَبُ ضَرْبَةً بَيْنَ عَيْنَيْهِ، فَيَسْمَعُ كُلُّ دَابَّةٍ غَيْرَ الثَّقَلَيْنِ، فَتَلْعَنُهُ كُلُّ دَابَّةٍ سَمِعَتْ صَوْتَهُ، فَذَلِكَ قَوْلُ اللهِ تَعَالَىٰ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يَلۡعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلۡعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ١٥٩﴾ يَعْنِي: دَوَابُّ الْأَرْضِ.

قال ﷻ: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصۡلَحُواْ وَبَيَّنُواْ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيۡهِمۡ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ١٦٠﴾

قوله تعالى: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ﴾

٢٢١ - قال **ابن مسعود:** ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ﴾ من اليهود وأصلحوا أعمالهم، وبيّنوا صفة رسول الله ﷺ في كتابهم.

قال ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمۡ كُفَّارٌ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ لَعۡنَةُ ٱللَّهِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ ١٦١﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمۡ كُفَّارٌ﴾ إنما شرط الموت على الكفر، لأن حكمه يستقر بالموت عليه.

فان قيل: كيف قال: ﴿وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ﴾، وأهل دينه لا يلعنونه؟

المراد بالناس هاهنا: المؤمنون، قاله ابن مسعود وقتادة ومقاتل. فيكون على هذا من العام الذي أريد به الخاص

٢٢٢ - **وقال أَبُو الْعَالِيَةِ وَقَتَادَةُ: إِنَّ الْكَافِرَ يُوقَفُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَلْعَنُهُ اللهُ، ثُمَّ تَلْعَنُهُ الْمَلَائِكَةُ، ثُمَّ يَلْعَنُهُ النَّاسُ أَجْمَعُونَ.**

قال ﷻ: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنۡهُمُ ٱلۡعَذَابُ وَلَا هُمۡ يُنظَرُونَ ١٦٢﴾

قوله تعالى: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾ في هاء الكناية أنها تعود إلى اللعنة، قاله ابن مسعود،

ومقاتل.

قال ﷻ: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾

٢٢٣ - قال **ابن عباس:** إن كفار قريش قالوا: يا محمد صف لنا ربك وانسبه، فنزلت هذه الآية، وسورة الإخلاص.

والإله بمعنى: المعبود الحق.

قال ﷻ: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾﴾

قوله تعالى ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ **في سبب نزولها ثلاثة أقوال:**

أحدها: أن المشركين قالوا للنبيّ ﷺ: اجعل لنا الصفا ذهباً إن كنت صادقاً فنزلت هذه الآية، حكاه السدي عن ابن مسعود، وابن عباس.

والثاني: أنهم لما قالوا: انسب لنا ربك وصفه، فنزلت: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾ [سورة البقرة:١٦٣]، قالوا: فأرنا آية ذلك فنزلت: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ إلىٰ قوله: ﴿يَعْقِلُونَ﴾، رواه أبو صالح عن ابن عباس.

والثالث: أنه لما نزلت ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾ [سورة البقرة:١٦٣]. قال كفار قريش: كيف يسع النّاس إله واحد؟

فنزلت هذه الآية، قاله عطاء.

قوله تعالى: ﴿وَبَثَّ﴾، أي: فرّق

ومعنىٰ تصريف الرياح: تقلّبها شمالاً مرة، وجنوبـًا مرة، ودبوراً أُخرىٰ، وعذابـًا ورحمة، وَالسَّحابِ الْمُسَخَّرِ: المذلل.

﴿لَآيَاتٍ﴾ الآية: العلامة.

٢٢٤ - أخبرنا عبد الوهاب الحافظ، قال: أخبرنا عاصم قال: أخبرنا ابن بشران قال: أخبرنا ابن صفوان قال: حدثنا ابن أبي الدنيا قال: حدثني هارون قال: حدثني عفان عن مبارك بن فضاله قال: سمعت الحسن يقول: كانوا يقولون- يعني أصحاب النبيّ ﷺ: الحمد لله الرفيق، الذي لو جعل هذا الخلق خلقا دائما لا ينصرف، لقال الشاك في الله: لو كان لهذا الخلق ربٌّ لحادثه، وإن الله تعالىٰ قد حادث بما ترون من الآيات، إنه جاء بضوء طبَّق ما بين الخافقين وجعل فيها معاشـًا، وسراجـًا وهاجـًا، ثم إذا شاء ذهب بذلك الخلق، وجاء بظلمة طبَّقت ما بين الخافقين، وجعل فيه شهبا ونجوما، وقمرا منيرا، وإذا شاء بنىٰ بناء، جعل فيه المطر، والبرق، والرعد، والصواعق، ما شاء، وإذا شاء صرف ذلك، وإذا شاء جاء ببرد يقرقف الناس، وإذا شاء ذهب بذلك، وجاء بحرّ يأخذ أنفاس الناس، ليعلم الناس أن لهذا الخلق ربـًا يحادثه بما ترون من الآيات، كذلك إذا شاء ذهب بالدّنيا وجاء بالآخرة.

قال ﷻ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا﴾

في الأنداد قولان قد تقدما في أول السورة.

وفي قوله: ﴿يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ﴾ معناه: يحبونهم كحب الذين آمنوا لله، هذا قول ابن عباس، وعكرمة، وأبي العالية، وابن زيد، ومقاتل.

٢٢٥ - وفي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَيُّ الذَّنْبِ أَعْظَمُ؟ قَالَ: "أَنْ تَجْعَلَ لِلَّهِ نِدًّا وَهُوَ خلقَكَ.

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟﴾

والمراد به جميع الناس، وجوابه محذوف، تقديره: لرأيتم أمراً عظيماً.

قوله تعالى ﴿أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾:

٢٢٦ - قال ابن عباس: القوة: القدرة، والمنعة.

قال ﷻ: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ وَرَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا۟ مِنَّا ۗ كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ ۖ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿١٦٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟﴾، **فيهم قولان:**

أحدهما: أنهم القادة والرؤساء، قاله ابن عباس، وأبو العالية، وقتادة، ومقاتل،

والزجاج.

والثاني: أنهم الشّياطين، قاله السّدّيّ.

قوله تعالى: ﴿وَرَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ﴾، يشمل الكل.

قوله تعالى: ﴿وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ﴾، أي: عنهم

وفي الْأَسْبابُ أربعة أقوال:

أحدها: أنها المودات، وإلىٰ نحوه يذهب ابن عباس، ومجاهد، وقتادة.

والثاني: أنها الأعمال، رواه السدي عن ابن مسعود، وابن عباس، وهو قول أبي صالح وابن زيد.

والثالث: أنها الأرحام، رواه ابن جريج عن ابن عباس.

والرابع: أنها تشمل جميع ذلك

والكرَّة: الرجعة إلىٰ الدنيا، قاله ابن عباس، وقتادة في آخرين ﴿فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ﴾ يريدون: من القادة ﴿كَمَا تَبَرَّءُواْ مِنَّاۗ﴾ في الآخرة.

والحسرة: التلهف علىٰ الشيء الفائت. وقيل: الحسرة: أشدّ النّدامة.

قال ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي ٱلْأَرْضِ حَلَٰلٗا طَيِّبٗا إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٌ ١٦٨﴾

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي ٱلْأَرْضِ حَلَٰلٗا طَيِّبٗا﴾

قيل: نزلت في ثقيف، وخزاعة، وبني عامر بن صعصعة، حرموا علىٰ أنفسهم من الحرث والأنعام، وحرّموا البحيرة، والسائبة، والوصيلة، والحام.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾

خطواته: سبيله ومسلكه، وهي جمع خُطوة.

واتباعهم خطواته: أنهم كانوا يحرّمون أشياء قد أحلها الله، ويحلّون أشياء قد حرمها الله.

قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾، أي: بيِّن.

قال ﷻ: ﴿إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلْفَحْشَآءِ وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٦٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ﴾، السوء: كل إثم وقبح.

٢٢٧ - **قال ابن عباس:** وإنما سمي سوءاً، لأنه تسوء عواقبه.

وقيل: لأنه يسوء إظهاره وَالْفَحْشاءِ من: فحش الشيء: إذا جاز قدره.

وفي المراد بها هاهنا خمسة أقوال:

أحدها: أنها كل معصية لها حد في الدنيا.

والثاني: أنها ما لا يعرف في شريعة ولا سنة.

والثالث: أنها البخل.

وهذه الأقوال الثلاثة منقولة عن ابن عباس.

والرابع: أنها الزّنا، قاله السدي. والخامس: المعاصي، قاله مقاتل.

قوله تعالى: ﴿وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ أي: أنه حرم عليكم ما لم يحرّم.

قال ﷻ: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلۡ نَتَّبِعُ مَآ أَلۡفَيۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآۚ أَوَلَوۡ كَانَ ءَابَآؤُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ شَيۡـٔٗا وَلَا يَهۡتَدُونَ ١٧٠﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾

اختلفوا فيمن نزلت على ثلاثة أقوال:

أحدها: أنها في الذين قيل لهم: ﴿كُلُواْ مِمَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ حَلَٰلٗا طَيِّبٗا﴾ [سورة البقرة:١٦٨].، فعلىٰ هذا تكون الهاء والميم عائدة عليهم، وهذا قول مقاتل.

والثاني: أنها نزلت في اليهود، وهي قصة مستأنفة، فتكون الهاء والميم كناية عن غير مذكور، ذكره ابن إسحاق عن ابن عباس.

والثالث: أنها في مشركي العرب وكفار قريش، فتكون الهاء والميم عائدة إلىٰ قوله: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادٗا﴾ [سورة البقرة:١٦٥].

فعلىٰ القول الأول يكون المراد بالذي أنزل الله: تحليل الحلال، وتحريم الحرام.

وعلى الثاني يكون: الإسلام.

وعلى الثالث: التّوحيد والإسلام.

﴿أَلۡفَيۡنَا﴾بمعنىٰ: وجدنا.

قوله تعالى: ﴿أَوَلَوۡ كَانَ ءَابَآؤُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ﴾ من الدين، ولا يهتدون له، أيتبعونهم في خطئهم وافترائهم!

قال ﷻ: ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً ۚ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٧١﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَـٰتِ مَا رَزَقْنَـٰكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١٧٢﴾﴾

قوله تعالى ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ﴾ في معنى هذه الآية ثلاثة أقوال:

أحدها: أن معناها: ومثل الذين كفروا كمثل البهائم التي ينعق بها الراعي، وهذا قول ثعلب أضاف المثل إلىٰ الذين كفروا، ثم شبههم بالراعي، ولم يقل: كالغنم، والمعنىٰ: ومثل الذين كفروا كالبهائم التي لا تفقه ما يقول الراعي أكثر من الصوت، فلو قال لها الراعي: ارعي، أو اشربي، لم تدر ما يقول، فكذلك الذين كفروا فيما يأتيهم من القرآن، وإنذار الرسول، فأضيف التشبيه إلىٰ الراعي، والمعنىٰ في المرعي، وهو ظاهر في كلام العرب، يقولون: فلان يخافك كخوف الأسد، والمعنىٰ: كخوفه الأسد، لأن الأسد هو المعروف بأنه المخوف.

والثاني: أن معناها: ومثل الذين كفروا، ومثلنا في وعظهم، كمثل الناعق والمنعوق به، فحذف «ومثلنا» اختصاراً، إذ كان في الكلام ما يدل عليه.

والثالث: ومثل الذين كفروا في دعائهم آلهتهم التي يعبدون، كمثل الذي ينعق، هذا قول ابن زيد، والذي ينعق هو الراعي، يقال: نعق بالغنم، ينعق نعقاً ونعيقاً ونعاقاً ونعقاناً.

٢٢٨ - قال **ابن الأنباري**: والفاشي في كلام العرب أنه لا يقال: نعق، إلا في الصياح

بالغنم وحدها، فالغنم تسمع الصوت ولا تعقل المعنىٰ.

﴿صُمٌّ بُكْمٌ﴾ إنما وصفهم بالصمم والبَكم، لأنهم في تركهم قبول ما يسمعون بمنزلة من لا يسمع، وكذلك في النطق والنظر، وقد سبق شرح هذا المعنىٰ.

ضَرَبَ لَهُمْ تَعَالَىٰ مَثَلًا كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ مَثَلُ ٱلسَّوْءِ﴾ [سورة النحل:٦٠]. فَقَالَ: ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ أَيْ: فِيمَا هُمْ فِيهِ مِنَ الْغَيِّ وَالضَّلَالِ وَالْجَهْلِ كَالدَّوَابِّ السَّارِحَةِ التِي لَا تَفْقَهُ مَا يُقَالُ لَهَا، بَلْ إِذَا نَعَقَ بِهَا رَاعِيهَا، أَيْ: دَعَاهَا إِلَىٰ مَا يُرْشِدُهَا، لَا تَفْقَهُ مَا يَقُولُ وَلَا تَفْهَمُهُ، بَلْ إِنَّمَا تَسْمَعُ صَوْتَهُ فَقَطْ.

هَكَذَا رُوِيَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَأَبِي الْعَالِيَةِ، وَمُجَاهِدٍ، وَعِكْرِمَةَ، وَعَطَاءٍ، وَالْحَسَنِ، وَقَتَادَةَ، وَعَطَاءٍ الْخُرَاسَانِيِّ وَالرَّبِيعِ بْنِ أَنَسٍ، نَحْوَ هَذَا.

قال ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١٧٢﴾﴾

يَقُولُ تَعَالَىٰ آمِرًا عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ بِالْأَكْلِ مِنْ طَيبات مَا رَزَقَهُمْ تَعَالَىٰ، وَأَنْ يَشْكُرُوهُ عَلَىٰ ذَلِكَ، إِنْ كَانُوا عَبِيدَهُ، وَالْأَكْلُ مِنَ الْحَلَالِ سَبَبٌ لِتَقَبُّلِ الدُّعَاءِ وَالْعِبَادَةِ، كَمَا أَنَّ الْأَكْلَ مِنَ الْحَرَامِ يَمْنَعُ قبولَ الدُّعَاءِ وَالْعِبَادَةِ، كَمَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ الذِي رَوَاهُ الإمامُ أَحْمَدُ:

٢٢٩ - حدثنا أَبُو النَّضْرِ، حَدَّثَنَا الفُضَيل بْنُ مَرْزُوقٍ، عَنْ عديِّ بْنِ ثَابِتٍ، عَنْ أَبِي حَازِمٍ، عَنْ أَبِي هريرة قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ اللهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا

طَيِّبًا، وَإِنَّ اللهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ، فَقَالَ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٞ ٥١﴾ [سورة المؤمنون:٥١]. وَقَالَ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ﴾ ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلَ يطيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ، يمدُّ يَدَيْهِ إِلَىٰ السَّمَاءِ: يَا رَبِّ، يَا رَبِّ، وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ، وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ، وغُذِي بِالْحَرَامِ، فَأَنَّىٰ يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ.

قال ﷻ: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيْرِ ٱللَّهِۖ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٖ وَلَا عَادٖ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ١٧٣﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ﴾

والميتة في عرف الشرع: اسم لكل حيوان خرجت روحه بغير ذكاة.

فأما لحم الخنزير فالمراد: جملته، وإنما خص اللحم، لأنه معظم المقصود

ومعنىٰ ﴿وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيْرِ ٱللَّهِۖ﴾: ما رفع فيه الصوت بتسمية غير الله، ومثله الإهلال بالحج، إنما هو رفع الصوت بالتّلبية.

قوله تعالى: ﴿فَمَنِ ٱضْطُرَّ﴾، أي: ألجئ بضرورة

وفي قوله: ﴿غَيْرَ بَاغٖ وَلَا عَادٖ﴾ **أربعة أقوال:**

أحدها: أن معناه غير باغ علىٰ الولاة، ولا عاد يقطع السبيل، هذا قول سعيد بن جبير، ومجاهد.

والثاني: ﴿غَيْرَ بَاغٖ﴾ في أكله فوق حاجته، ولا متعدٍ بأكلها وهو يجد غيرها. هذا

قول الحسن، وعكرمة، وقتادة، والربيع.

والثالث: ﴿غَيْرَ بَاغٍ﴾، أي: مستحلٍ، ولا عاد: غير مضطر، روي عن سعيد بن جبير، ومقاتل.

والرابع: ﴿غَيْرَ بَاغٍ﴾ شهوته بذلك، ولا عاد بالشبع منه، قاله السدي

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾

٢٣٠ - وقال سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ: غَفُورٌ لِمَا أَكَلَ مِنَ الْحَرَامِ، رَحِيمٌ إِذْ أَحَلَّ لَهُ الْحَرَامَ فِي الِاضْطِرَارِ.

٢٣١ - وقال وَكِيعٌ: حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ، عَنْ أَبِي الضُّحَىٰ، عَنْ مَسْرُوقٍ قَالَ: مَنِ اضطُرَّ فَلَمْ يَأْكُلْ وَلَمْ يَشْرَبْ، ثُمَّ مَاتَ دَخَلَ النَّارَ.

قال ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَشْتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا أُو۟لَٰٓئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ إِلَّا ٱلنَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾.

٢٣٢ - قال ابن عباس: نزلت في اليهود، كتموا اسم النبيّ ﷺ، وغيّروه في كتابهم.

والثمن القليل: ما يصيبونه من أتباعهم من الدنيا. ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ إِلَّا ٱلنَّارَ﴾

وفي قوله تعالى: ﴿وَلَا يُزَكِّيهِمْ﴾ لا يزكي أعمالهم، قاله مقاتل.

قال ﷻ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡعَذَابَ بِٱلۡمَغۡفِرَةِۚ فَمَآ أَصۡبَرَهُمۡ عَلَى ٱلنَّارِ ١٧٥﴾

قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ﴾، أي: اختاروها علىٰ الهدىٰ.

وفي قوله تعالى ﴿فَمَآ أَصۡبَرَهُمۡ عَلَى ٱلنَّارِ﴾ **أقوال:**

أحدها: أن معناه: فما أصبرهم علىٰ عمل يؤدّيهم إلىٰ النار! قاله عكرمة، والربيع.

والثاني: ما أجرأهم علىٰ النار قاله الحسن، ومجاهد.

وفي «ما» قولان:

أحدهما: أنها للاستفهام، تقديرها: ما الذي أصبرهم؟ قاله عطاء، والسدي، وابن زيد، وأبو بكر بن عياش.

والثاني: أنها للتعجب.

كقولك: ما أحسن زيداً، وما أعلم عَمراً. وقال ابن الأنباري: معنىٰ الآية التعجب، والله يعجّب المخلوقين، ولا يعجب هو كعجبهم.

قال ﷻ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ نَزَّلَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخۡتَلَفُواْ فِي ٱلۡكِتَٰبِ لَفِي شِقَاقِۭ بَعِيدٖ ١٧٦﴾

قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ نَزَّلَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّۗ﴾ الإشارة بذلك إلىٰ ما تقدم من الوعيد بالعذاب، فتقديره: ذلك العذاب بأن الله نزل الكتاب بالحق، فكفروا به واختلفوا فيه.

وفي «الكتاب» قولان:

أحدهما: أنه التوراة.

والثاني: القرآن.

وفي «الحق» قولان:

أحدهما: أنه العدل، قاله ابن عباس.

والثاني: أنه ضد الباطل، قاله مقاتل.

قوله تعالى ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُواْ فِى ٱلْكِتَٰبِ﴾ **فيه قولان:**

أحدهما: أنه التوراة، ثم في اختلافهم فيها ثلاثة أقوال:

أحدها: أن اليهود والنصارى اختلفوا فيها، فادعى النصارى فيها صفة عيسى، وأنكر اليهود ذلك.

والثاني: أنهم خالفوا ما في التوراة من صفة محمّد ﷺ.

والثالث: أنهم خالفوا سلفهم في التمسك بها.

والثاني: أنه القرآن، فمنهم من قال: شعر، ومنهم من قال: إنما يعلّمه بشر.

والشقاق: معاداة بعضهم لبعض.

قال ﷻ: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ۝١٧٧﴾

قوله تعالى: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ﴾.

٢٣٣ - **قال قتادة:** ذُكر لنا أن رجلاً سأل عن «البِر»، فأنزلت هذه الآية، فدعاه رسول الله، فتلاها عليه.

فاشْتَمَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ، عَلَىٰ جمَل عَظِيمَةٍ، وَقَوَاعِدَ عَمِيمَةٍ، وَعَقِيدَةٍ مُسْتَقِيمَةٍ، كَمَا قَالَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ: حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا عُبيد بْنُ هِشَامٍ الْحَلَبِيُّ، حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللهِ بْنُ عَمْرٍو، عَنْ عَامِرِ بْنِ شُفَي، عَنْ عَبْدِ الْكَرِيمِ، عَنْ مُجَاهِدٍ، عَنْ أَبِي ذَرٍّ: أَنَّهُ سَأَلَ رَسُولَ اللهِ ﷺ: مَا الْإِيمَانُ؟ فَتَلَا عَلَيْهِ: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ﴾ إِلَىٰ آخِرِ الْآيَةِ. قَالَ: ثُمَّ سَأَلَهُ أَيْضًا، فَتَلَاهَا عَلَيْهِ ثُمَّ سَأَلَهُ. فَقَالَ: "إِذَا عَمِلْتَ حَسَنَةً أَحَبَّهَا قَلْبُكَ، وَإِذَا عَمِلْتَ سَيِّئَةً أَبْغَضَهَا قَلْبُكَ".

وَهَذَا مُنْقَطِعٌ؛ فَإِنَّ مُجَاهِدًا لَمْ يُدْرِكْ أَبَا ذَرٍّ؛ فَإِنَّهُ مَاتَ قَدِيمًا.

وفيمن خُوطب بها قولان:

أحدهما: أنهم المسلمون.

والثاني: أهل الكتابين.

فعلى القول الاول معناها: ليس البر كله في الصلاة، ولكن البر ما في هذه الآية. وهذا مروي عن ابن عباس، ومجاهد، وعطاء، والضحاك وسفيان.

وعلى القول الثاني معناها: ليس البر صلاة اليهود إلىٰ المغرب، وصلاة النصارىٰ إلىٰ المشرق، ولكن البر ما في هذه الآية، وهذا قول قتادة، والربيع، وعوف الأعرابي، ومقاتل.

وفي المراد بالبر ثلاثة أقوال:

أحدها: الإيمان.

والثاني: التقوىٰ.

والثالث: العمل الذي يقرب إلىٰ الله

٢٣٤ - وقال أَبُو الْعَالِيَةِ: كَانَتِ الْيَهُودُ تُقْبل قِبَلَ الْمَغْرِبِ، وَكَانَتِ النَّصَارَىٰ تُقْبل قِبَلَ الْمَشْرِقِ، فَقَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ﴾ يَقُولُ: هَذَا كَلَامُ الْإِيمَانِ وَحَقِيقَتُهُ الْعَمَلُ. وَرُوِيَ عَنِ الْحَسَنِ وَالرَّبِيعِ بْنِ أَنَسٍ مِثْلُهُ.

٢٣٥ - وقال الثَّوْرِيُّ: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ﴾ الْآيَةَ، قَالَ: هَذِهِ أَنْوَاعُ الْبِرِّ كُلُّهَا.

وإنما ذكر اليوم الآخر، لأن عبدة الأوثان لا يؤمنون بالبعث.

قوله تعالى ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ﴾ وَصَدَّقَ بِوُجُودِ الْمَلَائِكَةِ بأنهم عباد مكرمون وصدق بما وصف الشرع من صفاتهم وأحوالهم عليهم الصلاة والسلام.

وفي المراد بالكتاب هاهنا قولان:

أحدهما: أنه القرآن.

والثاني: أنه بمعنىٰ الكتاب، فيدخل في هذا اليهود، لتكذيبهم بعض النبيين وردهم القرآن.

قوله تعالى: ﴿وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ﴾ في هاء «حبه» قولان:

أحدهما: أنها ترجع إلىٰ المال.

والثاني: إلىٰ الإيتاء.

وكان الحسن إذا قرأها قال: سوىٰ الزكاة المفروضة.

فَقَوْلُهُ تعالى: ﴿وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ﴾ أَيْ: أَخْرَجَهُ، وَهُوَ مُحب لَهُ، رَاغِبٌ فِيهِ. نَصَّ عَلَىٰ ذَلِكَ ابْنُ مَسْعُودٍ وَسَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ وَغَيْرُهُمَا مِنَ السَّلَفِ وَالْخَلَفِ كَمَا ثَبَتَ فِي الصَّحِيحَيْنِ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيرة مَرْفُوعًا: "أَفْضَلُ الصَّدَقَةِ أَنْ تَصَدَّقَ وَأَنْتَ صَحِيحٌ شَحِيحٌ، تَأْمُلُ الْغِنَىٰ، وَتَخْشَىٰ الْفَقْرَ".

قوله تعالى: ﴿ذَوِي ٱلْقُرْبَىٰ﴾، يريد: قرابة المعطي.

٢٣٦ - وثبت فِي الْحَدِيثِ: "الصَّدَقَةُ عَلَىٰ الْمَسَاكِينِ صَدَقَةٌ، وَعَلَىٰ ذَوِي الرَّحِمِ ثِنْتَانِ: صَدَقَةٌ وَصِلَةٌ". فَهُمْ أَوْلَىٰ النَّاسِ بِكَ وَبِبِرِّكَ وَإِعْطَائِكَ. وَقَدْ أَمَرَ اللهُ تَعَالَىٰ بِالْإِحْسَانِ إِلَيْهِمْ فِي غَيْرِ مَا مَوْضِعٍ مِنْ كِتَابِهِ الْعَزِيزِ.

وقد شرحنا معنى: وَالْيَتامىٰ وَالْمَساكِينِ عند رأس ثلاث وثمانين آية من هذه السورة.

قوله تعالى ﴿وَٱلْيَتَٰمَىٰ﴾: هُمُ: الَّذِينَ لَا كَاسِبَ لَهُمْ، وَقَدْ مَاتَ آبَاؤُهُمْ وَهُمْ ضُعَفَاءُ صِغَارٌ دُونَ الْبُلُوغِ وَالْقُدْرَةِ عَلَىٰ التَّكَسُّبِ.

قوله تعالى ﴿وَٱلۡمَسَٰكِينَ﴾: **وَهُمُ: الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يَكْفِيهِمْ فِي قُوتِهِمْ وَكِسْوَتِهِمْ وَسُكْنَاهُمْ، فَيُعْطُونَ مَا تُسَدُّ بِهِ حَاجَتُهُمْ وَخَلَّتُهُمْ.**

٢٣٧ - وفي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: "لَيْسَ الْمِسْكِينُ بهذا الطوَّاف الذي تَرده التمرة وَالتَّمْرَتَانِ وَاللُّقْمَةُ وَاللُّقْمَتَانِ، وَلَكِنَّ الْمِسْكِينَ الذِي لَا يَجِدُ غِنًىٰ يُغْنِيهِ، وَلَا يُفْطَنُ لَهُ فَيُتَصَدق عَلَيْهِ.

فأما «ابن السبيل» فقيه ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه الضيف، قاله سعيد بن جبير، والضحاك، ومقاتل،

والثاني: أنه الذي يمر بك مسافراً، قاله الربيع بن أنس، وعن مجاهد، وقتادة كالقولين.

٢٣٨ - وقد روي عن الإمام أحمد أنه قال: هو المنقطع به يريد بلدا آخر وهو الطريق

قوله تعالى ﴿وَٱلسَّآئِلِينَ﴾ **وَهُمُ: الَّذِينَ يَتَعَرَّضُونَ لِلطَّلَبِ فَيُعْطَوْنَ مِنَ الزَّكَوَاتِ وَالصَّدَقَاتِ**

قوله تعالى: ﴿وَفِي ٱلرِّقَابِ﴾ أي في فك الرقاب.

ثم فيه قولان:

أحدهما: أنهم المكاتبون يعانون في كتابتهم بما يعتقون به، رواه أبو صالح عن ابن عباس، وهو مروي عن علي بن أبي طالب، والحسن، وابن زيد، والشافعي.

والثاني: أنهم عبيد يشترون بهذا السهم ويعتقون، رواه مجاهد عن ابن عباس، وبه قال مالك بن أنس، وأبو عبيد، وأبو ثور.

وعن أحمد كالقولين.

وأمّا البأساء فهي: الفقر.

والضراء: المرض.

وحين البأس: القتال قاله الضحاك.

قوله تعالى ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْۖ﴾:

أَيْ: هَؤُلَاءِ الَّذِينَ اتَّصَفُوا بِهَذِهِ الصِّفَاتِ هُمُ الَّذِينَ صَدَقوا فِي إِيمَانِهِمْ؛ لِأَنَّهُمْ حَقَّقُوا الْإِيمَانَ الْقَلْبِيَّ بِالْأَقْوَالِ وَالْأَفْعَالِ، فَهَؤُلَاءِ هُمُ الَّذِينَ صَدَقُوا ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ **لِأَنَّهُمُ اتَّقَوُا الْمَحَارِمَ وَفَعَلُوا الطَّاعَاتِ.**

٢٣٩ - قال **أبو العالية**: تكلّموا بالإيمان وحقّقوه بالعمل.

قال ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِصَاصُ فِي ٱلۡقَتۡلَىۖ ٱلۡحُرُّ بِٱلۡحُرِّ وَٱلۡعَبۡدُ بِٱلۡعَبۡدِ وَٱلۡأُنثَىٰ بِٱلۡأُنثَىٰۚ فَمَنۡ عُفِيَ لَهُۥ مِنۡ أَخِيهِ شَيۡءٞ فَٱتِّبَاعُۢ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيۡهِ بِإِحۡسَٰنٖۗ ذَٰلِكَ تَخۡفِيفٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَرَحۡمَةٞۗ فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٞ ١٧٨﴾

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِصَاصُ﴾.

٢٤٠ - روى **شيبان عن قتادة**: أن أهل الجاهلية كان فيهم بغي، وكان الحيّ منهم إذا كان فيهم عدد وعدّة، فقتل عبدهم عبد قوم آخرين قالوا: لن نقتل به إلا حراً، تعززاً لفضلهم علىٰ غيرهم. وإذا قتلت امرأة منهم امرأة من آخرين قالوا: لن نقتل بها إلا رجلا فنزلت هذه الآية.

ومعنى «**كتب**»: فرض، قاله ابن عباس وغيره.

والقصاص: مقابلة الفعل بمثله، مأخوذ من: قصّ الأثر،

فإن قيل: كيف يكون القصاص فرضاً والولي مخير بينه وبين العفو؟

فالجواب: أنه فرض علىٰ القاتل للولي، لا علىٰ الولي.

قوله تعالى: ﴿فَمَنْ عُفِيَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ﴾، أي: من دم أخيه أي: ترك له القتل، ورضي منه بالدية.

ودل قوله: ﴿مِنْ أَخِيهِ﴾ علىٰ أن القاتل لم يخرج عن الإسلام.

قوله تعالى ﴿فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ أي: مطالبته بالمعروف، يأمر آخذ الدية بالمطالبة الجميلة التي لا يرهقه فيها.

قوله تعالى ﴿وَأَدَآءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَٰنٍ﴾ يأمر المطالب بأن لا يبخس ولا يماطل

قوله تعالى ﴿ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾،

٢٤١ - قال **سعيد بن جبير**: كان حكم الله علىٰ أهل التوراة أن يقتل قاتل العمد، ولا يعفىٰ عنه، ولا يؤخذ منه دية، فرخَّص الله لأمة محمد، فان شاء وليّ المقتول عمداً قتل، وإن شاء عفا، وإن شاء أخذ الدية.

قوله تعالى: ﴿فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ﴾، أي: ظلم، فقتل قاتل صاحبه بعد أخذ الدية ﴿فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾، قال قتادة: يقتل ولا تقبل منه الدية.

قال ﷻ: ﴿وَلَكُمۡ فِي ٱلۡقِصَاصِ حَيَوٰةٞ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٧٩﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَكُمۡ فِي ٱلۡقِصَاصِ حَيَوٰةٞ﴾ إذا علم الرجل أنه إن قَتَل قتل أمسك عن القتل، وكان في ذلك حياة للذي هم بقتله ولنفسه، لأنه من أجل القصاص أمسك.

٢٤٢ - قال أَبُو الْعَالِيَةِ: جَعَلَ اللهُ الْقِصَاصَ حَيَاةً، فَكَمْ مِنْ رَجُلٍ يُرِيدُ أَنْ يقتُل، فَتَمْنَعُهُ مَخَافَةَ أَنْ يُقتل.

والألباب: العقول، وإنما خصهم بهذا الخطاب وإن كان الخطاب عامـًا، لأنهم المنتفعون بالخطاب، لكونهم يأتمرون بأمره وينتهون بنهيه.

وقوله تعالى ﴿لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾:

٢٤٣ - قال ابن عباس: لعلكم تتقون الدماء.

٢٤٤ - وقال ابن زيد: لعلك تتقي أن يقتله فتقتل به.

قال ﷻ: ﴿كُتِبَ عَلَيۡكُمۡ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ إِن تَرَكَ خَيۡرًا ٱلۡوَصِيَّةُ لِلۡوَٰلِدَيۡنِ وَٱلۡأَقۡرَبِينَ بِٱلۡمَعۡرُوفِۖ حَقًّا عَلَى ٱلۡمُتَّقِينَ ١٨٠﴾

قوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيۡكُمۡ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ﴾.

المعنى: كتب عليكم أن توصوا وأنتم قادرون علىٰ الوصية، فيقول الرجل: إذا أنا متُّ، فلفلان كذا، فأما الخير هاهنا فهو المال في قول الجماعة.

وفي مقدار المال الذي تقع هذه الوصية فيه ستة أقوال:

أحدها: أنه ألف درهم فصاعداً، روي عن علي، وقتادة.

والثاني: أنه سبعمائة درهم فما فوقها، رواه طاوس عن ابن عباس.

والثالث: ستون ديناراً فما فوقها، رواه عكرمة عن ابن عباس.

والرابع: أنه المال الكثير الفاضل عن نفقة العيال.

٢٤٥ - **قالت عائشة لرجل سألها**: إني أُريد الوصية، فقالت: كم مالك؟ قال: ثلاثة آلاف، قالت: كم عيالك؟ قال: أربعة. قالت: هذا شيء يسير، فدعه لعيالك. والخامس: أنه من ألف درهم إلىٰ خمسمائة، قاله إبراهيم النخعي. والسادس: أنه القليل والكثير، رواه معمر عن الزهري.

فأما المعروف فهو الذي لا حيف فيه.

٢٤٦ - **روىٰ ابن أبي حاتم في تفسيره عَنِ الْحَسَنِ، قَوْلُهُ**: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ﴾ **فَقَالَ: نَعَم، الْوَصِيَّةُ حَقٌّ، عَلَىٰ كُلِّ مُسْلِمٍ أَنْ يُوصِيَ إِذَا حَضَرَهُ الْمَوْتُ بِالْمَعْرُوفِ غَيْرِ الْمُنْكر.**

فصل: وهل كانت الوصية ندباً أو واجبة؟ فيه قولان:

أحدهما: أنها كانت ندبـًا.

والثاني: أنها كانت فرضـًا، وهو أصح، لقوله تعالىٰ: كُتِبَ، ومعناه: فرض. قال ابن عمر: نسخت هذه الآية بآية الميراث.

٢٤٧ - **وقال ابن عباس**: نسخها: ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ﴾ [سورة النساء:٧].

- والعلماء متفقون علىٰ نسخ الوصية للوالدين والأقربين الذين يرثون، وهم

مختلفون في الأقربين الذين لا يرثون: هل تجب الوصية لهم؟

علىٰ قولين، أصحّهما أنها لا تجب لأحد.

٢٤٨ - وثبت فِي الصَّحِيحَيْنِ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "مَا حَقُّ امْرِئٍ مُسْلِمٍ لَهُ شَيْءٌ يُوصِي فِيهِ، يَبِيتُ لَيْلَتَيْنِ إِلَّا وَوَصِيَّتُهُ مَكْتُوبَةٌ عِنْدَهُ". قَالَ ابْنُ عُمَرَ مَا مَرَّتْ عَلَيَّ لَيْلَةٌ مُنْذُ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ ذَلِكَ إِلَّا وَعِنْدِي وَصِيَّتِي.

قال ﷻ: ﴿فَمَنۢ بَدَّلَهُۥ بَعۡدَ مَا سَمِعَهُۥ فَإِنَّمَآ إِثۡمُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ١٨١ فَمَنۡ خَافَ مِن مُّوصٖ جَنَفًا أَوۡ إِثۡمٗا فَأَصۡلَحَ بَيۡنَهُمۡ فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ١٨٢﴾

قوله تعالى: ﴿فَمَنۢ بَدَّلَهُۥ﴾، من بدل أمر الوصية بعد سماعه إياها، فانما إثمه علىٰ مبدله، لا علىٰ الموصي، ولا علىٰ الموصىٰ له ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ﴾ لما قد قاله الموصي ﴿عَلِيمٌ﴾ بما يفعله الموصىٰ إليه.

وفي المراد بالخوف هاهنا قولان:

أحدهما: أنه العلم.

والثاني: نفس الخوف

فعلى الأول يكون الجور قد وجد.

وعلى الثاني: يخشىٰ وجوده.

و «**الجنف**»: الميل عن الحق.

٢٤٩ - **وقال ابن عباس:** الجنف: الخطأ، والإثم: التّعمّد،

إلّا أنّ المفسّرين علّقوا الجنف علىٰ المخطئ، والإثم علىٰ العامد.

وفي توجيه هذه الآية قولان:

أحدهما: أنّ معناها: من حضر رجلاً يموت، فأسرف في وصيته أو قصّر عن حقّ، فليأمره بالعدل، وهذا قول مجاهد.

والثاني: أن معناها: من أوصىٰ بجور، فردّ وليّه وصيّته، أو ردّها من أئمة المسلمين إلىٰ كتاب الله وسنة نبيّه فلا إثم عليه، وهذا قول قتادة.

قوله تعالى: ﴿فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ﴾، أي: بين الذين أوصىٰ لهم.

قوله تعالى ﴿فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِۚ﴾ حين خالف جور الميت إِنَّ اللهَ غَفُورٌ للمصلح رَحِيمٌ به إذا رخص في مخالفة جور الميت.

قال ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٨٣﴾

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ﴾.

الصيام في اللغة: الإمساك في الجملة، يقال: صامت الخيل: إذا أمسكت عن السير.

والصوم في الشرع: عبارة عن الإمساك عن الطعام والشراب والجماع مع انضمام النية إليه.

وفي الذين من قبلنا ثلاثة أقوال:

أحدها: أنهم أهل الكتاب، رواه عطاء الخراساني عن ابن عباس، وهو قول مجاهد.

والثاني: أنهم النصارىٰ، قاله الشعبي، والربيع.

والثالث: أنهم جميع أهل الملل، ذكره أبو صالح عن ابن عباس

٢٥٠ - وقال **عَبَّادُ بْنُ مَنْصُورٍ، عَنِ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ**: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٨٣ أَيَّامٗا مَّعۡدُودَٰتٖ﴾ **فَقَالَ: نَعَمْ، وَاللهِ لَقَدْ كُتب الصِّيَامُ عَلَىٰ كُلِّ أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ كَمَا كُتِبَ عَلَيْنَا شَهْرًا كَامِلًا وَأَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ: عَدَدًا مَعْلُومًا. وَرُوِيَ عَنِ السُّدِّيِّ، نَحْوَهُ.**

وفي موضع التشبيه في كاف ﴿كَمَا كُتِبَ﴾ قولان:

أحدهما: أن التشبيه في حكم الصوم وصفته، لا في عدده.

٢٥١ - قال **سعيد بن جبير**: كتب عليهم إذا نام أحدهم قبل أن يطعم لم يحل له أن يطعم إلىٰ القابلة، والنساء عليهم حرام ليلة الصيام، وهو عليهم ثابت. وقد أرخص لكم. فعلىٰ هذا تكون هذه الآية منسوخة بقوله: ﴿أُحِلَّ لَكُمۡ لَيۡلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ﴾ [سورة البقرة:١٨٧]، فإنها بين صوم أهل الكتاب وبين صوم المسلمين.

والثاني: أن التشبيه في عدد الأيام.

ثم في ذلك قولان:

أحدهما: أنه فرض علىٰ هذه الأمة صوم ثلاثة أيام من كل شهر، وقد كان ذلك فرضًا علىٰ من قبلهم. قال عطية عن ابن عباس في قوله تعالىٰ: ﴿كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ﴾، قال: كان ثلاثة أيام من كل شهر، ثم نسخ برمضان.

٢٥٢ - **وقال معمر عن قتادة:** كان الله قد كتب علىٰ الناس قبل رمضان ثلاثة أيام من كل شهر، فعلىٰ هذا القول تكون الآية منسوخة بقوله تعالىٰ: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ﴾ [سورة البقرة:١٨٥].

والثاني: أنه فرض علىٰ من قبلنا صوم رمضان بعينه.

٢٥٣ - **قال ابن عباس:** فقدم النصارىٰ يومـًا ثم يومـًا، وأخَّروا يومـًا، ثم قالوا: نقدم عشراً ونؤخر عشراً.

٢٥٤ - **وقال السدي عن أشياخه:** اشتد علىٰ النصارىٰ صوم رمضان، فجعل يتقلب عليهم في الشتاء والصيف، فلمّا رأوا ذلك اجتمعوا فجعلوا صيامـًا في الفصل بين الشتاء والصيف، وقالوا: نزيد عشرين يومـًا نكفر بها ما صنعنا،

فعلىٰ هذا تكون الآية محكمة غير منسوخة.

قوله تعالى: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾، لأن الصيام وصلة إلىٰ التقىٰ، إذ هو يكف النفس عن كثير مما تتطلع إليه من المعاصي، وقيل: لعلّكم تتّقون محظورات الصّوم

قال ﷻ: ﴿أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ وَأَن تَصُومُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ﴾

كأنَّ المعنى: كتب عليكم أن تصوموا أيامـًا معدودات.

وفي هذه الأيام ثلاثة أقوال:

أحدها: أنها ثلاثة أيام من كل شهر.

والثاني: أنها ثلاثة أيام من كل شهر ويوم عاشوراء.

والثالث: أنها شهر رمضان، وهو الأصح، وتكون الآية محكمة في هذا القول وفي القولين قبله تكون منسوخة.

قوله تعالى ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ﴾ فيه إضمار: فأفطر.

٢٥٥ - أخرج الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ مِنْ حَدِيثِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ عُرْوَةَ، عَنْ عَائِشَةَ أَنَّهَا قَالَتْ: كَانَ عَاشُورَاءُ يُصَامُ، فَلَمَّا نَزَلَ فَرْضُ رَمَضَانَ كَانَ مَنْ شَاءَ صَامَ وَمَنْ شَاءَ أَفْطَرَ.

قوله تعالى: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾

٢٥٦ - نقل عن ابن مسعود، ومعاذ بن جبل، وابن عمر، وابن عباس، وسلمة بن الأكوع، وعلقمة، والزهري في آخرين في هذه الآية أنهم قالوا: كان من شاء صام، ومن شاء أفطر وافتدىٰ، يطعم عن كل يوم مسكيناً، حتىٰ نزلت: ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ [سورة البقرة:١٨٥].

فعلى هذا يكون معنى الكلام: وعلىٰ الذين يطيقونه ولا يصومونه فدية، ثم نسخت.

٢٥٧ - وروي عن عكرمة أنه قال: نزلت في الحامل والمرضع.

٢٥٨ - روى الْبُخَارِيُّ في الصحيح من طريق عَطَاءٍ سَمِعَ ابْنَ عَبَّاسٍ يَقْرَأُ: " وعلىٰ الذين يُطَوَّقُونه فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ ".

٢٥٩ - قال ابْنُ عَبَّاسٍ: لَيْسَتْ مَنْسُوخَةً، هُوَ لِلشَّيْخِ الْكَبِيرِ وَالْمَرْأَةِ الْكَبِيرَةِ لَا يَسْتَطِيعَانِ أَنْ يَصُومَا، فَيُطْعِمَانِ مَكَانَ كُلِّ يَوْمٍ مِسْكِينًا.

٢٦٠ - وقال أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ في المصنف: من طريق عِكْرِمَةَ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه قَالَ نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍۖ﴾ فِي الشَّيْخِ الْكَبِيرِ الذِي لَا يُطِيقُ الصَّوْمَ ثُمَّ ضَعُفَ، فَرَخَّصَ لَهُ أَنْ يُطْعِمَ مَكَانَ كُلِّ يَوْمٍ مِسْكِينًا.

وفي قوله تعالى ﴿فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا﴾، **ثلاثة أقوال:**

أحدها: أن معناه: من أطعم مسكينين، قاله ابن عباس، ومجاهد.

والثاني: أن التّطوّع إطعام مساكين، قاله طاوس.

والثالث: أنه زيادة المساكين علىٰ قوته، وهو مروي عن مجاهد، وفعله أنس بن مالك لما كبر.

قوله تعالى ﴿وَأَن تَصُومُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ عائد إلىٰ من تقدم ذكره من الأصحاء المقيمين المخيّرين بين الصوم والإطعام علىٰ ما حكينا في أول الآية عن السلف، ولم يرجع ذلك إلىٰ المرضىٰ والمسافرين، والحامل والمرضع، إذ الفطر في حق هؤلاء أفضل من الصوم، وقد نهوا عن تعريض أنفسهم للتلف، وهذا يقوّي قول القائلين بنسخ الآية.

قال ﷻ: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٨٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ﴾

قوله تعالى ﴿ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ﴾**، فيه ثلاثة أقوال:**

أحدها: أنه أنزل القرآن فيه جملة واحدة، وذلك في ليلة القدر إلىٰ بيت العزة من السماء الدنيا، قاله ابن عباس.

والثاني: أنّ معناه: أنزل القرآن بفرض صيامه، وروي عن مجاهد، والضحاك.

والثالث: أن معناه: إن القرآن ابتدئ بنزوله فيه علىٰ النبيّ ﷺ، قاله ابن إسحاق.

٢٦١ - قال **مقاتل:** والفرقان المخرج في الدين من الشبهة والضلالة.

قوله تعالى: ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ۖ﴾، أي: من كان حاضراً غير مسافر.

قوله تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ﴾:

٢٦٢ - قال **ابن عباس، ومجاهد وقتادة والضحاك:** اليسر: الإفطار في السفر، والعسر: الصوم فيه.

٢٦٣ - وقال **عمر بن عبد العزيز:** أي ذلك كان أيسر عليك فافعل: الصوم في السفر، أو الفطر.

قوله تعالى: ﴿وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ﴾

٢٦٤ - قال **ابن عباس:** ولتكملوا عدة ما أفطرتم. وقال بعضهم: المراد به: لا تزيدوا علىٰ ما افترض، كما فعلت النصارىٰ، ولا تنقلوه عن زمانه كما نقلته، ﴿وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ﴾،

٢٦٥ - قال **ابن عباس:** حق علىٰ المسلمين إذا نظروا إلىٰ هلال شوال، أن يكبروا لله حتىٰ يفرغوا من عيدهم.

قال ﷻ: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ۝١٨٦﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى﴾. في سبب نزولها خمسة أقوال:

أحدها: أن أعرابياً جاء إلىٰ النبيّ ﷺ، فقال: أقريب ربنا فنناجيه، أم بعيد فنناديه؟ فنزلت هذه الآية، رواه الصلب بن حكيم عن أبيه عن جده.

والثاني: أن يهود المدينة قالوا: يا محمد! كيف يسمع ربنا دعاءنا، وأنت تزعم أن بيننا وبين السماء مسيرة خمسمائة عام؟! فنزلت هذه الآية، رواه أبو صالح عن ابن عباس.

والثالث: أنهم قالوا: يا رسول الله! لو نعلم أية ساعة أحب إلىٰ الله أن ندعو فيها دعونا، فنزلت هذه الآية، قاله عطاء.

والرابع: أن أصحاب النبي قالوا له: أين الله؟ فنزلت هذه الآية، قاله الحسن.

والخامس: أنه لما حرم في الصوم الأول علىٰ المسلمين بعد النّوم الأكل والجماع أكل رجل منهم بعد أن نام، ووطيء رجل بعد أن نام، فسألوا: كيف التوبة مما عملوا؟ فنزلت هذه الآية، قاله مقاتل.

ومعنى الكلام: إذا سألوك عني فأعلمهم أني قريب ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾

٢٦٦ - قال **أبو العالية**: يعني: يهتدون.

قال ﷻ: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ فَٱلْـَٔـٰنَ بَـٰشِرُوهُنَّ وَٱبْتَغُوا۟ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا۟ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ وَلَا تُبَـٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَـٰكِفُونَ فِى ٱلْمَسَـٰجِدِ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ ءَايَـٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ١٨٧﴾

قوله تعالى: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ﴾. **سبب نزول هذه الآية**:

أن الصحابة كانوا إذا نام الرجل قبل الأكل والجماع، حرما عليه إلىٰ أن يفطر، فجاء شيخ من الأنصار وهو صائم إلىٰ أهله، فقال: عشوني، فقالوا: حتىٰ نسخن لك طعامًا، فوضع رأسه فنام، فجاؤوا بالطعام، فقال: قد كنت نمت، فبات يتقلب ظهراً لبطن، فلما أصبح أتىٰ النبيّ ﷺ فأخبره، فقام عمر بن الخطاب فقال: يا رسول الله! إني أردت أهلي الليلة، فقالت: إنها قد نامت، فظننتها تعتل، فواقعتها، فأخبرتني أنها قد

نامت، فأنزل الله تعالىٰ في عمر بن الخطاب: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ﴾، وأنزل الله في الأنصاري: ﴿وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ﴾، هذا قول جماعة من المفسرين.

واختلفوا في اسم هذا الأنصاري على أربعة أقوال:

أحدها: قيس بن صرمة، قاله البراء.

والثاني: صرمة بن أنس، قاله القاسم بن محمد.

٢٦٧ - وقال **عبد الرحمن بن أبي ليلىٰ**: صرمة بن مالك. والثالث: ضمرة بن أنس.

والرابع: أبو قيس بن عمر.

فأما «الرفث»:

٢٦٨ - فقال **ابن عمر وابن عباس ومجاهد وعطاء والحسن وابن جبير في آخرين**: هو الجماع.

قوله تعالى ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ﴾، **فيه قولان:**

أحدهما: أن اللباس السّكن. ومثله ﴿جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِبَاسًا﴾ [سورة الفرقان:٤٧]، أي سكناً. وهذا قول ابن عباس وابن جبير ومجاهد وقتادة.

والثاني: أنهن بمنزلة اللباس لإفضاء كل واحد ببشرته إلىٰ بشرة صاحبه، فكنىٰ عن اجتماعهما متجردين باللباس.

قوله تعالى: ﴿عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ﴾، يريد: تخونونها بارتكاب ما حُرِّمَ عليكم.

٢٦٩ - قال **ابن عباس:** وعنىٰ بذلك فعل عمر، فإنه أتىٰ أهله، فلما اغتسل أخذ يلوم نفسه ويبكي. ﴿فَٱلْـَٔـٰنَ بَـٰشِرُوهُنَّ﴾، أصل المباشرة: إلصاق البشرة بالبشرة.

وقال ابن عباس: المراد بالمباشرة هاهنا الجماع.

قوله تعالى ﴿وَٱبْتَغُوا۟ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ **فيه أقوال:**

أحدها: أنه الولد، قاله ابن عباس، والحسن، ومجاهد في آخرين.

والثاني: أن الذي كتب لهم الرخصة، وهو قول قتادة، وابن زيد.

والثالث: أنه ليلة القدر، رواه أبو الجوزاء عن ابن عباس.

قوله تعالى: ﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ﴾.

٢٧٠ - قال **عدي بن حاتم:** لما نزلت هذه الآية، عمدت إلىٰ عقالين، أبيض وأسود، فجعلتهما تحت وسادتي، فجعلت أقوم في الليل ولا أستبين الأسود من الأبيض، فلما أصبحت غدوت علىٰ رسول الله فأخبرته، فضحك وقال: «إِن كان وسادك إِذاً لعريض، إِنما ذاك بياض النهار من سواد الليل».

٢٧١ - وقال **سهل بن سعد:** نزلت هذه الآية: ﴿حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ﴾، ولم ينزل: مِنَ الْفَجْرِ، وكان رجال إذا أرادوا الصوم ربط أحدهم في رجليه الخيط الأسود والخيط الأبيض، فلا يزال يأكل ويشرب حتىٰ يتبيّن له رؤيتهما، فأنزل الله بعد ذلك مِنَ الْفَجْرِ، فعلموا أنما يعني بذلك الليل والنهار

قوله تعالى ﴿وَلَا تُبَـٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَـٰكِفُونَ فِى ٱلْمَسَـٰجِدِ﴾، **في هذه المباشرة قولان:**

أحدهما: أنها المجامعة، وهو قول الاكثرين.

والثاني: أنها ما دون الجماع من اللمس والقبلة، قاله ابن زيد.

٢٧٢ - وقال **قتادة**: كان الرجل المعتكف إذا خرج من المسجد، فلقي امرأته باشرها إذا أراد ذلك، فوعظهم الله في ذلك.

قوله تعالى ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ﴾:

٢٧٣ - قال **ابن عباس**: يعني: المباشرة ﴿فَلَا تَقْرَبُوهَا﴾

٢٧٤ - وكان **الضَّحَّاكُ وَمُقَاتِلٌ يَقُولَانِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ﴾ أَيِ: الْمُبَاشَرَةُ فِي الِاعْتِكَافِ.**

٢٧٥ - وقال **عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ: يَعْنِي هَذِهِ الْحُدُودَ الْأَرْبَعَةَ، وَيَقْرَأُ ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ﴾ حَتَّىٰ بَلَغَ: ﴿ثُمَّ أَتِمُّوا۟ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ﴾ قَالَ: وَكَانَ أَبِي وَغَيْرُهُ مِنْ مَشْيَختنا يَقُولُونَ هَذَا وَيَتْلُونَهُ عَلَيْنَا.**

﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ﴾ أَيْ: كَمَا بَيَّنَ الصِّيَامَ وَأَحْكَامَهُ وَشَرَائِعَهُ وَتَفَاصِيلَهُ، كَذَلِكَ يُبَيِّنُ سَائِرَ الْأَحْكَامِ عَلَىٰ لِسَانِ عَبْدِهِ وَرَسُولِهِ مُحَمَّدٍ ﷺ ﴿لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ أَيْ: يَعْرِفون كَيْفَ يَهْتَدُونَ، وَكَيْفَ يُطِيعُونَ كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِۦٓ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ لِّيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۝٩﴾ [سورة الحديد:٩].

قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ﴾، أي: مثل هذا البيان الذي ذكر.

قال ﷻ: ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُواْ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُواْ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝١٨٨﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ﴾

الأول: أنها ترجع إلىٰ الأموال، كأنه قال: لا تصانعوا ببعضها جَوَرَة الحكام.

والثاني: أنها ترجع إلىٰ الخصومة.

٢٧٦ - قال **عَلِيُّ ابْنُ أَبِي طَلْحَةَ، وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ:** هَذَا فِي الرَّجُلِ يَكُونُ عَلَيْهِ مَالٌ، وَلَيْسَ عَلَيْهِ فِيهِ بَيِّنة، فَيَجْحَدُ الْمَالَ وَيُخَاصِمُ إِلَىٰ الْحُكَّامِ، وَهُوَ يَعْرِفُ أَنَّ الْحَقَّ عَلَيْهِ، وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ آثِمٌ آكِلُ حرامٍ.

فقول الله تَعَالَى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُواْ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُواْ فَرِيقًا﴾ **أَيْ: طَائِفَةً** ﴿مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ **أَيْ: تَعْلَمُونَ بُطْلَانَ مَا تَدَّعُونَهُ وَتُرَوِّجُونَ فِي كَلَامِكُمْ.**

قال ﷻ: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ ۗ وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُواْ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ ۗ وَأْتُواْ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝١٨٩﴾

قوله تعالى ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ﴾**. هذه الآية من أولها إلى قوله:** ﴿وَٱلْحَجِّ﴾**، نزلت على سبب:** وهو أن رجلين من الصحابة قالا: يا رسول الله! ما بال الهلال يبدو دقيقاً، ثم يزيد ويمتلئ حتىٰ يستدير ويستوي، ثم لا يزال ينقص ويدق حتىٰ يعود كما كان؟

فنزلت: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ﴾، هذا قول ابن عباس.

قوله تعالى: ﴿وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا﴾ إلىٰ آخرها يدل علىٰ سبب آخر:

وهو أنهم كانوا إذا حجوا، ثم قدموا المدينة، لم يدخلوا من باب، ويأتون البيوت من ظهورها، فنسي رجل، فدخل من باب، فنزلت: ﴿وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا﴾ هذا قول البراء بن عازب.

٢٧٧ - قال الْبُخَارِيُّ: حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللهِ بْنُ مُوسَىٰ، عَنْ إِسْرَائِيلَ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، عَنِ الْبَرَاءِ قَالَ: كَانُوا إِذَا أَحْرَمُوا فِي الْجَاهِلِيَّةِ أَتَوْا الْبَيْتَ مِنْ ظَهْرِهِ، فَأَنْزَلَ اللهُ ﴿وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ ۗ وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا﴾

وفيما كانوا لا يدخلون البيوت من أبوابها لأجله أربعة أقوال:

أحدها: أنهم كانوا يفعلون ذلك لأجل الإحرام، قاله ابن عباس، وأبو العالية، والنخعي، وقتادة، وقيس النهشلي.

والثاني: لأجل دخول الشهر الحرام، قاله البراء بن عازب.

والثالث: أن أهل الجاهلية كانوا إذا همَّ أحدهم بالشيء فاحتبس عنه لم يأت بيته من بابه حتىٰ يأتي الذي كان هم به، قاله الحسن.

والرابع: أن أهل المدينة كانوا إذا رجعوا من عيدهم فعلوا ذلك، رواه عثمان بن عطاء عن أبيه

فأما التفسير فإنما سألوه عن وجه الحكمة في زيادة الأهلَّة ونقصانها، فأخبرهم أنها مقادير لما يحتاج الناس إليه في صومهم وحجهم وغير ذلك.

قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ﴾ **مثل قوله تعالى** ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ﴾ [سورة البقرة:١٧٧]، وقد سبق بيانه.

وَقَوْلُهُ: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ **أَيِ: اتَّقُوا اللهَ فَافْعَلُوا مَا أَمَرَكُمْ بِهِ، وَاتْرُكُوا مَا نَهَاكُمْ عَنْهُ** ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ **غَدًا إِذَا وَقَفْتُمْ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَيَجْزِيكُمْ بِأَعْمَالِكُمْ عَلَى التَّمَامِ، وَالْكَمَالِ.**

قال ﷻ: ﴿وَقَٰتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓاْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿١٩٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَقَٰتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ﴾. **سبب نزولها:** أنّ رسول الله ﷺ لما صُدّ عن البيت، ونحر هديه بالحديبية، وصالحه المشركون على أن يرجع من العام المقبل رجع، فلما تجهز في العام المقبل خاف أصحابه أن لا تفي لهم قريش بذلك، وأن يصدوهم ويقاتلوهم، وكره أصحابه القتال في الشهر الحرام فنزلت هذه الآية، قاله ابن عباس.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَعْتَدُوٓاْ﴾، أي: ولا تظلموا.

وفي المراد بهذا الاعتداء أربعة أقوال:

أحدها: أنه قتل النساء والولدان، قاله ابن عباس، ومجاهد.

والثاني: أن معناه: لا تقاتلوا من لم يقاتلكم، قاله سعيد بن جبير، وأبو العالية، وابن زيد.

والثالث: أنه إتيان ما نهوا عنه، قاله الحسن.

والرابع: أنه ابتداؤهم بالقتال في الحرم في الشهر الحرام، قاله مقاتل.

فصل: اختلف العلماء: هل هذه الآية منسوخة أم لا؟

على قولين:

أحدهما: أنها منسوخة.

واختلف أرباب هذا القول في المنسوخ منها على قولين:

أحدهما: أنه أولها، وهو قوله: ﴿وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ﴾، قالوا: وهذا يقتضي أن القتال يباح في حق من قاتل من الكفار، ولا يباح في حق من لم يقاتل، وهذا منسوخ بقوله: ﴿وَٱقۡتُلُوهُمۡ حَيۡثُ ثَقِفۡتُمُوهُمۡ﴾ [سورة البقرة:١٩١].

والثاني: أن المنسوخ منها: ﴿وَلَا تَعۡتَدُوٓاْ﴾، **ولهؤلاء في هذا الاعتداء قولان:**

أحدهما: أنه قتل من لم يقاتل.

والثاني: أنه ابتداء المشركين بالقتال، وهذا منسوخ بآية السيف.

والقول الثاني: أنها محكمة، ومعناها عند أرباب هذا القول: ﴿وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ﴾، وهم الذين أعدوا أنفسهم للقتال، فأما من ليس بمعدٍّ نفسه للقتال، كالرهبان والشيوخ الفناة، والزمنى، والمكافيف، والمجانين، فان هؤلاء لا يقاتلون وهذا حكمٌ باقٍ غيرُ منسوخ.

فصل: واختلف العلماء في أول آية نزلت في إباحة القتال على قولين:

أحدهما: أنها قوله تعالىٰ: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمۡ ظُلِمُواْۚ﴾ [سورة الحج:٣٩]، قاله أبو بكر الصِّدِّيق، وابن عباس، وسعيد بن جبير، والزهري.

والثاني: أنها هذه الآية: ﴿وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾، قاله أبو العالية، وابن زيد

قال ﷻ: ﴿وَٱقۡتُلُوهُمۡ حَيۡثُ ثَقِفۡتُمُوهُمۡ وَأَخۡرِجُوهُم مِّنۡ حَيۡثُ أَخۡرَجُوكُمۡۚ وَٱلۡفِتۡنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلۡقَتۡلِۚ وَلَا تُقَٰتِلُوهُمۡ عِندَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَٰتِلُوكُمۡ فِيهِۖ فَإِن قَٰتَلُوكُمۡ فَٱقۡتُلُوهُمۡۗ كَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلۡكَٰفِرِينَ ١٩١﴾

قوله تعالى: ﴿وَٱقۡتُلُوهُمۡ حَيۡثُ ثَقِفۡتُمُوهُمۡ﴾. أي: وجدتموهم. يقال: ثقفته أثقفه: إذا وجدته.

فأما الفتنة، ففيها قولان:

أحدهما: أنها الشرك، قاله ابن مسعود وابن عباس وابن عمر وقتادة في آخرين.

والثاني: أنها ارتداد المؤمن إلىٰ عبادة الأوثان، قاله مجاهد.

فيكون معنى الكلام على القول الأول: شرك القوم أعظم من قتلكم إياهم في الحرم.

وعلى الثاني: ارتداد المؤمن إلىٰ الأوثان أشد عليه من أن يقتل محقاً.

فصل: واختلف العلماء في قوله: ﴿وَلَا تُقَٰتِلُوهُمۡ عِندَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَٰتِلُوكُمۡ فِيهِ﴾، **هل هو منسوخ أم لا؟** فذهب مجاهد في جماعة من الفقهاء إلىٰ أنه محكم وأنه لا يقاتل فيه إلا من قاتل.

ويدل على ذلك الحديث الصحيح:

٢٧٨ - **عن النبي ﷺ، أنه خطب يوم فتح مكة، فقال:** «يا أيها الناس! إن الله حرم

مكة يوم خلق السماوات والارض، ولم تحل لأحد قبلي، ولا تحل لأحد بعدي، وإنما أُحلت لي ساعةً من نهار، ثم عادت حراماً إلىٰ يوم القيامة».

فبين ﷺ أنه خص في تلك الساعة بالإباحة علىٰ سبيل التخصيص، لا علىٰ وجه النسخ، فثبت بذلك حظر القتال في الحرم، إلا أن يقاتلوا فيدفعون دفعا، وهذا أمر مستمر الحكم غير منسوخ.

وقد ذهب قتادة إلىٰ أنه منسوخ بقوله تعالىٰ: ﴿فَٱقۡتُلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ حَيۡثُ وَجَدتُّمُوهُمۡ﴾ [سورة التوبة:٥]، فأمر بقتالهم في الحل والحرم وعلىٰ كل حال.

وذهب الربيع بن أنس، وابن زيد، إلىٰ أنه منسوخ بقوله تعالىٰ: ﴿وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ﴾ [سورة البقرة:١٩٣]، وزعم مقاتل إلىٰ أنه منسوخ بقوله تعالىٰ: ﴿وَٱقۡتُلُوهُمۡ حَيۡثُ ثَقِفۡتُمُوهُمۡ﴾. والقول الأول أصح.

قوله تعالى ﴿فَإِن قَٰتَلُوكُمۡ فَٱقۡتُلُوهُمۡۗ﴾:

٢٧٩ - قال مقاتل: أي: فقاتلوهم.

قال ﷻ: ﴿فَإِنِ ٱنتَهَوۡاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ١٩٢﴾

قوله تعالى ﴿فَإِنِ ٱنتَهَوۡاْ﴾. **فيه ثلاثة أقوال:**

أحدها: أن معناه: فإن انتهوا عن شركهم وقتالكم.

والثاني: عن كفرهم.

والثالث: عن قتالكم دون كفرهم.

فعلى القولين الأولين تكون الآية محكمة.

ويكون معنىٰ: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ غفور لشركهم وجرمهم، **وعلى القول الأخير يكون في معنى قوله**: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ **قولان**:

أحدهما: غفور لكم حيث أسقط عنكم تكليف قتالهم. والثاني: أن معناه: يأمركم بالغفران والرحمة لهم. فعلىٰ هذا تكون الآية منسوخة بآية السّيف.

قال ﷻ: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِۖ فَإِنِ ٱنتَهَوْاْ فَلَا عُدْوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ١٩٣﴾

قوله تعالى ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾:

٢٨٠ - **قال ابن عباس والحسن ومجاهد وقتادة في آخرين**: الفتنة هاهنا: الشرك.

قوله تعالى ﴿وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِۖ﴾:

٢٨١ - **قال ابن عباس**: أي يخلص له التوحيد.

٢٨٢ - **ثبت فِي الصَّحِيحَيْنِ: عَنْ أَبِي مُوسَىٰ الْأَشْعَرِيِّ، قَالَ: سُئِلَ النَّبِيُّ ﷺ عَنِ الرَّجُلِ يُقاتل شُجَاعَةً، وَيُقَاتِلُ حَمِيَّة، وَيُقَاتِلُ رِيَاءً، أَيُّ ذَلِكَ فِي سَبِيلِ اللهِ؟ فَقَالَ: " مَنْ قَاتَلَ لِتكُونَ كَلِمَةُ اللهِ هِيَ الْعُلْيَا فهو فِي سَبِيلِ اللهِ ".**

والعدوان: الظلم، وأُريد به هاهنا الجزاء، فسمي الجزاء عدوانًا مقابلة للشيء بمثله، كقوله: ﴿فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُواْ عَلَيْهِ﴾ [سورة البقرة:١٩٤]، والظالمون هاهنا المشركون، قاله عكرمة وقتادة في آخرين.

فصل: وقد روي عن جماعة من المفسرين، منهم قتادة، أن قوله تعالىٰ: ﴿فَإِنِ ٱنتَهَوۡاْ فَلَا عُدۡوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾، منسوخ بآية السيف، وإنما يستقيم هذا إذا قلنا: إن معنىٰ الكلام: فإن انتهوا عن قتالكم مع إقامتهم علىٰ دينهم، فأما إذا قلنا: إن معناه: فإن انتهوا عن دينهم فالآية محكمة.

قال ﷻ: ﴿ٱلشَّهۡرُ ٱلۡحَرَامُ بِٱلشَّهۡرِ ٱلۡحَرَامِ وَٱلۡحُرُمَٰتُ قِصَاصٞۚ فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَٱعۡتَدُواْ عَلَيۡهِ بِمِثۡلِ مَا ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ ١٩٤﴾

قوله تعالى: ﴿ٱلشَّهۡرُ ٱلۡحَرَامُ بِٱلشَّهۡرِ ٱلۡحَرَامِ﴾ هذه الآية نزلت على سبب واختلفوا فيه على قولين:

أحدهما: أنّ النبيّ ﷺ أقبل هو وأصحابه معتمرين في ذي القعدة ومعهم الهدي، فصدهم المشركون، فصالحهم نبي الله علىٰ أن يرجع عنهم ثم يعود في العام المقبل، فيكون بمكة ثلاث ليال، ولا يدخلها بسلاح، ولا يخرج بأحد من أهل مكة، فلما كان العام المقبل أقبل هو وأصحابه فدخولها، فافتخر المشركون عليه إذ ردوه يوم الحديبية، فأقصه الله منهم وأدخله مكة في الشهر الذي ردوه فيه، فقال: ﴿ٱلشَّهۡرُ ٱلۡحَرَامُ بِٱلشَّهۡرِ ٱلۡحَرَامِ وَٱلۡحُرُمَٰتُ قِصَاصٞۚ﴾، وإلىٰ هذا المعنىٰ ذهب ابن عباس، ومجاهد، وعطاء، وأبو العالية، وقتادة في آخرين.

والثاني: أن مشركي العرب قالوا للنبي عليه السلام: أنهيت عن قتالنا في الشهر الحرام؟ قال: «نعم»، وأرادوا أن يفتروه في الشهر الحرام، فيقاتلوه فيه، فنزلت هذه الآية، يقول:

إن استحلّوا منكم شيئاً في الشهر الحرام، فاستحلوا منهم مثله، هذا قول الحسن.

قوله تعالى ﴿فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَٱعۡتَدُواْ عَلَيۡهِ﴾:

٢٨٣ - قال **ابن عباس:** من قاتلكم في الحرم فقاتلوه.

قوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾، قال سعيد بن جبير: واتقوا الله ولا تبدأوهم بقتال في الحرم.

قال ﷻ: ﴿وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلۡقُواْ بِأَيۡدِيكُمۡ إِلَى ٱلتَّهۡلُكَةِ وَأَحۡسِنُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ
١٩٥ وَأَتِمُّواْ ٱلۡحَجَّ وَٱلۡعُمۡرَةَ لِلَّهِۚ فَإِنۡ أُحۡصِرۡتُمۡ فَمَا ٱسۡتَيۡسَرَ مِنَ ٱلۡهَدۡيِۖ وَلَا تَحۡلِقُواْ رُءُوسَكُمۡ حَتَّىٰ يَبۡلُغَ
ٱلۡهَدۡيُ مَحِلَّهُۥۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوۡ بِهِۦٓ أَذٗى مِّن رَّأۡسِهِۦ فَفِدۡيَةٞ مِّن صِيَامٍ أَوۡ صَدَقَةٍ أَوۡ نُسُكٖۚ فَإِذَآ
أَمِنتُمۡ فَمَن تَمَتَّعَ بِٱلۡعُمۡرَةِ إِلَى ٱلۡحَجِّ فَمَا ٱسۡتَيۡسَرَ مِنَ ٱلۡهَدۡيِۚ فَمَن لَّمۡ يَجِدۡ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٖ فِي ٱلۡحَجِّ
وَسَبۡعَةٍ إِذَا رَجَعۡتُمۡۗ تِلۡكَ عَشَرَةٞ كَامِلَةٞۗ ذَٰلِكَ لِمَن لَّمۡ يَكُنۡ أَهۡلُهُۥ حَاضِرِي ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ
وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ١٩٦﴾

قوله تعالى: ﴿وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾. **هذه الآية نزلت على سبب، وفيه قولان:**

أحدهما: أنّ النبيّ ﷺ لما أمر بالتجهز إلىٰ مكة، قال ناسٌ من الأعراب: يا رسول الله! بماذا نتجهز؟ فو الله ما لنا زاد ولا مال! فنزلت، قاله ابن عباس.

قوله تعالى ﴿وَلَا تُلۡقُواْ بِأَيۡدِيكُمۡ إِلَى ٱلتَّهۡلُكَةِ﴾:

أحدها: أنها ترك النفقة في سبيل الله، قاله حذيفة، وابن عباس، والحسن، وابن جبير، وعكرمة، ومجاهد، وقتادة، والضحاك.

والثاني: أنها القعود عن الغزو شغلاً بالمال، قاله أبو أيوب الأنصاري.

والثالث: أنها القنوط من رحمة الله، قاله البراء، والنعمان بن بشير، وعبيدة.

والرابع: أنها عذاب الله، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس

٢٨٤ - قال الْبُخَارِيُّ: حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ، أَخْبَرَنَا النَّضْرُ، أَخْبَرَنَا شُعْبَةُ عَنْ سُلَيْمَانَ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا وَائِلٍ، عَنْ حُذَيْفَةَ: ﴿وَأَنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾ قَالَ: نَزَلَتْ فِي النَّفَقَةِ.

قوله تعالى: ﴿وَأَحْسِنُوٓا۟﴾، **فيه ثلاثة أقوال**:

أحدها: أن معناه: أحسنوا الإنفاق، وهو قول أصحاب القول الأول.

والثاني: أحسنوا الظن بالله، قاله عكرمة، وسفيان، وهو يخرّج على قول من قال: التهلكة: القنوط.

والثالث: أن معناه: أدوا الفرائض، رواه سفيان عن أبي إسحاق.

قوله تعالى: ﴿وَأَتِمُّوا۟ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾ **وفي إتمامها أربعة أقوال**:

أحدها: أن معنىٰ إتمامها: أن يفصل بينهما، فيأتي بالعمرة في غير أشهر الحج، قاله عمر بن الخطاب، والحسن وعطاء.

والثاني: أن يحرم الرجل من دويرة أهله، قاله علي بن أبي طالب، وطاوس، وابن جبير.

والثالث: أنه إذا شرعوش في أحدهما لم يفسخه حتىٰ يتم، قاله ابن عباس.

والرابع: أنه فعل ما أمر الله فيهما، قاله مجاهد

قوله تعالى: ﴿فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ﴾، وللعلماء في هذا الإحصار قولان:

أحدهما: أنه لا يكون إلا بالعدو، ولا يكون المريض محصراً. وهذا مذهب ابن عمر، وابن عباس، وأنس، ومالك، والليث، والشافعي، وأحمد. ويدل عليه قوله ﴿فَإِذَآ أَمِنتُمْ﴾.

والثاني: أنه يكون بكل حابس من مرض أو عدو أو عذر، وهو قول عطاء، ومجاهد، وقتادة، وأبي حنيفة. وفي الكلام اختصار وحذف.

والمعنى: فإن أُحصرتم دون تمام الحج والعمرة فحللتم فعليكم ما استيسر من الهدي. ومثله: ﴿أَوْ بِهِۦٓ أَذًى مِّن رَّأْسِهِۦ فَفِدْيَةٌ﴾، تقديره: فحلق، ففدية. والهدي: ما أهدي إلىٰ البيت.

وفي المراد ﴿فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْيِ﴾ ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه شاة، قاله عليّ بن أبي طالب وابن عباس والحسن وعطاء وابن جبير وإبراهيم وقتادة والضحّاك ومغيرة.

والثاني: أنه ما تيسر من الإبل والبقر لا غير، قاله ابن عمر وعائشة، والقاسم.

والثالث: أنه علىٰ قدر الميسرة، رواه طاوس عن ابن عباس، وروي عن الحسن وقتادة قالا: أعلاه بدنة، وأوسطه بقرة، وأخسه شاة.

قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْهَدْىُ مَحِلَّهُۥ﴾ وفي المحل قولان:

أحدهما: أنه الحرم، قاله ابن مسعود، والحسن، وعطاء، وطاوس ومجاهد، وابن سيرين، والثوري.

والثاني: أنه الموضع الذي أُحصر به فيذبحه ويحل، قاله مالك، والشافعي، وأحمد.

قوله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِۦٓ أَذًى مِّن رَّأْسِهِۦ فَفِدْيَةٌ﴾، **هذا نزل على سبب**: وهو أن كعب بن عجرة كثر قمل رأسه حتىٰ تهافت علىٰ وجهه، فنزلت هذه الآية فيه، فكان يقول: فيّ أنزلت خاصّة.

ومعنى الآية: فمن كان منكم- أي: من المحرمين، محصراً كان أو غير محصر- مريضـاً، واحتاج إلىٰ لبس أو شيء يحظره الإحرام، ففعله، أو به أذىً من رأسه فحلق ففدية من صيام.

وفي الصيام قولان:

أحدهما: أنه ثلاثة أيام، روي في حديث كعب بن عجرة ﵁، عن النبيّ ﷺ، وهو قول الجمهور.

والثاني: أنه صيام عشرة أيام، روي عن الحسن وعكرمة ونافع.

وفي الصّدقة قولان:

أحدهما: إطعام ستة مساكين، روي في حديث كعب، وهو قول من قال: الصوم ثلاثة أيام.

والثاني: أنها إطعام عشرة مساكين، وهو قول من أوجب صوم عشرة أيام. والنسك:ذبح شاة، يقال: نسكت لله، أي: ذبحت له.

قوله تعالى: ﴿فَإِذَآ أَمِنتُمْ﴾ ، أي: من العدو، إذ المرض لا تؤمن معاودته، وقال علقمة في آخرين: فاذا أمنتم من الخوف أو المرض.

قوله تعالى: ﴿فَمَن تَمَتَّعَ بِٱلْعُمْرَةِ إِلَى ٱلْحَجِّ﴾، معناه: من بدأ بالعمرة في أشهر الحج، وأقام الحج من عامه ذلك فعليه ما استيسر من الهدي. وهذا قول ابن عمر وابن عباس، وابن المسيب، وعطاء، والضحاك.

وقد سبق الكلام فيما استيسر من الهدي.

قوله تعالى: ﴿فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ فِي ٱلْحَجِّ﴾ ، قال الحسن: هي قبل التّروية بيوم والتّروية، وعرفة، وهذا قول عطاء، والشعبي، وأبي العالية، وابن جبير، وطاوس، وإبراهيم. وقد نقل عن عليّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وقد روي عن الحسن، وعطاء قالا: في أيّ العشر شاء صامهنّ.

ونقل عن طاوس، ومجاهد، وعطاء، أنهم قالوا: في أي أشهر الحج شاء فليصمهن. ونقل عن ابن عمر أنه قال: من حين يحرم إلىٰ يوم عرفة.

قوله تعالى: ﴿تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ﴾، معناه: كاملة في قيامها مقام الهدي، وإلىٰ هذا المعنىٰ ذهب ابن عباس، والحسن.

قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُۥ حَاضِرِي ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾، في المشار إِليه بذلك قولان:

أحدهما: أنه التمتع بالعمرة إلىٰ الحج.

والثاني: أنه الجزاء بالنسك والصيام.

فأمّا حاضرو المسجد الحرام فقال ابن عباس، وطاوس، ومجاهد: هم أهل الحرم.

٢٨٥ - **وقال عطاء**: من كان منزله دون المواقيت.

قال ﷻ: ﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ١٩٧﴾

قوله تعالى ﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۚ﴾ وفي أشهر الحج قولان:

أحدهما: أنها شوال وذو القعدة وعشر من ذي الحجة، قاله ابن مسعود، وابن عمر وابن عباس، وابن الزبير، والحسن، وابن سيرين، وعطاء، والشّعبيّ، وطاوس، والنخعي، وقتادة، ومكحول، والضحاك، والسدي، وأحمد بن حنبل، والشّافعيّ، رضي الله عنهم.

والثاني: أنها شوال وذو القعدة وذو الحجة، وهو مروي عن ابن عمر أيضـًا، وعطاء، وطاوس، ومجاهد، والزهري، والربيع، ومالك بن أنس.

٢٨٦ - **قال ابن سيرين**: ما أحد من أهل العلم شك في أن عمرةً في غير أشهر الحج أفضل من عمرة في أشهر الحج.

قوله تعالى ﴿فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ﴾:

٢٨٧ - **قال ابن مسعود**: هو الإهلال بالحج والإحرام به. وقال طاوس وعطاء: هو أن يلبي.

٢٨٨ - **وروي عن علي وابن عمر ومجاهد والشعبي في آخرين**: أنه إذا قلّد بدنته فقد أحرم، وهذا محمول علىٰ أنه قلّدها ناويا الحجّ.

٢٨٩ - **ونص أحمد بن حنبل في رواية الأثرم:** أن الإحرام بالنية، قيل له: يكون محرمًا بغير تلبية؟ قال: نعم إذا عزم علىٰ الإحرام، وهذا قول مالك والشافعي.

قوله تعالى ﴿فَلَا رَفَثَ﴾ وفي الرفث ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه الجماع، قاله ابن عمر، والحسن، وعكرمة، ومجاهد، وقتادة في آخرين.

والثاني: أنه الجماع، وما دونه من التعريض به، وهو مروي عن ابن عمر أيضًا، وابن عباس، وعمرو بن دينار في آخرين.

والثالث: أنه اللغو من الكلام، قاله أبو عبد الرحمن اليزيدي.

وفي الفسوق ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه السباب، قاله ابن عمر، وابن عباس، وإبراهيم في آخرين.

والثاني: أنه التنابز بالألقاب، مثل أن تقول لأخيك: يا فاسق، يا ظالم، رواه الضحاك عن ابن عباس.

والثالث: أنه المعاصي، قاله الحسن، وعطاء، وطاوس، ومجاهد، وقتادة في آخرين.

٢٩٠ - وقد ثَبَتَ فِي الصَّحِيحَيْنِ مِنْ حَدِيثِ أَبِي حَازِمٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "مَنْ حَجَّ هَذَا الْبَيْتَ فَلَمْ يَرْفُثْ وَلَمْ يَفْسُقْ، خَرَجَ مِنْ ذُنُوبِهِ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ".

قوله تعالى ﴿وَلَا جِدَالَ فِي ٱلْحَجِّ﴾:

الجدال: المراء.

وفي معنى الكلام قولان:

أحدهما: أن معناه: لا يمارينَّ أحد أحداً، فيخرجه المراء إلىٰ الغضب، وفعل ما لا يليق بالحج، وإلىٰ هذا المعنىٰ ذهب ابن عمر، وابن عباس، وطاوس، وعطاء، وعكرمة، والنخعي، وقتادة، والزهري، والضحاك في آخرين.

والثاني: أن معناه: لا شك في الحج ولا مراء، فانه قد استقام أمره وعرف وقته وزال النسيء عنه.

٢٩١ - قال مجاهد: كانوا يحجون في ذي الحجة عامين، وفي المحرم عامين، ثم حجوا في صفر عامين، وكانوا يحجون في كل سنة في كل شهر عامين حتىٰ وافقت حجة أبي بكر الآخر من العامين في ذي القعدة قبل حجّة النبيّ ﷺ بسنة، ثم حجّ النبيّ ﷺ من قابل في ذي الحجة، فذلك حين قال: «إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السّماوات والأرض، وإلىٰ هذا المعنىٰ ذهب السدي عن أشياخه، والقاسم بن محمد

قوله تعالى: ﴿وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ﴾.

قال ابن عباس: كان أهل اليمن يحجون ولا يتزودون ويقولون: نحن المتوكلون، فيسألون الناس، فأنزل الله تعالىٰ: ﴿وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ﴾.

قال ﷻ: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ ۚ فَإِذَا أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِندَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ ۖ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّالِّينَ ﴿١٩٨﴾ ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٩٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ ۚ﴾.

٢٩٢ - قال ابن عباس: كانوا يتقون البيوع والتجارة في الموسم، ويقولون: أيام ذكر فنزلت هذه الآية.

٢٩٣ - قال الْبُخَارِيُّ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدٌ، أَخْبَرَنِي ابْنُ عُيَيْنَةَ، عَنْ عَمْرو، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: كَانَتْ عُكَاظٌ ومَجَنَّة، وَذُو الْمَجَازِ أَسْوَاقَ الْجَاهِلِيَّةِ، فتأثَّموا أَنْ يَتَّجِرُوا فِي الْمَوَاسِمِ فَنَزَلَتْ: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ ۚ﴾ فِي مَوَاسِمِ الْحَجِّ.

والابتغاء: الالتماس.

والفضل هاهنا: النّفع بالتجارة والكسب

أفضتم، بمعنى: دفعتم

وفي تسمية «عرفات» قولان:

أحدهما: أن الله تعالىٰ بعث جبريل إلىٰ إبراهيم فحج به، فلما أتىٰ عرفات قال: قد عرفت، فسمّيت «عرفة»، قاله عليّ رضي الله عنه.

والثاني: أنها سميت بذلك لاجتماع آدم وحواء، وتعارفهما بها، قاله الضحاك.

والمشعر: المعلم، سمي بذلك لأن الصلاة عنده.

والمقام والمبيت والدعاء من معالم الحج، وهو مزدلفة وهي جمع يسمىٰ بالاسمين.

٢٩٤ - قال **ابن عمر ومجاهد**: المشعر الحرام المزدلفة كلها.

قوله تعالى: ﴿وَٱذْكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمْ﴾، أي: جزاء هدايته لكم.

قوله تعالى: ﴿وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِۦ﴾، **في هاء الكناية ثلاثة أقوال**:

أحدها: أنها ترجع إلىٰ الإسلام، قاله ابن عباس.

والثاني: أنها ترجع إلىٰ الهدىٰ، قاله مقاتل

والثالث: أنها ترجع إلىٰ القرآن، قاله سفيان الثوري

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ﴾.

٢٩٥ - قالت **عائشة** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: كانت قريش ومن يدين بدينها، وهم الحمس، يقفون عشيّة عرفة بالمزدلفة، يقولون: نحن قطين البيت، وكان بقية العرب والناس يقفون بعرفات، فنزلت هذه الآية.

سموا الحمس لأنهم تحمسوا في دينهم، أي: تشددوا.

والحماسة: الشدة في كل شيء.

وفي المراد بالناس هاهنا أربعة أقوال:

أحدها: أنهم جميع العرب غير الحمس، ويدل عليه حديث عائشة، وهو قول عروة، ومجاهد، وقتادة.

والثاني: أن المراد بالناس هاهنا: إبراهيم الخليل ﷺ، قاله الضحاك بن مزاحم.

والثالث: أن المراد بالناس آدم، قاله الزهري

والرابع: أنهم أهل اليمن وربيعة، فانهم كانوا يفيضون من عرفات، قاله مقاتل

وفي المخاطبين بذلك قولان:

أحدهما: أنه خطاب لقريش، وهو قول الجمهور.

والثاني: أنه خطاب لجميع المسلمين، وهو يخرج علىٰ قول من قال: الناس آدم، أو إبراهيم.

والإفاضة هاهنا علىٰ ما يقتضيه ظاهر اللفظ: هي الإفاضة من المزدلفة إلىٰ منىٰ صبيحة النحر، إلا أن جمهور المفسرين علىٰ أنها الإفاضة من عرفات، فظاهر الكلام لا يقتضي ذلك، كيف يقال: ﴿فَإِذَآ أَفَضۡتُم مِّنۡ عَرَفَٰتٖ فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ﴾ [سورة البقرة:١٩٨]، ثم أفيضوا من عرفات؟! غير أني أقول: وجه الكلام علىٰ ما قال أهل التفسير: أن فيه تقديمـًا وتأخيراً، تقديره: ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس، فاذا أفضتم من عرفات فاذكروا الله.

و «**الغفور**»: من أسماء الله، ﷻ الساتر لعبده برحمته، أو الساتر لذنوب عباده والغفور: هو الذي يكثر المغفرة.

قال ﷻ: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَٰسِكَكُمْ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَآءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ
ذِكْرًا ۗ فَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ
﴿٢٠٠﴾ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا
عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿٢٠١﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا۟ ۚ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٠٢﴾
وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْدُودَٰتٍ ۚ فَمَن تَعَجَّلَ فِى يَوْمَيْنِ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ
فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ لِمَنِ ٱتَّقَىٰ ۗ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٠٣﴾﴾

قوله تعالى ﴿فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَٰسِكَكُمْ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ﴾ في سبب نزولها ثلاثة أقوال:

أحدها: أن أهل الجاهلية كانوا إذا اجتمعوا بالموسم، ذكروا أفعال آبائهم وأيامهم وأنسابهم في الجاهلية، فتفاخروا بذلك فنزلت هذه الآية. وهذا المعنىٰ مرويّ عن الحسن، وعطاء، ومجاهد.

والثاني: أن العرب كانوا إذا حدثوا أو تكلموا يقولون: وأبيك إنهم لفعلوا كذا وكذا فنزلت هذه الآية. وهذا مروي عن الحسن أيضـًا.

والثالث: أنهم كانوا إذا قضوا مناسكهم، قام الرجل بمنىٰ، فقال: اللهم إن أبي كان عظيم الجفنة، كثير المال، فأعطني مثل ذلك، فلا يذكر الله، إنما يذكر أباه ويسأل أن يعطىٰ في دنياه فنزلت هذه الآية، وهذا قول السّدّي

والمناسك: المتعبدات

وفي المراد بها هاهنا قولان:

أحدهما: أنها أفعال الحج، قاله الحسن.

والثاني: أنها إراقة الدّماء، قاله مجاهد.

وفي ذكرهم آباءهم أربعة أقوال:

أحدها: أنه إقرارهم بهم.

والثاني: أنه حلفهم بهم.

والثالث: أنه ذكر إحسان آبائهم إليهم، فانهم كانوا يذكرونهم وينسون إحسان الله إليهم.

والرابع: أنه ذكر الأطفال الآباء، لأنهم أول نطقهم بذكر آبائهم، روي هذا المعنىٰ عن عطاء، والضحاك

و «الخلاق» قد تقدم ذكره

وفي حسنة الدنيا أقوال:

أحدها: أنها المرأة الصالحة، قاله عليّ رضي الله عنه

والثاني: أنها العبادة، رواه سفيان بن حسين عن الحسن.

والثالث: أنها العلم والعبادة، رواه هشام عن الحسن.

والرابع: المال، قاله أبو وائل، والسدي، وابن زيد.

والخامس: العافية، قاله قتادة.

والسادس: الرزق الواسع، قاله مقاتل

وفي حسنة الآخرة ثلاثة أقوال:

أحدها: أنها الحور العين، قاله عليّ رضي الله عنه.

والثاني: الجنة، قاله الحسن، والسدي، ومقاتل.

والثالث: العفو والمعافاة، روي عن الحسن، والثوري.

٢٩٦ - **وقال أَحْمَدُ: حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ صُهَيْبٍ، عَنْ أَنَسٍ قَالَ: كَانَ أَكْثَرُ دَعْوَةٍ يَدْعُو بِهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ** [يَقُولُ]: **"اللَّهُمَّ ربَّنا، آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً، وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً، وقنا عذاب النار".**

وَكَانَ أَنَسٌ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَدْعُوَ بِدَعْوَةٍ دَعَا بِهَا، وَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَدْعُوَ بِدُعَاءٍ دَعَا بِهَا فِيهِ.

٢٩٧ - **وقال ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ: حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا أَبُو نُعَيْمٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ السَّلَامِ بْنُ شَدَّادٍ -يَعْنِي أَبَا طَالُوتَ- قَالَ: كُنْتُ عِنْدَ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، فَقَالَ لَهُ ثَابِتٌ: إِنَّ إِخْوَانَكَ يُحِبُّونَ أَنْ تَدْعُوَ لَهُمْ. فَقَالَ: اللَّهُمَّ آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً، وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً، وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ. وَتَحَدَّثُوا سَاعَةً حَتَّىٰ إِذَا أَرَادُوا الْقِيَامَ، قَالَ: يَا أَبَا حَمْزَةَ، إِنَّ إِخْوَانَكَ يُرِيدُونَ الْقِيَامَ فَادْعُ لَهُمْ فَقَالَ: تُرِيدُونَ أَنْ أَشَقق لَكُمُ الْأُمُورَ، إِذَا آتَاكُمُ اللهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً، وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً، وَوَقَاكُمْ عَذَابَ النَّارِ فَقَدْ آتَاكُمُ الْخَيْرَ كُلَّهُ.**

قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُواْۚ﴾

٢٩٨ - **فروى الضحاك عن ابن عباس أن رجلاً قال**: يا رسول الله، مات أبي ولم يحج، أفأحج عنه؟ فقال: «لو كان علىٰ أبيك دين قضيته، أفكان ذلك يجزئ عنه؟» قال: نعم، قال: «فدين الله أحق أن يقضىٰ»! قال: فهل لي من أجر؟ فنزلت هذه الآية

٢٩٩ - **وقال الْحَاكِمُ فِي مُسْتَدْرَكِهِ: أَخْبَرَنَا أَبُو زَكَرِيَّا الْعَنْبَرِيُّ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ السَّلَامِ، حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، أَخْبَرَنَا جَرِيرٌ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ مُسْلم الْبَطِينِ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ قَالَ: جَاءَ رَجُل إِلَىٰ ابْنِ عَبَّاسٍ فَقَالَ: إِنِّي أَجَّرْتُ نَفْسِي مِنْ قَوْمٍ عَلَىٰ أَنْ يَحْمِلُونِي، وَوَضَعْتُ لَهُمْ مِنْ أُجْرَتِي عَلَىٰ أَنْ يَدعُونِي أَحُجَّ مَعَهُمْ، أَفَيُجْزِي**

ذَلِكَ؟ فَقَالَ: أَنْتَ مِنَ الَّذِينَ قَالَ اللهُ [فِيهِمْ]: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ نَصِيبٞ مِّمَّا كَسَبُواْۚ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ۝٢٠٢﴾ ثُمَّ قَالَ الْحَاكِمُ: صَحِيحٌ عَلَىٰ شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ، وَلَمْ يخرجاه.

وفي معنى سرعة الحساب أقوال:

أحدها: أنه قِلَّته، قاله ابن عباس.

والثاني: أنه قرب مجيئه، قاله مقاتل.

قوله تعالى: ﴿وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ فِيٓ أَيَّامٖ مَّعۡدُودَٰتٖ﴾ **في هذا الذكر قولان:**

أحدهما: أنه التكبير عند الجمرات، وأدبار الصّلوات، وغير ذلك من أوقات الحجّ

والثاني: أنه التكبير عقيب الصلوات المفروضات

وفي الأيام المعدودات ثلاثة أقوال:

أحدها: أنها أيام التشريق، قاله ابن عمر، وابن عباس، والحسن، وعطاء، ومجاهد، وقتادة في آخرين.

والثاني: أنها يوم النحر ويومان بعده، روي عن علي، وابن عمر.

والثالث: أنها أيام العشر، قاله سعيد بن جبير، والنخعي

قوله تعالى: ﴿فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوۡمَيۡنِ﴾، أي: فمن تعجل النفر الأول في اليوم الثاني من أيام منىٰ، فلا إثم عليه، ومن تأخر إلىٰ النفر الثاني، وهو اليوم الثالث من أيام منىٰ، فلا إثم عليه.

وفي معنى «لمن اتقى» ثلاثة أقوال:

أحدها: لمن اتقىٰ قتل الصيد، قاله ابن عباس.

والثاني: لمن اتقىٰ المعاصي في حجه، قاله قتادة. وقال ابن مسعود: إنما مغفرة الله لمن اتقىٰ الله في حجه.

والثالث: لمن اتقىٰ فيما بقي من عمره، قاله أبو العالية، وإبراهيم.

قال ﷻ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعۡجِبُكَ قَوۡلُهُۥ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيُشۡهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلۡبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلۡخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾﴾ [سورة البقرة:٢٠٤].

قوله تعالى ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعۡجِبُكَ قَوۡلُهُۥ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾ **اختلفوا فيمن نزلت هذه الآية على ثلاثة أقوال:**

أحدها: أنها نزلت في الأخنس بن شريق، كان لين الكلام، كافر القلب، يظهر للنبيّ ﷺ الحسن، ويحلف له أنه يحبه ويتبعه علىٰ دينه، وهو يضمر غير ذلك، هذا قول ابن عباس، والسّدّيّ ومقاتل.

والثاني: أنّها فيمن نافق فأظهر بلسانه ما ليس في قلبه. وهذا قول الحسن، وقتادة، وابن زيد.

والثالث: أنها نزلت في سرية الرجيع، وذلك أنّ كفّار قريش بعثوا إلىٰ النبيّ ﷺ وهو بالمدينة: إنا قد أسلمنا، فابعث لنا نفرا من أصحابك يعلّمونا ديننا، فبعث ﷺ خبيب بن عدي، ومرثداً الغنوي، وخالد بن بكير، وعبد الله بن طارق، وزيد بن الدِثنَة، وأمرَّ عليهم عاصم بن ثابت، فساروا نحو مكة، فنزلوا بين مكة والمدينة ومعهم تمر، فأكلوا منه، فمرت عجوز فأبصرت النوىٰ، فرجعت إلىٰ قومها وقالت: قد سلك هذا

الطريق أهل يثرب، فركب سبعون منهم حتىٰ أحاطوا بهم، فحاربوهم فقتلوا مرثداً، وخالداً، وابن طارق، ونثر عاصم كنانته وفيها سبعة أسهم، فقتل بكل سهم رجلاً من عظمائهم، ثم قال: اللهم إني حميت دينك صدر النهار، فاحم لحمي آخر النهار، ثم أحاطوا به فقتلوه، وأرادوا حزّ رأسه ليبيعوه من سلافة بنت سعد، وكان قتل بعض أهلها، فنذرت: لئن قدرت علىٰ رأسه لتشربن في قحفه الخمر، فأرسل الله تعالىٰ رَجْلاً من الدبر- وهي الزّنابير- فحمته، فلم يقدروا عليه، فقالوا: دعوه حتىٰ يمسي فجاءت سحابة فأمطرت كالعزالي، فبعث الله الوادي، فاحتمله فذهب به، وأسروا خبيبًا وزيداً، فابتاع بنو الحارث بن عامر خبيبًا ليقتلوه، لأنه قتل آباءهم، فلما خرجوا به ليقتلوه، قال: دعوني أصلّي ركعتين، ثم قال: لولا أن تقولوا: جزع خبيب، لزدت، وأنشأ يقول:

ولست أبالي حين أُقتل مسلمًا ... علىٰ أي شق كان في الله مصرعي
وذلك في ذات الإله وإن يشأ ... يبارك علىٰ أوصال شلو ممزّع

فصلبوه حيًا، فقال: اللهم إنك تعلم أنه ليس حولي من يبلغ رسولك سلامي، فجاءه رجل منهم يقال له: أبو سروعة، ومعه رمح، فوضعه بين يدي خبيب، فقال له خبيب: اتق الله، فما زاده ذلك إلا عتواً. وأما زيد فابتاعه صفوان بن أمية ليقتله بأبيه، فجاءه سفيان بن حرب حين قدم ليقتله، فقال: يا زيد! أنشدك الله، أتحب أن محمداً مكانك، وأنك في أهلك؟ فقال: والله ما أحب أن محمداً الآن في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكة تؤذيه وأنا جالس في أهلي، ثم قتل. وبلغ النبيّ ﷺ الخبر، فقال: أيكم يحتمل خبيبًا عن خشبته وله الجنة؟ فقال الزبير: أنا وصاحبي المقداد، فخرجا

يمشيان بالليل ويمكثان بالنهار، حتىٰ وافيا المكان، وإذا حول الخشبة أربعون مشركًا نيام نشاوىٰ، وإذا هو رطب يتثنىٰ لم يتغير فيه شيء بعد أربعين يومًا، فحمله الزبير علىٰ فرسه وسار، فلحقه سبعون منهم، فقذف الزبير خبيبًا فابتلعته الأرض، وقال الزبير: ما جرأكم علينا يا معشر قريش؟! ثم رفع العمامة عن رأسه وقال: أنا الزبير بن العوام، وأمي صفية بنت عبد المطلب، وصاحبي المقداد، أسدان رابضان يدفعان عن شبلهما، فان شئتم ناضلتكم، وإن شئتم نازلتكم، وإن شئتم انصرفتم، فانصرفوا، وقدما علىٰ رسول الله ﷺ وجبريل عنده، فقال: «يا محمد إِن الملائكة لتباهي بهذين من أصحابك».

وقال بعض المنافقين في أصحاب خبيب: ويح هؤلاء المقتولين لا في بيوتهم قعدوا، ولا رسالة صاحبهم أدوا، فأنزل الله تعالىٰ في الزبير والمقداد وخبيب وأصحابه والمنافقين هذه الآية، وثلاث آيات بعدها. وهذا الحديث بطوله مروي عن ابن عباس

قوله تعالى: ﴿وَيُشۡهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلۡبِهِۦ﴾، **فيه قولان**:

أحدهما: أنه يقول: إن الله يشهد أن ما ينطق به لساني هو الذي في قلبي.

الثاني: أنه يقول: اللهم اشهد عليّ بهذا القول

قوله تعالى: ﴿وَهُوَ أَلَدُّ ٱلۡخِصَامِ ٢٠٤﴾

الخصام: جمع خصم.

والألد: الشديد الخصومة.

ومعناه: أن خصمه في أي وجه أخذ من أبواب الخصومة، غلبه في ذلك.

قال ﷻ: ﴿وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ٢٠٥﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا تَوَلَّىٰ﴾، **فيه أربعة أقوال:**

أحدها: أنه بمعنىٰ: غضب، روي عن ابن عباس، وابن جريج.

والثاني: أنه الانصراف عن القول الذي قاله، قاله الحسن.

والثالث: أنه من الولاية، فتقديره: إذا صار والياً، قاله مجاهد والضحاك.

والرابع: أنه الانصراف بالبدن، قاله مقاتل

وفي معنى «سعى» أنه بمعنى: عمل، قاله ابن عباس ومجاهد.

وفي الفساد قولان:

أحدهما: أنه الكفر.

والثاني: الظلم.

والحرث: الزرع.

والنسل: نسل كل شيء من الحيوان، هذا قول ابن عباس وعكرمة في آخرين.

والنسل أقوال:

أحدها: أنه إهلاك ذلك بالقتل والإحراق والإفساد، قاله الأكثرون.

والثاني: أنه إذا ظلم كان الظلم سبباً لقطع القطر، فيهلك الحرث والنسل، قاله مجاهد. وهو يخرج علىٰ قول من قال: إنه من التولي.

قوله تعالى ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ﴾:

٣٠٠ - قال ابن عباس: لا يرضىٰ بالمعاصي.

وفي معنى هذه الآية قوله تعالى: ﴿وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ﴾

قال ﷻ: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ ۚ فَحَسْبُهُۥ جَهَنَّمُ ۚ وَلَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿٢٠٦﴾﴾

قوله تعالى ﴿أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ﴾:

٣٠١ - قال ابن عباس: هي الحمية.

ومعنى الكلام: حملته الحمية علىٰ الفعل بالإثم.

وفي معنى الكلام قولان:

أحدهما: فحسبه جهنم جزاء عن إثمه.

والثاني: فحسبه جهنم ذلاً من عزه. والمهاد: الفراش، ومهدت لفلان: إذا وطَّأت له، ومنه: مهد الصبي.

قال ﷻ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٢٠٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ﴾، اختلفوا فيمن نزلت هذه الآية على خمسة أقوال:

أحدها: أنها نزلت في الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وهو معنىٰ قول عمر

وعليّ رضي الله عنهما.

والثاني: أنها نزلت في الزبير والمقداد حين ذهبا لإنزال خبيب من خشبته، وقد شرحنا القصة. وهذا قول ابن عباس والضحاك.

والثالث: أنها نزلت في صهيب الرومي، واختلفوا في قصته.

قد علمتم أني من أرماكم بسهمٍ، وأيم الله لا تصلون إليَّ حتىٰ أرميكم بكل سهم معي، ثم أضربكم بسيفي ما بقي في يدي منه شيء، فان شئتم دللتكم علىٰ مالي. قالوا: فدلنا علىٰ مالك نخلِّ عنك، فعاهدهم علىٰ ذلك، فنزلت فيه هذه الآية، فلمّا رآه النبيّ ﷺ قال: «ربح البيع يا أبا يحيىٰ»؟ وقرأ عليه القرآن. هذا قول سعيد بن المسيب، وذكر نحوه أبو صالح عن ابن عباس، وقال: إن الذي تلقاه فبشره بما نزل فيه أبو بكر الصديق.

٣٠٢ - **وذكر مقاتل**: أنه قال للمشركين: أنا شيخ كبير لا يضركم إن كنت معكم أو عليكم، ولي عليكم حق لجواري فخذوا مالي غير راحلة، واتركوني وديني، فاشترط أن لا يمنع عن صلاة ولا هجرة، فأقام ما شاء الله، ثم ركب راحلته، فأتىٰ المدينة مهاجراً، فلقيه أبو بكر فبشره وقال: نزلت فيك هذه الآية.

٣٠٣ - **وقال عكرمة**: إنها نزلت في صهيب، وأبي ذر الغفاري، فأما صهيب، فأخذه أهله فافتدىٰ بماله، وأما أبو ذر، فأخذه أهله فأفلت منهم حتىٰ قدم مهاجراً.

والرابع: أنها نزلت في المجاهدين في سبيل الله، قاله الحسن وابن زيد في آخرين.

والخامس: أنها نزلت في المهاجرين والأنصار حين قاتلوا علىٰ دين الله حتىٰ ظهروا، هذا قول قتادة

و «يشري» كلمة من الأضداد، يقال: شرىٰ، بمعنىٰ: باع، وبمعنىٰ: اشترىٰ، فمعناها علىٰ قول من قال: نزلت في صهيب معنىٰ: يشتري.

وعلىٰ بقية الأقوال بمعنىٰ: يبيع.

قال ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةٗ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ﴿٢٠٨﴾ فَإِن زَلَلۡتُم مِّنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡكُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٠٩﴾ هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِي ظُلَلٖ مِّنَ ٱلۡغَمَامِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ ﴿٢١٠﴾﴾

قوله تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةٗ﴾ **اختلفوا فيمن نزلت على ثلاثة أقوال:**

أحدها: أنها نزلت فيمن أسلم من أهل الكتاب، كانوا بعد إسلامهم يتقون السبت ولحم الجمل، وأشياء يتقيها أهل الكتاب، رواه أبو صالح عن ابن عباس.

والثاني: أنها نزلت في أهل الكتاب الذين لم يؤمنوا بالنبيّ محمّد ﷺ، أمروا بالدخول في الإسلام. روي عن ابن عباس أيضـًا، وبه قال الضحاك.

والثالث: أنها نزلت في المسلمين، يأمرهم بالدخول في شرائع الإسلام كلها، قاله مجاهد وقتادة.

وفي معنى «السلم» قولان:

أحدهما: أنه الإسلام، قاله ابن عباس، وعكرمة، وقتادة، والضحاك، والسدي، في آخرين.

والثاني: أنها الطاعة، روي عن ابن عباس أيضـًا، وهو قول أبي العالية، والربيع.

و «كافة» بمعنىٰ الجميع.

هل قوله: «كافة» يرجع إلىٰ السلم، أو إلىٰ الداخلين فيه؟ علىٰ قولين:

أحدهما: أنه راجع إلىٰ السلم، فتقديره: ادخلوا في جميع شرائع الإسلام. وهذا يخرج علىٰ القول الأول الذي ذكرناه في نزول الآية.

والثاني: أنه يرجع إلىٰ الداخلين فيه، فتقديره: ادخلوا كلكم في الإسلام، وبهذا يخرج علىٰ القول الثاني.

٣٠٤ - وقال ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ: أَخْبَرَنَا عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ، أَخْبَرَنَا أَحْمَدُ بْنُ الصَّبَّاحِ، أَخْبَرَنِي الْهَيْثَمُ بْنُ يَمَانٍ، حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ زَكَرِيَّا، حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَوْنٍ، عَنْ عِكْرِمَةَ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱدْخُلُوا۟ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً﴾ -كَذَا قَرَأَهَا بِالنَّصْبِ -يَعْنِي مُؤْمِنِي أَهْلِ الْكِتَابِ، فَإِنَّهُمْ كَانُوا مَعَ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ مُسْتَمْسِكِينَ بِبَعْضِ أَمْرِ التَّوْرَاةِ وَالشَّرَائِعِ التِي أُنْزِلَتْ فِيهِمْ، فَقَالَ اللهُ: ﴿ٱدْخُلُوا۟ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً﴾ يَقُولُ: ادْخُلُوا فِي شَرَائِعِ دِينِ مُحَمَّدٍ ﷺ وَلَا تَدَعُوا مِنْهَا شَيْئًا وَحَسْبُكُمْ بِالْإِيمَانِ بِالتَّوْرَاةِ وَمَا فِيهَا.

و «**خطوات الشيطان**»: المعاصي. وقد سبق شرحها. و «البينات»: الدلالات الواضحات.

٣٠٥ - وقال ابن جريج: هي الإسلام والقرآن. و «ينظرون» بمعنىٰ: ينتظرون

قوله تعالى: ﴿إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ﴾

والظلل: جمع ظلة. و «الغمام»: السحاب الذي لا ماء فيه.

٣٠٦ - قال **الضحاك**: في قطع من السحاب.

ومتى يكون مجيء الملائكة؟ فيه قولان:

أحدهما: أنه يوم القيامة أيضا، وهو قول الجمهور.

والثاني: أنه عند الموت، قاله قتادة.

﴿وَقُضِيَ ٱلْأَمْرُۚ﴾: فرغ منه.

﴿وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ﴾، أي: تصير.

٣٠٧ - روى **الطبري في تفسيره**: **هَاهُنَا حَدِيثَ الصُّورِ بِطُولِهِ مِنْ أَوَّلِهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ. وَهُوَ حَدِيثٌ مَشْهُورٌ سَاقَهُ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنْ أَصْحَابِ الْمَسَانِيدِ وَغَيْرِهِمْ، وَفِيهِ: "أَنَّ النَّاسَ إِذَا اهْتَمُّوا لِمَوْقِفِهِمْ فِي الْعَرَصَاتِ تَشَفَّعُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ بِالْأَنْبِيَاءِ وَاحِدًا وَاحِدًا، مِنْ آدَمَ فَمَنْ بَعْدَهُ، فَكُلُّهُمْ يَحِيدُ عَنْهَا حَتَّىٰ يَنْتَهُوا إِلَىٰ مُحَمَّدٍ، صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ، فَإِذَا جاؤوا إِلَيْهِ قَالَ: أَنَا لَهَا، أَنَا لَهَا. فَيَذْهَبُ فَيَسْجُدُ لِلَّهِ تَحْتَ الْعَرْشِ، وَيَشْفَعُ عِنْدَ اللهِ فِي أَنْ يَأْتِيَ لِفَصْلِ الْقَضَاءِ بَيْنَ الْعِبَادِ، فيُشفّعه اللهُ، وَيَأْتِي فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ بَعْدَ مَا تَنْشَقُّ السَّمَاءُ الدُّنْيَا، وَيَنْزِلُ مَنْ فِيهَا مِنَ الْمَلَائِكَةِ، ثُمَّ الثَّانِيَةُ، ثُمَّ الثَّالِثَةُ إِلَىٰ السَّابِعَةِ، وَيَنْزِلُ حَمَلَةُ الْعَرْشِ والكَرُوبيّون، قَالَ: وَيَنْزِلُ الْجَبَّارُ، ﷻ، فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ والملائكةُ، وَلَهُمْ زَجَل مِنْ تَسْبِيحِهِمْ يَقُولُونَ: سُبْحَانَ ذِي الْمُلْكِ وَالْمَلَكُوتِ، سُبْحَانَ رَبِّ الْعَرْشِ ذِي الْجَبَرُوتِ سُبْحَانَ الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ، سُبْحَانَ الَّذِي يُمِيتُ الْخَلَائِقَ وَلَا يَمُوتُ، سُبّوح قُدُّوسٌ، رَبُّ الْمَلَائِكَةِ وَالرُّوحِ، قُدُّوسٌ قُدُّوسٌ، سُبْحَانَ رَبِّنَا الْأَعْلَىٰ، سُبْحَانَ ذِي السُّلْطَانِ**

وَالْعَظْمَةِ، سُبْحَانَهُ أَبَدًا أَبَدًا".

قال ﷻ: ﴿سَلۡ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ كَمۡ ءَاتَيۡنَٰهُم مِّنۡ ءَايَةِۭ بَيِّنَةٖۗ وَمَن يُبَدِّلۡ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ٢١١﴾

قوله تعالى: ﴿سَلۡ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾ الخطاب للنبي ﷺ، والمعنىٰ: له وللمؤمنين.

وفي المراد بالسؤال قولان:

أحدهما: أنه التقرير والإذكار بالنعم.

والثاني: التوبيخ علىٰ ترك الشكر.

والآية البينة: العلامة الواضحة، كالعصا، والغمام، والمن، والسلوىٰ، والبحر.

وفي المراد بنعمة الله أنها الآيات التي ذكرناها، قاله قتادة.

وفي معنىٰ تبديلها أنه الكفر بها، قاله أبو العالية ومجاهد.

قال ﷻ: ﴿زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا وَيَسۡخَرُونَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۘ وَٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ فَوۡقَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ وَٱللَّهُ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٖ ٢١٢﴾

قوله تعالى ﴿زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا﴾، **في نزولها ثلاثة أقوال:**

أحدها: أنها نزلت في أبي جهل وأصحابه، قاله ابن عباس.

والثاني: نزلت في علماء اليهود، قاله عطاء.

والثالث: في عبد الله بن أبيّ وأصحابه من المنافقين، قاله مقاتل.

وما السبب في سخرية الكفار من المؤمنين؟ فيه ثلاثة أقوال:

أحدها: أنهم سخروا منهم للفقر.

والثاني: لتصديقهم بالآخرة.

والثالث: لاتّباعهم للنبيّ ﷺ، وقيل: إنهم كانوا يوهمونهم أنكم علىٰ الحق، سخرية منهم بهم.

وفي معنى كونهم «فوقهم» ثلاثة أقوال:

أحدها: أن ذلك علىٰ أصله، لأن المؤمنين في عليّين، والكفار في سجين.

والثاني: أن حجج المؤمنين فوق شبه الكافرين، فهم المنصورون.

والثالث: في أن نعيم المؤمنين في الجنة فوق نعيم الكافرين في الدنيا.

قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٖ﴾، **فيه قولان:**

أحدهما: أنه يرزق من يشاء رزقًا واسعًا غير ضيّق.

والثاني: يرزق من يشاء بلا محاسبة في الآخرة.

قال ﷻ: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِۚ وَمَا ٱخۡتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُ بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَا ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ مِنَ ٱلۡحَقِّ بِإِذۡنِهِۦۗ وَٱللَّهُ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٍ ٢١٣﴾

قوله تعالى: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ﴾، **في المراد ب «الناس» هاهنا ثلاثة أقوال:**

أحدها: جميع بني آدم، وهو قول الجمهور.

والثاني: آدم وحده، قاله مجاهد

وفي ذلك المقصد الذي كانوا عليه قولان:

أحدهما: أنه الإسلام، قاله أبيّ بن كعب، وقتادة، والسدّي، ومقاتل.

والثاني: أنه الكفر، رواه عطية عن ابن عباس.

ومتى كان ذلك، فيه خمسة أقوال:

أحدها: أنه حين عرضوا علىٰ آدم وأقروا بالعبودية، قاله أبيّ بن كعب.

والثاني: في عهد إبراهيم كانوا كفاراً، قاله ابن عباس.

والثالث: بين آدم ونوح، وهو قول قتادة.

والرابع: حين ركبوا السفينة، كانوا علىٰ الحق، قاله مقاتل.

والخامس: في عهد آدم. ذكره ابن الأنباري.

قال الله تعالى: ﴿فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾ بالنار.

هذا قول الأكثرين.

٣٠٨ - وقال **بعض السلف**: مبشرين لمن آمن بك يا محمد، ومنذرين لمن كذّبك.

والكتاب: اسم جنس وذكر بعضهم أنه في التوراة.

وفي المراد بالحق هاهنا قولان:

أحدهما: أنه بمعنىٰ الصدق والعدل.

والثاني: أنه القضاء فيما اختلفوا فيه. ﴿لِيَحۡكُمَ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ﴾،

في الحاكم هاهنا ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه الله تعالىٰ.

والثاني: النبي الذي أنزل عليه الكتاب.

والثالث: الكتاب كقوله تعالىٰ: ﴿هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيۡكُم بِٱلۡحَقِّۚ﴾ [سورة الجاثية:٢٩].

قوله تعالى: ﴿فِيمَا ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِۚ﴾، يعني: الدين.

قوله تعالى: ﴿وَمَا ٱخۡتَلَفَ فِيهِ﴾ في هذه الهاء أقوال:

أحدها: أنها تعود إلىٰ محمّد ﷺ، قاله ابن مسعود.

والثاني: إلىٰ الدين، قاله مقاتل.

قوله تعالى: ﴿فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَا ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ﴾، أي: لمعرفة ما اختلفوا فيه، أو تصحيح ما اختلفوا فيه.

وفي الذي اختلفوا فيه ستة أقوال:

أحدها: أنه الجمعة، جعلها اليهود السبت، والنصارىٰ الأحد.

٣٠٩ - فروىٰ البخاري ومسلم في «الصحيحين» من حديث أبي هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال: «نحن الآخرون السابقون يوم القيامة بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا، وأوتيناه من بعدهم، فهذا يومهم الذي فرض عليهم فاختلفوا فيه، فهدانا الله له. اليوم لنا، وغداً لليهود، وبعد غد للنصارىٰ».

والثاني: أنه الصلاة، فمنهم من يصلي إلىٰ المشرق، ومنهم من يصلي إلىٰ المغرب.

والثالث: أنه إبراهيم. قالت اليهود: كان يهوديـًا، وقالت النصارىٰ: كان نصرانيـًا.

والرابع: أنه عيسىٰ، جعلته اليهود لفرية، وجعلته النّصارىٰ إلها.

والخامس: أنه الكتاب، آمنوا ببعضها، وكفروا ببعضها.

والسادس: أنه الدين، وهو الأصح، لأن جميع الأقوال داخلة في ذلك

قوله تعالى: ﴿بِإِذْنِهِۦ﴾، إذنه: علمه.

٣١٠ - **وقال غيره**: أمره.

٣١١ - **قال بعضهم**: توفيقه.

٣١٢ - وفي قِرَاءَةِ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ: "وَلِيَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَىٰ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَاللهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ"، وَكَانَ أَبُو الْعَالِيَةِ يَقُولُ: فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْمَخْرَجُ مِنَ الشُّبَهَاتِ وَالضَّلَالَاتِ وَالْفِتَنِ.

قال ﷻ: ﴿أَمۡ حَسِبۡتُمۡ أَن تَدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ وَلَمَّا يَأۡتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلِكُمۖ مَّسَّتۡهُمُ ٱلۡبَأۡسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلۡزِلُواْ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصۡرُ ٱللَّهِۗ أَلَآ إِنَّ نَصۡرَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ ٢١٤﴾

قوله تعالى ﴿أَمۡ حَسِبۡتُمۡ أَن تَدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ﴾ في سبب نزولها ثلاثة أقوال:

أحدها: أن الصحابة أصابهم يوم الأحزاب بلاء وحصر، فنزلت هذه الآية، ذكره السدي عن أشياخه وهو قول قتادة.

والثاني: أن النبيّ ﷺ لما دخل المدينة هو وأصحابه اشتد بهم الضر، فنزلت هذه الآية، قاله عطاء.

والثالث: أن المنافقين قالوا للمؤمنين: لو كان محمد نبيـًا لم يُسلط عليكم القتل،

فأجابوهم: من قتل منا دخل الجنة، فقالوا: لم تمنّون أنفسكم بالباطل؟

فنزلت هذه الآية، قاله مقاتل. وزعم أنها نزلت يوم أُحد.

و «**زلزلوا**» خُوفوا وحُرِكوا بما يؤذي.

فالمعنى: أنه تكرر عليهم التحريك بالخوف، قاله ابن عباس. البأساء: الشدة والبؤس، والضراء: البلاء والمرض. وكل رسول بعث إلىٰ أمته يقول: **مَتىٰ نَصْرُ اللهِ**، والنصر: الفتح

فصل: ومعنىٰ الآية: أن البلاء والجهد بلغ بالأمم المتقدمة إلىٰ أن استبطئوا النصر لشدة البلاء.

وقد دلت علىٰ أن طريق الجنة إنما هو الصبر علىٰ البلاء.

٣١٣ - **قالت عائشة**: ما شبع رسول الله ﷺ ثلاثة أيام تباعـًا من خبز بُرٍ حتىٰ مضىٰ لسبيله.

٣١٤ - **وقال حذيفة**: أقرّ أيامي لعيني، يوم أرجع إلىٰ أهلي فيشكون إليَّ الحاجة. قيل: ولم ذلك؟ قال: لأني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إِن الله يتعاهد المؤمن بالبلاء كما يتعاهد الوالد ولده بالخير، وإِن الله ليحمي المؤمن من الدنيا، كما يحمي المريض أهله الطعام».

قال ﷻ: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَۖ قُلْ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِۗ وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٢١٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَۖ﴾ في سبب نزولها قولان:

أحدهما: أنها نزلت في عمرو بن الجموح الأنصاري، وكان له مال كثيرٌ، فقال: يا رسول الله بماذا نتصدق، وعلىٰ مَن ننفق؟ فنزلت هذه الآية. رواه أبو صالح عن ابن عباس.

والثاني: أن رجلاً قال للنبي ﷺ: إن لي ديناراً، فقال: «أنفقه علىٰ نفسك»، فقال: إن لي دينارين، فقال: «أنفقهما علىٰ أهلك»، فقال: إن لي ثلاثة، فقال: «أنفقها علىٰ خادمك»، فقال: إن لي أربعة، فقال: «أنفقها علىٰ والديك»، فقال: إن لي خمسة، فقال: «أنفقها علىٰ قرابتك»، فقال: إن لي ستة، فقال: «أنفقها في سبيل الله، وهو أحسنها»، فنزلت فيه هذه الآية، رواه عطاء عن ابن عباس.

فيكون المعنى: يسألونك: أي شيء الذي ينفقون، قال: وكأنهم سألوا: علىٰ مَن ينبغي أن يفضلوا، وما وجه الذي ينفقون؟ لأنهم يعلمون ما المنفق، فأعلمهم الله أن أولىٰ مَن أُفضِل عليه الوالدان والأقربون.

والخير: المال، قاله ابن عباس في آخرين.

وقال: ومعنىٰ «فللوالدين»: فعلىٰ الوالدين.

فصل: وأكثر علماء التفسير علىٰ أن هذه الآية منسوخة

٣١٥ - **قال ابن مسعود**: نسختها آية الزكاة.

٣١٦ - **وذهب** الحسن إلىٰ إحكامها.

٣١٧ - **وقال ابن زيد:** هي في النوافل، وهذا الظاهر من الآية، لأن ظاهرها يقتضي الندب، ولا يصح أن يقال: إنها منسوخة، إلا أن يقال: إنها اقتضت وجوب النفقة علىٰ المذكورين فيها.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ﴾ أَيْ: مَهْمَا صَدَرَ مِنْكُمْ مِنْ فِعْلِ مَعْرُوفٍ، فَإِنَّ اللهَ يعلَمُه، وَسَيَجْزِيكُمْ عَلَىٰ ذَلِكَ أوفرَ الْجَزَاءِ؛ فَإِنَّهُ لَا يَظْلِمُ أَحَدًا مثقالَ ذَرّة.

قال ﷻ: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ٢١٦﴾

قوله تعالىٰ: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ﴾،

٣١٨ - **قال ابن عباس:** لما فرض الله علىٰ المسلمين الجهاد شق عليهم وكرهوه، فنزلت هذه الآية. و «كتب» بمعنىٰ: فرض في قول الجماعة.

٣١٩ - **قال أبو عبيد** ذكر أن الناس مجتمعون علىٰ ضم هذا الحرف الذي في هذه الآية. وإنما كرهوه لمشقّته علىٰ النفوس، لا أنهم كرهوا فرض الله تعالىٰ.

قوله تعالىٰ ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا﴾:

٣٢٠ - **قال ابن عباس:** يعنىٰ الجهاد. ﴿وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ فتح وغنيمة أو شهادة. ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا﴾ وهو القعود عنه. ﴿وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ﴾، لا تصيبون فتحاً ولا غنيمة ولا شهادة. ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ﴾ أن الجهاد خير لكم. ﴿وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾

حين أحببتم القعود عنه.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾ أَيْ: هُوَ أَعْلَمُ بِعَوَاقِبِ الْأُمُورِ مِنْكُمْ، وأخبَرُ بِمَا فِيهِ صَلَاحُكُمْ فِي دُنْيَاكُمْ وَأُخْرَاكُمْ؛ فَاسْتَجِيبُوا لَهُ، وَانْقَادُوا لِأَمْرِهِ، لَعَلَّكُمْ تَرْشُدُونَ.

قال ﷻ: ﴿يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهۡرِ ٱلۡحَرَامِ قِتَالٖ فِيهِۖ قُلۡ قِتَالٞ فِيهِ كَبِيرٞۚ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفۡرُۢ بِهِۦ وَٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ وَإِخۡرَاجُ أَهۡلِهِۦ مِنۡهُ أَكۡبَرُ عِندَ ٱللَّهِۚ وَٱلۡفِتۡنَةُ أَكۡبَرُ مِنَ ٱلۡقَتۡلِۗ وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمۡ عَن دِينِكُمۡ إِنِ ٱسۡتَطَٰعُواْۚ وَمَن يَرۡتَدِدۡ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتۡ وَهُوَ كَافِرٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٢١٧﴾

قوله تعالى: ﴿يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهۡرِ ٱلۡحَرَامِ قِتَالٖ فِيهِۖ﴾

٣٢١ - روى **جندب بن عبد الله**: أن رسول الله ﷺ بعث رهطا واستعمل عليهم أبا عبيدة بن الحارث فلما انطلق ليتوجه بكىٰ صبابة إلىٰ رسول الله ﷺ، فبعث مكانه عبد الله بن جحش، وكتب له كتابـًا، وأمره ألا يقرأه إلا بمكان كذا وكذا، وقال: «لا تكرهنَّ أحداً من أصحابك علىٰ المسير معك»، فلما صار إلىٰ المكان، قرأ الكتاب واسترجع، وقال: سمعـًا وطاعة لأمر الله ولرسوله فخبرهم الخبر وقرأ عليهم الكتاب. فرجع رجلان من أصحابه، ومضىٰ بقيتهم، فأتوا ابن الحضرمي فقتلوه، فلم يدروا ذلك اليوم، أمِن رجب، أو من جمادىٰ الآخرة؟ فقال المشركون للمسلمين:

قتلتم في الشهر الحرام، فأتوا النبي فحدثوه الحديث فنزلت هذه الآية، فقال بعض المسلمين: لئن كان أصابهم خير فما لهم أجر، فنزلت: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ﴾ [سورة البقرة:٢١٨]. إلىٰ قوله: ﴿رَّحِيمٌ﴾.

٣٢٢ - قال **الزهري:** اسم ابن الحضرمي: عمرو، واسم الذي قتله عبد الله بن واقد الليثي. قال ابن عباس: كان أصحاب النبيّ ﷺ، يظنون تلك الليلة من جمادىٰ، وكانت أول رجب.

وقد روى عطيّة عن ابن عباس أنها نزلت في شيئين:

أحدهما: هذا.

والثاني: دخول النبيّ ﷺ مكة في شهر حرام يوم الفتح، حين عاب المشركون عليه القتال في شهر حرام.

وفي السائلين النبيّ ﷺ عن ذلك قولان:

أحدهما: أنهم المسلمون، سألوه: هل أخطئوا أم أصابوا؟ قاله ابن عباس وعكرمة ومقاتل.

والثاني: أنهم المشركون سألوه علىٰ وجه العيب علىٰ المسلمين، قاله الحسن، وعروة، ومجاهد.

والشهر الحرام: شهر رجب، وكان يدعىٰ الأصم، لأنه لم يكن يسمع فيه للسلاح قعقعة تعظيماً له، قِتالٍ فِيهِ أي: يسألونك عن قتال فيه: ﴿قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ﴾

٣٢٣ - قال **ابن مسعود وابن عباس:** لا يحِل.

اختلف العلماء في تحريم القتال في الأشهر الحرم: هل هو باق أم نسخ؟ على

قولين:

أحدهما: أنه باقٍ.

٣٢٤ - روى **ابن جريج أن عطاء كان يحلف بالله**: ما يحل للناس الآن أن يغزوا في الحرم، ولا في الأشهر الحرم، إلا أن يقاتلوا فيه أو يغزوا، وما نسخت.

والثاني: أنه منسوخ، قال سعيد بن المسيب، وسليمان بن يسار: القتال جائز في الشهر الحرام، هذه الآية منسوخة بقوله تعالىٰ: ﴿فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾ [سورة التوبة:٥]، وبقوله تعالىٰ: ﴿قَـٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ﴾ [سورة التوبة:٢٩]، وهذا قول فقهاء الأمصار.

وفي المراد ب «سبيل الله» هاهنا قولان:

أحدهما: أنه الحج، لأنهم صدوا رسول الله ﷺ، عن مكة. قاله ابن عباس والسدي عن أشياخه.

والثاني: أنه الإسلام، قاله مقاتل.

وفي هاء الكناية في قوله «وكفرٌ به» قولان:

أحدهما: أنها ترجع إِلىٰ الله تعالىٰ، قاله السدي عن أشياخه، وقتادة، ومقاتل.

والثاني: أنها تعود إلىٰ السبيل، قاله ابن عباس

قوله تعالى: ﴿وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ مِنْهُ﴾ لمّا آذوا رسول الله ﷺ وأصحابه اضطروهم إلىٰ الخروج فكأنهم أخرجوهم، فأعلمهم الله أن هذه الأفعال أعظم من قتل كل كافر.

«والفتنة» هاهنا بمعنىٰ الشرك، قاله ابن عمر، وابن عباس، ومجاهد، وابن جبير، وقتادة، والجماعة.

﴿وَلَا يَزَالُونَ﴾، يعني الكفّار، ﴿يُقَٰتِلُونَكُمۡ﴾ يعني: المسلمين. وحَبِطَتْ بمعنىٰ: بطلت

قال ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ يَرۡجُونَ رَحۡمَتَ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٢١٨﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ﴾، **في سبب نزولها قولان:**

أحدهما: أنه لما نزل القرآن بالرخصة لأصحاب عبد الله بن جحش في قتل ابن الحضرمي، قال بعض المسلمين: ما لهم أجر، فنزلت هذه الآية،

وقد ذكرنا هذا في سبب نزول قوله تعالى: ﴿يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهۡرِ ٱلۡحَرَامِ﴾ [سورة البقرة:٢١٧]. عن جندب بن عبد الله.

والثاني: أنه لما نزلت لهم الرخصة قاموا، فقالوا: يا رسول الله أنطمع أن تكون لنا غزاة نعطىٰ فيها أجر المجاهدين، فنزلت هذه الآية، قاله ابن عباس.

٣٢٥ - **وقال:** هاجَرُوا من مكة إلىٰ المدينة، وَجاهَدُوا في طاعة الله ابن الحضرميّ وأصحابه. ﴿رَحۡمَتَ ٱللَّهِۚ﴾: مغفرته وجنّته.

٣٢٦ - **قال الشعبي:** أول لواء عقد في الإسلام لواء عبد الله بن جحش، وأول مغنم قسم في الإسلام: مغنمه.

قال ﷻ: ﴿۞يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ۗ وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١٩﴾﴾

قوله تعالى ﴿۞يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ﴾ **في سبب نزولها قولان:**

أحدهما: أن عمر بن الخطاب قال: اللهم بين لنا في الخمر بياناً شافياً، فنزلت هذه الآية.

والثاني: أن جماعة من الأنصار جاءوا إلىٰ النبيّ ﷺ، وفيهم عمر، ومعاذ، فقالوا: أفتنا.

في الخمر، فإنها مذهبة للعقل مسلبة للمال، فنزلت هذه الآية.

والخمر في اللغة: ما ستر علىٰ العقل.

فأما الميسر، فقال ابن عباس، وابن عمر، والحسن، وسعيد بن جبير، ومجاهد، وقتادة في الآخرين: هو القمار

وكان أصحاب الثروة والأجواد في الشتاء عند شدة الزمان وكلبه ينحرون جزوراً ويجزئونها أجزاء ثم يضربون عليها بالقداح فاذا قمر القامر، جعل ذلك لذوي الحاجة والمسكنة، وهو النفع الذي ذكره الله تعالىٰ، وكانوا يتمادحون بأخذ القداح، ويتسابون بتركها ويعيبون من لا ييسر.

قوله تعالى ﴿قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ﴾ **وفي إثم الخمر أقوال:**

أحدها: أن شربها ينقص الدين، قاله ابن عباس.

والثاني: أنه إذا شرب سكر فآذىٰ الناس، رواه السدي عن أشياخه

وفي إثم الميسر قولان:

أحدهما: أنه يشغل عن ذكر الله وعن الصلاة، ويوقع العداوة، قاله ابن عباس.

والثاني: أنه يدعو إلىٰ الظلم ومنع الحق. رواه السدي عن أشياخه.

وأما منافع الخمر فمن وجهين:

أحدهما: الربح في بيعها.

والثاني: انتفاع الأبدان مع التذاذ النفوس.

وأما منافع الميسر: فإصابة الرجل المال من غير تعب.

وفي قوله تعالى: ﴿وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَاۗ﴾، **قولان:**

أحدهما: أن معناه: وإثمهما بعد التحريم أكبر من نفعهما قبل التحريم، قاله سعيد بن جبير والضحاك ومقاتل.

والثاني: وإثمهما قبل التحريم أكبر من نفعهما قبل التحريم أيضـًا. لأن الإثم الذي يحدث في أسبابهما أكبر من نفعهما. وهذا منقول عن ابن جبير أيضـًا.

واختلفوا بماذا كانت الخمرة مباحة؟ على قولين:

أحدهما: بقوله تعالىٰ: ﴿وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلۡأَعۡنَٰبِ تَتَّخِذُونَ مِنۡهُ سَكَرٗا﴾ [سورة النحل:٦٧]. قاله ابن جبير.

والثاني: بالشريعة الاولىٰ، وأقر المسلمون علىٰ ذلك حتىٰ حرمت

٣٢٧ - قال أَحْمَدُ: حَدَّثَنَا خَلَفُ بْنُ الْوَلِيدِ، حَدَّثَنَا إِسْرَائِيلُ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، عَنْ أَبِي مَيْسَرَةَ، عَنْ عُمَرَ أَنَّه قَالَ: لَمَّا نَزَلَ تَحْرِيمُ الْخَمْرِ قَالَ: اللَّهُمَّ بَيِّن لَنَا فِي الْخَمْرِ بَيَانًا

شَافِيًا. فَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ التِي فِي الْبَقَرَةِ: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ﴾ فدُعي عُمَرُ فقرئت عَلَيْهِ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ بَيِّنْ لَنا فِي الْخَمْرِ بَيَانًا شَافِيًا. فَنَزَلَتِ الْآيَةُ التِي فِي النِّسَاءِ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقْرَبُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ﴾ [سورة النساء:٤٣]، فكَانَ مُنَادِي رَسُولِ اللهِ ﷺ إِذَا أَقَامَ الصَّلَاةَ نَادَىٰ: أَلَّا يَقْرَبَنَّ الصَّلَاةَ سكرانُ. فدُعي عُمَرُ فَقُرِئَتْ عَلَيْهِ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ بَيِّنْ لَنَا فِي الْخَمْرِ بَيَانًا شَافِيًا. فَنَزَلَتِ الْآيَةُ التِي فِي الْمَائِدَةِ. فَدَعِي عُمَرُ، فَقُرِئَتْ عَلَيْهِ، فَلَمَّا بَلَغَ: ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ۝٩١﴾ [سورة المائدة:٩١] ؟ قَالَ عُمَرُ: انْتَهَيْنا، انْتَهَيْنَا

قوله تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ ۖ﴾، قال ابن عباس: الذي سأله عن ذلك عمرو بن الجموح

قوله تعالى: ﴿قُلِ ٱلْعَفْوَ﴾

وللمفسرين في المراد بالعفو هاهنا خمسة أقوال:

أحدها: أنه ما يفضل عن حاجة المرء وعياله، رواه مقسم عن ابن عباس. والثاني: ما تطيب به أنفسهم من قليل وكثير، رواه عطية عن ابن عباس.

والثالث: أنه القصد من الإسراف والإقتار، قاله الحسن، وعطاء، وسعيد بن جبير.

والرابع: أنه الصدقة المفروضة، قاله مجاهد.

والخامس: أنه ما لا يتبين عليهم مقداره، من قولهم: عفا الأثر إذا خفي ودرس، عن طائفة من المفسرين

فصل: وقد تكلم علماء الناسخ والمنسوخ في هذه الآية، فروىٰ السدي عن

أشياخه أنها نسخت بالزكاة، وأبىٰ نسخها آخرون. وفصل الخطاب في ذلك: أنا متىٰ قلنا: إنه فرض عليهم بهذه الآية التصدق بفاضل المال، أو قلنا: أوجبت عليهم هذه الآية صدقة قبل الزكاة، فالآية منسوخة بآية الزّكاة

ومتى قلنا: إنها محمولة علىٰ الزكاة المفروضة كما قال مجاهد، أو علىٰ الصدقة المندوب إليها، فهي محكمة

الكاف في «كذلك» إشارة إلىٰ ما بيَّن من الإنفاق، فكأنه قال: مثل ذلك الذي بينه لكم في الإنفاق يبيّن الآيات.

ويجوز أن يكون «كذلك» غير إشارة إلىٰ ما قبله، فيكون معناه: هكذا، قاله ابن عباس.

قوله تعالى ﴿ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ﴾ في الدنيا والآخرة فتعرفون فضل ما بينهما، فتعملون للباقي منهما

وَقَوْلُهُ: ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ۝٢١٩ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ﴾... أَيْ: كَمَا فصَّل لَكُمْ هَذِهِ الْأَحْكَامَ وبينَها وَأَوْضَحَهَا، كَذَلِكَ يُبَيِّنُ لَكُمْ سَائِرَ الْآيَاتِ فِي أَحْكَامِهِ وَوَعْدِهِ، ووعيده، لعلكم تتفكرون في الدنيا والآخرة

٣٢٨ - قال عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: يَعْنِي فِي زَوَالِ الدُّنْيَا وَفَنَائِهَا، وَإِقْبَالِ الْآخِرَةِ وَبَقَائِهَا.

٣٢٩ - وقال ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ: حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا علي بن محمد الطَّنَافسي، حدثنا أَبُو أُسَامَةَ، عَنِ الصعَّق الْعَيْشِيِّ قَالَ: شَهِدْتُ الْحَسَنَ -وَقَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ مِنَ الْبَقَرَةِ:

﴿لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١٩﴾ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ قَالَ: هِيَ وَاللهِ لِمَنْ تَفَكَّرَ فِيهَا، لِيَعْلَمَ أَنَّ الدُّنْيَا دَارُ بَلَاءٍ، ثُمَّ دَارُ فَنَاءٍ، وَلِيَعْلَمَ أَنَّ الْآخِرَةَ دَارُ جَزَاءٍ، ثُمَّ دَارُ بَقَاءٍ.

قال ﷻ: ﴿فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَىٰ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَىٰ﴾ في سبب نزولها قولان:

أحدهما: أنه لما أنزل الله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [سورة الإسراء:٣٤].

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا﴾ [سورة النساء:١٠]، انطلق من كان عنده مال يتيم، فعزل طعامه من طعامه، وشرابه من شرابه، وجعل يفضل الشيء من طعامِهِ فيحبس له حتىٰ يأكله أو يفسد. فاشتد ذلك عليهم، فذكروه للنبيّ ﷺ، فنزلت هذه الآية، هذا قول ابن عباس، وعطاء، وسعيد بن جبير، وقتادة، ومقاتل.

والثاني: أن العرب كانوا يشددون في أمر اليتيم حتىٰ لا يأكلون معه في قصعته، ولا يستخدمون له خادما، فسألوا النبيّ ﷺ عن مخالطتهم، فنزلت هذه الآية، ذكره السدي عن أشياخه، وهو قول الضحاك.

وفي السائلين للنبيّ ﷺ عن ذلك قولان:

أحدهما: أن الذي سأله ثابت بن رفاعة الأنصاري، قاله مقاتل.

والثاني: عبد الله بن رواحة

قوله تعالى: ﴿قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ﴾

معناه: تثمير أموالهم، والتنزه عن أكلها لمن وليها خير.

قوله تعالى ﴿وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ﴾ ، أي: فهم إخوانكم، حُكمهم في ذلك حكم إخوانكم.

٣٣٠ - قال **ابن عباس:** والمخالطة: أن يشرب من لبنك، وتشرب من لبنه، ويأكل في قصعتك، وتأكل في قصعته

﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ﴾، يريد: المتعمد أكل مال اليتيم، من المتحرّج الذي لا يألو إلا الإصلاح. ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ﴾،

٣٣١ - قال **ابن عباس:** أي لأحرجكم، ولضيّق عليكم.

قال ﷻ: ﴿وَلَا تَنكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ ۚ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ ۗ وَلَا تُنكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا ۚ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ ۗ أُولَٰئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ ۖ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ ۖ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٢١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ﴾ **في سبب نزولها قولان:**

أحدهما: أن رجلاً يقال له: مرثد بن أبي مرثد بعثه النبيّ ﷺ، إلىٰ مكة ليخرج ناسا من المسلمين بها أسرىٰ، فلما قدمها سمعت به امرأة يقال لها: عناق، وكانت خليلة له في الجاهلية، فلما أسلم أعرض عنها، فأتته فقالت: ويحك يا مرثد، ألا تخلو؟ فقال: إن الإسلام قد حال بيني وبينك، ولكن إن شئتِ تزوّجتك، إذا رجعت إلىٰ

رسول الله ﷺ، استأذنته في ذلك، فقالت: أبي يتبرّم؟! واستغاثت عليه، فضربوه ضرباً شديداً، ثم خلوا سبيله، فلما قضىٰ حاجته بمكة رجع إلىٰ النبيّ ﷺ، فسأله: أتحلُّ لي أن أتزوجها؟ فنزلت هذه الآية، هذا قول ابن عباس.

وذكر مقاتل بن سليمان أنه أبو مرثد الغنوي.

والثاني: أن عبد الله بن رواحة كانت له أمة سوداء، وأنه غضب عليها فلطمها، ثم فزع، فأتىٰ النبيّ ﷺ، فأخبره خبرها فقال له النبي ﷺ: «وما هي يا عبد الله»؟ فقال: يا رسول الله، هي تصوم وتصلي وتحسن الوضوء، وتشهد أن لا إِله إِلا الله، وأنك رسول الله، فقال: «يا عبد الله، هذه مؤمنة». فقال: والذي بعثك بالحق لأعتقنّها ولأتزوجنّها ففعل، فعابه ناس من المسلمين، وقالوا: أنكح أمة، وكانوا يرغبون في نكاح المشركات رغبة في أحسابهن، فنزلت هذه الآية. رواه السدي عن أشياخه.

وقد ذكر بعض المفسرين أن قصة عناق وأبي مرثد كانت سبباً لنزول قوله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكَـٰتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ﴾

وقصة ابن رواحة كانت سبباً لنزول قوله تعالىٰ: ﴿وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ﴾...

فأما التفسير:

٣٣٢ - **فقال المفضَّل:** أصل النكاح: الجماع، ثم كثر ذلك حتىٰ قيل للعقد: نكاح. وقد حرّم الله ﷻ نكاح المشركات عقدا ووطأ.

وفي «المشركات» هاهنا قولان:

أحدهما: أنه يعُم الكتابيات وغيرهن، وهو قول الأكثرين

والثاني: أنه خاص في الوثنيات، وهو قول سعيد بن جبير، والنخعي، وقتادة.

وفي المراد بالأمة قولان:

أحدهما: أنها المملوكة، وهو قول الأكثرين، فيكون المعنىٰ: ولَنكاح أمة مؤمنة خير من نكاح حرة مشركة.

والثاني: أنها المرأة، وإن لم تكن مملوكة، كما يقال: هذه أمة الله، هذا قول الضحّاك، والأول أصحّ.

وفي قوله تعالى ﴿وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ﴾ **قولان:**

أحدهما: بجمالها وحسنها.

والثاني: بحسبها ونسبها

فصل: اختلف علماء الناسخ والمنسوخ في هذه الآية، فقال القائلون بأن المشركات الوثنيات: هي محكمة

فأما القائلون بأنها عامة في جميع المشركات، فلهم في ذلك قولان:

أحدهما: أن بعض حكمها منسوخ بقوله: ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ [سورة المائدة:٥]، وبقي الحكم في غير أهل الكتاب محكماً.

والثاني: أنها ليست بمنسوخة، ولا ناسخة، بل هي عامة في جميع المشركات، وما أخرج عن عمومها من إباحة كافرة فدليل خاص، وهو قوله تعالىٰ: وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ، فهذه خصصت عموم تلك من غير نسخ، وعلىٰ هذا عامة الفقهاء. وقد روي معناه عن جماعة من الصحابة، منهم: عثمان، وطلحة، وحذيفة، وجابر، وابن عباس.

٣٣٣- قال الطبري في تفسيره: بَعْدَ حِكَايَتِهِ الْإِجْمَاعَ عَلَىٰ إِبَاحَةِ تَزْوِيجِ الْكِتَابِيَّاتِ: وَإِنَّمَا كَرِهَ عُمَرُ ذَلِكَ، لِئَلَّا يَزْهَدَ النَّاسُ فِي الْمُسَلَّمَاتِ، أَوْ لِغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْمَعَانِي، كَمَا حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْب، حَدَّثَنَا ابْنُ إِدْرِيسَ، حَدَّثَنَا الصَّلْتُ بْنُ بَهْرَامَ، عَنْ شَقِيقٍ قَالَ: تَزَوَّجَ حُذَيْفَةُ يَهُودِيَّةً، فَكَتَبَ إِلَيْهِ عُمَرُ: خَل سَبِيلَهَا، فَكَتَبَ إِلَيْهِ: أَتَزْعُمُ أَنَّهَا حَرَامٌ فأخَلي سَبِيلَهَا؟ فَقَالَ: لَا أَزْعُمُ أَنَّهَا حَرَامٌ، وَلَكِنِّي أَخَافُ أَنْ تَعَاطَوُا الْمُومِسَاتِ مِنْهُنَّ

٣٣٤- وقال ابْنُ جَرِيرٍ: حَدَّثَنِي مُوسَىٰ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْمَسْرُوقِيُّ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بِشْرٍ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ بْنُ سَعِيدٍ، عَنْ يَزِيدَ بْنِ أَبِي زِيَادٍ، عَنْ زَيْدِ بْنِ وَهْبٍ قَالَ: قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ: الْمُسْلِمُ يَتَزَوَّجُ النَّصْرَانِيَّةَ، وَلَا يَتَزَوَّجُ النَّصْرَانِيُّ الْمُسْلِمَةَ [لي]

قوله تعالى: ﴿وَلَا تُنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾، أي: لا تزوجوهم بمسلمة حتىٰ يؤمنوا والكلام في قوله تعالىٰ: ﴿وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ﴾، وفي قوله تعالىٰ: ﴿وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ﴾، مثل الكلام في أول الآية.

قال ﷻ: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ ۖ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ ۖ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ﴾

٣٣٥- روىٰ **ثابت عن أنس، قال:** كانت اليهود إذا حاضت المرأة منهن لم يؤاكلوها، ولم يشاربوها، ولم يجامعوها في البيوت، فسئل النبيّ ﷺ عن ذلك،

فنزلت هذه الآية، فأمرهم النبي ﷺ أن يؤاكلوهن ويشاربوهن ويكونوا معهن في البيوت، وأن يفعلوا كل شيء ما عدا النكاح.

٣٣٦ - وقال **ابن عباس:** جاء رجل يقال له: ابن الدّحداحة من الأنصار، إلىٰ النبيّ ﷺ، فقال: كيف نصنع بالنساء إذا حضن؟ فنزلت هذه الآية

وفي المحيض قولان:

أحدهما: أنه اسم للحيض

والثاني: أنه اسم لموضع الحيض

﴿فَٱعۡتَزِلُواْ ٱلنِّسَآءَ فِي ٱلۡمَحِيضِ﴾، المراد به اعتزال الوطء في الفرج، لأن المحيض نفس الدم أو نفس الفرج، ﴿وَلَا تَقۡرَبُوهُنَّ﴾، أي: لا تقربوا جماعهن، وهو تأكيد لقوله: ﴿فَٱعۡتَزِلُواْ ٱلنِّسَآءَ﴾... قوله تعالىٰ: ﴿حَتَّىٰ يَطۡهُرۡنَۖ﴾

٣٣٧ - قال **ابن عباس ومجاهد:** حتىٰ يطهرن من الدم، فاذا تطهرن اغتسلن بالماء

قوله تعالى: ﴿فَأۡتُوهُنَّ﴾ إباحة من حظر، لا علىٰ الوجوب.

قوله تعالى: ﴿مِنۡ حَيۡثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُۚ﴾ **فيه أربعة أقوال:**

أحدها: أن معناه: من قبل الطهر، لا من قبل الحيض، قاله ابن عباس، وأبو رزين، وقتادة، والسدي في آخرين.

والثاني: أن معناه: فأتوهن من حيث أمركم الله أن لا تقربوهن فيه، وهو محل الحيض، قاله مجاهد

والثالث: فأتوهنّ من قبل التزويج والحلال، لا من قبل الفجور، قاله ابن الحنفية.

والرابع: أن معناه: فأتوهن من الجهات التي يحل أن تقرب فيها المرأة، ولا

تقربوهن من حيث لا ينبغي مثل أن كن صائمات أو معتكفات أو محرمات. وهذا ابن كيسان.

وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ﴾ **قولان:**

أحدهما: التوابين من الذنوب، قاله عطاء، ومجاهد في آخرين.

والثاني: التوابين من إتيان الحيض، ذكره بعض المفسرين.

وفي قوله: ﴿وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾﴾ **ثلاثة أقوال:**

أحدها: المتطهرين من الذنوب، قاله مجاهد، وسعيد بن جبير، وأبو العالية.

والثاني: المتطهرين بالماء، قاله عطاء.

والثالث: المتطهرين من إتيان أدبار النساء، روي عن مجاهد

قال ﷻ: ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ ۖ وَقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُم مُّلَٰقُوهُ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٢٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ﴾ **في سبب نزولها ثلاثة أقوال:**

أحدها: أن اليهود أنكرت جواز إتيان المرأة إلا من بين يديها، وعابت من يأتيها علىٰ غير تلك الصفة، فنزلت هذه الآية. روي عن جابر، والحسن، وقتادة.

والثاني: أن حيًا من قريش كانوا يتزوجون النساء بمكة، ويتلذذون بهن مقبلات ومدبرات، فلما قدموا المدينة، تزوجوا من الأنصار، فذهبوا ليفعلوا ذلك، فأنكرنه، وانتهىٰ الحديث إلىٰ النبي ﷺ، فنزلت هذه الآية. رواه مجاهد عن ابن عباس.

والثالث: أن عمر بن الخطاب جاء إلىٰ النبيّ ﷺ، فقال: هلكت، حوّلت رحلي الليلة

فنزلت هذه الآية. رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس

والحرث: المزدرع، وكنىٰ به هاهنا عن الجماع، فسماهن حرثـًا، لأنهن مزدرع الأولاد، كالأرض للزرع

قوله تعالى: ﴿أَنَّىٰ شِئْتُمْ﴾ فيه أقوال:

أحدها: أنه بمعنى: كيف شئتم، ثم فيه قولان:

أحدهما: أن المعنىٰ: كيف شئتم، مقبلة أو مدبرة، وعلىٰ كل حال، إذا كان الإتيان في الفرج. وهذا قول ابن عباس، ومجاهد، وعطية، والسدي

والثاني: أنها نزلت في العزل، قاله سعيد بن المسيب، فيكون المعنىٰ: إن شئتم فاعزلوا، وإن شئتم فلا تعزلوا.

والقول الثاني: أنه بمعنى: إذا شئتم، ومتى شئتم، وهو قول ابن الحنفية والضحاك، وروي عن ابن عباس أيضاً.

قوله تعالى: ﴿وَقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُمْۚ﴾ فيه أقوال:

أحدها: أن معناه: وقدموا لأنفسكم من العمل الصالح، رواه أبو صالح عن ابن عباس.

والثاني: وقدموا التسمية عند الجماع، رواه عطاء عن ابن عباس.

والثالث: وقدموا لأنفسكم في طلب الولد، قاله مقاتل.

قال ﷻ: ﴿وَلَا تَجْعَلُوا۟ ٱللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَٰنِكُمْ أَن تَبَرُّوا۟ وَتَتَّقُوا۟ وَتُصْلِحُوا۟ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلُوا۟ ٱللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَٰنِكُمْ﴾ **في سبب نزولها أربعة أقوال:**

أحدها: أنها نزلت في عبد الله بن رواحة، كان بينه وبين ختنه شيء، فحلف عبد الله أن لا يدخل عليه ولا يكلمه، وجعل يقول: قد حلفت بالله، ولا يحل لي، إلا أن تبرّ يميني، فنزلت هذه الآية، قاله ابن عباس.

والثاني: أن الرجل كان يحلف بالله أن لا يصل رحمه، ولا يصلح بين الناس، فنزلت هذه الآية، قاله الربيع بن أنس.

والثالث: أنها نزلت في أبي بكر حين حلف: لا ينفق علىٰ مسطح، قاله ابن جريج

والرابع: نزلت في أبي بكر، حلف أن لا يصل ابنه عبد الرحمن حتىٰ يسلم، قاله المقاتلان: ابن حيان، وابن سليمان

والمعنى: ولا تجعلوا الله مُعترضاً لأيمانكم. وقال أبو عبيد: نصباً لأيمانكم، كأنه يعني: أنكم تعترضونه في كل شيء فتحلفون به.

وفي معنى الآية ثلاثة أقوال:

أحدها: أن معناها: لا تحلفوا بالله أن لا تبرّوا ولا تتقوا ولا تصلحوا بين الناس، هذا قول ابن عباس، ومجاهد، وعطاء، وابن جبير، والضحاك، وقتادة، والسدي، ومقاتل

والثاني: أن معناها: لا تحلفوا بالله كاذبين لتتقوا المخلوقين وتبرّوهم، وتصلحوا

بينهم بالكذب، روىٰ هذا المعنىٰ عطية عن ابن عباس.

والثالث: أن معناها: لا تكثروا الحلف بالله وإن كنتم بارّين مصلحين، فان كثرة الحلف بالله ضرب من الجرأة عليه، هذا قول ابن زيد

قال ﷻ: ﴿لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِيٓ أَيْمَٰنِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ٢٢٥﴾

قوله تعالى: ﴿لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِيٓ أَيْمَٰنِكُمْ﴾

اللغو في كلام العرب: ما أطُّرح ولم يعقد عليه أمر، ويسمىٰ ما لا يعتد به، لغواً

وفي المراد باللغو هاهنا خمسة أقوال:

أحدها: أن يحلف علىٰ الشيء ويظنّ أنه كما حلف، ثم يتبين له أنه بخلافه، وإلىٰ هذا المعنىٰ ذهب أبو هريرة، وابن عباس، والحسن، وعطاء، والشعبي، وابن جبير، ومجاهد، وقتادة، والسدي عن أشياخه، ومالك، ومقاتل.

والثاني: أنه: لا والله، وبلىٰ والله، من غير قصد لعقد اليمين، وهو قول عائشة، وطاوس، وعروة، والنخعي، والشافعي. واستدل أرباب هذا القول بقوله تعالىٰ: ﴿وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْۗ﴾ وكسب القلب: عقده وقصده، وهذان القولان منقولان عن أحمد، روىٰ عنه ابنه.

عبد الله أنه قال: اللغو عندي أن يحلف علىٰ اليمين، يرىٰ أنه كذلك، ولا كفارة.

والرجل يحلف ولا يعقد قلبه علىٰ شيء، فلا كفارة.

والثالث: أنه يمين الرجل وهو غضبان، رواه طاوس عن ابن عباس.

والرابع: أنه حلف الرجل علىٰ معصية، فليحنث، وليكفِّر، ولا إثم عليه، قاله سعيد بن جبير.

والخامس: أن يحلف الرجل علىٰ شيء، ثم ينساه، قاله النخعي. وقول عائشة أصح الجميع.

٣٣٨ - قال **حنبل**: سئل أحمد عن اللغو فقال: الرجل يحلف فيقول: لا والله، وبلىٰ والله، لا يريد عقد اليمين، فاذا عقد علىٰ اليمين لزمته الكفارة.

قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْۗ﴾

٣٣٩ - قال **مجاهد**: أي:ما عقدت عليه قلوبكم.

«**والحليم**»: ذو الصفح الذي لا يستفزه غضب، فيعجل، ولا يستخفه جهل جاهل مع قدرته علىٰ العقوبة

قال ﷻ: ﴿لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍۖ فَإِن فَآءُو فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ﴾ ...

٣٤٠ - قال **ابن عباس**: كان أهل الجاهلية إذا طلب الرجل من امرأته شيئًا، فأبت أن تعطيه حلف أن لا يقربها السنة، والثلاث، فيدعها لا أيّمًا ولا ذات بعل، فلما كان الإسلام جعل الله تعالىٰ ذلك للمسلمين أربعة أشهر، وأنزل هذه الآية.

٣٤١ - **وقال سعيد بن المسيب:** كان الإيلاء ضرار أهل الجاهلية، وكان الرجل لا يريد المرأة، ولا يحب أن يتزوجها غيره، فيحلف أن لا يقربها أبداً، فجعل الله تعالىٰ الأجل الذي يعلم به ما عند الرجل في المرأة أربعة أشهر، وأنزل هذه الآية.

يؤلون، أي: يحلفون

وقيل: في الكلام حذف، تقديره: يؤلون، يعتزلون من نسائهم. والتربص: الانتظار. ولا يكون مؤلياً إلا إذا حلف بالله لا يصيب زوجته أكثر من أربعة أشهر، فإن حلف علىٰ أربعة أشهر فما دون، لم يكن مؤلياً. وهذا قول مالك، وأحمد، والشافعي

﴿فَآءُو﴾: رجعوا، ومعناه رجعوا إلىٰ الجماع، قاله عليّ، وابن عباس، وابن جبير، ومسروق، والشعبي، وإذا كان للمؤلي عذر لا يقدر معه علىٰ الجماع، فإنه يقول: متىٰ قدرت جامعتها، فيكون ذلك من قوله فيئة فمتىٰ قدر فلم يفعل، أمر بالطلاق، فان لم يطلق، طلق الحاكم عليه.

قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ٢٢٦﴾

٣٤٢ - **قال عليّ، وابن عباس:** غفور لإثم اليمين

قال ﷻ: ﴿وَإِنْ عَزَمُوا۟ ٱلطَّلَٰقَ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ٢٢٧﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِنْ عَزَمُوا۟ ٱلطَّلَٰقَ﴾ [سورة البقرة:٢٢٧]، أي: حققوه

وفي عزم الطلاق قولان:

أحدهما: أنه إذا مضت الأربعة أشهر استحق عليه أن يفيء، أو يطلق، وهو مروي

عن عمر، وعثمان، وعليّ، وابن عمر، وسهل بن سعد، وعائشة، وطاوس، ومجاهد، والحكم، وأبي صالح.

وحكاه أبو صالح عن اثني عشر رجلاً من الصحابة، وهو قول مالك، وأحمد، والشافعي.

والثاني: أنه لا يفيء حتىٰ يمضي أربعة أشهر، فتطلق بذلك من غير أن يتكلم بطلاق

قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢٧﴾﴾ **فيه قولان**:

أحدهما: سميع لطلاقه، عليم بنيته.

والثاني: سميع ليمينه، عليم بها

قال ﷻ: ﴿وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ ۚ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِىٓ أَرْحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِى ذَٰلِكَ إِنْ أَرَادُوٓا۟ إِصْلَٰحًا ۚ وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ ۚ﴾

سبب نزولها:

أن المرأة كانت إذا طلقت وهي راغبة في زوجها، قالت: أنا حبلىٰ، وليست حبلىٰ، لكي يراجعها، وإن كانت حبلىٰ وهي كارهة، قالت: لست بحبلىٰ، لكي لا يقدر علىٰ مراجعتها. فلما جاء الإسلام ثبتوا علىٰ هذا، فنزل قوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا۟ ٱلْعِدَّةَ ۖ﴾ [سورة الطلاق:١]، ثم نزلت: ﴿وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ

﴿بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ﴾ [سورة البقرة:٢٢٨]، رواه أبو صالح عن ابن عباس.

فأما التفسير فالطلاق: التخلية

وأما القروء: فيراد بها: الأطهار، ويراد بها الحيض. يقال: أقرأت المرأة إذا حاضت، وأقرأت: إذا طهرت.

٣٤٣ - **قال النبيّ ﷺ في المستحاضة**: «تقعد أيام أقرائها»، يريد: أيام حيضها.

واختلف الفقهاء في الأقراء على قولين:

أحدهما: أنها الحيض، روي عن عمر، وعلي، وابن مسعود، وأبي موسىٰ، وعبادة بن الصامت، وأبي الدرداء، وعكرمة، والضحاك، والسدي، وسفيان الثوري، والأوزاعي، والحسن بن صالح، وأبي حنيفة وأصحابه وأحمد بن حنبل رضي الله عنه، فإنه قال: قد كنت أقول: إن القروء: الأطهار، وأنا اليوم أذهب إلىٰ أنها الحيض.

والثاني: أنها الأطهار، روي عن زيد بن ثابت، وابن عمر، وعائشة، والزهري، وأبان بن عثمان، ومالك بن أنس، والشافعي، وأومأ إليه أحمد

ولفظ قوله تعالى: ﴿وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ﴾ لفظ الخبر، ومعناه: الأمر

والمراد بالمطلقات في هذه الآية، البالغات المدخول بهن غير الحوامل.

قوله تعالى: ﴿وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِىٓ أَرْحَامِهِنَّ﴾ **فيه ثلاثة أقوال:**

أحدها: أنه الحمل، قاله عمر، وابن عباس، ومجاهد، وقتادة، ومقاتل

والثاني: أنه الحيض، قاله عكرمة، وعطية، والنخعي، والزهري.

والثالث: الحمل والحيض، قاله ابن عمر، وابن زيد.

وقوله تعالى: ﴿إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ﴾، خرِّج مخرج الوعيد لهن والتوكيد، وهو كما تقول للرجل: إن كنت مؤمنـًا فلا تظلم.

وفي سبب وعيدهم بذلك قولان:

أحدهما: أنه لأجل ما يستحقه الزوج من الرجعة، قاله ابن عباس.

والثاني: لأجل إلحاق الولد بغير أبيه، قاله قتادة. وقيل: كانت المرأة إذا رغبت عن زوجها، قالت: إني حائض، وقد طهرت. وإذا زهدت فيه، كتمت حيضها حتىٰ تغتسل، فتفوته.

والبعولة: الأزواج. و «ذلك»: إشارة إلىٰ العدة، قاله مجاهد، والنخعي، وقتادة في آخرين

قوله تعالى: ﴿إِنْ أَرَادُوٓاْ إِصْلَٰحًاۚ﴾ قيل: إن الرجل كان إذا أراد الإضرار بامرأته، طلقها واحدة وتركها، فاذا قارب انقضاء عدتها راجعها، ثم تركها مدّة، ثم طلقها، فنهوا عن ذلك. وظاهر الآية يقتضي أنه إنما يملك الرجعة علىٰ غير وجه المضارة بتطويل العدة عليها، غير أنه قد دل قوله تعالىٰ: ﴿وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُواْۚ﴾ [سورة البقرة: ٢٣١]، علىٰ صحة الرجعة وإن قصد الضرار، لأن الرجعة لو لم تكن صحيحة إذا وقعت علىٰ وجه الضرار لما كان ظالمـًا بفعلها.

قوله تعالى: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِۚ﴾، وهو: المعاشرة الحسنة، والصحبة الجميلة.

٣٤٤ - روي **عن النبيّ ﷺ أنه سئل عن حق المرأة علىٰ الزوج فقال**: «أن يطعمها إذا طعم، ويكسوها إذا اكتسىٰ، ولا يضرب الوجه، ولا يقبح، ولا يهجر إلا في

البيت».

٣٤٥ - **وقال ابن عباس:** إني أحب أن أتزين للمرأة، كما أحب أن تتزين لي لهذه الآية.

٣٤٦ - ثبت فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ، عَنْ جَابِرٍ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ فِي خُطْبَتِهِ، فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ: " فَاتَّقُوا اللهَ فِي النِّسَاءِ، فَإِنَّكُمْ أخذتموهُنّ بِأَمَانَةِ اللهِ، وَاسْتَحْلَلْتُمْ فُرُوجَهُنَّ بِكَلِمَةِ اللهِ، وَلَكُمْ عَلَيْهِنَّ أَلَّا يُوطِئْنَ فُرُشَكم أَحَدًا تَكْرَهُونَهُ، فَإِنْ فَعَلْنَ ذَلِكَ فَاضْرِبُوهُنَّ ضَرْبًا غَيْرَ مُبَرِّح، وَلَهُنَّ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ".

قوله تعالى: ﴿وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾

٣٤٧ - **قال ابن عباس:** بما ساق إليها من المهر، وأنفق عليها من المال. وقال مجاهد: بالجهاد والميراث. وقال أبو مالك: يطلقها، وليس لها من الأمر شيء.

٣٤٨ - **وروى أبو هريرة عن النبيّ ﷺ أنه قال:** «لو أمرتُ أحداً أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها».

٣٤٩ - **وقالت ابنة سعيد بن المسيب:** ما كنا نكلم أزواجنا إلا كما تكلمون أمراءكم.

وَقَوْلُهُ: ﴿وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ۝٢٢٨﴾ أَيْ: عَزِيزٌ فِي انْتِقَامِهِ مِمَّنْ عَصَاهُ وَخَالَفَ أَمْرَهُ، حَكِيمٌ فِي أَمْرِهِ وَشَرْعِهِ وَقَدْرِهِ.

قال ﷻ: ﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِۖ فَإِمۡسَاكُۢ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ تَسۡرِيحُۢ بِإِحۡسَٰنٖۗ وَلَا يَحِلُّ لَكُمۡ أَن تَأۡخُذُواْ مِمَّآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ شَيۡـًٔا إِلَّآ أَن يَخَافَآ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِۖ فَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَا فِيمَا ٱفۡتَدَتۡ بِهِۦۗ تِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعۡتَدُوهَاۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ٢٢٩﴾

قوله تعالى: ﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِۖ﴾

سبب نزولها:

أن الرجل كان يطلق امرأته، ثم يراجعها ليس لذلك شيء ينتهي إليه، فقال رجل من الأنصار لامرأته: والله لا أؤويك إليّ أبدا ولا تحلِّين مني. فقالت: كيف ذلك؟ قال: أطلقك، فاذا دنا أجلك، راجعتك، فذهبتْ إلىٰ النبي ﷺ، تشكو إليه ذلك فنزلت هذه الآية، فاستقبلها الناس جديداً من كان طلق، ومن لم يكن يطلّق. رواه هشام بن عروة عن أبيه.

فأما التفسير، ففي قوله تعالى: ﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِۖ﴾ قولان:

أحدهما: أنه بيان لسنَّة الطلاق، وأن يوقع في كل قرءٍ طلقة، قاله ابن عباس، ومجاهد.

والثاني: أنه بيان للطلاق الذي تملك معه الرجعة، قاله عروة، وقتادة.

قوله تعالى: ﴿فَإِمۡسَاكُۢ بِمَعۡرُوفٍ﴾، معناه: فالواجب عليكم إمساك بمعروف، وهو ما يعرف من إقامة الحق في إمساك المرأة. وقال عطاء، ومجاهد، والضحاك، والسدي: المراد بقوله تعالىٰ: ﴿فَإِمۡسَاكُۢ بِمَعۡرُوفٍ﴾ الرجعة بعد الثانية.

وفي قوله تعالى: ﴿أَوۡ تَسۡرِيحُۢ بِإِحۡسَٰنٖۗ﴾ **قولان:**

أحدهما: أن المراد به: الطلقة الثالثة، قاله عطاء، ومجاهد، ومقاتل.

والثاني: أنه الإمساك عن رجعتها حتىٰ تنقضي عدتها، قاله الضحاك، والسدي

قوله تعالى: ﴿وَلَا يَحِلُّ لَكُمۡ أَن تَأۡخُذُواْ مِمَّآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ شَيۡـًٔا﴾

نزلت في ثابت بن قيس بن شمَّاس، أتت زوجته إلىٰ النبيّ ﷺ، فقالت: والله ما أعيب علىٰ ثابت في دين ولا خلق، ولكني أكره الكفر في الإسلام، لا أطيقه بغضـًا. فقال لها النبي ﷺ.

«أتردّين عليه حديقته»؟ قالت: نعم، فأمره النبي ﷺ، أن يأخذها، ولا يزداد. رواه عكرمة عن ابن عباس

ومعنى الآية: أن المرأة إذا خافت أن تعصي الله في أمر زوجها لبغضها إياه، وخاف الزوج أن يعتدي عليها لامتناعها عن طاعته جاز له أن يأخذ منها الفدية، إذا طلبت ذلك

قال ﷻ: ﴿فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعۡدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوۡجًا غَيۡرَهُۥۗ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَآ أَن يَتَرَاجَعَآ إِن ظَنَّآ أَن يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِۗ وَتِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ٢٣٠﴾

قوله تعالى: ﴿فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعۡدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوۡجًا غَيۡرَهُۥۗ﴾، ذكر مقاتل أن هذه الآية نزلت في تميمة بنت وهب بن عتيك النّضيريّ، وفي زوجها رفاعة بن عبد الرحمن القرظي.

٣٥٠ - **وقال غير مقاتل:** إنها عائشة بنت عبد الرحمن بن عتيك، كانت تحت رفاعة بن وهب بن عتيك وهو ابن عمها، فطلقها ثلاثًا، فتزوجت بعده عبد الرحمن بن الزّبير، ثم طلّقها، فأتت إلىٰ النبيّ ﷺ، فقالت: إني كنت عند رفاعة، فطلقني، فأبتَّ طلاقي، فتزوجت بعده عبد الرحمن بن الزبير، وإنه طلقني قبل أن يمسني، أفأرجع إلىٰ ابن عمي؟ فتبسّم رسول الله ﷺ، وقال: «أتريدين أن ترجعي إلىٰ رفاعة؟ لا، حتىٰ تذوقي عسيلته ويذوق عسيلتك».

قوله تعالى: ﴿فَإِن طَلَّقَهَا﴾، يعني: الزوج المطلق مرتين.

٣٥١ - **قال ابن عباس، ومجاهد، وقتادة:** هي الطلقة الثالثة.

واعلم أن الله تعالىٰ عاد بهذه الآية بعد الكلام في حكم الخلع إلىٰ تمام الكلام في الطلاق. قوله تعالىٰ: ﴿فَإِن طَلَّقَهَا﴾، يعني: الثاني فَلا جُناحَ عَلَيْهِما يعني: المرأة، والزوج الأول ﴿إِن ظَنَّآ أَن يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ﴾، قال طاوس: ما فرض الله علىٰ كل واحد منهما من حسن العشرة والصحبة.

قوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ يُبَيِّنُهَا﴾ يعلمون أن أمر الله حقّ.

قال ﷻ: ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍۚ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُواْۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥۚ وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًاۚ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَآ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِۦۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٣١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾

٣٥٢ - قال **ابن عباس:** كان الرجل يطلق امرأته، ثم يراجعها قبل انقضاء عدتها، ثم يطلقها، يفعل ذلك يضارّها ويعضلها بذلك، فنزلت هذه الآية. والأجل هاهنا: زمان العدة. ومعنىٰ البلوغ هاهنا: مقارنة الأجل دون حقيقة الانتهاء إليه، يقال: بلغت المدينة:

إذا قاربتها، وبلغتها: إذا دخلتها. وإنما حمل العلماء هذا البلوغ علىٰ المقاربة، لأنه ليس بعد انقضاء العدة رجعة.

قوله تعالى: ﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾

٣٥٣ - قال **ابن عباس، والحسن، ومجاهد، وقتادة:** المراد به الرجعة قبل انقضاء العدة.

قوله تعالى: ﴿أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍۚ﴾، وهو تركها حتىٰ تنقضي عدّتها.

والمعروف في الإمساك: القيام بما يجب لها من حق، والمعروف في التسريح: أن لا يقصد إضرارها، بأن يطيل عدتها بالمراجعة، وهو معنىٰ قوله: ﴿وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُواْۚ﴾، قاله الحسن ومجاهد، وقتادة في آخرين.

٣٥٤ - وقال **الضحاك:** إنما كانوا يضارّون المرأة لتفتدي ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ﴾ الاعتداء، ﴿فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥۚ﴾ بارتكاب الإثم.

قوله تعالى ﴿وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوٗاۚ﴾ **فيه قولان:**

أحدهما: أنه الرجل يطلق أو يراجع، أو يعتق، ويقول: كنت لاعباً. روي عن عمر، وأبي الدرداء، والحسن.

والثاني: أنه المضارّ بزوجته في تطويل عدّتها بالمراجعة قبل الطلاق، قاله مسروق، ومقاتل. ﴿وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾.

٣٥٥ - قال ابن عباس: احفظوا منته عليكم بالإسلام. قال: والكتاب: القرآن. والحكمة: الفقه.

﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾، في الضرار ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ﴾ به وبغيره ﴿عَلِيمٌ﴾.

قال ﷻ: ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَٰجَهُنَّ إِذَا تَرَٰضَوْاْ بَيْنَهُم بِٱلْمَعْرُوفِ ۗ ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۗ ذَٰلِكُمْ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَأَطْهَرُ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٣٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ﴾ **في سبب نزولها قولان**:

أحدهما: ما روىٰ الحسن أن معقل بن يسار زوج أخته من رجل من المسلمين، فكانت عنده ما كانت، فطلقها تطليقة ثم تركها ومضت العدّة، وكانت أحق بنفسها، فخطبها مع الخطاب، فرضيت أن ترجع إليه، فخطبها إلىٰ معقل، فغضب معقل، وقال: أكرمتك بها، فطلقتها؟! لا والله! لا ترجع إليك آخر ما عليك. قال الحسن: فعلم الله، ﷻ، حاجة الرجل إلىٰ امرأته، وحاجة المرأة إلىٰ بعلها، فنزلت هذه الآية، فسمعها معقل، فقال: سمعاً لربي، وطاعة، فدعا زوجها، فقال:

أزوجك، وأكرمك. ذكر عبد الغني الحافظ عن الكلبي أنه سمىٰ هذه المرأة، فقال: جميلة بنت يسار.

والثاني: أن جابر بن عبد الله الأنصاري كانت له ابنة عم، فطلقها زوجها تطليقة، فانقضت عدتها، ثم رجع يريد رجعتها، فأبىٰ جابر، وقال: طلقت ابنة عمنا، ثم تريد أن تنكحها الثانية؟! وكانت المرأة تريد زوجها، قد راضته، فنزلت هذه الآية، قاله السدي.

فأما بلوغ الأجل في هذه الآية، فهو انقضاء العدة، بخلاف التي قبلها. قال الشّافعيّ رضي الله عنه: دل اختلاف الكلامين علىٰ افتراق البلوغين. قوله تعالىٰ: ﴿فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ﴾، خطاب للأولياء، قال ابن عباس، وابن جبير، وابن قتيبة في آخرين: معناه لا تحبسوهن

قوله تعالى: ﴿إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُم بِالْمَعْرُوفِ﴾

٣٥٦ - **قال السدي، وابن قتيبة**: معناه إذا تراضىٰ الزوجان بالنكاح الصحيح. قال الشافعي: وهذه الآية أبين آية في أنه ليس للمرأة أن تتزوج إلا بولي.

قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِ﴾

٣٥٧ - **قال مقاتل**: الإشارة إلىٰ نهي الولي عن المنع.

قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكُمْ أَزْكَىٰ لَكُمْ﴾ يعني ردّ النساء إلىٰ أزواجهن، أفضل من التّفرقة بينهم، ﴿وَأَطْهَرُ﴾، أي: أنقىٰ لقلوبكم من الريبة لئلا يكون هناك نوع محبة، فيجتمعان علىٰ غير وجه صلاح.

قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾﴾ أن معناه: يعلم ودّ كل واحد منهما لصاحبه، قاله ابن عباس، والضحاك.

قال ﷻ: ﴿۞ وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ ۚ وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَا تُضَآرَّ وَٰلِدَةٌۢ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَّهُۥ بِوَلَدِهِۦ ۚ وَعَلَى ٱلْوَارِثِ مِثْلُ ذَٰلِكَ ۗ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا ۗ وَإِنْ أَرَدتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُم مَّآ ءَاتَيْتُم بِٱلْمَعْرُوفِ ۗ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٣٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ﴾ لفظه لفظ الخبر، ومعناه الأمر، كقوله تعالىٰ: ﴿وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ ۚ﴾ [سورة البقرة:٢٢٨]

وقوله تعالى: ﴿فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾ [سورة النساء:٢٤]، فلو كان متحتماً علىٰ الوالدة، لم تستحق الأجرة، وهل هو عام في جميع الوالدات؟ فيه أنه خاص في المطلقات، قاله سعيد بن جبير، ومجاهد، والضحاك، والسدي، ومقاتل في آخرين

والحول: السنة، وفي قوله: ﴿كَامِلَيْنِ ۖ﴾ **قولان:**

أحدهما: أنه دخل للتوكيد كقوله تعالىٰ: ﴿تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ۗ﴾ [سورة البقرة:١٩٦]

فصل: اختلف علماء الناسخ والمنسوخ في هذا القدر من الآية، فقال بعضهم: هو محكم، والمقصود منه بيان مدة الرضاع، ويتعلق به أحكام، منها أنه كمال الرضاع، ومنها أنه يلزم الأب نفقة الرضاع مدّة الحولين، ويجبره الحاكم علىٰ ذلك، ومنها أنه يثبت تحريم الرضاع في مدَّة الحولين، ولا يثبت فيما زاد، ونقل عن قتادة، والربيع بن أنس في آخرين أنه منسوخ بقوله تعالىٰ: ﴿فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا﴾

قوله تعالى: ﴿لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ ۚ﴾، أي: هذا التقدير بالحولين لمريدي إتمام

الرضاعة.

قوله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلۡمَوۡلُودِ لَهُۥ﴾، يعني: الأب. ﴿رِزۡقُهُنَّ وَكِسۡوَتُهُنَّ﴾ يعني: المرضعات. وفي قوله: ﴿بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ﴾ دلالة علىٰ أن الواجب علىٰ قدر حال الرجل في إعساره ويساره، إذ ليس من المعروف إلزام المعسر ما لا يطيقه، ولا الموسر النزر الطفيف.

قوله تعالى: ﴿لَا تُكَلَّفُ نَفۡسٌ إِلَّا وُسۡعَهَاۚ﴾، أي: إلا ما تطيقه.

٣٥٨ - وقال سعيد بن جبير: لا يحملنّ المطلقة مضارة الزوج أن تلقي إليه ولده. وقال مجاهد: لا تأبىٰ أن ترضعه ضراراً بأبيه، ولا يضارّ الوالد بولده، فيمنع أمه أن ترضعه، ليحزنها بذلك. وقال عطاء، وقتادة، والزهري، وسفيان، والسدي في آخرين: إذا رضيت بما يرضىٰ به غيرها، فهي أحق به.

قوله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلۡوَارِثِ﴾ **فيه أربعة أقوال**:

أحدها: أنه وارث المولود، وهو قول عطاء، ومجاهد، وسعيد بن جبير، وابن أبي ليلىٰ، وقتادة، والسدي، والحسن بن صالح، ومقاتل في آخرين

واختلف أرباب هذا القول، فقال بعضهم: هو وارث المولود من عصبته، كائناً من كان، وهذا مروي عن عمر، وعطاء، والحسن، ومجاهد، وإبراهيم، وسفيان. وقال بعضهم: هو وارث المولود علىٰ الإطلاق من الرجال والنساء، روي عن ابن أبي ليلىٰ، وقتادة، والحسن بن صالح، وإسحاق، وأحمد بن حنبل

والقول الثاني: أن المراد بالوارث هاهنا، وارث الوالد، روي عن الحسن

والسدي.

والثالث: أن المراد بالوارث الباقي من والدي الولد بعد وفاة الآخر، روي عن سفيان.

والرابع: أنه أريد بالوارث الصبي نفسه، فالنفقة عليه، فإن لم يملك شيئًا، فعلىٰ عصبته، قاله الضحاك، وقبيصة بن ذؤيب

وفي قوله تعالى ﴿مِثْلُ ذَٰلِكَ﴾ ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه الإشارة إلىٰ أجرة الرضاع والنفقة، روي عن عمر، وزيد بن ثابت، والحسن، وعطاء، ومجاهد، وابراهيم، وقتادة، وقبيصة بن ذؤيب، والسدي.

والثاني: أن الإشارة بذلك إلىٰ النهي عن الضرار، روي عن ابن عباس والشعبي والزهري.

والثالث: أنه إشارة إلىٰ جميع ذلك، روي عن سعيد بن جبير ومجاهد ومقاتل

ويشهد لهذا أنه معطوف علىٰ ما قبله، وقد ثبت أن علىٰ المولود له النفقة والكسوة، وأن لا يضار، فيجب أن يكون قوله: مِثْلُ ذلِكَ مشيراً إلىٰ جميع ما علىٰ المولود له.

قوله تعالى: ﴿فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا﴾ الفصال: الفطام

٣٥٩ - قال مجاهد: التشاور فيما دون الحولين إن أرادت أن تفطم وأبىٰ، فليس لها، وإن أراد هو، ولم ترد، فليس له ذلك حتىٰ يقع ذلك عن تراض منهما وتشاور، يقول: غير مسيئين إلىٰ أنفسهما وإلىٰ صبيهما.

قوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَرَدتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُمْ﴾، أي: لأولادكم.

٣٦٠ - **قال مقاتل:** إِذا لم ترض الأم بما يرضىٰ به غيرها، فلا حرج علىٰ الأب أن يسترضع لولده.

وفي قوله تعالى: ﴿إِذَا سَلَّمْتُم مَّآ ءَاتَيْتُم بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ **قولان:**

أحدهما: إذا سلَّمتم أيها الآباء إِلىٰ أمهات الأولاد أُجور ما أرضعن قبل امتناعهن، قاله مجاهد، والسدي.

والثاني: إذا سلمتم إلىٰ الظئر أجرها بالمعروف، قاله سعيد بن جبير، ومقاتل.

قال ﷻ: ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ۖ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِىٓ أَنفُسِهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٣٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ﴾ أي: يقبضون بالموت.

فصل: وهذه الآية ناسخة للتي تشابهها، وهي تأتي بعد آيات، وهي قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَٰجِهِم مَّتَٰعًا إِلَى ٱلْحَوْلِ﴾ [سورة البقرة:٢٤٠] لأن تلك كانت تقتضي وجوب العدة سنة.

وسنذكر ما يتعلق بها هنالك، إن شاء الله. فأما التي نحن في تفسيرها:

٣٦١ - **فقد روي عن ابن عباس أنه قال:** نسختها ﴿وَأُو۟لَٰتُ ٱلْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾ [سورة الطلاق:٤] ...

والصحيح: أنها عامة دخلها التخصيص، لأن ظاهرها يقتضي وجوب العدة علىٰ

المتوفىٰ عنها زوجها أربعة أشهر وعشراً، سواء كانت حاملاً، أو غير حامل، غير أن قوله تعالىٰ: ﴿وَأُوْلَٰتُ ٱلْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾ [سورة الطلاق:٤] خص أُولات الحمل، وهي خاصة أيضـاً في الحرائر، فإن الأمة عدتها شهران وخمسة أيام، فبان أنها من العام الذي دخله التخصيص.

قوله تعالى: ﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾، يعني: انقضاء العدة. قوله تعالىٰ: ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾ **فيه قولان:**

أحدهما أن معناه: فلا جناح علىٰ الرجال في تزويجهن بعد ذلك.

والثاني: فلا جناح علىٰ الرجال في ترك الإنكار عليهن إذا تزينَّ وتزوجن

قوله تعالى ﴿فِيمَا فَعَلْنَ فِىٓ أَنفُسِهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ **فيه قولان:**

أحدهما: أنه التزين والتشوف للنكاح، قاله الضحاك، ومقاتل.

والثاني: أنه النكاح، قاله الزهري، والسدي.

و «الخبير» من أسماء الله تعالىٰ، ومعناه: العالِم بكنه الشيء المطلع علىٰ حقيقته.

قال ﷻ: ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِۦ مِنْ خِطْبَةِ ٱلنِّسَآءِ أَوْ أَكْنَنتُمْ فِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَٰكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّآ أَن تَقُولُوا۟ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ۚ وَلَا تَعْزِمُوا۟ عُقْدَةَ ٱلنِّكَاحِ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْكِتَٰبُ أَجَلَهُۥ ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ فَٱحْذَرُوهُ ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٣٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِۦ مِنْ خِطْبَةِ ٱلنِّسَآءِ﴾، هذا خطاب

لمن أراد تزويج معتدة. والتعريض: الإيماء والتلويح من غير كشف، فهو إشارة بالكلام إلىٰ ما ليس له في الكلام ذكر. والخِطبة بكسر الخاء: طلب النكاح.

٣٦٢ - **وقال ابن عباس:** التعريض أن يقول: إني أريد أن أتزوج. وقال مجاهد: أن يقول: إنكِ لجميلة، وإِنك لحسنة، وإنك لإلىٰ خير.

قوله تعالى: ﴿أَوۡ أَكۡنَنتُمۡ فِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ﴾

٣٦٣ - **وقال ثعلب:** أكننت الشيء: إذا أخفيته في نفسك، وكننته: إذا سترته بشيء.

قوله تعالى: ﴿عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمۡ سَتَذۡكُرُونَهُنَّ﴾

٣٦٤ - **قال مجاهد:** ذكره إياها في نفسه.

قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا﴾ **فيه أربعة أقوال:**

أحدها: أن المراد بالسر هاهنا: النكاح، قاله ابن عباس.

فالمعنى: لا تواعدوهن بالتزويج، وهن في العدة تصريحاً، ﴿إِلَّآ أَن تَقُولُواْ قَوۡلًا مَّعۡرُوفًاۚ﴾ [سورة البقرة:٢٣٥] لا تذكرون فيه رفثاً ولا نكاحاً.

والثاني: أن المواعدة سراً: أن يقول لها: إني لك محب، وعاهديني أن لا تتزوجي غيري، روي عن ابن عباس أيضاً.

والثالث: أن المراد بالسر الزنىٰ، قاله الحسن، وجابر بن زيد، وأبو مجلز، وإبراهيم، وقتادة، والضحاك.

والرابع: أن المعنىٰ: لا تنكحوهن في عدتهن سراً، فاذا حلَّت أظهرتم ذلك، قاله ابن زيد.

وفي القول المعروف قولان:

أحدهما: أنه التعريض لها، وهو قول ابن عباس، وسعيد بن جبير، وعطاء، والقاسم بن محمد، والشعبي، ومجاهد، وإبراهيم، وقتادة، والسدي.

والثاني: أنه إعلام وليها برغبته فيها، وهو قول عبيدة

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَعۡزِمُواْ عُقۡدَةَ ٱلنِّكَاحِ﴾، أي لا تعزموا علىٰ عقدة النكاح ﴿حَتَّىٰ يَبۡلُغَ ٱلۡكِتَٰبُ أَجَلَهُۥ﴾، أي: حتىٰ يبلغ فرض الكتاب أجله

٣٦٥ - قال ابن عباس، ومجاهد، والشعبي، وقتادة، والسدي: بلوغ الكتاب أجله: انقضاء العدة.

قوله تعالى: ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ﴾

٣٦٦ - قال ابن عباس: من الوفاء، فاحذروه أن تخالفوه في أمره. والحليم قد سبق بيانه.

قال ﷻ: ﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ إِن طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ مَا لَمۡ تَمَسُّوهُنَّ أَوۡ تَفۡرِضُواْ لَهُنَّ فَرِيضَةٗۚ وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى ٱلۡمُوسِعِ قَدَرُهُۥ وَعَلَى ٱلۡمُقۡتِرِ قَدَرُهُۥ مَتَٰعَۢا بِٱلۡمَعۡرُوفِۖ حَقًّا عَلَى ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٢٣٦﴾

قوله تعالى: ﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ إِن طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ مَا لَمۡ تَمَسُّوهُنَّ﴾

٣٦٧ - قال مقاتل بن سليمان: نزلت هذه الآية في رجل من الأنصار تزوج امرأة من بني حنيفة.

ولم يسم لها مهراً، فطلقها قبل أن يمسّها، فقال النبيّ ﷺ: «هل متعتها بشيء؟» قال: لا، قال: «متعها ولو بقلنسوتك»، ومعنىٰ الآية: ما لم تمسوهن، ولم تفرضوا لهن

فريضة. وقد تكون «أو» بمعنىٰ الواو

والمسُّ: النكاح، والفريضة: الصداق، وقد دلت الآية علىٰ جواز عقد النكاح بغير تسمية مهر ﴿وَمَتِّعُوهُنَّ﴾ أي: أعطوهن ما يتمتعن به من أموالكم علىٰ قدر أحوالكم في الغنىٰ والفقر. والمتاع: اسم لما ينتفع به، فذلك معنىٰ قوله تعالىٰ: ﴿عَلَى ٱلْمُوسِعِ قَدَرُهُۥ وَعَلَى ٱلْمُقْتِرِ قَدَرُهُۥ﴾.

فصل: وهل هذه المتعة واجبة، أم مستحبة؟ فيه قولان:

أحدهما: واجبة، واختلف أرباب هذا القول، لأي المطلقات تجب، على ثلاثة أقوال:

أحدها: أنها واجبة لكل مطلقة، روي عن علي والحسن وأبي العالية والزهري.

والثاني: أنها تجب لكل مطلقة إلا المطلقة التي فرض لها صداقًا ولم يمسها، فإنه يجب لها نصف ما فرض، روي عن ابن عمر والقاسم بن محمد وشريح وإبراهيم.

والثالث: أنها تجب للمطلقة قبل الدخول إذا لم يسم لها مهراً، فان دخل بها، فلا متعة، ولها مهر المثل، روي عن الأوزاعي والثوري وأحمد بن حنبل.

والثاني: أن المتعة مستحبة، ولا تجب على أحد، سواء سمى للمرأة، أو لم يسم، دخل بها، أو لم يدخل، وهو قول مالك، والليث بن سعد، والحكم، وابن أبي ليلى.

واختلف العلماء في مقدار المتعة، فنقل عن ابن عباس، وسعيد بن المسيب: أعلاها خادم، وأدناها كسوة يجوز لها أن تصلي فيها، وروي عن حماد وأبي حنيفة: أنه قدر نصف صداق مثلها. وعن الشافعي وأحمد: أنه قدر يساره وإعساره، فيكون مقدرا باجتهاد الحاكم. ونقل عن أحمد: أن المتعة بقدر ما تجزئ فيه الصلاة من الكسوة، وهو درع وخمار.

قوله تعالى: ﴿مَتَٰعَۢا بِٱلۡمَعۡرُوفِۖ﴾، أي: بقدر الإمكان، والحق: الواجب. وذكر المحسنين والمتقين ضرب من التأكيد.

قال ﷻ: ﴿وَإِن طَلَّقۡتُمُوهُنَّ مِن قَبۡلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدۡ فَرَضۡتُمۡ لَهُنَّ فَرِيضَةٗ فَنِصۡفُ مَا فَرَضۡتُمۡ إِلَّآ أَن يَعۡفُونَ أَوۡ يَعۡفُوَاْ ٱلَّذِي بِيَدِهِۦ عُقۡدَةُ ٱلنِّكَاحِۚ وَأَن تَعۡفُوٓاْ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۚ وَلَا تَنسَوُاْ ٱلۡفَضۡلَ بَيۡنَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ ٢٣٧﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِن طَلَّقۡتُمُوهُنَّ مِن قَبۡلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ﴾ أي: قبل الجماع ﴿وَقَدۡ فَرَضۡتُمۡ لَهُنَّ﴾ أي أوجبتم لهن شيئاً التزمتم به، وهو المهر ﴿إِلَّآ أَن يَعۡفُونَ﴾، يعني: النساء، وعفو المرأة: ترك حقّها من الصّداق.

وفي ﴿ٱلَّذِي بِيَدِهِۦ عُقۡدَةُ ٱلنِّكَاحِۚ﴾ ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه الزّوج، وهو قول عليّ، وجبير بن مطعم، وابن المسيب، وابن جبير، ومجاهد، وشريح، وجابر بن زيد، والضحاك، ومحمد بن كعب القرظي، والربيع بن أنس، وابن شبرمة، والشافعي، وأحمد رضي الله عنهم في آخرين.

والثاني: أنه الولي، روي عن ابن عباس، والحسن، وعلقمة، وطاوس، والشعبي، وابراهيم في آخرين.

والثالث: أنه أبو البكر، روي عن ابن عباس، والزهري، والسدي في آخرين.

فعلىٰ القول الأول عفو الزوج: أن يكمل لها الصداق،

وعلىٰ الثاني: عفو الولي: ترك حقها إذا أبت، روي عن ابن عباس، وأبي الشعثاء.

وعلىٰ الثالث يكون قوله: ﴿إِلَّآ أَن يَعۡفُونَ﴾ يختص بالثيبات.

وقوله: ﴿أَوْ يَعْفُوَاْ﴾، يختص أبا البكر، قاله الزهري، والأول أصح، لأن عقدة النكاح خرجت من يد الولي، فصارت بيد الزوج، والعفو إنما يُطلق علىٰ ملك الإنسان، وعفو الولي عفو عما لا يملك، ولأنه قال: ﴿وَلَا تَنسَوُاْ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْۚ﴾، والفضل في هبة الإنسان مال نفسه، لا مال غيره.

قوله تعالى ﴿وَأَن تَعْفُوٓاْ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰۚ﴾ **فيه قولان:**

أحدهما: أنه خطاب للزوجين جميعـًا، روي عن ابن عباس، ومقاتل.

والثاني: أنه خطاب للزوج وحده، قاله الشعبي

﴿وَلَا تَنسَوُاْ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْۚ﴾، خطاب للزوجين، قال مجاهد: هو إتمام الرجل الصّداق، وترك المرأة شطرها.

قال ﷻ: ﴿حَـٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَـٰنِتِينَ ﴿٢٣٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿حَـٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ﴾، المحافظة: المواظبة والمداومة، والصلوات بالألف واللام ينصرف إلىٰ المعهود، والمراد: الصلوات الخمس.

٣٦٨ - ثبت فِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ: أَيُّ الْعَمَلِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: "الصَّلَاةُ عَلَىٰ وَقْتِهَا". قُلْتُ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: "الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ". قُلْتُ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: "بِرُّ الْوَالِدَيْنِ". قَالَ: حَدَّثَنِي بِهِنَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَلَوِ استزدتُه لَزَادَنِي.

قوله تعالى: ﴿وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ﴾.

٣٦٩ - قال سعيد بن المسيب: كان أصحاب رسول الله ﷺ، في الصلاة الوسطىٰ هكذا، وشبك بين أصابعه.

ثم فيها خمسة أقوال:

أحدها: أنها العصر.

٣٧٠ - روى مسلم في أفراده من حديث عليّ رضي الله عنه عن النبيّ ﷺ، أنه قال يوم الأحزاب: «شغلونا عن الصلاة الوسطىٰ صلاة العصر، ملأ قبورهم وبيوتهم ناراً».

٣٧١ - وروى ابن مسعود، وسمرة، وعائشة عن النبيّ ﷺ أنها صلاة العصر.

٣٧٢ - وروى مسلم في أفراده من حديث البراء بن عازب قال: نزلت هذه الآية «حافظوا علىٰ الصلوات والصلاة الوسطىٰ وصلاة العصر»، فقرأناها ما شاء الله، ثم نسخها الله، فنزلت: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ﴾ وهذا قول عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه، وابن مسعود، وأبيّ، وأبيّ أيوب، وابن عمر في رواية، وسمرة بن جندب، وأبي هريرة، وابن عباس في رواية عطية، وأبي سعيد الخدري، وعائشة في رواية، وحفصة، والحسن، وسعيد بن المسيب، وسعيد بن جبير، وعطاء في رواية، وطاوس، والضحاك، والنخعي، وعبيد بن عمير، وزرّ بن حبيش، وقتادة، وأبي حنيفة، ومقاتل في آخرين، وهو مذهب أصحابنا.

والثاني: أنها الفجر، روي عن عمر، وعليّ في رواية، وأبي موسىٰ، ومعاذ، وجابر بن عبد الله، وأبي أُمامة، وابن عمر في رواية مجاهد، وزيد بن أسلم، في رواية أبي رجاء العطاردي، وعكرمة، وجابر بن زيد، وأنس بن مالك، وعطاء، وطاوس في رواية ابنه، وعبد الله بن شداد، ومجاهد، ومالك، والشافعي. وروىٰ أبو العالية قال صلّيت مع

أصحاب رسول الله ﷺ الغداة فقلت لهم: أيما الصلاة الوسطىٰ؟ فقالوا: التي صليت قبل. والثالث: أنها الظهر، روي عن ابن عمر، وزيد بن ثابت، وأسامة بن زيد، وأبي سعيد الخدري، وعائشة في رواية، وروىٰ [عاصم بن ضمرة] عن عليّ رضي الله عنه قال: هي صلاة الجمعة، وهي سائر الأيام الظهر.

والرابع: أنها المغرب، روي عن ابن عباس، وقبيصة بن ذؤيب.

والخامس: أنها العشاء الأخيرة

٣٧٣ - قال الْإِمَامُ أَحْمَدُ: حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ، حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ عَنْ مُسْلِمٍ، عَنْ شُتَيْرِ بْنِ شَكَلٍ عَنْ عَلِيٍّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَوْمَ الْأَحْزَابِ: "شَغَلُونَا عَنِ الصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ، صَلَاةِ الْعَصْرِ، مَلَأَ اللهُ قُلُوبَهُمْ وَبُيُوتَهُمْ نَارًا". ثُمَّ صَلَّاهَا بَيْنَ الْعِشَاءَيْنِ: الْمَغْرِبِ وَالْعِشَاءِ.

٣٧٤ - وأخرجه الشَّيْخَانِ، وَأَبُو دَاوُدَ، وَالتِّرْمِذِيُّ، وَالنَّسَائِيُّ، وَغَيْرُ وَاحِدٍ مِنْ أَصْحَابِ الْمَسَانِدِ وَالسُّنَنِ، وَالصِّحَاحِ مِنْ طُرُقٍ يَطُولُ ذِكْرُهَا.

قوله تعالى: ﴿وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ٢٣٨﴾، المراد بالقيام هاهنا: القيام في الصلاة، فأما القنوت، فقد شرحناه فيما تقدم.

وفي المراد به هاهنا ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه الطاعة، قاله ابن عباس، والحسن، ومجاهد، وابن جبير، والشّعبيّ، وطاوس، والضحاك، وقتادة في آخرين.

والثاني: أنه طول القيام في الصلاة، روي عن ابن عمر، والربيع بن أنس، وعن عطاء كالقولين.

والثالث: أنه الإمساك عن الكلام في الصلاة أن أبا سعيد روىٰ أن ذلك كان قبل نزول قوله تعالىٰ: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا﴾.

٣٧٥ - وقال الْإِمَامُ أَحْمَدُ، حَدَّثَنَا يَحْيَىٰ بْنُ سَعِيدٍ، عَنْ إِسْمَاعِيلَ، حَدَّثَنِي الْحَارِثُ بْنُ شُبَيْلٍ، عَنْ أَبِي عَمْرٍو الشَّيْبَانِيِّ، عَنْ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ قَالَ: كَانَ الرَّجُلُ يُكَلِّمُ صَاحِبَهُ فِي عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ، فِي الْحَاجَةِ فِي الصَّلَاةِ، حَتَّىٰ نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: ﴿وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ ۝٢٣٨﴾ فَأُمِرْنَا بِالسُّكُوتِ. رَوَاهُ الْجَمَاعَةُ -سِوَىٰ ابْنِ مَاجَهْ، بِهِ، مِنْ طُرُقٍ عَنْ إِسْمَاعِيلَ، بِهِ.

٣٧٦ - قال أبو بكر الأثرم: فقد بيّن أن ذلك الفعل الذي كان يوم الخندق منسوخ.

قال ﷻ: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا فَإِذَا أَمِنتُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ۝٢٣٩﴾

قوله تعالى: ﴿فَإِذَا أَمِنتُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ﴾

في هذا الذِّكر قولان:

أحدهما: أنه الصلاة، فتقديره:

فصلوا كما كنتم تصلون آمنين.

والثاني: أنه الثّناء علىٰ الله، والحمد له.

قال ﷻ: ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوۡنَ مِنكُمۡ وَيَذَرُونَ أَزۡوَٰجٗا وَصِيَّةٗ لِّأَزۡوَٰجِهِم مَّتَٰعًا إِلَى ٱلۡحَوۡلِ غَيۡرَ إِخۡرَاجٖۚ فَإِنۡ خَرَجۡنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ فِي مَا فَعَلۡنَ فِيٓ أَنفُسِهِنَّ مِن مَّعۡرُوفٖۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ٢٤٠﴾

قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوۡنَ مِنكُمۡ وَيَذَرُونَ أَزۡوَٰجٗا﴾

٣٧٧ - روى **ابن حيان:** أن هذه الآية نزلت في رجل من أهل الطائف، يقال له: حكيم بن الحارث هاجر إلىٰ المدينة، ومعه أبواه وامرأته، وله أولاد، فمات فرفع ذلك إلىٰ النبيّ ﷺ، فنزلت هذه الآية، فأعطىٰ النبيّ ﷺ أبويه وأولاده من ميراثه، ولم يعط امرأته شيئا، غير أنه أمرهم أن ينفقوا عليها من تركة زوجها حولاً.

قوله تعالى: ﴿مَّتَٰعًا إِلَى ٱلۡحَوۡلِ﴾، أي: متعوهن إلىٰ الحول، ولا تخرجوهن.

والمراد بذلك نفقة السنة وكسوتها وسكناها ﴿فَإِنۡ خَرَجۡنَ﴾ أي: من قبل أنفسهن ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ﴾ يعني: أولياء الميت ﴿فِي مَا فَعَلۡنَ فِيٓ أَنفُسِهِنَّ مِن مَّعۡرُوفٖ﴾ يعني التشوف للنّكاح.

وفي ماذا رفع الجناح عن الرجال؟ فيه قولان:

أحدهما: أنه في قطع النفقة عنهن إذا خرجن قبل انقضاء الحول

والثاني: في ترك منعهن من الخروج، لأنه لم يكن مقامُها الحولَ واجباً عليها، بل كانت مخيّرة في ذلك.

فصل: ذكر علماء التفسير أن أهل الجاهلية كان إذا مات أحدهم، مكثت زوجته في بيته حولاً، ينفق عليها من ميراثه، فاذا تم الحول، خرجت إلىٰ باب بيتها، ومعها

بعرة، فرمت بها كلبًا، وخرجت بذلك من عدتها. وكان معنىٰ رميها بالبعرة أنها تقول: مكثي بعد وفاة زوجي أهون عندي من هذه البعرة. ثم جاء الإسلام، فأقرهم علىٰ ما كانوا عليه من مكث الحول بهذه الآية، ثم نسخ ذلك بالآية المتقدمة في نظم القرآن علىٰ هذه الآية، وهي قوله تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾ [سورة البقرة:٢٣٤].

ونسخ الأمر بالوصية لها بما فرض لها من ميراثه.

قال ﷻ: ﴿وَلِلْمُطَلَّقَٰتِ مَتَٰعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٤١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَلِلْمُطَلَّقَٰتِ مَتَٰعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ قد سبق الكلام في المتعة بما فيه كفاية

قال ﷻ: ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٤٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ﴾، أي: كما بيّن الذي تقدم من الأحكام ﴿يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ أي: يثبت لكم وصف العقلاء باستعمال ما بين لكم، وثمرة العقل استعمال الأشياء المستقيمة، ألا ترىٰ إلىٰ قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ﴾ [سورة النساء:١٧]، وإنما سموا جهالاً لأنهم آثروا أهواءهم علىٰ ما علموا أنه الحق.

قال ﷻ: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَهُمۡ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلۡمَوۡتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُواْ ثُمَّ أَحۡيَٰهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشۡكُرُونَ ٢٤٣﴾

قوله تعالى: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ﴾، معناه: ألم تعلم. قال ابن قتيبة: وهذا على جهة التعجب، كما تقول: ألا ترى إلى ما يصنع فلان؟

قوله تعالى ﴿وَهُمۡ أُلُوفٌ﴾ فيه قولان:

أحدهما: أن معناه: وهم مؤتلفون، قاله ابن زيد.

والثاني: أنه من العدد، وعليه العلماء.

واختلفوا في عددهم على سبعة أقوال:

أحدها: أنهم كانوا أربعة آلاف.

والثاني: أربعين ألفـًا، والقولان عن ابن عباس.

والثالث: تسعين ألفـًا، قاله عطاء بن أبي رباح.

والرابع: سبعة آلاف، قاله أبو صالح.

والخامس: ثلاثين ألفـًا، قاله أبو مالك.

والسادس: بضعة وثلاثين ألفـًا، قاله السدي.

والسابع: ثمانية آلاف، قاله مقاتل.

وفي معنى: حذرهم من الموت، قولان:

أحدهما: أنهم فروا من الطاعون، وكان قد نزل بهم، قاله الحسن، والسدي.

والثاني: أنهم أمروا بالجهاد، ففروا منه، قاله عكرمة، والضحاك، وعن ابن عباس، كالقولين

(الإشارة الى قصتهم)

٣٧٨ - روى **حصين بن عبد الرحمن عن هلال بن يساف قال:** كانت أمَّة من بني إِسرائيل إذا وقع فيهم الوجع، خرج أغنياؤهم، وأقام فقراؤهم، فمات الذين أقاموا، ونجا الذين خرجوا، فقال الأشراف: لو أقمنا كما أقام هؤلاء لهلكنا وقال الفقراء: لو ظعنا كما ظعن هؤلاء سلمنا، فأجمع رأيهم في بعض السنين علىٰ أن يظعنوا جميعـًا، فظعنوا فماتوا، وصاروا عظامـًا تبرق، فكنسهم أهل البيوت والطرق عن بيوتهم وطرقهم، فمر بهم نبي من الأنبياء، فقال: يا رب لو شئت أحييتهم، فعبدوك، وولدوا أولاداً يعبدونك ويعمرون بلادك. قال: أو أحب إليك أن أفعل؟ قال: نعم. فقيل له: تكلم بكذا وكذا، فتكلم به، فنظر إلىٰ العظام تخرج من عند العظام التي ليست منها إلىٰ التي هي منها ثم قيل له: تكلم بكذا وكذا فتكلم به فنظر إلىٰ العظام تكسىٰ لحمـًا وعصبـًا، ثم قيل له: تكلم بكذا وكذا، فنظر فاذا هم قعود يسبحون الله ويقدسونه. وأنزل الله تعالىٰ فيهم هذه الآية. وهذا الحديث يدل علىٰ بعد المدة التي مكثوا فيها أمواتـًا. وفي بعض الأحاديث: أنهم بقوا أمواتـًا سبعة أيام، وقيل: ثمانية أيام. وفي النبي الذي دعا لهم قولان: أحدهما: أنه حزقيل. والثاني: أنه شمعون. فإن قيل كيف أُميت هؤلاء مرتين في الدنيا، وقد قال الله تعالىٰ: ﴿إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ﴾ [سورة الدخان:٥٦].

فالجواب أن موتهم بالعقوبة لم يفن أعمارهم، فكان كقوله تعالىٰ: ﴿وَٱلَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا﴾ [سورة الزمر:٤٢]، وقيل: كان إحياؤهم آية من آيات نبيهم، وآيات الأنبياء

نوادر لا يقاس عليها، فيكون تقدير قوله تعالىٰ: ﴿إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ﴾ [سورة الدخان:٥٦]. التي ليست من آيات الأنبياء، ولا لأمر نادر. وفي هذه القصة احتجاج علىٰ اليهود إذ أخبرهم النبيّ ﷺ بأمر لم يشاهدوه، وهم يعلمون صحته واحتجاج علىٰ المنكرين للبعث، فدلهم عليه بإحياء الموتىٰ في الدنيا، ذكر ذلك جميعه ابن الأنباري.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾، نبّه ﷻ بذكر فضله علىٰ هؤلاء علىٰ فضله علىٰ سائر خلقه مع قلّة شكرهم.

قال ﷻ: ﴿وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ٢٤٤﴾

قوله تعالى: ﴿وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ **في المخاطَبين بهذا قولان:**

أحدهما: أنهم الذين أماتهم الله، ثم أحياهم، قاله الضحّاك.

والثاني: أنه خطاب لأمّة محمد ﷺ، فمعناه: لا تهربوا من الموت كما هرب هؤلاء، فما ينفعكم الهرب ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ﴾ لأقوالكم ﴿عَلِيمٌ﴾ بما تنطوي عليه ضمائركم.

قال ﷻ: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِي يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ۚ وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ٢٤٥﴾

قوله تعالى: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِي يُقْرِضُ ٱللَّهَ﴾، أصل القرض ما يعطيه الرجل أو يفعله

ليجازىٰ عليه، وأصله في اللغة القطع، ومنه أخذ المقراض. فمعنىٰ أقرضته: قطعت له قطعة يجازيني عليها.

فإن قيل: فما وجه تسمية الصدقة قرضـًا؟

فالجواب من ثلاثة أوجه:

أحدها: أن القرض يبدل بالجزاء.

والثاني: لأنه يتأخر قضاؤه إلىٰ يوم القيامة.

والثالث: لتأكيد استحقاق الثواب به، إذ لا يكون قرض إلا والعوض مستحق به.

فأما اليهود فإنهم جهلوا هذا، فقالوا: أيستقرض الله منا؟ وأما المسلمون فوثقوا بوعد الله، وبادروا إلىٰ معاملته.

٣٧٩ - قال **ابن مسعود** لما نزلت هذه الآية، قال أبو الدحداح: وإن الله تعالىٰ ليريد منا القرض؟ فقال النبيّ ﷺ: «نعم». قال: أرني يدك. قال: إني أقرضت ربي حائطي، قال: وحائطه فيه ستمائة نخلة، ثم جاء إلىٰ الحائط، فقال: يا أم الدحداح اخرجي من الحائط، فقد أقرضته ربي.

٣٨٠ - وروىٰ **أبو عثمان النهدي عن أبي هريرة أنه قال:** إن الله يكتب للمؤمن بالحسنة الواحدة ألفي ألف حسنة. وقرأ هذه الآية، ثم قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الله يضاعف الحسنة ألفي ألف حسنة».

والثاني: أنها معلومة المقدار، فالدرهم بسبعمائة، كما ذكر في الآية بعدها، قاله ابن زيد

قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَقۡبِضُ وَيَبۡصُۜطُ﴾ وفي معنىٰ الكلام أن معناه: يقتر علىٰ من

يشاء في الرزق، ويبسطه على من يشاء، قاله ابن عباس، والحسن، وابن زيد ومقاتل.

قال ﷻ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰٓ إِذْ قَالُوا۟ لِنَبِىٍّ لَّهُمُ ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ أَلَّا تُقَٰتِلُوا۟ ۖ قَالُوا۟ وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَٰتِلَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَٰرِنَا وَأَبْنَآئِنَا ۖ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ تَوَلَّوْا۟ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٤٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ الملأ: هم الوجوه، وذوو الرأي، وإنما سمّوا ملأً، لأنهم مليئون بما يحتاج إليه منهم.

وفي نبيهم ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه شمويل، قاله ابن عباس، ووهب.

والثاني: أنه يوشع بن نون، قاله قتادة.

والثالث: أنه نبي، يقال له: سمعون بالسين المهملة، سمته أمه بذلك، لأنها دعت الله أن يرزقها غلامًا، فسُمِع دعاؤها فيه، هذا قول السدي. وسبب سؤالهم ملكًا أن عدوهم غلب عليهم.

قوله تعالى: ﴿إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ﴾، أي فرض ﴿أَلَّا تُقَٰتِلُوا۟﴾ أي: لعلكم تجبنون.

قوله تعالى: ﴿وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَٰرِنَا﴾، يعنون: أُخرج بعضنا، وهم الذين سبوا منهم وقهروا. فظاهره العموم، ومعناه الخصوص.

قوله تعالى: ﴿تَوَلَّوْا﴾، أي: أعرضوا عن الجهاد. ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ وهم الذين عبروا النّهر، وسيأتي ذكرهم.

قال ﷻ: ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًاۚ قَالُوٓاْ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِۚ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِۖ وَٱللَّهُ يُؤْتِى مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًاۚ﴾، ذكر أهل التفسير أن نبي بني إسرائيل سأل الله أن يبعث لهم ملكًا، فأتىٰ بعصا وقرن فيه دهن، وقيل له: إن صاحبكم الذي يكون ملكًا يكون طوله طول هذه العصا، ومتىٰ دخل عليك رجل فنشق الدهن، فهو الملك، فادهن به رأسه، وملكه علىٰ بني إسرائيل فقاس القوم أنفسهم بالعصا، فلم يكونوا علىٰ مقدارها. قال عكرمة، والسدي: كان طالوت سقاءً يسقي علىٰ حمار له، فضلَّ حماره، فخرج يطلبه. وقال وهب: بل كان دباغًا يعمل الأدم، فضلّت حمر لأبيه فأرسله مع غلام له في طلبها، فمرا ببيت شمويل النبي فدخلا ليسألاه عن ضالتهما، فنشق الدهن، فقام شمويل، فقاس طالوت بالعصا، وكان علىٰ مقدارها، فدهنه، ثم قال له: أنت ملك بني إسرائيل، فقال طالوت: أما علمت أن سبطي أدنىٰ أسباط بني إسرائيل، وبيتي أدنىٰ بيوتهم؟ قال: بلىٰ، قال: فبأية آية؟ قال: بآية أنك ترجع وقد وجد أبوك حمره، فكان كما قال.

ومعنى قوله تعالى: ﴿أَنَّىٰ يَكُونُ﴾ من أي جهة يكون له الملك علينا.

٣٨١ - قال **ابن عباس:** إنما قالوا ذلك لأنه كان في بني إسرائيل سبطان، في أحدهما النبوة، وفي الآخر الملك، فلم يكن هو من أحد السبطين.

٣٨٢ - قال **قتادة:** كانت النبوة في سبط لاوي، والملك في سبط يهوذا.

قوله تعالى: ﴿وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِ﴾، أي: لم يؤت ما يتملّك به الملوك.

﴿قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ﴾، أي: اختاره.

٣٨٣ - قال **ابن عباس:** كان طالوت أعلم بني إسرائيل بالحرب، وكان يفوق الناس بمنكبيه وعنقه ورأسه. وهل كانت هذه الزيادة قبل الملك، أم أحدثت له بعد؟ فيه قولان: أحدهما: قبل الملك، قاله وهب، والسدي. والثاني: بعد الملك، قاله ابن زيد. والمراد بتعظيم الجسم، فضل القوة، إذ العادة أن من كان أعظم جسمًا، كان أكثر قوة. والواسع: الغنيّ.

قال ﷻ: ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ تَحْمِلُهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٤٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ﴾، الآية: العلامة، فمعناه: علامة تمليك الله إياه ﴿أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ﴾.

٣٨٤ - **وروي عن ابن مسعود، وابن عباس:** أنهم قالوا لنبيهم: إن كنت صادقًا فأتنا بآية تدل علىٰ أنه ملك، فقال لهم ذلك.

٣٨٥ - **وقال وهب:** خيّرهم، أي آية يريدون؟ فقالوا: أن يردَّ علينا التابوت.

٣٨٦ - **قال ابن عباس:** كان التابوت من عود الشمشار عليه صفائح الذهب، وكان يكون مع الأنبياء إذا حضروا قتالاً، قدموه بين أيديهم يستنصرون به، وفيه السكينة.

٣٨٧ - **وقال وهب بن منبه:** كان نحواً من ثلاث أذرع في ذراعين. قال مقاتل: فلما تفرقت بنو إسرائيل، وعصوا الأنبياء، سلط الله عليهم عدوهم، فغلبوهم عليه.

وفي السكينة سبعة أقوال:

أحدها: أنها ريح هفافة لها وجه كوجه الإنسان، رواه أبو الأحوص عن عليّ رضي الله عنه.

والثاني: أنها دابة بمقدار الهرّ، لها عينان لهما شعاع، وكانوا إذا التقىٰ الجمعان، أخرجت يدها، ونظرت إليهم، فيهزم الجيش من الرعب. رواه الضحاك عن ابن عباس.

٣٨٨ - **وقال مجاهد:** السكينة لها رأس كرأس الهرّة وذنب كذنب الهرّة، وجناحان.

والثالث: أنها طست من ذهب تغسل فيه قلوب الأنبياء، رواه أبو مالك عن ابن عباس.

والرابع: أنها روح من الله تعالىٰ تتكلّم، كانوا إذا اختلفوا في شيء، كلّمهم وأخبرهم ببيان ما يريدون، رواه عبد الصمد بن معقل عن وهب بن منبه.

والخامس: أن السكينة ما يعرفون من الآيات فيسكنون إليها، رواه ابن جريج عن عطاء بن أبي رباح.

والسكينة: من السكون، فمعناه: فيه ما تسكنون إليه إذا أتاكم.

والسادس: أن السّكينة معناها هاهنا: الوقار، رواه معمر عن قتادة. والسابع: أن السكينة: الرحمة، قاله الربيع بن أنس.

وفي البقية تسعة أقوال:

أحدها: أنها رضاض الألواح التي تكسرت حين ألقاها موسىٰ وعصاه، قاله ابن عباس، وقتادة، والسدي.

والثاني: أنها رضاض الألواح، قاله عكرمة، ولم يذكر العصا.

وقيل: إنما اتخذ موسىٰ التابوت ليجمع رضاض الألواح فيه.

والثالث: أنها عصا موسىٰ، والسكينة، قاله وهب.

والرابع: عصا موسىٰ، وعصا هارون، وثيابهما، ولوحان من التوراة، والمنُّ، قاله أبو صالح.

والخامس: أن البقية، العلم والتوراة، قاله مجاهد، وعطاء بن رباح. والسادس: أنها رضاض الألواح، وقفيز من مَنٍّ في طست من ذهب، وعصا موسىٰ وعمامته، قاله مقاتل.

والسابع: أنها قفيز من مَنٍّ ورضاض الألواح، حكاه سفيان الثوري عن بعض العلماء.

والثامن: أنها عصا موسىٰ والنعلان ذكره الثوري أيضـًا عن بعض أهل العلم.

والتاسع: أن المراد بالبقية: الجهاد في سبيل الله، وبذلك أمروا، قاله الضحاك والمراد بآل موسىٰ وآل هارون: موسىٰ وهارون.

قوله تعالى ﴿تَحۡمِلُهُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُۚ﴾ وفي المكان الذي حملته منه الملائكة إليهم قولان:

أحدهما: أنه كان مرفوعًا مع الملائكة بين السماء والأرض، منذ خرج عن بني إسرائيل، قاله الحسن.

والثاني: أنه كان في الأرض. وفي أي مكان كان؟ فيه قولان:

أحدهما: أنه كان في أيدي العمالقة قد دفنوه.

٣٨٩ - قال **ابن عباس**: أخذ التابوت قوم جالوت، فذفنوه في متبرز لهم، فأخذهم الباسور فهلكوا، ثم أخذه أهل مدينة أخرىٰ، فأخذهم بلاء، فهلكوا، ثم أخذه غيرهم كذلك، حتىٰ هلكت خمس مدائن، فأخرجوه علىٰ بقرتين، ووجهوهما إلىٰ بني إسرائيل، فساقتهما الملائكة.

والثاني: أنه كان في برية التيه، خلّفه فيها يوشع، ولم يعلموا بمكانه حتىٰ جاءت به الملائكة، قاله قتادة.

وفي كيفية مجيء الملائكة به قولان:

أحدهما: أنها جاءت به بأنفسها، قال وهب: قالوا لنبيهم: اجعل لنا وقتًا يأتينا فيه، فقال: الصبح، فلم يناموا ليلتهم، ووافت به الملائكة مع الفجر، فسمعوا حفيف الملائكة تحمله بين السماء والأرض. والثاني: أن الملائكة جاءت به علىٰ عجلة وثورين، ذكر عن وهب أيضًا. فعلىٰ القول الأول: يكون معنىٰ تحمله: تقله، وعلىٰ

الثاني: يكون معنىٰ حملها إياه: تسببها في حمله.

قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ﴾، أي: علامة تدل علىٰ تمليك طالوت.

٣٩٠ - قال **المفسرون:** فلما جاءهم التابوت وأقروا له بالملك، تأهب للخروج، فأسرعوا في طاعته، وخرجوا معه، فذلك قوله تعالىٰ.

قال ﷻ: ﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَاقُو اللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٢٤٩﴾﴾

قوله تعالىٰ: ﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ﴾، أي: خرج وشخص.

وفي عدد من خرج معه ثلاثة أقوال:

أحدها: سبعون ألفًا، قاله ابن عباس.

والثاني: ثمانون ألفًا، قاله عكرمة والسدي.

والثالث: مائة ألف، قاله مقاتل. قال: وساروا في حر شديد، فابتلاهم الله بالنهر.

والابتلاء: الاختبار

وفي هذا النهر قولان:

أحدهما: أنه نهر فلسطين، قاله ابن عباس والسدي.

والثاني: نهر بين الأردن وفلسطين، قاله عكرمة، وقتادة، والربيع بن أنس.

ووجه الحكمة في ابتلائهم أن يعلم طالوت من له نية في القتال منهم، ومن ليس له نيّة.

وقوله تعالى: ﴿فَلَيْسَ مِنِّي﴾ أي ليس من أصحابي.

قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنِ ٱغْتَرَفَ غُرْفَةً﴾ **وفي عدد القليل الذين لم يشربوا إلا غرفة قولان**:

أحدهما: أنهم أربعة آلاف، قاله عكرمة والسدي.

والثاني: ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلا، وهو الصحيح، لما روي عن النبيّ ﷺ أنه قال لأصحابه يوم بدر:

«أنتم بعدة أصحاب طالوت يوم لقاء جالوت»، وكانوا يوم بدر ثلاثمائة وثلاثة عشر.

قوله تعالى: ﴿لَا طَاقَةَ لَنَا﴾، أي: لا قوّة لنا

واختلفوا في القائلين لهذا على ثلاثة أقوال:

أحدها: أنهم الذين شربوا أكثر من غرفة، فإنهم انصرفوا ولم يشهدوا، وكانوا أهل شك ونفاق، قاله ابن عباس، والسدي.

والثاني: أنهم الذين قلت بصائرهم من المؤمنين، قاله الحسن، وقتادة، وابن زيد

قوله تعالى: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ﴾ في هذا الظن أنه بمعنىٰ اليقين، قاله السدي في آخرين.

وفي الظانين هذا الظن قولان:

أحدهما: أنهم الثلاثمائة والثلاثة عشر، قالوا للراجعين: كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة، قاله السدي.

والثاني: أنهم أُولو العزم والفضل من الثلاثمائة والثلاثة عشر.

والفئة: الفِرقة

قوله تعالى: ﴿بِإِذۡنِ ٱللَّهِ﴾

٣٩١ - قال **الحسن**: بنصر الله.

قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ أي بالنصر والإعانة

قال ﷻ: ﴿وَلَمَّا بَرَزُواْ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ قَالُواْ رَبَّنَآ أَفۡرِغۡ عَلَيۡنَا صَبۡرٗا وَثَبِّتۡ أَقۡدَامَنَا وَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٢٥٠﴾

٣٩٢ - أخرج **الطبري عن قتادة مرسلا وورد عن البراء بن عازب قال** «كنا أصحاب محمد ﷺ نتحدث أن عدة أصحاب بدر علىٰ عدة أصحاب طالوت الذين جاوزوا معه النهر ولم يجاوز معه إلّا مؤمن بضعة عشر وثلاثمائة». أخرجه البخاري وهذا هو الصواب، كونه موقوفا.

قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا بَرَزُواْ﴾، أي: صاروا بالبراز من الأرض، وهو ما ظهر واستوىٰ.

﴿أَفۡرِغۡ﴾ بمعنىٰ: اصبب ﴿وَثَبِّتۡ أَقۡدَامَنَا﴾ أي: قوِّ قلوبنا لتثبيت أقدامنا، وإنما تثبت الأقدام عند قوة القلوب.

٣٩٣ - قال مقاتل: كان جالوت وجنوده يعبدون الأوثان.

قال ﷻ: ﴿فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٢٥١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿فَهَزَمُوهُم﴾ أي: كسروهم وردوهم.

قوله تعالى: ﴿وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ﴾، يعني: آتى داود ملك طالوت.

وفي المراد بـ «الحكمة» هاهنا قولان:

أحدهما: أنها النبوَّة، قاله ابن عباس.

والثاني: الزبور، قاله مقاتل.

قوله تعالى: ﴿وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ﴾ **فيه ثلاثة أقوال:**

أحدها: أنها صنعة الدروع.

والثاني: الزبور.

والثالث: منطق الطير.

قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم﴾ **وفي معنى الكلام قولان:**

أحدهما: أن معناه: لولا أن الله يدفع بمن أطاعه عن من عصاه، كما دفع عن المتخلفين عن طالوت بمن أطاعه، لهلك العُصاة بسرعة العقوبة، قاله مجاهد.

والثاني: أن معناه، لولا دفع الله المشركين بالمسلمين، لغلب المشركون على

الأرض، فقتلوا المسلمين، وخربوا المساجد، قاله مقاتل.

ومعنى: ﴿لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ﴾ لهلك أهلها.

قال ﷻ: ﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ ۚ وَإِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢٥٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ﴾، أي: نقص عليك من أخبار المتقدمين.

قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ حُكمُك حكمهم، فمن صدقك، فسبيله سبيل من صدقهم، ومن عصاك، فسبيله سبيل من عصاهم.

قال ﷻ: ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۘ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ ۖ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ ۚ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ۗ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَلَٰكِنِ ٱخْتَلَفُوا۟ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿٢٥٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ﴾ يعني: موسىٰ عليه السلام.

وفي المراد بقوله: ﴿وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ﴾ قولان: أحدهما: عنىٰ بالمرفوع درجات، محمّدا عليه السلام، فإنه بعث إلىٰ الناس كافة، وغيره بعث إلىٰ أمته خاصة، هذا قول مجاهد.

والثاني: أنه عنىٰ تفضيل بعضهم علىٰ بعض فيما آتاه الله، هذا قول مقاتل.

وقد تقدم تفسير «البينات» و «روح القدس».

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِم﴾، أي: من بعد الأنبياء. وقال قتادة: من بعد موسىٰ وعيسىٰ. قال مقاتل: وكان بينهما ألف نبي.

قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنِ ٱخْتَلَفُوا۟﴾ يعني: الأمم.

قال ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَٰعَةٌ ۗ وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٥٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰكُم﴾، هذه الآية تحث علىٰ الصدقات، والإنفاق في وجوه الطاعات. وقال الحسن: أراد الزكاة المفروضة.

قوله تعالى: ﴿مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ﴾، يعني: يوم القيامة ﴿لَّا بَيْعٌ فِيهِ﴾

٣٩٤ - قال **ابن عباس**: لا فدية فيه، وقيل: إنما ذكر لفظ البيع لما فيه من المعاوضة، وأخذ البدل. والخلة: الصداقة. وقيل: إنما نفىٰ هذه الأشياء، لأنه عنىٰ عن الكافرين، وهذه الأشياء لا تنفعهم، ولهذا قال: ﴿وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾

قال ﷻ: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ٢٥٥﴾

قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ﴾

٣٩٥ - روى **مسلم في «صحيحه» عن أُبيّ بن كعب، أن النبيّ ﷺ قال له**: «يا أبا المنذر! أتدري أي آية من كتاب الله أعظم؟» قال: قلت: اللهُ لا إِلهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ، قال: فضرب في صدري! قال: «ليهنك العلم يا أبا المنذر».

٣٩٦ - قال **أبو عبيدة**: القيوم: الذي لا يزول أو القيوم: هو القائم الدائم بلا زوال

فأما «السِنَة» فهي: النعاس من غير نوم، ومنه: الوسنان

قوله تعالى: ﴿لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾

قوله تعالى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ﴾، فيه رد على من قال: ﴿مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾ [سورة الزمر:٣].

قوله تعالى: ﴿يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ﴾، ظاهر الكلام يقتضي الإشارة إلى جميع الخلق، وقال مقاتل: المراد بهم الملائكة.

وفي المراد بـ ﴿مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ﴾ ثلاثة أقوال:

أحدها: أن الذي بين أيديهم أمر الآخرة، والذي خلفهم أمر الدنيا، روي عن ابن

عباس، وقتادة.

والثاني: أن الذي بين أيديهم الدنيا، والذي خلفهم الآخرة، قاله السدي عن أشياخه، ومجاهد، وابن جريج، والحكم بن عتيبة.

والثالث: ما بين أيديهم: ما قبل خلقهم، وما خلفهم: ما بعد خلقهم، قاله مقاتل

قوله تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ﴾، يقال لكل من أحرز شيئًا، أو بلغ علمه أقصاه: قد أحاط به.

وفي المراد بالكرسي ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه كرسي فوق السماء السابعة دون العرش.

٣٩٧ - قال النبيّ ﷺ: «ما السّماوات السبع في الكرسي إِلا كحلقة ملقاة في أرض فلاة». وهذا قول ابن عباس في رواية عطاء.

والثاني: أن المراد بالكرسي علم الله تعالىٰ، رواه ابن جبير عن ابن عباس.

والثالث: أن الكرسي هو العرش، قاله الحسن.

قوله تعالى: ﴿وَلَا يَئُودُهُۥ﴾، أي: لا يثقله.

وهذا قول ابن عباس، وقتادة، والجماعة.

والعلي يكون من العلو الذي هو مصدر: علا يعلو، فهو عال كقوله تعالىٰ: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ [سورة طه:٥].

قال ﷻ: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ٢٥٦﴾

قوله تعالى: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِ﴾ في سبب نزولها أربعة أقوال:

أحدها: أن المرأة من نساء الأنصار كانت في الجاهلية إذا لم يعش لها ولد، تحلف: لئن عاش لها ولد لتهوّدنّه. فلما أجليت يهود بني النضير، كان فيهم ناس من أبناء الأنصار. فقال الأنصار: يا رسول الله أبناؤنا؟ فنزلت هذه الآية، هذا قول ابن عباس.

٣٩٨ - **وقال الشعبي**: قالت الأنصار: والله لنكرهن أولادنا علىٰ الإسلام، فإنّا إنّما جعلنا في دين اليهود إذ لم نعلم ديناً أفضل منه، فنزلت هذه الآية.

والثاني: أن رجلا من الأنصار تنصّر له ولدان قبل أن يبعث النبيّ ﷺ، ثم قدما المدينة فلزمهما أبوهما، وقال: والله لا أدعكما حتىٰ تسلما، فأبيا، فاختصموا إلىٰ النبيّ ﷺ، فنزلت هذه الآية، هذا قول مسروق.

والثالث: أن ناساً كانوا مسترضعين في اليهود، فلما أجلىٰ رسول الله ﷺ بني النضير، قالوا: والله لنذهبن معهم، ولندينن بدينهم، فمنعهم أهلوهم، وأرادوا إكراههم علىٰ الإسلام، فنزلت الآية.

والرابع: أن رجلاً من الأنصار كان له غلام اسمه صبيح، كان يكرهه علىٰ الإسلام، فنزلت هذه الآية، والقولان عن مجاهد.

فصل: واختلف علماء الناسخ والمنسوخ في هذا القدر من الآية، فذهب قوم إلىٰ

أنه محكم، وأنه من العام المخصوص، فإنه خص منه أهل الكتاب بأنهم لا يكرهون علىٰ الإسلام، بل يخيّرون بينه وبين أداء الجزية، وهذا معنىٰ ما روي عن ابن عباس ومجاهد وقتادة.

٣٩٩ - وقال **ابن الأنباري:** معنىٰ الآية: ليس الدين ما تدين به في الظاهر علىٰ جهة الإكراه عليه، ولم يشهد به القلب، وتنطوي عليه الضمائر، إنما الدين هو المنعقد بالقلب. وذهب قوم إلىٰ أنه منسوخ، وقالوا هذه الآية نزلت قبل الأمر بالقتال، فعلىٰ قولهم، يكون منسوخاً بآية السيف، وهذا مذهب الضحاك، والسدي، وابن زيد.

والدين هاهنا: أريد به الإسلام.

والرشد: الحق،

والغي: الباطل.

وقيل: هو الإيمان والكفر

وأما الطاغوت فهو اسم مأخوذ من الطغيان، وهو مجاوزة الحد

قال تعالى: ﴿أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّـٰغُوتُ﴾، وقال: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا﴾ [سورة الزمر:١٧].، **والمراد بالطاغوت هاهنا خمسة أقوال:**

أحدها: أنه الشيطان، قاله عمر وابن عباس ومجاهد والشعبي والسدي ومقاتل في آخرين.

والثاني: أنه الكاهن، قاله سعيد بن جبير وأبو العالية.

والثالث: أنه الساحر، قاله محمد بن سيرين.

والرابع: أنه الأصنام.

والخامس: أنه مردة أهل الكتاب.

قوله تعالى: ﴿فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾ هذا مثلَ للإيمان شبَّه التمسك به بالمتمسك بالعروة الوثيقة.

معنى الكلام: فقد عقد لنفسه عقداً وثيقـًا. والانفصام: كسر الشيء من غير إبانة.

قال ﷻ: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِۗ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٢٥٧﴾

قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾، أي: متولي أمورهم، يهديهم، وينصرهم، ويعينهم.

والظلمات: الضلالة، والنّور، الهدىٰ،

والطّاغوت: الشياطين، هذا قول ابن عباس، وعكرمة في آخرين. وقال مقاتل: الذين كفروا: هم اليهود، والطاغوت: كعب بن الأشرف.

قال ﷻ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٢٥٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ﴾، قد سبق معنىٰ ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ **وحاجّ**: بمعنىٰ خاصم، وهو نمروذ في قول الجماعة.

٤٠٠ - **قال ابن عباس:** ملك الأرض شرقها وغربها مؤمنان، وكافران فالمؤمنان سليمان بن داود، وذو القرنين. والكافران: نمروذ، وبختنصر.

معنى الآية: حاجَّ إبراهيم، لأن الله آتاه الملك، فأعجب بنفسه وملكه.

قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾،

٤٠١ - **قال بعضهم:** هذا جواب سؤال سابق غير مذكور، تقديره: أنه قال له: من ربك؟ فقال: ربّي الذين يحيي ويميت. قال نمروذ: أنا أحيي وأميت. قال ابن عباس: يقول: أترك من شئت، وأقتل من شئت.

قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾، يعني: الكافرين.

٤٠٢ - **قال مقاتل:** لا يهديهم إلىٰ الحجّة، وعنىٰ بذلك نمروذ.

قال ﷻ: ﴿أَوۡ كَٱلَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرۡيَةٖ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحۡيِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٖ ثُمَّ بَعَثَهُۥۖ قَالَ كَمۡ لَبِثۡتَۖ قَالَ لَبِثۡتُ يَوۡمًا أَوۡ بَعۡضَ يَوۡمٖۖ قَالَ بَل لَّبِثۡتَ مِاْئَةَ عَامٖ فَٱنظُرۡ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمۡ يَتَسَنَّهۡۖ وَٱنظُرۡ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجۡعَلَكَ ءَايَةٗ لِّلنَّاسِۖ وَٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡعِظَامِ كَيۡفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكۡسُوهَا لَحۡمٗاۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعۡلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٢٥٩﴾

قوله تعالى: ﴿أَوۡ كَٱلَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرۡيَةٖ﴾، هذا معطوف علىٰ معنىٰ الكلام الذي قبله، أرأيت كالذي حاج إبراهيم، أو كالذي مر علىٰ قرية؟

وفي المراد بالقرية قولان:

أحدهما: أنها بيت المقدس لما خربه بختنصر، قاله وهب، وقتادة، والربيع بن أنس.

والثاني: أنها التي خرج منها الألوف حذر الموت، قاله ابن زيد.

وفي الذي مر عليها ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه عزير، قاله علي بن أبي طالب، وأبو العالية، وعكرمة، وسعيد بن جبير، وناجية بن كعب، وقتادة، والضحاك، والسدي، ومقاتل.

والثاني: أنه أرمياء، قاله وهب، ومجاهد وعبد الله بن عبيد بن عمير.

والثالث: أنه رجل كافر شك في البعث، نقل عن مجاهد أيضـًا.

والخاوية: الخالية، وقيل الخراب، والعروش: السقوف، وأصل ذلك أن تسقط السقوف، ثم تسقط الحيطان عليها ﴿قَالَ أَنَّىٰ يُحۡيِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ﴾، أي: كيف يحييها.

قوله تعالى: ﴿فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ﴾.

(الاشارة إلى قصته):

٤٠٣- روى **ناجية بن كعب عن عليّ** عليه السلام، **قال:** خرج عزير نبي الله من مدينته، وهو رجل شاب، فمر علىٰ قرية، وهي خاوية علىٰ عروشها، فقال: أنىٰ يحيي هذه الله بعد موتها، فأماته الله مائة عام، ثم بعثه، وأول ما خلق الله منه عيناه، فجعل ينظر إلىٰ عظمه تنضمّ بعضها إلىٰ بعض، ثم كسيت لحمًا، ونفخ فيها الروح.

٤٠٤- قال **الحسن:** قبضه الله أول النهار، وبعثه الله آخر النهار بعد مائة سنة. قال مقاتل: ونودي من السماء: كم لبثت؟ قال قتادة: فقال: لبثت يومًا، ثم نظر فرأىٰ بقية من الشمس، فقال: أو بعض يوم. فهذا يدل علىٰ أنه عزير.

٤٠٥- وقال **وهب بن منبه:** أقام أرميا بأرض مصر فأوحىٰ الله إليه أن الحق بأرض إيلياء، فركب حماره، وأخذ معه سلة من عنب وتين، ومعه سقاء جديد، فيه ماء، فلما بدا له شخص بيت المقدس وما حوله من القرىٰ والمساجد نظر إلىٰ خراب لا يوصف فلما رأىٰ هدم بيت المقدس كالجبل العظيم قال: أنىٰ يحيي هذه الله بعد موتها؟ ثم نزل منها منزلاً، وربط حماره، وعلق سقاءه، وألقىٰ الله عليه النوم، ونزع روحه مائة عام، فلما مر منها سبعون عامًا، أرسل الله ملكًا إلىٰ ملك من ملوك فارس، عظيم، فقال: إن الله يأمرك أن تنفر بقومك، فتعمر بيت المقدس وإيلياء وأرضها حتىٰ تعود أعمر ما كانت، فانتدب ثلاثمائة قهرمان، ودفع إلىٰ كل قهرمان ألف عامل، وما يصلحه من أداة العمل، فسار إليها قهارمته ومعهم ثلاثمائة ألف عامل. فلما وقعوا في العمل، رد الله روح الحياة في عيني أرميا، وآخر جسده ميت،

فنظر إليها تعمر، فلما تمت بعد ثلاثين سنة رد الله إليه الروح، فنظر إلىٰ طعامه وشرابه فلم يتسنّه، ونظر إلىٰ حماره واقفًا كهيئته يوم ربطه لم يطعم ولم يشرب، ونظر إلىٰ الرّمّة في عنق الحمار لم تتغير ولم تنتقص شيئًا وقد نحل جسم أرميا من البلىٰ، فأنبت الله له لحمًا جديداً ونشز عظامه وهو ينظر، فقال له الله: ﴿فَٱنظُرۡ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمۡ يَتَسَنَّهۡۖ وَٱنظُرۡ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجۡعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِۖ وَٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡعِظَامِ كَيۡفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكۡسُوهَا لَحۡمًاۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعۡلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾.

وزعم مقاتل أن هذه القصة كانت بعد رفع عيسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

فأما طعامه وشرابه، فقال وهب: كان معه مكتل فيه عنب وتين، وقلة فيها ماء. وقال السدي: كان معه تين وعنب، وشرابه من العصير، ولم يحمض التين والعنب، ولم يختمر العصير.

قوله تعالى: ﴿لَمۡ يَتَسَنَّهۡ﴾ قال ابن عباس، والحسن وقتادة في آخرين: لم يتغير

قوله تعالى: ﴿وَٱنظُرۡ إِلَىٰ حِمَارِكَ﴾، قال مقاتل: انظر إليه، وقد ابيضت عظامه، وتفرقت أوصاله، فأعاده الله.

قوله تعالى: ﴿وَلِنَجۡعَلَكَ﴾ تقديره: فعلنا بك ذلك لنراك قدرتنا، ولنجعلك آية للناس، أي: علَمًا علىٰ قدرتنا.

٤٠٦ - قال **ابن عباس**: مات وهو ابن أربعين سنة، وابنه ابن عشرين سنة، ثم بعث وهو ابن أربعين وابنه ابن عشرين ومائة، ثم أقبل حتىٰ أتىٰ قومه في بيت المقدس،

فقال لهم: أنا عزير، فقالوا: حدثنا آباؤنا أن عزيراً مات بأرض بابل، فقال لهم: أنا هو أرسلني الله إليكم أجدد لكم توراتكم، وكانت قد ذهبت، وليس منهم أحد يقرؤها فأملاها عليهم.

قوله تعالى: ﴿كَيْفَ نُنشِزُهَا﴾ وهو من النشز الذي هو الارتفاع.

والمعنىٰ: نرفع بعضها إلىٰ بعض للأحياء.

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ﴾، أي: بان له إحياء الموتىٰ، ﴿قَالَ أَعْلَمُ﴾ والمعنىٰ: قد علمت ما كنت أعلمه غيباً مشاهدة.

قال ﷻ: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ﴾ **في سبب سؤاله هذا أربعة أقوال:**

أحدها: أنه رأىٰ ميتة تمزقها الهوام والسباع فسأل هذا السؤال، وهذا قول ابن عباس، والحسن، وقتادة، والضحاك، وعطاء الخراساني، وابن جريج، ومقاتل.

وما الذي كانت هذه الميتة؟

فيه ثلاثة أقوال:

أحدها: كان رجلاً ميتاً، قاله ابن عباس.

والثاني: كان جيفة حمار، قاله ابن جريج، ومقاتل.

والثالث: كان حوتـًا ميتـًا، قاله ابن زيد.

والثاني: أنه لما بشر باتخاذ الله له خليلاً، سأل هذا السؤال ليعلم صحة البشارة، ذكره السدي عن ابن مسعود، وابن عباس. وروي عن سعيد بن جبير أنه لما بشر بذلك، قال: ما علامة ذلك؟ قال: أن يجيب الله دعاءك، ويحيي الموتىٰ بسؤالك، فسأل هذا السؤال.

والثالث: أنه سأل ذلك ليزيل عوارض الوسواس، وهذا قول عطاء بن أبي رباح.

والرابع: أنه لما نازعه نمروذ في إحياء الموتىٰ سأل ذلك ليرىٰ ما أخبر به عن الله تعالىٰ، وهذا قول محمد بن إسحاق.

قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ تُؤْمِنْ﴾، أي: أولست قد آمنت أني أحيي الموتىٰ؟ وقال ابن جبير: ألم توقن بالخلة؟

قوله تعالى: ﴿بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾، تقديره: ولكن سألتك ليطمئن، أو أرني ليطمئن قلبي،

ثم في المعنى أقوال:

أحدها: لأعلم أنك تجيبني إذا دعوتك، قاله ابن عباس.

والثاني: ليزداد قلبي يقينـًا، قاله سعيد بن جبير. وقال الحسن: كان إبراهيم موقنـًا، ولكن ليس الخبر كالمعاينة.

والثالث: ليطمئن قلبي بالخلة، روي عن ابن جبير أيضـًا

قوله تعالى: ﴿فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ﴾ **في الذي أخذ سبعة أقوال:**

أحدها: أنها الحمامة، والديك، والكركيّ، والطّاوس، رواه عبد الله بن هبيرة عن

ابن عباس.

والثاني: أنها الطّاوس، والديك، والدجاجة السندية، والأوزة، رواه الضحاك عن ابن عباس. وفي لفظ آخر، رواه الضحاك مكان الدجاجه السندية الرأل، وهو فرخ النعام.

والثالث: أنها الشّعانين، وكان قرباهم يومئذ، رواه أبو صالح عن ابن عباس.

والرابع: أنها الطّاوس، والنسر، والغراب، والديك، نقل عن ابن عباس أيضا.

والخامس: أنها الدّيك، والطّاوس والغراب، والحمام، قاله عكرمة، ومجاهد، وعطاء، وابن جريج، وابن زيد.

والسادس: أنها ديك، وغراب، وبطّ، وطاوس، رواه ليث عن مجاهد.

والسابع: أنها الديك، والبطة، والغراب، والحمامة، قاله مقاتل. وقال عطاء الخراساني: أوحىٰ الله إليه أن خذ بطة خضراء وغرابـًا أسود، وحمامة بيضاء، وديكـًا أحمر.

قوله تعالى: ﴿فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ﴾ والمعنىٰ: أملهن إليك.

فمعنى الكلام: اجمعهن إليك. ﴿ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا﴾ فيه إضمار قطعهن.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا﴾، وروىٰ عوف عن الحسن قال: اذبحهن ونتّفهنّ، ثم قطّعهنّ أعضاء، ثم خلّط بينهنّ جميعا، ثم جزّأهما أربعة أجزاء، وضع علىٰ كل جبل جزءاً. ثم تنحىٰ عنهن، فدعاهن، فجعل يعدو كل جزء إلىٰ صاحبه

حتىٰ استوين كما كن، ثم أتينه يسعين.

٤٠٧ - **وقال قتادة:** أمسك رؤوسها بيده، فجعل العظم يذهب إلىٰ العظم، والريشة إلىٰ الريشة، والبضعة إلىٰ البضعة، وهو يرىٰ ذلك، ثم دعاهنّ، فأقبلن علىٰ أرجلهن يلقي لكل طائر رأسه.

وفي عدد الجبال التي قسمن عليها قولان:

أحدهما: أنه قسمهنّ علىٰ أربعة جبال، قاله ابن عباس، والحسن، وقتادة. وروي عن ابن عباس قال: جعلهن أربعة أجزاء في أرباع الأرض، كأنه يعني جهات الإنسان الأربع.

والثاني: أنه قسمهن سبعة أجزاء علىٰ سبعة أجبال، قاله ابن جريج، والسدي

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱدۡعُهُنَّ يَأۡتِينَكَ سَعۡيٗاۚ﴾ يقال: عدواً، ويقال: مشياً علىٰ أرجلهن، ولا يقال للطائر إذا طار: سعىٰ.

قوله تعالى: ﴿وَٱعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ﴾ أي: منيع لا يغلب ﴿حَكِيمٌ﴾ فيما يدبر.

ويزعم مقاتل أن هذه القصة جرت لإبراهيم بالشام قبل أن يكون له ولد، وقبل نزول الصحف عليه، وهو ابن خمس وسبعين سنة.

قال ﷻ: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتۡ سَبۡعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٖ مِّاْئَةُ حَبَّةٖۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ٢٦١﴾

قوله تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾

٤٠٨- حدثنا عن ثعلب أنه قال: إنما المثل- والله أعلم- للنفقة، لا للرجال، ولكن العرب إذا دل المعنىٰ علىٰ ما يريدون، حذفوا، مثل قوله تعالىٰ: وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ، فأضمر «الحب» لأن المعنىٰ معلوم، فكذلك هاهنا. أراد:

مثل نفقة الذين ينفقون ونحو هذا قوله تعالىٰ: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم﴾ [سورة آل عمران:١٨٠]. يريد: بخل الباخلين فحذف البخل.

وفي المراد بـ ﴿سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ أنه الجهاد.

وقد أعلم الله ﷻ بضرب هذا المثل، أن الحسنة في النفقة في سبيله تضاعف بسبعمائة ضعف. وقال الشعبي: نفقة الرجل علىٰ نفسه وأهل بيته تضاعف بسبعمائة ضعف.

٤٠٩- قال **ابن زيد:** ﴿وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ﴾، أي: يزيد علىٰ السّبعمائة.

قال ﷻ: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَآ أَنفَقُواْ مَنًّا وَلَآ أَذًى لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٦٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ قال مقاتل: نزلت في عثمان بن عفان في نفقته في غزوة تبوك، وشرائه بئر رومة، ركية بالمدينة، تصدق بها علىٰ المسلمين، وفي عبد الرحمن بن عوف حين تصدق بأربعة آلاف درهم، وكانت نصف ماله.

وأما المنّ ففيه قولان: أحدهما: أنه المن علىٰ الفقير، ومثل أن يقول: قد أحسنت

إليك ونعشتك، وهو قول الجمهور. والثاني: أنه المن على الله بالصدقة، روي عن ابن عباس.

وفي الأذى قولان:

أحدهما: أنه مواجهة الفقير بما يؤذيه، مثل أن يقول له: أنت أبداً فقير، وقد بليت بك، وأراحني الله منك.

والثاني: أنه يخبر بإحسانه إلى الفقير، من يكره الفقير إطلاعه على ذلك، وكلا القولين يؤذي الفقير وليس من صفة المخلصين في الصدقة.

٤١٠ - **ولقد** حدثنا عن حسان بن أبي سنان أنه كان يشتري أهل بيت الرجل وعياله، ثم يعتقهم جميعاً، ولا يتعرف إليهم، ولا يخبرهم من هو.

قال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًىۗ وَٱللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ ﴿٢٦٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ﴾، أي: قول جميل للفقير، مثل أن يقول له: يوسع الله عليك ﴿وَمَغْفِرَةٌ﴾ أي: يستر على المسلم خلته وفاقته، وقيل: أراد بالمغفرة التجاوز عن السائل إن استطال على المسؤول وقت رده ﴿خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًىۗ﴾ وقد سبق بيانه.

قال ﷻ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُبْطِلُوا۟ صَدَقَـٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ كَٱلَّذِى يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۖ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٌ فَتَرَكَهُۥ صَلْدًا ۖ لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٢٦٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿لَا تُبْطِلُوا۟ صَدَقَـٰتِكُم﴾، أي: لا تبطلوا ثوابها، كما تبطل ثواب صدقة المرائي الذي لا يؤمن بالله، وهو المنافق ﴿فَمَثَلُهُۥ﴾ ، أي: مثل نفقته، ﴿ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ﴾، الصفوان:الحجر، والوابل: أشد المطر، والصلد: الأملس.

٤١١ - **وقال ثعلب:** الصلد: النقي.

٤١٢ - **وروي عن ابن عباس، وقتادة،** ﴿فَتَرَكَهُۥ صَلْدًا﴾، قالا: ليس عليه شيء. وهذا مثل ضربه الله تعالىٰ للمرائي بنفقته، لا يقدر يوم القيامة علىٰ ثواب شيء مما أنفق

قال ﷻ: ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍۭ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَـَٔاتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٦٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ﴾، أي: طلباً لرضاه.

وفي معنى التثبيت قولان:

أحدهما: أنه الإنفاق عن يقين وتصديق، وهذا قول الشّعبيّ، والسدي، في آخرين.

والثاني: أنه التثبيت لارتياد محل الإنفاق، فهم ينظرون أين يضعونها، وهذا قول

الحسن، ومجاهد، وأبي صالح

الربوة الارتفاع، وكل شيء ارتفع وزاد، فقد ربا.

وأكلها: ثمرها. ﴿ضِعۡفَيۡنِ﴾ أي: مثلين. فأما «الطّلّ»: هو أضعف المطر.

٤١٣ - قال **ثعلب:** وهذا لفظ مستقبل وهو لأمر ماض، فمعناه: فان لم يكن أصابها وابل فطل، ومعنىٰ هذا المثل: أن صاحب هذه الجنة لا يخيب، فإنها إن أصابها الطل حسنت، وإن أصابها الوابل أضعفت، فكذلك نفقة المؤمن المخلص.

والبصير: من أسماء الله تعالىٰ، معناه: المبصر.

قال ﷻ: ﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمۡ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٞ مِّن نَّخِيلٖ وَأَعۡنَابٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ لَهُۥ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَأَصَابَهُ ٱلۡكِبَرُ وَلَهُۥ ذُرِّيَّةٞ ضُعَفَآءُ فَأَصَابَهَآ إِعۡصَارٞ فِيهِ نَارٞ فَٱحۡتَرَقَتۡۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّكُمۡ تَتَفَكَّرُونَ ٢٦٦﴾

قوله تعالى: ﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمۡ﴾، هذه الآية متصلة بقوله تعالىٰ: ﴿لَا تُبۡطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم﴾، ومعنىٰ: «﴿أَيَوَدُّ﴾» أيُحب، وإنما ذكر النخيل والأعناب، لأنهما من أنفس ما يكون في البساتين، وخصّ ذلك بالكبير، لأنه قد يئس من سعي الشباب في اكسابهم.

قوله تعالى: ﴿وَلَهُۥ ذُرِّيَّةٞ ضُعَفَآءُ﴾، أي: ضعاف، وإذا ضعفت الذرية كان أحنىٰ عليهم، وأكثر إشفاقًا ﴿فَأَصَابَهَآ﴾ يعني: الجنة ﴿إِعۡصَارٞ﴾ وهي ريح شديدة، تهب بشدة، فترفع إلىٰ السماء ترابًا، كأنه عمود.

فصل: وهذه الآية مثلٌ ضربه الله تعالىٰ في الحَسْرةِ بسلب النعمة عند شدّة الحاجة.

وفيمن قَصَدَ به ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه مثل الذي يختم له بالفساد في آخر عُمره، قاله ابن عباس.

والثاني: أنه مثل للمفرط في طاعة الله تعالىٰ حتىٰ يموت، قاله مجاهد.

والثالث: أنه مثل للمرائي في النفقة، ينقطع عنه نفعها أحوج ما يكون إليه، قاله السّدّيّ.

قال ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبۡتُمۡ وَمِمَّآ أَخۡرَجۡنَا لَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِۖ وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلۡخَبِيثَ مِنۡهُ تُنفِقُونَ وَلَسۡتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغۡمِضُواْ فِيهِۚ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ٢٦٧﴾

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبۡتُمۡ﴾ **في سبب نزولها قولان:**

أحدهما: أن الأنصار كانوا إذا جذّوا النخل، جاء كل رجل بشيء من ذلك فعلقه في المسجد، فيأكل منه فقراء المهاجرين، وكان أناسٌ ممن لا يرغب في الخير يجيء أحدهم بالقنو فيه الحشف والشيص، فيعلقه، فنزلت هذه الآية. هذا قول البراء بن عازب.

والثاني: أن النبيّ ﷺ أمر بزكاة الفطر، فجاء رجل بتمر رديء، فنزلت هذه الآية. هذا قول جابر بن عبد الله.

وفي المراد بهذه النفقة قولان:

أحدهما: أنها الصدقة المفروضة، قاله عبيدة السلماني في آخرين.

والثاني: أنها التطوع.

وفي المراد بالطيب هاهنا قولان:

أحدهما: أنه الجيّد الأنفس، قاله ابن عباس.

والثاني: أنه الحلال، قاله أبو معقل في آخرين.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَيَمَّمُواْ﴾، أي: لا تقصدوا

وفي الخبيث قولان:

أحدهما: أنه الرديء، قاله الأكثرون، وسبب الآية يدل عليه.

والثاني: أنه الحرام، قاله ابن زيد

قوله تعالى: ﴿وَلَسۡتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغۡمِضُواْ فِيهِۚ﴾،

٤١٤ - قال **ابن عباس**: لو كان بعضكم يطلب من بعض حقاً له، ثم قضاه ذلك، ولم يأخذه إلىٰ أن يرىٰ أنه قد أغمض عن بعض حقه.

والإغماض أصل هذا أن يصرف المرء بصره عن الشيء، ويغمضه، فسمي الترخص إغماضاً. ومنه قول الناس للبائع: أغمض، أي: لا تشخص، وكن كأنك لا تبصر.

وقيل: لما كان الرجل إذا رأىٰ ما يكره أغمض عينيه، لئلا يرىٰ جميع ما يكره جعل التجاوز والمساهلة في كل شيء إغماضاً.

قوله تعالى: ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾.

قال ﷻ: ﴿ٱلشَّيۡطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلۡفَقۡرَ وَيَأۡمُرُكُم بِٱلۡفَحۡشَآءِۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغۡفِرَةٗ مِّنۡهُ وَفَضۡلٗاۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ ٢٦٨﴾

قوله تعالى: ﴿ٱلشَّيۡطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلۡفَقۡرَ﴾ ومعنى الكلام: يحملكم على أن تؤدّوا من الرديء، يخوفكم الفقر بإعطاء الجيد.

ومعنى: يعدكم الفقر، أي: بالفقر

وفي الفحشاء قولان:

أحدهما: البخل.

والثاني: المعاصي.

٤١٥ - قال **ابن عباس:** ﴿وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغۡفِرَةٗ﴾ لفحشائكم، ﴿وَفَضۡلٗاۗ﴾ في الرّزق.

قال ﷻ: ﴿يُؤۡتِي ٱلۡحِكۡمَةَ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُؤۡتَ ٱلۡحِكۡمَةَ فَقَدۡ أُوتِيَ خَيۡرٗا كَثِيرٗاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٢٦٩﴾

قوله تعالى ﴿يُؤۡتِي ٱلۡحِكۡمَةَ مَن يَشَآءُ﴾، **في المراد بهذه الحكمة عشر أقوال:**

أحدها: أنها القرآن، قاله ابن مسعود، ومجاهد، والضحاك، ومقاتل في آخرين.

والثاني: معرفة ناسخ القرآن، ومنسوخه، ومحكمه، ومتشابهه، ومقدمه، ومؤخره، ونحو ذلك، رواه علي بن أبي طلحة عن ابن عباس.

والثالث: النبوة، رواه أبو صالح عن ابن عباس.

والرابع: الفهم في القرآن، قاله أبو العالية، وقتادة، وإبراهيم.

والخامس: العلم والفقه، رواه ليث عن مجاهد.

والسادس: الإصابة في القول، رواه ابن أبي نجيح عن مجاهد.

والسابع: الورع في دين الله، قاله الحسن.

والثامن: الخشية لله، قاله الربيع بن أنس.

والتاسع: العقل في الدين، قاله ابن زيد.

والعاشر: الفهم، قاله شريك.

قوله تعالى: ﴿وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ﴾ والمعنىٰ:ومن يؤته الله الحكمة.

قوله تعالى: ﴿وَمَا يَذَّكَّرُ﴾ أي: وما يفكّر فكراً يذكر به ما قص من آيات القرآن إلا ذوو العقول.

«أولو» بمعنىٰ: ذوو، وواحد «أولو» «ذو»، و«أولات» «ذات».

قال ﷻ: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُهُۥ ۗ وَمَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٢٧٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ﴾ النذر: ما أوجبه الإنسان علىٰ نفسه، وقد يكون مطلقـًا، ويكون معلقـًا بشرط.

قوله تعالى ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُهُۥ ۗ﴾

٤١٦ - **قال مجاهد:** يُحصيه.

وفي المراد بالظالمين هاهنا، أنهم المشركون، قاله مقاتل.

والأنصار: المانعون. فمعناه: ما لهم مانع يمنعهم من عذاب الله.

قال ﷻ: ﴿إِن تُبْدُوا۟ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِىَ ۖ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٧١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿إِن تُبْدُوا۟ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِىَ ۖ﴾. قيل لما نزل قوله تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ﴾، قالوا: يا رسول الله، صدقة السر أفضل، أم العلانية؟ فنزلت هذه الآية.

يقال: بدا الشيء يبدو: إذا ظهر

وقوله تعالى: ﴿فَنِعِمَّا هِىَ﴾ أي: فنعمّ الشيء هو.

واتفق العلماء علىٰ أن إخفاء الصدقة النافلة أفضل من إظهارها.

وفي الفريضة قولان:

أحدهما: أن إظهارها أفضل، قاله ابن عباس في آخرين.

والثاني: إخفاؤها أفضل، قاله الحسن، وقتادة، ويزيد بن أبي حبيب.

وقد حمل أرباب القول الأول الصدقات في الآية علىٰ الفريضة، وحملوا ﴿وَإِن تُخْفُوهَا﴾ علىٰ النافلة، وهذا قول عجيب.

وإنما فضلت صدقة السر لمعنيين:

أحدهما: يرجع إلىٰ المعطي، وهو بُعْدُه عن الرياء، وقربه من الإخلاص، والإعراض عما تؤثر النفس من العلانية.

والثاني: يرجع إلىٰ المعطىٰ، وهو دفع الذل عنه بإخفاء الحال، لأنه في العلانية ينكسر

قوله تعالى: ﴿وَيُكَفِّرُ عَنكُم﴾

قال ﷻ: ﴿لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۗ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٢﴾﴾

قوله تعالى ﴿لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ﴾ **في سبب نزولها قولان:**

أحدهما: أن المسلمين كرهوا أن يتصدقوا علىٰ أقربائهم من المشركين، فنزلت هذه الآية، هذا قول الجمهور.

قال ﷻ: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِى ٱلْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَٰهُمْ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا ۗ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٢٧٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُوا۟﴾، لما حثهم علىٰ الصدقات والنفقات، دلهم علىٰ خير من تُصدّق عليه. وقد تقدم تفسير الإحصار عند قوله: ﴿فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ﴾ [سورة البقرة:١٩٦].

وفي المراد ب ﴿ٱلَّذِينَ أُحۡصِرُواْ﴾ أربعة أقوال:

أحدها: أنهم أهل الصفة حبسوا أنفسهم علىٰ طاعة الله، ولم يكن لهم شيء، قاله ابن عباس، ومقاتل.

والثاني: أنهم فقراء المهاجرين، قاله مجاهد.

والثالث: أنهم قوم حبسوا أنفسهم علىٰ الغزو، فلا يقدرون علىٰ الاكتساب، قاله قتادة.

والرابع: أنهم قوم أصابتهم جراحات مع النّبيّ ﷺ، فصاروا زمنىٰ. قاله سعيد بن جبير، واختاره الكسائي.

وقال: أحصروا من المرض، ولو أراد الحبس، لقال: حُصروا، وإنما الإحصار من الخوف، أو المرض.

والحصر: الحبس في غيرهما.

وفي ﴿سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ قولان:

أحدهما: أنه الجهاد.

والثاني: الطاعة.

وفي الضرب في الأرض قولان:

أحدهما: أنه الجهاد لم يمكنهم لفقرهم، نقل عن ابن عباس.

والثاني: الكسب، قاله قتادة.

وفي الذي منعهم من ذلك أقوال:

أحدها: الفقر، قاله ابن عباس.

والثاني: أمراضهم، قاله ابن جبير، وابن زيد

قوله تعالى: ﴿يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ﴾ لم يرد الجهل الذي هو ضد العقل، إنما أراد الجهل الذي هو ضد الخُبْر، فكأنه قال: يحسبهم من لا يخبرُ أمرهم.

والتعفف: ترك السؤال، يقال: عف عن الشيء وتعفّف. والسيما: العلامة التي يعرف بها الشيء، وأصله من السمة.

وفي المراد بسيماهم ثلاثة أقوال:

أحدها: تجملهم، قاله ابن عباس.

والثاني: خشوعهم، قاله مجاهد.

والثالث: أثر الفقر عليهم، قاله السدي والربيع بن أنس

فأما الإلحاف، فهو:الإلحاح يقال: ألحف في المسأله: إذا ألح.

قال ﷻ: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾ **اختلفوا فيمن نزلت على ثلاثة أقوال:**

أحدها: أنها نزلت في الذين يرتبطون الخيل في سبيل الله ﷻ، رواه حنش الصنعاني عن ابن عباس، وهو قول أبي الدّرداء وأبي أمامه، ومكحول، والأوزاعي في آخرين.

والثاني: نزلت في عليّ بن أبي طالب عليه السلام، فإنه كانت معه أربعة دراهم، فأنفق في

الليل درهماً وبالنهار درهماً، وفي السر درهماً، وفي العلانية درهماً، رواه مجاهد عن ابن عباس، وبه قال مجاهد، وابن السائب، ومقاتل.

والثالث: أنها نزلت في عليّ وعبد الرحمن بن عوف، فإن علياً بعث بوسق من تمر إلىٰ أهل الصفة ليلاً وبعث عبد الرحمن إليهم بدنانير كثيرة نهاراً، رواه الضحاك عن ابن عباس.

قال ﷻ: ﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰاْ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٧٥﴾ يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرْبِى ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴿٢٧٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ﴾، الربا: أصله في اللغة: الزّيادة.

وهذا الوعيد يشمل الأكل، والعامل به، وإنما خصّ الأكل بالذكْر، لأنه معظم المقصود.

قوله تعالى ﴿يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ﴾ فيه قولان:

أحدهما: أن معنىٰ محقه: تنقيصه واضمحلاله، ومنه: محاق الشهر، لنقصان الهلال فيه. روىٰ هذا المعنىٰ أبو صالح عن ابن عباس، وبه قال سعيد بن جبير.

والثاني: أنه إبطال ما يكون منه من صدقة ونحوها، رواه الضحاك عن ابن عباس.

قوله تعالى: ﴿وَيُرْبِي ٱلصَّدَقَٰتِ﴾، قال ابن جبير: يضاعفها.

والكَفَّار: الذي يكثر فعل ما يكفر به.

والأثيم: المتمادي في ارتكاب الإثم المصرّ عليه.

قال ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ٢٧٨﴾

قوله تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ﴾ **في نزولها ثلاثة أقوال**:

أحدها: أنها نزلت في بني عمرو بن عمير بن عوف من ثقيف، وفي بني المغيرة من بني مخزوم، وكان بنو المغيرة يأخذون الربا من ثقيف، فلما وضع الله الربا، طالبت ثقيف بني المغيرة بما لهم عليهم، فنزلت هذه الآية، والتي بعدها، هذا قول ابن عباس.

والثاني: أنها نزلت في عثمان بن عفان، والعباس، كانا قد أسلفا في التمر، فلما حضر الجذاذ، قال صاحب التّمر: إن أخذتما ما لكما لم يبق لي ولعيالي ما يكفي، فهل لكما أن تأخذوا النصف وأضعّف لكما؟ ففعلا، فلما حل الأجل، طلبا الزيادة، فبلغ ذلك النبيّ ﷺ، فنهاهما ﵇، فنزلت هذه الآية، هذا قول عطاء وعكرمة.

والثالث: أنها نزلت في العباس وخالد بن الوليد، وكانا شريكين في الجاهلية وكانا يسلفان في الربا، فجاء الإسلام ولهما أموال عظيمة في الربا، فنزلت هذه الآية، فقال النبي ﷺ: «أَلا إِن كل ربـًا من ربا الجاهلية موضوع وأول ربا أضعه ربا العباس» هذا قول السدي.

٤١٧ - **قال ابن عباس، وعكرمة، والضحاك، إنما قال:** ﴿مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ﴾ لأن كل ربـًا كان قد ترك، فلم يبق إلا ربا ثقيف.

٤١٨ - **وقال قوم:** الآية محمولة على من أربى قبل إسلامه، وقبض بعضه في كفره، ثم أسلم، فيجب عليه أن يترك ما بقي، ويعفى له عما مضى.

فأما المراباة بعد الإسلام، فمردودة فيما قبض، ويسقط ما بقي.

قال ﷻ: ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ فَأْذَنُواْ﴾ من قرأ: فأذنوا، بقصر الألف وفتح الذال، فالمعنى: أيقنوا.

ومن قرأ بمد الألف وكسر الذال، فمعناه: أعلموا كل من لم يترك الربا أنه حرب.

٤١٩ - **قال ابن عباس:** يقال يوم القيامة لآكل الربا: خذ سلاحك للحرب.

قوله تعالى: ﴿وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ﴾ أي التي أقرضتموها، لا تَظلمون فتأخذون أكثر منها، ولا تُظلَمون فتنقصون منها.

قال ﷻ: ﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ وَأَن تَصَدَّقُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٨٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ﴾

٤٢٠ - ذكر مقاتل أنه لما نزل قوله تعالىٰ: ﴿وَذَرُواْ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ﴾، قال بنو عمرو بن عمير لبني المغيرة: هاتوا رؤوس أموالنا، وندع لكم الربا، فشكا بنو المغيرة العسرة، فنزلت هذه الآية.

فأما العسرة، فهي الفقر، والضيق.

ومعنىٰ وإن كان: وإن وقع. والنظرة التأخير، فأمرهم بتأخير رأس المال بعد إسقاط الربا إذا كان المطالب معسراً، وأعلمهم أن الصدقة عليه بذلك أفضل بقوله تعالىٰ: ﴿وَأَن تَصَدَّقُواْ﴾.

قال ﷻ: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا كَسَبَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ٢٨١﴾

قوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِۖ﴾

٤٢١ - **قال ابن عباس، وأبو سعيد الخدري، وسعيد بن جبير، وعطية، ومقاتل في آخرين:** هذه آخر آية نزلت من القرآن.

٤٢٢ - **قال ابن عباس:** وتوفّي رسول الله ﷺ بعدها بأحد وثمانين يومـًا،

٤٢٣ - **وقال ابن جريج:** توفي بعدها بتسع ليال. وقال مقاتل: بسبع ليال.

قال ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيۡنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى فَٱكۡتُبُوهُۚ وَلۡيَكۡتُب بَّيۡنَكُمۡ كَاتِبُۢ بِٱلۡعَدۡلِۚ وَلَا يَأۡبَ كَاتِبٌ أَن يَكۡتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُۚ فَلۡيَكۡتُبۡ وَلۡيُمۡلِلِ ٱلَّذِي عَلَيۡهِ ٱلۡحَقُّ وَلۡيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ وَلَا يَبۡخَسۡ مِنۡهُ شَيۡـٔٗاۚ فَإِن كَانَ ٱلَّذِي عَلَيۡهِ ٱلۡحَقُّ سَفِيهًا أَوۡ ضَعِيفًا أَوۡ لَا يَسۡتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ فَلۡيُمۡلِلۡ وَلِيُّهُۥ بِٱلۡعَدۡلِۚ وَٱسۡتَشۡهِدُواْ شَهِيدَيۡنِ مِن رِّجَالِكُمۡۖ فَإِن لَّمۡ يَكُونَا رَجُلَيۡنِ فَرَجُلٞ وَٱمۡرَأَتَانِ مِمَّن تَرۡضَوۡنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ أَن تَضِلَّ إِحۡدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحۡدَىٰهُمَا ٱلۡأُخۡرَىٰۚ وَلَا يَأۡبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُواْۚ وَلَا تَسۡـَٔمُوٓاْ أَن تَكۡتُبُوهُ صَغِيرًا أَوۡ كَبِيرًا إِلَىٰٓ أَجَلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ أَقۡسَطُ عِندَ ٱللَّهِ وَأَقۡوَمُ لِلشَّهَٰدَةِ وَأَدۡنَىٰٓ أَلَّا تَرۡتَابُوٓاْ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً حَاضِرَةٗ تُدِيرُونَهَا بَيۡنَكُمۡ فَلَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ أَلَّا تَكۡتُبُوهَاۗ وَأَشۡهِدُوٓاْ إِذَا تَبَايَعۡتُمۡۚ وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٞ وَلَا شَهِيدٞۚ وَإِن تَفۡعَلُواْ فَإِنَّهُۥ فُسُوقُۢ بِكُمۡۗ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ٢٨٢﴾

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيۡنٍ﴾ والمعنىٰ: إذا كان لبعضكم علىٰ بعض دين إلىٰ أجل مسمىٰ، فاكتبوه، فأمر الله تعالىٰ بكتب الدّين والإشهاد حفظًا منه للأموال وللناس من الظلم، لأن من كانت عليه البينة قل تحديثه لنفسه بالطمع في إذهابه.

٤٢٤ - وقال **ابن عباس**: نزلت هذه الآية في السلم خاصة.

فأما العدل فهو الحق.

٤٢٥ - قال **قتادة**: لا تدعن حقـًا، ولا تزيدن باطلا.

قوله تعالى: ﴿وَلَا يَأۡبَ كَاتِبٌ﴾، أي: لا يمتنع أن يكتب كما علمه الله.

وفيه كما علمه الله الكتابة، قاله سعيد بن جبير.

٤٢٦- **وقال الشعبي**: الكتابة فرض على الكفاية كالجهاد.

قوله تعالى ﴿وَلْيُمْلِلِ ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ﴾، قال سعيد بن جبير: يعني المطلوب، يقول: ليمل ما عليه من حق الطالب على الكاتب، ﴿وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ﴾، أي: لا ينقص عند الإملاء.

قوله تعالى: ﴿فَإِن كَانَ ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ سَفِيهًا﴾ **في المراد بالسفيه هاهنا أقوال:**

أحدها: أنه الجاهل بالأموال، والجاهل بالإملاء، قاله مجاهد، وابن جبير.

والثاني: أنه الصبي والمرأة، قاله الحسن.

والثالث: أنه الصغير، قاله الضحاك، والسدي.

وفي المراد بالضعيف أقوال:

أحدها: أنه العاجز والأخرس ومن به حمق، قاله ابن عباس وابن جبير.

والثاني: أنه الأحمق، قاله مجاهد والسدي.

قوله تعالى: ﴿أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ﴾.

٤٢٧- **قال ابن عباس**: لا يستطيع لعيِّه. وقال ابن جبير: لا يحسن أن يمل ما عليه.

قوله تعالى ﴿فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُۥ﴾ **في هاء الكناية قولان:**

أحدهما: أنها تعود إلى الحق، فتقديره: فليملل ولي الحق، هذا قول ابن عباس، وابن جبير، والربيع بن أنس، ومقاتل.

والثاني: أنها تعود إلى الذي عليه الحق، وهذا قول الضحاك، وابن زيد

والعدل: الإنصاف.

وفي قوله تعالى: ﴿مِن رِّجَالِكُمْ﴾ **قولان:**

أحدهما: أنه يعني الأحرار، قاله مجاهد.

والثاني: أهل الإسلام ويدل عليه أنه خاطب المؤمنين في أول الآية

قوله تعالى: ﴿فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ﴾، أراد: فإن لم يكن الشهيدان رجلين ﴿فَرَجُلٌ وَٱمْرَأَتَانِ﴾، ولم يرد به: إن لم يوجد رجلان.

قوله تعالى: ﴿مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ﴾

٤٢٨ - قال **ابن عباس**: من أهل الفضل والدين.

قوله تعالى: ﴿أَن تَضِلَّ إِحْدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَىٰهُمَا ٱلْأُخْرَىٰ﴾، ذكر أن الخليل، وسيبويه، وسائر النحويين الموثوق بعلمهم، قالوا: معناه: استشهدوا امرأتين، لأن تذكر إِحداهما الأخرىٰ. ومن أجل أن تذكر إحداهما الأخرىٰ.

وفي قراءة من خفف قولان:

أحدهما: أنها بمعنىٰ المشددة أيضـًا، وهذا قول الجمهور. قال الضحاك، والربيع بن أنس، والسدي: ومعنىٰ القراءتين واحد.

والثاني: أنها بمعنىٰ: تجعل شهادتهما بمنزلة شهادة ذكر، وهذا مذهب سفيان بن عيينة، وحكىٰ الأصمعي عن أبي عمرو نحوه.

قوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُوا۟﴾

٤٢٩ - قال **قتادة**: كان الرجل يطوف في الحِواء العظيم، فيه القوم فيدعوهم إلىٰ الشهادة فلا يتبعه منهم أحد، فنزلت هذه الآية.

وإلى ماذا يكون هذا الدعاء؟ فيه ثلاثة أقوال:

أحدها: إلىٰ تحمل الشهادة، وإثباتها في الكتاب، قاله ابن عباس، وعطية، وقتادة،

والربيع.

والثاني: إلىٰ إقامتها وأدائها عند الحكام بعد أن تقدمت شهادتهم بها، قاله سعيد بن جبير، وطاوس، ومجاهد، وعكرمة، وعطاء، والشعبي، وأبو مجلز، والضحاك، وابن زيد، ورواه الميمونيّ عن أحمد بن حنبل. والثالث: إلىٰ تحملها وإلىٰ أدائها، روي عن ابن عباس، والحسن.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَسْـَٔمُوٓاْ﴾، أي: لا تملّوا ولا تضجروا أن تكتبوا القليل والكثير الذي قد جرت العادة بتأجيله إلىٰ أجله، أي: إلىٰ محل أجله ﴿ذَٰلِكُمۡ أَقۡسَطُ عِندَ ٱللَّهِ﴾، أي: أعدل، ﴿وَأَقۡوَمُ لِلشَّهَٰدَةِ﴾ لأن الكتاب يذكر الشهود جميع ما شهدوا عليه ﴿وَأَدۡنَىٰٓ﴾ أي: أقرب ﴿أَلَّا تَرۡتَابُوٓاْ﴾ أي: لا تشكوا ﴿إِلَّآ أَن تَكُونَ﴾ الأموال ﴿تِجَٰرَةً﴾ أي: إلا أن تقع تجارة.

بالنصب علىٰ معنىٰ: إلا أن تكون الأموال تجارة حاضرة، وهي البيوع التي يستحق كل واحد منهما علىٰ صاحبه تسليم ما عقد عليه من جهته بلا تأجيل. فأباح ترك الكتاب فيها توسعة، لئلا يضيق عليهم أمر تبايعهم في مأكول ومشروب.

قوله تعالى: ﴿وَأَشۡهِدُوٓاْ إِذَا تَبَايَعۡتُمۡ﴾، الإشهاد مندوب إليه فيما جرت العادة بالإشهاد عليه.

فصل: وهذه الآية تتضمن الأمر بإثبات الدين في كتاب، وإثبات شهادة في البيع والدين.

واختلف العلماء، هل هذا أمر وجوب، أم على وجه الاستحباب؟

فذهب الجمهور إلىٰ أنه أمر ندب واستحباب، فعلىٰ هذا هو محكم، وذهبت

طائفة إلىٰ أن الكتابة والإشهاد واجبان، روي عن ابن عمر وأبي موسىٰ ومجاهد وابن سيرين وعطاء والضحاك وأبي قلابة والحكم وابن زيد.

ثم اختلف هؤلاء، هل هذا الحكم باقٍ أم منسوخ؟

فذهب أكثرهم إلىٰ أنه محكم غير منسوخ، وذهبت طائفة إلىٰ أنه منسوخ بقوله تعالىٰ: ﴿فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ ٱلَّذِى ٱؤْتُمِنَ أَمَٰنَتَهُۥ﴾ [سورة البقرة:٢٨٣].

قوله تعالى ﴿وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ﴾ وفي معنى الكلام ثلاثة أقوال:

أحدها: إن معناه: لا يضارَّ بأن يدعىٰ وهو مشغول، هذا قول ابن عباس، ومجاهد، وعكرمة، والسدي، والربيع بن أنس ومقاتل.

٤٣٠ - **وقال الرّبيع**: كان أحدهم يجيء إلىٰ الكاتب فيقول: اكتب لي، فيقول: إني مشغول، فيلزمه، ويقول: إنك قد أُمرت بالكتابة، فيضاره، ولا يدعه، وهو يجد غيره، وكذلك يفعل الشاهد، فنزلت ﴿وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ﴾.

والثاني: أن معناه: النهي للكاتب أن يضار من يكتب له بأن يكتب غير ما يمل عليه، وللشاهد أن يشهد بما لم يستشهد عليه، هذا قول الحسن، وطاوس، وقتادة، وابن زيد.

والثالث: أن معنىٰ المضارّة: امتناع الكاتب أن يكتب، والشاهد أن يشهد، وهذا قول عطاء في آخرين.

قوله تعالى: ﴿وَإِن تَفْعَلُوا۟﴾، يعني: المضارّة.

قال ﷻ: ﴿وَإِن كُنتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَانٌ مَّقْبُوضَةٌ ۖ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي اؤْتُمِنَ أَمَانَتَهُ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ ۗ وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ ۚ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ ۗ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ﴾، إنما خص السفر، لأن الأغلب عدم الكاتب والشاهد فيه، ومقصود الكلام: إذا عدمتم التوثق بالكتاب والإشهاد، فخذوا الرهن.

وقوله تعالى: ﴿فَرِهَانٌ مَّقْبُوضَةٌ﴾، يدل علىٰ أن من شرط لزوم الرهن القبض، وقبض الرهن أخذه من راهنه منقولاً، فإن كان مما لا ينقل، كالدور والأرضين، فقبضه تخلية راهنه بينه وبين مرتهنه.

قوله تعالى: ﴿فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾، أي: فإن وثق رب الدين بأمانة الغريم، فدفع ماله بغير كتاب ولا شهود، ولا رهن، ﴿فَلْيُؤَدِّ الَّذِي اؤْتُمِنَ﴾ وهو المدين ﴿أَمَانَتَهُ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ﴾ أن يخون من ائتمنه.

وقوله تعالى: ﴿فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ﴾، قال السدي عن أشياخه: فانه فاجر قلبه

قال ﷻ: ﴿لِّلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ وَإِن تُبْدُوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللَّهُ ۖ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٨٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِن تُبْدُوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللَّهُ﴾ أما إبداء ما في النفس، فانه العمل بما أضمره العبد، أو النطق، وهذا مما يحاسب عليه

العبد، ويؤاخذ به، وأما ما يخفيه في نفسه.

فاختلف العلماء في المراد بالمخفي في هذه الآية على قولين:

أحدهما: أنه عام في جميع المخفيات، وهو قول الأكثرين.

واختلفوا: هل هذا الحكم ثابت في المؤاخذة أم منسوخ؟ على قولين:

أحدهما: أنه منسوخ بقوله تعالىٰ: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَاۚ﴾، هذا قول ابن مسعود، وأبي هريرة، وابن عباس في رواية، والحسن، والشعبي، وابن سيرين، وسعيد بن جبير، وقتادة، وعطاء الخراساني، والسدي، وابن زيد، ومقاتل.

والثاني: أنه ثابت في المؤاخذة علىٰ العموم، فيؤاخذ به من يشاء، ويغفره لمن يشاء، وهذا مروي عن ابن عمر، والحسن، وروىٰ ابن أبي طلحة عن ابن عباس أنه قال: هذه الآية لم تنسخ، ولكن الله ﷻ إذا جمع الخلائق، يقول لهم: إني مخبركم بما أخفيتم في أنفسكم مما لم تطّلع عليه ملائكتي، فأما المؤمنون فيخبرهم، ويغفر لهم ما حدثوا به أنفسهم، وهو قوله تعالىٰ: ﴿يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُۖ﴾، يقول: يخبركم به الله، وأما أهل الشرك والريب، فيخبرهم بما أخفوا من التكذيب وهو قوله تعالىٰ: ﴿فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۗ﴾.

٤٣١ - **قال ابن الأنباري:** وقد ذهب قوم إلىٰ أن المحاسبة هاهنا هي إطلاع الله العبد يوم القيامة علىٰ ما كان حدث به نفسه في الدنيا، ليعلم أنه لم يعزب عنه شيء. قال: والذي نختاره أن تكون الآية محكمة، لأن النسخ إنما يدخل علىٰ الأمر والنهي.

٤٣٢ - **وقد روي عن عائشة أنها قالت:** أما ما أعلنت، فالله يحاسبك به، وأما ما

أخفيت، فما عُجلت لك به العقوبة في الدنيا.

والقول الثاني: أنه أمر خاص في نوع من المخفيات، ولأرباب هذا القول فيه قولان:

أحدهما: أنه كتمان الشهادة، قاله ابن عباس في رواية، وعكرمة والشعبي.

والثاني: أنه الشك واليقين، قاله مجاهد.

فعلىٰ هذا المذكور تكون الآية محكمة.

قال ﷻ: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ﴾.

٤٣٣- روىٰ البخاري ومُسلم في «صحيحيهما» من حديث أبي مسعود البدري عن النبي ﷺ أنه قال: «الآيتان من آخر سورة البقرة من قرأهما في ليلة كفتاه»

وقيل: إنهما نزلتا علىٰ سبب.

وهو ما روىٰ العلاء عن أبيه عن أبي هريرة، قال: لما أنزل الله تعالىٰ ﴿وَإِن تُبْدُوا۟ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ﴾، اشتد ذلك علىٰ أصحاب النبيّ ﷺ، فأتوا رسول الله ثم جثوا علىٰ الركب. فقالوا: قد أُنزل عليك هذه الآية ولا نطيقها. فقال: «أتريدون أن تقولوا كما قال أهل الكتابين من قبلكم: سمعنا وعصينا؟ قولوا: سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا واليك المصير» . فلما قالوها وذلت بها ألسنتهم، أنزل الله

في أثرها ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ﴾.

ومعنىٰ قوله: ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ﴾، **أي: لا نفعل كما فعل أهل الكتاب، آمنوا ببعض، وكفروا ببعض.**

قوله تعالى: ﴿غُفْرَانَكَ﴾، أي: نسألك غفرانك. والمصير: المرجع.

قال ﷻ: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ۝٢٨٦﴾

قوله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَاۚ﴾، الوسع: الطاقة، قاله ابن عباس، وقتادة.

قوله تعالى: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ﴾

٤٣٤ - **قال ابن عباس:** لها ما كسبت من طاعة ﴿وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْۗ﴾ من معصية.

قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ﴾، هذا تعليم من الله تعالىٰ للخلق أن يقولوا ذلك،

٤٣٥ - **قال ابن الأنباري:** والمراد بالنسيان هاهنا: الترك مع العمد، لأن النسيان الذي هو بمعنىٰ الغفلة قد أمنت الآثام من جهته.

والخطأ أيضـًا هاهنا من جهة العمد، لا من جهة السهو، يقال: أخطأ الرجل: إذا تعمد، كما يقال: أخطأ إذا أغفل.

وفي «**الإصر**» أنه العهد، قاله ابن عباس، ومجاهد، والضحاك، والسدي.

قوله تعالى ﴿وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ﴾، **فيه أقوال**:

أحدها: أنه ما يصعُب ويشق من الأعمال، قاله الضحاك، والسدي، وابن زيد، والجمهور.

والثاني: أنه المحبة، رواه الثوري عن منصور عن إبراهيم.

والثالث: الغلمة، قاله مكحول.

قوله تعالى: ﴿أَنتَ مَوْلَىٰنَا﴾، أي أنت ولينا ﴿فَٱنصُرْنَا﴾ أي: أعنا.

وكان معاذ إذا فرغ من هذه السورة، قال: آمين.



٣

﴿سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ﴾

ذكر أهل التفسير أنها مدنيّة، وأن صدرا من أوّلها نزل في وفد نجران، قدموا على النبيّ ﷺ في ستّين راكبا، فيهم العاقب، والسّيّد، فخاصموه في عيسىٰ، فقالوا: إن لم يكن ولد الله، فمن أبوه؟ فنزلت فيهم صدر (آل عمران) إلىٰ بضع وثمانين آية منها.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قال ﷻ: ﴿الٓمٓ ۝١ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ ۝٢ نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ۝٣﴾

قوله تعالى: ﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ يعني: القرآن ﴿بِٱلْحَقِّ﴾ يعني: العدل. ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ من الكتاب.

وقيل: إنما قال في القرآن: ﴿نَزَّلَ﴾ بالتشديد، وفي التوراة والإنجيل: أنزل، لأن كل واحد منهما أنزل في مرة واحدة، وأنزل القرآن في مرات كثيرة.

وفي الفرقان هاهنا أنه القرآن، قاله قتادة، والجمهور.

٤٣٦ – **قال أبو عبيدة:** سمي القرآن فرقانـًا، لأنه فرق بين الحق والباطل، والمؤمن والكافر.

٤٣٧ - وقال السّدّيّ: في الآية تقديم وتأخير، تقديره: وأنزل التوراة، والإنجيل، والفرقان، فيه هدىً للناس.

قال ﷻ: ﴿مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ ٱلْفُرْقَانَ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ۝٤﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾

٤٣٨ - قال ابن عباس: يريد وفد نجران النصارىٰ، كفروا بالقرآن، وبمحمد.

قوله تعالى ﴿وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ۝٤﴾:

٤٣٩ - قال مقاتل بن سليمان: يعنىٰ عزيز فى ملكه منيع شديد الانتقام من أهل مكة هَذَا وعيد لمن خالف أمره.

٤٤٠ - قال مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ قَوْلُهُ: ﴿وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ۝٤﴾ عَزِيزٌ ذُو بَطْشٍ.

قال ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَىْءٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ۝٥ هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝٦﴾

قوله تعالى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَىْءٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ۝٥﴾:

٤٤١ - قال مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَىْءٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ۝٥﴾ أَيْ قَدْ عَلِمَ مَا يُرِيدُونَ وَمَا يَكِيدُونَ وما يضاهؤن بِقَوْلِهِمْ فِي عِيسَىٰ، إِذْ جَعَلُوهُ رَبًّا وَإِلَهًا، وَعِنْدَهُمْ مَنْ عِلْمِهِ غَيْرَ ذَلِكَ، غُرَّةً بِاللهِ وَكُفْرًا بِهِ.

قال ﷻ: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ۝٧﴾

قوله تعالى: ﴿مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ﴾ المحكم: المتقن المبيّن.

وفي المراد به هاهنا ثمانية أقوال:

أحدها: أنه الناسخ، قاله ابن مسعود، وابن عباس، وقتادة، السّدّيّ في آخرين.

والثاني: أنه الحلال والحرام، روي عن ابن عباس ومجاهد.

والثالث: أنه ما علم العلماء تأويله، روي عن جابر بن عبد الله.

والرابع: أنه الذي لم ينسخ، قاله الضّحّاك.

والخامس: أنه ما لم تتكرر ألفاظه، قاله ابن زيد.

والسادس: أنه ما استقل بنفسه، ولم يحتج إلىٰ بيان، ذكره القاضي أبو يعلىٰ عن الإمام أحمد. وقال الشافعي، وابن الأنباري: هو ما لم يحتمل من التأويل إلا وجهاً واحداً.

والسابع: أنه جميع القرآن غير الحروف المقطعة.

والثامن: أنه الأمر والنهي، والوعد والوعيد، والحلال والحرام، ذكر هذا والذي قبله القاضي أبو يعلىٰ بن الفرّاء.

وأم الكتاب أصله. قاله ابن عباس، وابن جبير، فكأنه قال: هن أصل الكتاب

اللواتي يعمل عليهن في الأحكام، ومجمع الحلال والحرام

وفي المتشابه أقوال:

أحدها: أنه المنسوخ، قاله ابن مسعود، وابن عباس، وقتادة، والسدي في آخرين.

والثاني: أنه ما لم يكن للعلماء إلىٰ معرفته سبيل، كقيام الساعة، روي عن جابر بن عبد الله

والثالث: أنه ما اشتبهت معانيه، قاله مجاهد.

والرابع: أنه ما تكررت ألفاظه، قاله ابن زيد.

والخامس: أنه ما احتاج إلىٰ بيان، ذكره القاضي أبو يعلىٰ عن أحمد.

٤٤٢ - **وقال الشّافعيّ**: ما احتمل من التأويل وجوهـًا.

٤٤٣ - **وقال ابن الأنباري**: المحكم ما لا يحتمل التأويلات، ولا يخفىٰ علىٰ مميّز، والمتشابه: الذي تعتوره تأويلات.

فإن قيل: فما فائدة إنزال المتشابه، والمراد بالقرآن البيان والهدىٰ؟

فيها أجوبة منها:

أن الله تعالىٰ أنزله مختبراً به عباده، ليقف المؤمن عنده، ويردّه إلىٰ عالمه، فيعظم بذلك صوابه، ويرتاب به المنافق، فيداخله الزيغ، فيستحق بذلك العقوبة، كما ابتلاهم بنهر طالوت.

قوله تعالى ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٌ﴾ في الزيغ قولان:

أحدهما: أنه الشك، قاله مجاهد، والسدي.

والثاني: أنه الميل، قاله أبو مالك، وعن ابن عباس كالقولين،

وقيل: هو الميل عن الهدىٰ.

وفي هؤلاء القوم أقوال:

أحدها: أنهم الخوارج، قاله الحسن.

والثاني: المنافقون، قاله ابن جريج.

والثالث: وفد نجران من النصارىٰ، قاله الربيع

قوله تعالى: ﴿فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ﴾

٤٤٤ - قال **ابن عباس:** يُحيلون المحكم علىٰ المتشابه، والمتشابه علىٰ المحكم، ويُلبسون.

٤٤٥ - وقال **السدي يقولون:** ما بال هذه الآية عمل بها كذا وكذا، ثم نسخت.

وفي المراد بالفتنة هاهنا، أقوال:

أحدها: أنها الكفر، قاله السدي، والربيع، ومقاتل.

والثاني: الشبهات، قاله مجاهد

وفي التأويل وجهان:

أحدهما: أنه التفسير.

والثاني: العاقبة المنتظرة.

والراسخ: الثابت، رسخ يرسخ رسوخـًا.

وهل يعلم الراسخون تأويله أم لا؟
فيه قولان:

أحدهما: أنهم لا يعلمونه، وأنهم مستأنفون

٤٤٦ - وقد روىٰ **طاوس عن ابن عباس** أنه قرأ ﴿**ويقول الراسخون في العلم آمنّا به**﴾

وإلىٰ هذا المعنىٰ ذهب ابن مسعود، وأُبيٌّ بن كعب، وابن عباس، وعروة، وقتادة، وعمر بن عبد العزيز، والفراء، وأبو عبيدة، وثعلب، وابن الأنباري، والجمهور.

٤٤٧- **قال ابن الأنباري:** في قراءة عبد الله ﴿إن تأويله، إلّا عند الله﴾ وفي قراءة أُبيّ، وابن عباس ﴿ويقول الراسخون﴾ وقد أنزل الله تعالىٰ في كتابه أشياء، استأثر بعلمها، وقوله تعالىٰ: ﴿وَقُرُونًۢا بَيۡنَ ذَٰلِكَ كَثِيرٗا ٣٨﴾ [سورة الفرقان:٣٨] فأنزل تعالىٰ المجمل، ليؤمن به المؤمن، فيسعد، ويكفر به الكافر، فيشقىٰ.

والثاني: أنهم يعلمون، فهم داخلون في الاستثناء.

وقد روىٰ مجاهد عن ابن عباس أنه قال: أنا ممن يعلم تأويله، وهذا قول مجاهد، والربيع.

قال ﷻ: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغۡ قُلُوبَنَا بَعۡدَ إِذۡ هَدَيۡتَنَا وَهَبۡ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحۡمَةًۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡوَهَّابُ ٨ رَبَّنَآ إِنَّكَ جَامِعُ ٱلنَّاسِ لِيَوۡمٖ لَّا رَيۡبَ فِيهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ ٩﴾

قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغۡ قُلُوبَنَا﴾ أي يقولون: ربنا لا تُمل قلوبنا عن الهدىٰ بعد إذ هديتنا

ولدنك: بمعنىٰ عندك.

والوهاب: الذي يجود بالعطاء من غير استنابة، والمخلوقون لا يملكون أن يهبوا شفاءً لسقيم، ولا ولداً لعقيم، والله تعالىٰ قادر علىٰ أن يهب جميع الأشياء.

قال ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن تُغۡنِيَ عَنۡهُمۡ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗاۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ وَقُودُ ٱلنَّارِ ١٠﴾

قوله تعالى: ﴿لَن تُغۡنِيَ عَنۡهُمۡ أَمۡوَٰلُهُمۡ﴾ أي: لن تدفع، لأن المال يدفع عن صاحبه في الدنيا، وكذلك الأولاد، فأما في الآخرة، فلا ينفع الكافر ماله، ولا ولده.

وقوله تعالى: ﴿مِّنَ ٱللَّهِ﴾ أي: من عذابه.

قال ﷻ: ﴿كَدَأۡبِ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمۡۗ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ١١﴾

قوله تعالى: ﴿كَدَأۡبِ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ﴾

في الدأب أنه العادة، فمعناه: كعادة آل فرعون، يريد: كفر اليهود. ككفر من قبلهم

قال ﷻ: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ سَتُغۡلَبُونَ وَتُحۡشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ ١٢﴾

وفي سبب نزولها أقوال:

أحدها: أن يهود المدينة لما رأوا وقعة بدر، همّوا بالإسلام، وقالوا: هذا هو النبي الذي نجده في كتابنا، لا ترد له راية، ثم قال بعضهم لبعض: لا تعجلوا حتىٰ تنظروا له وقعة أخرىٰ، فلما كانت أُحد، شكّوا، وقالوا: ما هو به، ونقضوا عهدا كان بينهم وبين النبيّ ﷺ، وانطلق كعب بن الأشرف في ستين راكبًا إلىٰ أهل مكة، فقالوا: تكون

كلمتنا واحدة، فنزلت هذه الآية، رواه أبو صالح، عن ابن عباس.

والثاني: أنها نزلت في قريش قبل وقعة بدر، فحقق الله وعده يوم بدر، روي عن ابن عباس، والضحاك.

قال ﷻ: ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِي فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَٰتِلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْيَ ٱلْعَيْنِ وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِۦ مَن يَشَآءُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُو۟لِي ٱلْأَبْصَٰرِ ١٣﴾

قوله تعالى ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِي فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَا﴾ في المخاطبين بهذا ثلاثة أقوال:

أحدها: أنهم المؤمنون، روي عن ابن مسعود، والحسن.

والثاني: الكفار، فيكون معطوفًا على الذي قبله، وهو يخرج على قول ابن عباس الذي ذكرناه آنفًا.

والثالث: أنهم اليهود وابن الأنباري، وابن جرير.

والمراد بالفئتين: النبيّ ﷺ وأصحابه، ومشركو قريش يوم بدر. قاله قتادة والجماعة.

قوله تعالى: ﴿رَأْيَ ٱلْعَيْنِ﴾ أي: في رأي العين.

واختلفوا في الفئة الرائية على ثلاثة أقوال:

هي التي ذكرناها في قوله تعالى: ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ﴾ فان قلنا: إن الفئة الرائية المسلمون، فوجهه أن المشركين كانوا يضعفون على عدد المسلمين، فرأوهم على ما

هم عليه، ثم نصرهم الله، وكذلك إن قلنا: إنهم اليهود.

وإن قلنا: إنهم المشركون، فتكثير المسلمين في أعينهم من أسباب النصر.

قوله تعالىٰ: ﴿وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ﴾، أي: يقوي، **إنَّ في ذلِكَ في الإشارة قولان:**

أحدهما: أنها ترجع إلىٰ النصر.

والثاني: إلىٰ رؤية الجيش مثليهم.

و ﴿ٱلْأَبْصَٰرِ ١٣﴾: العقول والبصائر.

قال ﷻ: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ١٤﴾

قوله تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ﴾

وقد سبق في «البقرة» بيان التزيين.

والقناطير: جمع قنطار

واختلف العلماء: هل هو محدود أم لا؟ فيه قولان:

أحدهما: أنه محدود، ثم فيه عشر قولا:

أحدها: أنه ألف ومائتا أوقية، رواه أبيّ بن كعب عن النبي ﷺ، وبه قال معاذ بن جبل، وابن عمر، وعاصم بن أبي النجود، والحسن في رواية.

والثاني: أنه اثنا عشر ألف أوقية، رواه أبو هريرة عن النبيّ ﷺ، وعن أبي هريرة كالقولين، وفي رواية عن أبي هريرة أيضـًا: اثنا عشر أوقية.

والثالث: أنه ألف ومائتا دينار، ذكره الحسن عن النبيّ ﷺ، ورواه العوفي عن ابن عباس.

والرابع: أنه اثنا عشر ألف درهم، أو ألف دينار، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس، وروي عن الحسن، والضحاك، كهذا القول، والذي قبله.

والخامس: أنه سبعون ألف دينار، روي عن ابن عمر، ومجاهد.

والسادس: ثمانون ألف درهم، أو مائة رطل من الذهب، روي عن سعيد بن المسيب، وقتادة.

والسابع: أنه سبعة آلاف دينار، قاله عطاء.

والثامن: ثمانية آلاف مثقال، قاله السدي.

والتاسع: أنه ملء مسك ثور ذهبًا، قاله أبو نضرة، وأبو عبيدة.

و العاشر: أن القنطار: رطل من الذهب، أو الفضة، حكاه ابن الأنباريّ

والقول الثاني: أن القنطار ليس بمحدود.

٤٤٨ - **وقال الربيع بن أنس**: القنطار: المال الكثير، بعضه علىٰ بعض، وروي عن أبي عبيدة أنه ذكر عن العرب أن القنطار وزن لا يحدّ، وهذا اختيار ابن جرير الطبري.

وفي معنى المقنطرة أقوال:

أحدها: أنها المضعَّفة،

٤٤٩ - **قال ابن عباس**: القناطير ثلاثة، والمقنطرة تسعة.

والثاني: أنها المضروبة حتىٰ صارت دنانير ودراهم، قاله السّدّيّ

في المسومة ثلاثة أقوال:

أحدها: أنها الراعية، رواه العوفي عن ابن عباس، وبه قال سعيد بن جبير، ومجاهد في رواية، والضحاك، والسدي، والربيع، ومقاتل

والثاني: أنها المعلمة، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس، وبه قال قتادة وعن الحسن كالقولين.

وفي معنى المعلمة ثلاثة أقوال:

أحدها: أنها معلمة بالشية، وهو اللون الذي يخالف سائر لونها، روي عن قتادة.

والثاني: بالكي، روي عن المؤرج. والثالث: أنها البلق، قاله ابن كيسان.

والثالث: أنها الحسان، قاله عكرمة، ومجاهد

فأما الأنعام، هي: الإبل، والبقر، والغنم، واحدها نعم وهو جمع لا واحد له من لفظه.

والمآب: المرجع.

وهذه الأشياء المذكورة قد تحسن نية العبد بالتلبس بها، فيثاب عليها، وإنما يتوجه الذّم إلىٰ سوء القصد فيها.

قال ﷻ: ﴿قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ ۚ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿١٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ ۚ﴾

٤٥٠ - روى **عطاء بن السائب عن أبي بكر بن حفص قال**: لما نزلت ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ

﴿حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ﴾ [سورة آل عمران:١٤] قال عمر: يا ربّ الآن حين زيّنتها؟! فنزلت: ﴿قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ﴾ ووجه الآية أنه خبَّر أن ما عنده خير مما في الدنيا، وإن كان محبوبـًا، ليتركوا ما يحبون لما يرجون.

قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ١٥﴾، يرىٰ ويعلم من يؤثر ما عنده ممن يؤثر شهوات الدنيا، فهو يجازيهم علىٰ أعمالهم.

قال ﷻ: ﴿ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ١٦ ٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْمُنفِقِينَ وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ ١٧﴾

قوله تعالى: ﴿ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ أي: علىٰ طاعة الله ﷻ، وعن محارمه ﴿وَٱلصَّٰدِقِينَ﴾ في عقائدهم وأقوالهم ﴿وَٱلْقَٰنِتِينَ﴾ بمعنىٰ المطيعين لله ﴿وَٱلْمُنفِقِينَ﴾ في طاعته بالنفقة الصدقة.

وفي معنى استغفارهم قولان:

أحدهما: أنه الاستغفار المعروف باللسان، قاله ابن مسعود، والحسن في آخرين.

والثاني: أنه الصلاة. قاله مجاهد، وقتادة، والضحاك ومقاتل في آخرين. فعلىٰ هذا إنما سميت الصلاة استغفاراً، لأنهم طلبوا بها المغفرة.

فأما السحر الوقت الذي قبل طلوع الفجر، وهو أول إدبار الليل إلىٰ طلوع الفجر، فوصفهم الله بهذه الطاعات، ثم وصفهم بأنهم لشدّة خوفهم يستغفرون.

قال ﷻ: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمَۢا بِٱلْقِسْطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝١٨﴾

قوله تعالى: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ سبب نزول هذه الآية أن حبرين من أحبار الشّام قدما النبيّ ﷺ، فلما أبصرا المدينة، قال أحدهما لصاحبه: ما أشبه هذه المدينة بصفة مدينة النبي الذي يخرج في آخر الزمان، فلما دخلا علىٰ النّبيّ ﷺ، عرفاه بالصفة، فقالا: أنت محمد؟ قال: «نعم». قالا: وأحمد؟ قال: «نعم» . قالا: نسألك عن شهادة، فإن أخبرتنا بها، آمنّا بك، فقال: «سلاني». فقالا أخبرنا عن أعظم شهادة في كتاب الله، فنزلت هذه الآية، فأسلما.

٤٥١ - وقال **غيره:** هذه الآية رد علىٰ نصارىٰ نجران فيما ادعوا في عيسىٰ عليه السلام، وقد سبق ذكر خبرهم في أول السورة.

٤٥٢ - وقال **سعيد بن جبير:** كان حول الكعبة ثلاثمائة وستون صنمـاً، وكان لكل حي من العرب صنم أو صنمان، فلما نزلت هذه الآية، خرّت الأصنام سجداً.

وفي معنى ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ﴾ **قولان:**

أحدهما: أنه بمعنىٰ قضىٰ وحكم، قاله مجاهد.

والثاني: بمعنىٰ بيّن، قاله ثعلب.

٤٥٣ - قال **ابن كيسان:** شهد الله بتدبيره العجيب، وأموره المحكمة عند خلقه، أنه لا إله إلا هو.

قوله تعالى: ﴿قَآئِمَۢا بِٱلْقِسْطِۚ﴾ أي بالعدل.

قال ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ وَمَا ٱخۡتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُ بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡۗ وَمَن يَكۡفُرۡ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ١٩﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ﴾ والإسلام الدخول في السلم، أي: في الانقياد والمتابعة، ومثله الاستسلام، يقال: سلم فلان لأمرك، واستسلم، وأسلم، كما تقول: أشتىٰ الرجل، أي: دخل في الشتاء، وأربع: دخل في الربيع.

وفي الذين أوتوا الكتاب ثلاثة أقوال:

أحدها: أنهم اليهود، قاله الربيع.

والثاني: أنهم النصارىٰ، قاله محمد بن جعفر بن الزبير.

وفي الذين اختلفوا فيه أربعة أقوال:

أحدها: دينهم.

والثاني: أمر عيسىٰ.

والثالث: دين الإسلام، وقد عرفوا صحّته.

والرابع: نبوة محمّد ﷺ، وقد عرفوا صفته.

قوله تعالى: ﴿إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُ﴾ أي: الإيضاح لما اختلفوا فيه ﴿بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡۗ﴾

وقد ذكرنا في «البقرة» معنى: سريع الحساب.

قال ﷻ: ﴿فَإِنْ حَآجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِىَ لِلَّهِ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِ ۗ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْأُمِّيِّۦنَ ءَأَسْلَمْتُمْ ۚ فَإِنْ أَسْلَمُوا۟ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٢٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿فَإِنْ حَآجُّوكَ﴾ أي: جادلوك، وخاصموك. قال مقاتل: يعني اليهود،

٤٥٤ - قال **ابن جرير:** يعني نصارىٰ نجران في أمر عيسىٰ، وقال غيرهما: اليهود والنصارىٰ. فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ معناه: أخلصت عملي، أو قصدت بعبادتي إلىٰ الله.

قوله تعالى: ﴿وَمَنِ ٱتَّبَعَنِ ۗ﴾

قوله تعالى: ﴿وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ﴾ يريد اليهود والنصارىٰ ﴿وَٱلْأُمِّيِّۦنَ﴾ بمعنىٰ مشركي العرب، وقد سبق في البقرة شرح هذا الاسم.

قوله تعالى: ﴿ءَأَسْلَمْتُمْ ۚ﴾ هو استفهام ومعناه الأمر، كقوله تعالىٰ: ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴿٩١﴾﴾ [سورة المائدة: ٩١]

فصل: اختلف علماء الناسخ والمنسوخ في هذه الآية، فذهبت طائفة إلىٰ أنها محكمة، وأن المراد بها تسكين نفس النبيّ ﷺ عند امتناع من لم يجبه، لأنه كان يحرص علىٰ إيمانهم، ويتألم من تركهم الإجابة.

وذهبت طائفة إلىٰ أن المراد بها الاقتصار علىٰ التّبليغ، وهذا منسوخ بآية السيف.

قال ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقۡتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيۡرِ حَقّٖ وَيَقۡتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡقِسۡطِ مِنَ ٱلنَّاسِ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۝٢١ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ۝٢٢﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾

٤٥٥ - قال ابن عباس: والمراد بآيات الله محمد والقرآن.

وقد تقدم في «البقرة» شرح قتلهم الأنبياء، والقسط، والعدل.

٤٥٦ - وروى أبو عبيدة بن الجراح عن النبي ﷺ أنه قال: «قتلت بنو إسرائيل ثلاثة وأربعين نبيـًا من أول النهار في ساعة واحدة، فقام مائة واثنا عشر رجلاً من عبَّاد بني اسرائيل، فأمروا من قتلهم بالمعروف، ونهوهم عن المنكر، فقتلوا جميعـًا في آخر النهار» فهم الذين ذكرهم الله في كتابه وأنزل الآية فيهم، وإنما وبخ بهذا الذين كانوا في زمن النّبيّ عليه السلام لأنهم تولوا أولئك، ورضوا بفعلهم.

قوله تعالى ﴿فَبَشِّرۡهُم﴾ بمعنىٰ: أخبرهم، وقد تقدم شرحه في «البقرة».

ومعنى ﴿حَبِطَتۡ﴾: بطلت.

قال ﷻ: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبٗا مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ يُدۡعَوۡنَ إِلَىٰ كِتَٰبِ ٱللَّهِ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٞ مِّنۡهُمۡ وَهُم مُّعۡرِضُونَ ۝٢٣﴾

قوله تعالى: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبٗا مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ **في سبب نزولها أربعة أقوال:**

أحدها: أن النبيّ ﷺ دخل بيت المدراس علىٰ جماعة من اليهود، فدعاهم إلىٰ

الله فقال رجلان منهم: علىٰ أي دين أنت؟ فقال: علىٰ ملة إبراهيم. قالا: فإنه كان يهوديـًا. قال: فهلموا إلىٰ التوراة، فأبيا عليه، فنزلت هذه الآية. رواه سعيد بن جبير، عن ابن عباس.

والثاني: أنّ رجلا وامرأة من اليهود زنيا، فكرهوا رجمهما لشرفهما، فرفعوا أمرهما إلىٰ النّبيّ ﷺ رجاء أن يكون عنده رخصة، فحكم عليهما بالرجم، فقالوا: جرْت علينا يا محمد، ليس علينا الرجم. فقال: بيني وبينكم التوراة، فجاء ابن صوريا، فقرأ من التوراة، فلما أتىٰ علىٰ آية الرجم، وضع كفه عليها، وقرأ ما بعدها، فقال ابن سلام: قد جاوزها، ثم قام، فقرأها، فأمر رسول الله ﷺ باليهوديِّين، فرجما، فغضب اليهود. فنزلت هذه الآية. رواه أبو صالح عن ابن عباس.

والثالث: أن النبيّ ﷺ دعا اليهود إلىٰ الإسلام، فقال نعمان بن أبي أوفىٰ: هلم نحاكمك إلىٰ الأحبار. فقال: بل إلىٰ كتاب الله، فقال: بل إلىٰ الأحبار، فنزلت هذه الآية، قاله السدي.

والرابع: أنها نزلت في جماعة من اليهود، دعاهم النبي إلىٰ الإسلام، فقالوا: نحن أحق بالهدىٰ منك، وما أرسل الله نبيـًا إلا من بني اسرائيل. قال: فأخرجوا التوراة، فإني مكتوب فيها أني نبي، فأبوا، فنزلت هذه الآية، قاله مقاتل بن سليمان.

فأما التفسير، فالنصيب الذي أوتوه: العلم الذي علموه من التوراة.

وفي الكتاب الذي دعوا إليه قولان:

أحدهما: أنه التوراة، رواه عكرمة عن ابن عباس، وهو قول الأكثرين.

والثاني: أنه القرآن، رواه أبو صالح عن ابن عباس، وهو قول الحسن وقتادة.

وفي الذي أريد أن يحكم الكتاب بينهم فيه أربعة أقوال:

أحدها: ملة إبراهيم.

والثاني: حد الزنىٰ. رويا عن ابن عباس.

والثالث: صحة دين الإسلام، قاله السدي.

والرابع: صحّة نبوّة محمّد ﷺ، قاله مقاتل

فان قيل: التولي هو الإعراض، فما فائدة تكريره؟

فالجواب من أربعة أوجه:

أحدها: التأكيد.

والثاني: أن يكون المعنىٰ: يتولون عن الداعي، ويعرضون عما دعا إليه.

والثالث: يتولون بأبدانهم، ويعرضون عن الحق بقلوبهم.

والرابع: أن يكون الذين تولوا علماءهم، والذين أعرضوا أتباعهم، قاله ابن الأنباريّ.

قال ﷻ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ ۖ وَغَرَّهُمْ فِى دِينِهِم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟﴾ يعني: الذي حملهم علىٰ التّولي والإعراض أنهم قالوا ﴿لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ ۖ﴾ وقد ذكرناها في «البقرة» . و﴿يَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾﴾: يختلقون.

وفي الذي اختلقوه قولان:

أحدهما: أنه قولهم: لن تمسنا النار إلا أياماً معدودات، قاله مجاهد.

والثاني: قولهم: نحن أبناء الله وأحباؤه، قاله قتادة، ومقاتل.

قال ﷻ: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَاهُمْ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَاهُمْ﴾ معناه: فكيف يكون حالهم إذا جمعناهم ﴿لِيَوْمٍ﴾ أي: لجزاء يوم، أو لحساب يوم. وقيل «اللام» بمعنىٰ: «في».

قال ﷻ: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ ۖ بِيَدِكَ الْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾﴾

قوله تعالى ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ﴾ في سبب نزولها أقوال:

أحدها: أن النبي ﷺ، لما فتح مكة، ووعد أمته ملك فارس والرّوم، قال المنافقون واليهود: هيهات هيهات، فنزلت هذه الآية، قاله ابن عباس، وأنس بن مالك.

والثاني: أن النبيّ ﷺ سأل ربه أن يجعل ملك فارس والروم في أمته، فنزلت هذه الآية، حكاه قتادة.

فأما التفسير قال الخليل وسيبويه وجميع النحويين الموثوق بعلمهم: «اللهم» بمعنىٰ «يا الله»

ومعنى ﴿مَالِكَ الْمُلْكِ﴾: أنه بيده، يؤتيه من يشاء.

قوله تعالى ﴿تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ﴾ **في هذا الملك قولان:**

أحدهما: أنه النبوة، قاله ابن جبير، ومجاهد.

والثاني:

٤٥٧ - **وقال مقاتل**: تؤتي الملك من تشاء، يعني محمداً وأمته، وتنزع الملك ممن تشاء، يعني فارس الرّوم. ﴿وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ﴾ محمداً وأمته ﴿وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ﴾ فارس والروم.

وبماذا يكون هذا العز والذل؟

فيه ثلاثة أقوال:

أحدها: العز بالنصر، والذل بالقهر.

والثاني: العز بالغنىٰ، والذل بالفقر.

والثالث: العز بالطاعة، والذل بالمعصية.

قال ﷻ: ﴿تُولِجُ ٱلَّيْلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيْلِ وَتُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿تُولِجُ ٱلَّيْلَ فِي ٱلنَّهَارِ﴾ أي: تدخل ما نقّصت من هذا في هذا. قال ابن عباس، ومجاهد: ما ينقص من أحدهما يدخل في الآخر.

قوله تعالى ﴿وَتُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَيِّ﴾ **ثم في معنى الآية ثلاثة أقوال:**

أحدها: أنه إخراج الإنسان حيًا من النطفة، وهي ميتة. وإخراج النطفة من

الإنسان، وكذلك إخراج الفرخ من البيضة من الطائر، هذا قول ابن مسعود، وابن عباس، ومجاهد، وابن جبير، والجمهور.

والثاني: أنه إخراج المؤمن الحي بالإيمان من الكافر الميت بالكفر، وإخراج الكافر الميت بالكفر من المؤمن الحي بالإيمان، روىٰ نحو هذا الضحاك عن ابن عباس، وهو قول الحسن، وعطاء.

والثالث: أنه إخراج السنبلة الحيّة من الحبة الميّتة، والنخلة الحيّة من النواة الميّتة، والنواة الميّتة من النخلة الحية، قاله السدي.

قوله تعالى: ﴿بِغَيۡرِ حِسَابٖ ٢٧﴾ أي: بغير تقتير.

قال ﷻ: ﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَلَيۡسَ مِنَ ٱللَّهِ فِي شَيۡءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُواْ مِنۡهُمۡ تُقَىٰةٗۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفۡسَهُۥۗ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلۡمَصِيرُ ٢٨﴾

قوله تعالى: ﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَوۡلِيَآءَ﴾ **في سبب نزولها أربعة أقوال**:

أحدها: أن عبادة بن الصامت كان له حُلفاء من اليهود، فقال يوم الأحزاب: يا رسول الله إن معي خمسمائة من اليهود، وقد رأيت أن أستظهر بهم علىٰ العدو، فنزلت هذه الآية، رواه الضحاك عن ابن عباس.

والثاني: أنها نزلت في عبد الله بن أُبيّ وأصحابه من المنافقين كانوا يتولون اليهود، ويأتونهم بالأخبار يرجون لهم الظفر من النبيّ ﷺ، فنهىٰ الله المؤمنين عن مثل فعلهم، رواه أبو صالح عن ابن عباس.

والثالث: أن قوماً من اليهود، كانوا يباطنون نفراً من الأنصار ليفتنوهم عن دينهم، فنهاهم قوم من المسلمين عن ذلك، وقالوا: اجتنبوا هؤلاء اليهود، فأبوا، فنزلت هذه الآية. روي عن ابن عباس أيضا.

والرابع: أنها نزلت في حاطب بن أبي بلتعة وغيره، كانوا يظهرون المودة لكفار مكة، فنهاهم الله ﷻ عن ذلك، هذا قول المقاتلين، ابن سليمان، وابن حيان.

فأما التفسير، معنىٰ قوله تعالىٰ: ﴿مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ﴾ أي: لا يجعل المؤمن ولايته لمن هو غير مؤمن، أي: لا يتناول الولاية من مكان دون مكان المؤمنين، ومعنىٰ ﴿فَلَيۡسَ مِنَ ٱللَّهِ فِي شَيۡءٍ﴾ أي: فالله بريء منه.

قوله تعالى: ﴿إِلَّآ أَن تَتَّقُواْ مِنۡهُمۡ تُقَىٰةٗۗ﴾:

٤٥٨ - قال **مجاهد**: إلا مصانعة في الدّنيا. قال أبو العالية: التقاة باللسان لا بالعمل.

فصل: والتقية رخصة، وليست بعزيمة. قال الإمام أحمد: وقد قيل: إن عرضت علىٰ السيف تجيب؟ قال: لا. وقال: إذا أجاب العالم تقية، والجاهل بجهل، فمتىٰ يتبين الحق؟ وسنشرح هذا المعنىٰ في «النحل» عند قوله تعالىٰ: ﴿إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ﴾ [سورة النحل:١٠٦]، إن شاء الله.

قال ﷻ: ﴿قُلۡ إِن تُخۡفُواْ مَا فِي صُدُورِكُمۡ أَوۡ تُبۡدُوهُ يَعۡلَمۡهُ ٱللَّهُۗ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٢٩﴾

قوله تعالى: ﴿إِن تُخۡفُواْ مَا فِي صُدُورِكُمۡ أَوۡ تُبۡدُوهُ﴾

٤٥٩ - قال **ابن عباس**: يعني من اتّخاذ الكافرين أولياء.

قال ﷻ: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٣٠﴾﴾

قوله تعالى ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا﴾ **وفي كيفية وجود العمل وجهان:**

أحدهما: وجوده مكتوباً في الكتاب.

والثاني: وجود الجزاء عليه.

والأمد: غاية الأجل.

قال ﷻ: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى﴾ **في سبب نزولها أربعة أقوال:**

أحدها: أن النبيّ ﷺ، وقف علىٰ قريش، وقد نصبوا أصنامهم. فقالوا: يا محمد إِنما نعبد هذه حباً لله، ليقربونا إلىٰ الله زلفىٰ، فنزلت هذه الآية، رواه الضحاك عن ابن عباس.

والثاني: أن اليهود قالوا: نحن أبناء الله وأحبَّاؤه، فنزلت هذه الآية، فعرضها النبيّ ﷺ عليهم، فلم يقبلوها، رواه أبو صالح عن ابن عباس.

والثالث: أن ناساً قالوا: إنّا لنحب ربنا حبّاً شديداً، فأحب الله أن يجعل لحبه علماً، فأنزل هذه الآية، قاله الحسن، وابن جريج.

والرابع: أن نصارىٰ نجران، قالوا: إنما نقول هذا في عيسىٰ حبـًا لله وتعظيمـًا له، فنزلت هذه الآية، ذكره ابن اسحاق عن محمد بن جعفر بن الزبير.

قال ﷻ: ﴿قُلۡ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَۖ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٣٢﴾

قوله تعالى ﴿قُلۡ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَۖ﴾، **في سبب نزولها ثلاثة أقوال:**

أحدها: أن عبد الله بن أبيّ قال لأصحابه: إن محمداً يجعل طاعته كطاعة الله، ويأمرنا أن نحبه كما أحبّت النّصارىٰ عيسىٰ ابن مريم، فنزلت هذه الآية، هذا قول ابن عباس.

والثاني: أن النبيّ ﷺ دعا اليهود إلىٰ الإسلام، فقالوا: نحن أبناء الله وأحباؤه، ونحن أشد حبّـًا لله مما تدعونا إليه، فنزلت ﴿قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ﴾ ونزلت هذه الآية، هذا قول مقاتل.

والثالث: أنها نزلت في نصارىٰ نجران.

قال ﷻ: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحٗا وَءَالَ إِبۡرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمۡرَٰنَ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ٣٣﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰٓ ءَادَمَ﴾،

٤٦٠ - قال **ابن عباس**: قالت اليهود: نحن أبناء إبراهيم، وإسحاق، ويعقوب، ونحن علىٰ دينهم، فنزلت هذه الآية.

ومعنى اصطفاهم في اللغة: اختارهم، فجعلهم صفوة خلقه.

وأما آدم فعربي وقد ذكرنا اشتقاقه في «البقرة» . وأما نوح، فأعجمي مُعربّ.

قيل اسم نوح: السكن، وإنما سمي نوحاً، لكثرة نوحه. وفي سبب نوحه خمسة أقوال:

أحدها: أنه كان ينوح على نفسه، قاله يزيد الرقاشي

والثاني: أنه كان ينوح لمعاصي أهله، وقومه.

والثالث: لمراجعته ربه في ولده.

والرابع: لدعائه على قومه بالهلاك. والخامس: أنه مر بكلب مجذوم، فقال: اخسأ يا قبيح، فأوحى الله إليه: أعِبتني يا نوح أم عبت الكلب؟

وفي آل إبراهيم ثلاثة أقوال:

أحدها: أنهم من كان على دينه، قاله ابن عباس، والحسن.

والثاني: أنهم إسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط، قاله مقاتل.

والثالث: أن المراد ب «آل إبراهيم» هو نفسه، كقوله: ﴿وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَـٰرُونَ﴾ [سورة البقرة:٢٤٨].

وفي «عمران» قولان:

أحدهما: أنه والد مريم، قاله الحسن ووهب.

والثاني: أنه والد موسى وهارون، قاله مقاتل.

وفي «آله» ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه عيسى عليه السلام، قاله الحسن.

والثاني: أن آله موسى وهارون، قاله مقاتل.

والثالث: أن المراد ب «آله» نفسه.

وإنما خصّ هؤلاء بالذكر، لأن الأنبياء كلهم من نسلهم.

وفي معنى اصطفاء هؤلاء المذكورين ثلاثة أقوال:

أحدها: أن المراد اصطفىٰ دينهم علىٰ سائر الأديان، قاله ابن عباس.

والثاني: اصطفاهم بالنبوة، قاله الحسن، ومجاهد، ومقاتل. والثالث: اصطفاهم بتفضيلهم في الأمور التي ميزهم بها علىٰ أهل زمانهم. والمراد ب «العالمين» : عالمو زمانهم، كما ذكرنا في «البقرة».

قال ﷻ: ﴿ذُرِّيَّةَۢ بَعۡضُهَا مِنۢ بَعۡضٖۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ٣٤﴾

قوله تعالى: ﴿ذُرِّيَّةَۢ بَعۡضُهَا مِنۢ بَعۡضٖۗ﴾ والمعنىٰ: اصطفىٰ ذرية بعضها من بعض. وفي معنىٰ هذه البعضية قولان: أحدهما: أن بعضهم من بعض في التناصُر والدين، لا في التناسل، وهو معنىٰ قول ابن عباس، وقتادة.

والثاني: أنه في التّناسل، لأن جميعهم ذرية آدم، ثم ذرية نوح، ثم ذرية إبراهيم.

قال ﷻ: ﴿إِذۡ قَالَتِ ٱمۡرَأَتُ عِمۡرَٰنَ رَبِّ إِنِّي نَذَرۡتُ لَكَ مَا فِي بَطۡنِي مُحَرَّرٗا فَتَقَبَّلۡ مِنِّيٓۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ٣٥﴾

قوله تعالى: ﴿إِذۡ قَالَتِ ٱمۡرَأَتُ عِمۡرَٰنَ﴾، **في «إذ» قولان:**

أحدهما: أنها زائدة، واختاره أبو عبيدة.

والثاني: أنها أصلٌ في الكلام، **وفيها ثلاثة أقوال:**

أحدها: أن المعنىٰ: اذكر إذ قالت امرأة عمران.

والثاني: أن العامل في ﴿إِذْ قَالَتِ﴾ معنىٰ الاصطفاء، فيكون المعنىٰ: اصطفىٰ آل عمران، إذ قالت امرأة عمران.

والثالث: أنها من صلة «سميعٌ» تقديره: والله سميعٌ إذ قالت.

٤٦١ - **قال ابن عباس**: واسم امرأة عمران حنة، وهي أم مريم، وهذا عمران بن ماثان، وليس ب «عمران أبي موسىٰ»، وليست هذه مريم أخت موسىٰ، وبين عيسىٰ وموسىٰ ألف وثمانمائة سنة.

والمحَرّر: العتيق.

وأرادت: أي: نذرت أن أجعل ما في بطني محرراً من التعبيد للدنيا، ليعبدك.

٤٦٢ - **وقال ابن اسحاق**: كان السبب في نذرها أنه أمسك عنها الولد حتىٰ أسنت، فرأت طائراً يطعم فرخًا له، فدعت الله أن يهب لها ولداً، وقالت: اللهم لك عليَّ نذر إن رزقتني ولداً أن أتصدق به علىٰ بيت المقدس، فحملت بمريم، وهلك عمران، وهي حامل.

قال ﷻ: ﴿فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ٣٦﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ﴾، من تمام اعتذارها، ومعناه: لا تصلح الأنثىٰ لما يصلح له الذكر، من خدمته المسجد، والإقامة فيه، لما يلحق الأنثىٰ من الحيض والنفاس.

٤٦٣ - **قال السدي:** ظنت أن ما في بطنها غلام، فلما وضعت جارية، اعتذرت.

ومريم: اسم أعجمي.

وفي الرّجيم قولان:

أحدهما: أنه الملعون، قاله قتادة.

والثاني: أنه المرجوم بالحجارة، قاله أبو عبيدة، فعلىٰ هذا سُمي رجيماً، لأنه يرمىٰ بالنّجوم.

قال ﷻ: ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٖ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنٗا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّاۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيۡهَا زَكَرِيَّا ٱلۡمِحۡرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزۡقٗاۖ قَالَ يَٰمَرۡيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَاۖ قَالَتۡ هُوَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٍ ٣٧﴾

قوله تعالى: ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٖ﴾ يقال: قبلت الشيء قَبولاً، ويجوز قُبولا: إذا رضيته.

قوله تعالى ﴿وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنٗا﴾، أي: جعل نشوءها نشوءاً حسناً.

وللمفسرين في معنى النبات الحسن، قولان:

أحدهما: أنه كمال النشوء، قال ابن عباس: كان تنبت في اليوم ما ينبت المولود في عام.

والثاني: أنه ترك الخطايا، قال قتادة: حدثنا أنها كانت لا تصيب الذنوب، كما يصيب بنو آدم.

قوله تعالى: ﴿وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّاۖ﴾

٤٦٤ - قال **السدي:** انطلقت بها أمها في خرقها، وكانوا يقترعون علىٰ الذين يؤتون بهم، فقال زكريا وهو نبيهم يومئذ: أنا أحقكم بها، عندي أختها، فأبوا، وخرجوا إلىٰ نهر الأردن، فألقوا أقلامهم التي يكتبون بها، فجرت الأقلام، وثبت قلم زكريا، فكفلها.

٤٦٥ - قال **ابن عباس:** كانوا سبعة وعشرين رجلا، فقالوا: نطرح أقلامنا، فمن صعد قلمه مغالبًا للجرية فهو أحق بها، فصعد قلم زكريا.

فعلىٰ هذا القول كانت غلبة زكريا بمصاعدة قلمه، وعلىٰ قول السدي بوقوفه في جريان الماء.

٤٦٦ - وقال **مقاتل:** كان يغلق عليها الباب، ومعه المفتاح، لا يأمن عليه أحداً، وكانت إذا حاضت، أخرجها إلىٰ منزله تكون مع أختها أم يحيىٰ، فاذا طهرت، ردها إلىٰ بيت المقدس.

والأكثرون علىٰ أنه كفلها منذ كانت طفلة بالقرعة.

٤٦٧ - قال **محمد بن إسحاق:** كفلها زكريا إلىٰ أن أصابت الناس سنة، فشكا زكريا إلىٰ بني إسرائيل ضيق يده، فقالوا: ونحن أيضًا كذلك، فجعلوا يتدافعونها حتىٰ اقترعوا، فخرج السهم علىٰ جريج النجار، وكان فقيراً، وكان يأتيها باليسير، فينمي، فدخل زكريا، فقال: ما هذا علىٰ قدر نفقة جريج، فمن أين هذا؟ قالت: هو من عند الله.

والصحيح ما عليه الأكثرون، وأن القوم تشاحوا علىٰ كفالتها، لأنها كانت بنت سيدهم وإمامهم عمران، كذلك قال قتادة في آخرين، وأن زكريا ظهر عليهم بالقرعة

منذ طفولتها.

قوله تعالى ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيۡهَا زَكَرِيَّا ٱلۡمِحۡرَابَ﴾

٤٦٨ - قال **أبو عبيدة:** المحراب سيد المجالس، ومقدمها، وأشرفها، وكذلك هو من المسجد.

٤٦٩ - وقال **الأصمعي:** المحراب هاهنا: الغرفة.

قوله تعالىٰ: ﴿وَجَدَ عِندَهَا رِزۡقٗاۖ﴾ [سورة آل عمران:٣٧]، قال ابن عباس: ثمار الجنة، فاكهة الصيف في الشتاء، وفاكهة الشتاء في الصيف. وهذا قول الجماعة.

قوله تعالى: ﴿أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَاۖ﴾ أي: من أين؟

٤٧٠ - قال **الربيع بن أنس:** كان زكريا إذا خرج أغلق عليها سبعة أبواب، فإذا دخل وجد عندها رزقـًا.

٤٧١ - وقال **الحسن:** لم ترتضع ثديـًا قط، وكان يأتيها رزقها من الجنة، فيقول زكريا: أنىٰ لك هذا؟ فتقول: هو من عند الله، فتكلمت وهي صغيرة، وزعم مقاتل أن زكريا استأجر لها ظئراً، وعلىٰ ما ذكرنا عن ابن إسحاق يكون قوله لها: أنىٰ لك هذا؟ لاستكثار ما يرىٰ عندها. وما عليه الجمهور أصح.

قوله تعالى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٍ ۝٣٧﴾

والحساب في اللغة: التقتير والتضييق.

قال ﷻ: ﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥۖ قَالَ رَبِّ هَبۡ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةٗ طَيِّبَةًۖ إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ٣٨﴾

قوله تعالى: ﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥۖ﴾

٤٧٢ - قال المفسرون: لما عاين زكريا هذه الآية المعجبة من رزق الله تعالىٰ مريم الفاكهة في غير حينها، طمع في الولد علىٰ الكبر.

قوله تعالى ﴿مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةٗ طَيِّبَةًۖ﴾

﴿مِن لَّدُنكَ﴾ بمعنىٰ: من عندك.

والمراد بالطيبة: النقيّة الصالحة.

قوله تعالى ﴿إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ٣٨﴾ والسميع: بمعنىٰ السامع.

قال ﷻ: ﴿فَنَادَتۡهُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٞ يُصَلِّي فِي ٱلۡمِحۡرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحۡيَىٰ مُصَدِّقَۢا بِكَلِمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدٗا وَحَصُورٗا وَنَبِيّٗا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ٣٩﴾

قوله تعالى ﴿فَنَادَتۡهُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ﴾ **وفي الملائكة قولان:**

أحدهما: جبريل وحده، قاله السدي، ومقاتل.

والثاني: أنهم جماعة من الملائكة.

وفي المحراب قولان:

أحدهما: أنه المسجد.

والثاني: أنه قبلة المسجد.

وفي تسمية محراب الصلاة محراباً، ثلاثة أقوال:

أحدها: لانفراد الإمام فيه، وبُعده من الناس، ومنه قولهم: فلان حرب لفلان: إذا كان بينهما مباغضة، وتباعد، ذكره ابن الأنباري عن أبيه، عن أحمد بن عبيد.

والثاني: أن المحراب في اللغة أشرف الأماكن، وأشرف المسجد مقام الإمام.

والثالث: أنه من الحرب، فالمصلي محارب للشيطان.

قوله تعالى: ﴿أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ﴾، وأصل هذا كله أن بشَرة الإنسان تنبسط عند السرور، ومنه قولهم:

يلقاني ببشر، أي: بوجهٍ منبسط.

وفي معنى تسميته «يحيى» خمسة أقوال:

أحدها: لأن الله تعالىٰ أحيا به عقر أمه. قاله ابن عباس.

والثاني: لأن الله تعالىٰ أحيا قلبه بالإيمان. قاله قتادة.

والثالث: لأنه أحياه بين شيخ وعجوز، قاله مقاتل.

والرابع: لأنه حيي بالعلم والحكمة التي أوتيها.

والخامس: لأن الله أحياه بالطاعة، فلم يعص، ولم يَهمَّ، قاله الحسن بن الفضل.

وفي «الكلمة» قولان:

أحدهما: أنها عيسىٰ، وسمي كلمة، لأنه بالكلمة كان، وهي «كن» وهذا قول ابن عباس، والحسن، ومجاهد، وقتادة والسدّي، ومقاتل، وقيل: إن يحيىٰ كان أكبر من عيسىٰ بستة أشهر، وقتل يحيىٰ قبل رفع عيسىٰ.

والثاني: أن الكلمة كتاب الله وآياته، وهو قول أبي عبيدة في آخرين.

وفي معنى السيد ثمانية أقوال:

أحدها: أنه الكريم علىٰ ربه، قاله ابن عباس، ومجاهد.

والثاني: أنه الحليم التقي، روي عن ابن عباس أيضـًا، وبه قال الضحاك.

والثالث: أنه الحكيم، قاله الحسن وسعيد بن جبير وعكرمة وعطاء وأبو الشعثاء والربيع ومقاتل.

والرابع: أنه الفقيه العالم، قاله سعيد بن المسيب.

والخامس: أنه التقي، رواه سالم عن ابن جبير.

والسادس: أنه الحَسَن الخلق، رواه أبو روق عن الضحاك.

والسابع: أنه الشريف، قاله ابن زيد.

والثامن: أنه الذي يفوق قومَه في الخير.

٤٧٣ - **قال ابن الأنباري**: السيد هاهنا الرئيس، والإمام في الخير.

فأما «الحصور»: هو الذي لا يأتي النساء، وهو فعول بمعنىٰ مفعول، كأنه محصور عنهن، أي: محبوس عنهن. وأصل الحصر: الحبس.

واختلف المفسرون لماذا كان لا يأتي النساء؟ على أربعة أقوال:

أحدها: أنه لم يكن له ما يأتي به النّساء.

٤٧٤ - **فروى عمرو بن العاص عن النّبي ﷺ أنه قال:** «كل بني آدم يأتي يوم القيامة وله ذنب إلا ما كان من يحيىٰ بن زكريا» قال: ثم دلّىٰ رسول الله ﷺ يده إلىٰ الأرض، فأخذ عوداً صغيراً، ثم قال: «وذلك أنّه لم يكن له ما للرّجال إلا مثل هذا العود،

ولذاك سماه الله سيداً وحصوراً».

٤٧٥ - **وقال سعيد بن المسيب:** كان له كالنواة.

والثاني: أنه كان لا ينزل الماء، قاله ابن عباس والضحاك.

والثالث: أنه كان لا يشتهي النساء، قاله الحسن وقتادة والسدي.

قوله تعالى: ﴿وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ٣٩﴾

٤٧٦ - **قال ابن الأنباري:** معناه: من الصّالحي الحال عند الله.

قال ﷻ: ﴿قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٞ وَقَدۡ بَلَغَنِيَ ٱلۡكِبَرُ وَٱمۡرَأَتِي عَاقِرٞۖ قَالَ كَذَٰلِكَ ٱللَّهُ يَفۡعَلُ مَا يَشَآءُ ٤٠﴾

قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٞ﴾ أي كيف يكون؟!

وفي سنه يومئذ ستة أقوال:

أحدها: أنه كان ابن مائة وعشرين سنة، وامرأته بنت ثمان وتسعين، قاله ابن عباس.

والثاني: أنه كان ابن بضع وسبعين سنة، قاله قتادة.

والثالث: ابن خمس وسبعين، قاله مقاتل.

والرابع: ابن سبعين، حكاه فضيل بن غزوان.

والخامس: ابن خمس وستين.

والسادس: ابن ستين، حكاهما الزجاج.

٤٧٧ - قال **اللغويون:** والعاقر من الرجال والنساء: الذي لا يأتيه الولد.

قال ﷻ: ﴿قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّيٓ ءَايَةًۖ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًاۗ وَٱذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ ۝٤١﴾

قوله تعالى: ﴿رَبِّ ٱجْعَل لِّيٓ ءَايَةًۖ﴾ أي: علامة علىٰ وجود الحمل.

وفي علة سؤاله «آية» قولان:

أحدهما: أن الشيطان جاءه، فقال: هذا الذي سمعت من صوت الشيطان، ولو كان من وحي الله، لأوحاه إليك، كما يوحي إليك غيره، فسأل الآية، ذكره السدي عن أشياخه. والثاني: أنه إنما سأل الآية علىٰ وجود الحمل ليبادر بالشكر، وليتعجل السرور، لأن شأن الحمل لا يتحقق بأوله فجعل الله آية وجود الحمل حبس لسانه ثلاثة أيام.

٤٧٨ - قال **ابن عباس:** جعل يكلم الناس بيده، وإنما منع من مخاطبة الناس ولم يحبس عن الذكر لله تعالىٰ.

٤٧٩ - وقال **ابن زيد:** كان يذكر الله، ويشير إلىٰ الناس. وقال عطاء بن السائِب: اعتُقِلَ لسانه من غير مرض.

٤٨٠ - وقال **قتادة، والربيع بن أنس:** كان ذلك عقوبةً له إذ سأل الآية بعد مشافهة الملائكة بالبشارة.

قوله تعالى: ﴿وَسَبِّحْ﴾

٤٨١ - **قال مقاتل**: صلِّ.

قوله تعالى: ﴿بِٱلۡعَشِيِّ﴾ العشي: من حين نزول الشمس إلىٰ آخر النهار ﴿وَٱلۡإِبۡكَٰرِ ۝٤١﴾ ما بين طلوع الفجر إلىٰ وقت الضحىٰ.

قال ﷻ: ﴿وَإِذۡ قَالَتِ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرۡيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصۡطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٤٢﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِذۡ قَالَتِ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرۡيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰكِ﴾، قال جماعة من المفسرين: المراد بالملائكة: جبريل وحده، وقد سبق معنىٰ الاصطفاء.

وفي المراد بالتطهير هاهنا أربعة أقوال:

أحدها: أنه التطهير من الحيض، قاله ابن عباس.

٤٨٢ - **وقال السدي**: كانت مريم لا تحيض.

٤٨٣ - **وقال قوم**: من الحيض والنفاس.

والثاني: من مس الرجال، روي عن ابن عباس أيضـًا.

والثالث: من الكفر، قاله الحسن ومجاهد.

والرابع: من الفاحشة والإثم، قاله مقاتل.

وفي هذا الاصطفاء الثاني أربعة أقوال:

أحدها: أنه تأكيد للأول.

والثاني: أن الأول للعبادة، والثاني لولادة عيسىٰ عليه السلام.

والثالث: أن الاصطفاء الأول اختيار مبهمَ، وعموم يدخل فيه صوالح من النساء، فأعاد الاصطفاء لتفضيلها علىٰ نساء العالمين.

والرابع: أنه لما أطلق الاصطفاء الاول، أبان بالثاني أنها مصطفاة علىٰ النساء دون الرجال.

٤٨٤ - **قال ابن عباس، والحسن، وابن جريج**: اصطفاها علىٰ عالمي زمانها.

٤٨٥ - **قال ابن الأنباري**: وهذا قول الأكثرين.

قال ﷻ: ﴿يَٰمَرۡيَمُ ٱقۡنُتِي لِرَبِّكِ وَٱسۡجُدِي وَٱرۡكَعِي مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ٤٣﴾

قوله تعالى: ﴿يَٰمَرۡيَمُ ٱقۡنُتِي لِرَبِّكِ﴾ قد سبق شرح القنوت في «البقرة»، وفي المراد به هاهنا أربعة أقوال:

أحدها: أنه العبادة، قاله الحسن.

والثاني: طول القيام في الصلاة، قاله مجاهد.

والثالث: الطاعة، قاله قتادة، والسدي، وابن زيد.

والرابع: الإخلاص، قاله سعيد بن جبير.

قوله تعالى ﴿وَٱرۡكَعِي مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ٤٣﴾

٤٨٦ - **قال مقاتل**: ومعناه اركعي مع المصلين قُرَّاء بيت المقدس.

٤٨٧ - **قال مجاهد**: سجدت حتىٰ قرحت.

قال ﷻ: ﴿ذَٰلِكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡغَيۡبِ نُوحِيهِ إِلَيۡكَۚ وَمَا كُنتَ لَدَيۡهِمۡ إِذۡ يُلۡقُونَ أَقۡلَٰمَهُمۡ أَيُّهُمۡ يَكۡفُلُ مَرۡيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيۡهِمۡ إِذۡ يَخۡتَصِمُونَ ٤٤ إِذۡ قَالَتِ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرۡيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٖ مِّنۡهُ ٱسۡمُهُ ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ وَجِيهٗا فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَمِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ ٤٥ وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلۡمَهۡدِ وَكَهۡلٗا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ٤٦﴾

قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡغَيۡبِ﴾ «ذلك» إشارة إلىٰ ما تقدّم من قصّة زكريا، ويحيىٰ، وعيسىٰ، ومريم. والأنباء: الأخبار.

والغيب: ما غاب عنك.

والوحي: كل شيء دللت به من كلام أو كتاب، أو إشارة، أو رسالة.

وفي الأقلام ثلاثة أقوال:

أحدها: أنها التي يكتب بها، قاله ابن عباس، وابن جبير، والسدي.

والثاني: أنها العصيّ، قاله الربيع بن أنس.

والثالث: أنها القداح.

ومعنى: ﴿أَيُّهُمۡ يَكۡفُلُ مَرۡيَمَ﴾ لينظروا أيهم تجب له كفالة مريم، وهو الضمان للقيام بأمرها.

ومعنى ﴿لَدَيۡهِمۡ﴾: عندهم. وقد سبق شرح كفالتهم لها آنفًا.

وفي المراد بالكلمة هاهنا: أنه قول الله له: «كن» فكان، قاله ابن عباس، وقتادة.

وفي تسميته بالمسيح ستة أقوال:

أحدها: أنه لم يكن لقدمه أخمص، والأخمص: ما يتجافىٰ عن الأرض من القدم،

رواه عطاء عن ابن عباس.

والثاني: أنه كان لا يمسح بيده ذا عاهة إلا برأ، رواه الضحاك عن ابن عباس.

والثالث: أنه مسح بالبركة، قاله الحسن، وسعيد.

والرابع: أن معنىٰ المسيح: الصديق قاله مجاهد، وإبراهيم النخعي.

والخامس: أنه كان يمسح الأرض أي: يقطعها، ذكره ثعلب.

وبيانه: أنه كان كثير السياحة.

٤٨٨ - قال **أبو عبيد**: المسيح في كلام العرب علىٰ معنيين:

أحدهما: المسيح الدجال، والأصل فيه: الممسوح، لأنه ممسوح أحد العينين.

والمسيح عيسىٰ، وأصله بالعبرانية «مشيحا» بالشين، فلما عربته العرب، أبدلت من شينه سينًا، كما قالوا: موسىٰ، وأصله بالعبرانية موشىٰ.

فأما قوله: ﴿عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ﴾، فإنما نسبه إلىٰ أمه لينفي ما قاله عنه الملحدون من النصارىٰ، إذ أضافوه إلىٰ الله تعالىٰ.

قوله تعالى: ﴿وَجِيهًا﴾

٤٨٩ - قال **ابن زيد**: الوجيه في كلام العرب: المحبب المقبول.

الوجيه: ذو الجاه.

قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾﴾

٤٩٠ - قال **قتادة**: عند الله يوم القيامة.

والمهد: مضجع الصبي في رضاعه، وهو مأخوذ من التمهيد، وهو التوطئة.

وفي تكليمه للناس في تلك الحال قولان:

أحدهما: لتبرئة أمه مما قذفت به.

والثاني: لتحقيق آيته الدالة علىٰ نبوته.

٤٩١ - قال ابن عباس: تكلم ساعة في مهده، ثم لم يتكلم حتىٰ بلغ مبلغ النطق.

قوله تعالى ﴿وَكَهۡلٗا﴾ قال: ابن ثلاثين سنة أرسله الله تعالىٰ، فمكث في رسالته ثلاثين شهراً، ثم رفعه الله.

٤٩٢ - وقال وهب بن منبه: جاءه الوحي علىٰ رأس ثلاثين سنة فمكث في نبوته ثلاث سنين، ثم رفعه الله.

فإن قيل: فقد علم أن الكهل يتكلم، **فعنه ثلاثة أجوبة:**

أحدها: أن هذا الكلام خرج مخرج البشارة بطول عمره، أي: أنه يبلغ الكهولة،

٤٩٣ - وقد روي عن ابن عباس أنه قال: ﴿وَكَهۡلٗا﴾ قال: ذلك بعد نزوله من السماء.

والثاني: أنه أخبرهم أن الزمان يؤثر فيه، وأن الأيام تنقله من حال إلىٰ حال، ولو كان إلهـًا لم يدخل عليه هذا التغير، ذكره ابن جرير الطبري.

والثالث: أن المراد بالكهل: الحليم، قاله مجاهد.

قال ﷻ: ﴿قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ ۖ قَالَ كَذَٰلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ۚ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٧﴾﴾

قوله تعالى ﴿قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ﴾ **في علة قولها هذا قولان:**

أحدهما: أنها قالت هذا تعجباً واستفهاماً، لا شكاً وإنكاراً، على ما أشرنا إليه في قصة زكريا، وعلى هذا الجمهور.

والثاني: أن الذي خاطبها كان جبريل، وكانت تظنه آدميا يريد بها سوءاً، ولهذا قالت: ﴿أَعُوذُ بِالرَّحْمَٰنِ مِنكَ﴾ [سورة مريم:١٨] فلما بشّرها لم تتيقن صحة قوله، لأنها لم تعلم أنه ملك، فلذلك قالت: ﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ﴾، قاله ابن الأنباري.

قوله تعالى: ﴿وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ﴾ أي: ولم يقربني زوج. والمس: الجماع، قاله ابن فارس.

قال: يعني جبريل: ﴿كَذَٰلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾ [سورة آل عمران:٤٧] أي: بسبب، وبغير سبب. وباقي الآية مفسّر في «البقرة».

قال ﷻ: ﴿وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ ﴿٤٨﴾﴾

قوله تعالى ﴿وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ﴾ **وفي الكتاب قولان:**

أحدهما: أنه كُتُبُ النبيين وعلمهم، قاله ابن عباس.

والثاني: الكتابة، قاله ابن جريج ومقاتل.

٤٩٤ - قال **ابن عباس:** والحكمة الفقه وقضاء النّبيين.

قال ﷻ: ﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَآءِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّيٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ وَأُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٤٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿أَنِّيٓ أَخْلُقُ﴾

٤٩٥ - قال **ابن عباس:** أخذ طينـًا، وصنع منه خفاشـًا، ونفخ فيه، فاذا هو يطير.

٤٩٦ - وروي **عن أبي سعيد الخدري أنه قال لهم:** ماذا تريدون؟ قالوا: الخفاش. فسألوه أشدّ الطير خلقا، لأنه يطير من غير ريش.

٤٩٧ - وقال **وهب:** كان الذي صنعه يطير ما دام الناس ينظرونه، فاذا غاب عن أعينهم، سقط ميتـًا، ليتميز فعل الخلق من فعل الخالق.

وفي «الأكمه» أربعة أقوال:

أحدها: أنه الذي يولد أعمىٰ، رواه الضحاك عن ابن عباس، وسعيد عن قتادة، وبه قال اليزيدي.

والثاني: أنه الأعمىٰ، ذكره ابن جريج عن ابن عباس، ومعمر عن قتادة، وبه قال الحسن، والسدي. وعن الخليل أن الأكمه: هو الذي يولد أعمىٰ، وهو الذي يعمىٰ، وإن كان بصيراً.

والثالث: أنه الأعمش، قاله عكرمة.

والرابع: أنه الذي يبصر بالنهار، ولا يبصر بالليل، قاله مجاهد والضحاك.

والأبرص: الذي به وضح.

٤٩٨ - قال **وهب**: ربما اجتمع علىٰ عيسىٰ من المرضىٰ في اليوم الواحد خمسون ألفـًا، وإنما كان يداويهم بالدعاء.

وذكر المفسرون أنه أحيا أربعة أنفس من الموتىٰ.

٤٩٩ - وعن **ابن عباس**: أن الأربعة كلهم بقي حتىٰ ولد له، إلا سام بن نوح.

قوله تعالى: ﴿وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ﴾

٥٠٠ - قال **سعيد بن جبير**: كان عيسىٰ إذا كان في المكتب يخبرهم بما يأكلون، ويقول للغلام: يا غلام إن أهلك قد هيّئوا لك كذا وكذا من الطعام فتطعمني منه؟

٥٠١ - وقال **مجاهد**: بما أكلتم البارحة، وبما خبأتم منه.

وعلىٰ هذا المفسرون، إلا أن قتادة كان يقول: وأنبئُكم بما تأكلون من المائدة التي تنزل عليكم، وما تدخرون منها، وكان أخذ عليهم أن يأكلوا منها، ولا يدَّخروا، فلما خانوا، مسخوا خنازير.

٥٠٢ - عن عَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ قَالَ: أُنَبِّئُكُمْ بِما تَأْكُلُونَ مِنَ الْمَائِدَةِ وَما تَدَّخِرُونَ مِنْهَا، وَكَانَ أَخَذَ عَلَيْهِمْ فِي الْمَائِدَةِ حِينَ نَزَلَتْ أَنْ يَأْكُلُوا وَلَا يَدَّخِرُوا، فَأَكَلُوا، وَادَّخَرُوا، وَخَانُوا، فَجُعِلُوا قِرَدَةً وَخَنَازِيرَ.

قال ﷻ: ﴿وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ ۚ وَجِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ۝٥٠ إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۗ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ۝٥١﴾

قوله تعالى ﴿وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ﴾ نصب «مصدقا» على الحال، أي وجئتكم مصدقا.

﴿وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ﴾

٥٠٣ - قال **قتادة:** كان قد حرم عليهم موسىٰ الإبل والثروب وأشياء من الطير، فأحلها عيسىٰ.

قوله تعالى ﴿وَجِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ﴾ أي: بآيات تعلمون بها صدقي، وإنما واحد، لأن الكل من جنس واحد ﴿مِّن رَّبِّكُمْ﴾ أي: من عند ربكم.

٥٠٤ - وأخرج عَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ، وَابْنُ جَرِيرٍ، وَابْنُ الْمُنْذِرِ، وَابْنُ أَبِي حَاتِمٍ عَنْ مُجَاهِدٍ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَجِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ قال: ما بين لهم من الأشياء كلها وما أعطاه ربه.

قال ﷻ: ﴿۞ فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ۝٥٢﴾

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ﴾ أي: علم.

٥٠٥ - قال **أبو منصور اللغوي:** يقال: أحسستُ بالشيء، وحسست به.

والأنصار: الأعوان. و «إِلىٰ» بمعنىٰ «مع» في قول الجماعة.

واختلفوا في سبب استنصاره بالحواريين، فقال مجاهد: لما كفر به قومه، وأرادوا قتله، استنصر الحواريّين. وقال غيره: لما كفر به قومه، وأخرجوه من قريتهم، استنصر الحواريين. وقيل: استنصرهم، لإقامة الحق، وإظهار الحجة.

وفي معنى الحواريّين أقوال:

أحدها: أنهم الخواص الأصفياء، قال ابن عباس: الحواريون: أصفياء عيسىٰ.

والثاني: أنهم البيض الثياب، روىٰ سعيد بن جبير عن ابن عباس أنهم سموا بذلك، لبياض ثيابهم.

والثالث: أنهم القصارون، سموا بذلك، لأنهم كانوا يحورون الثياب، أي: يبيضونها.

٥٠٦ - **قال الضحاك، ومقاتل:** الحواريون: هم القصارون.

٥٠٧ - **قال اليزيدي:** ويقال للقصارين: الحواريون، لأنهم يبيضون الثياب، ومنه سمي الدقيق: الحُوَّارىٰ، والعين الحوراء: النقية المحاجر.

والرابع: الحواريون: المجاهدون.

والخامس: الحواريون: الصيادون.

والسادس: الحواريون: الملوك، حكىٰ هذه الأقوال الثلاثة ابن الأنباري.

٥٠٨ - **قال ابن عباس:** عدد الحواريين اثنا عشر رجلاً.

وفي صناعتهم قولان:

أحدهما: أنهم كانوا يصطادون السمك رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس.

والثاني: أنهم كانوا يغسلون الثياب، قاله الضحاك، وأبو أرطاة.

قال ﷻ: ﴿رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ﴾ هذا قول الحواريين.

والذي أنزل: الإنجيل.

والرسول: عيسىٰ.

وفي المراد بالشاهدين خمسة أقوال:

أحدها: أنهم محمّد ﷺ، وأمته، لأنهم يشهدون للرسل بالتبليغ، رواه عكرمة عن ابن عباس.

والثاني: أنهم من آمن قبلهم من المؤمنين، رواه أبو صالح عن ابن عباس.

والثالث: أنهم الأنبياء، لأن كل نبي شاهد أمته، قاله عطاء.

والرابع: أن الشاهدين: الصادقون، قاله مقاتل.

والخامس: أنهم الذين شهدوا للأنبياء بالتّصديق.

قال ﷻ: ﴿وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٥٤﴾﴾

٥٠٩ - قال ابن عباس: ومكرهم، أن اليهود أرادوا قتل عيسىٰ، فدخل خوخة، فدخل رجل منهم، فألقىٰ عليه شبه عيسىٰ، ورفع عيسىٰ إلىٰ السماء، فلما خرج إليهم، ظنّوه عيسىٰ، فقتلوه.

قال ﷻ: ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۖ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٥٥﴾﴾

قوله تعالى ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ﴾ **وفي هذا التوفي قولان:**

أحدهما: أنه الرفع إلىٰ السماء.

والثاني: أنه الموت.

فعلىٰ القول الأول يكون نظم الكلام مستقيماً من غير تقديم ولا تأخير، ويكون معنىٰ «متوفيك» قابضك من الأرض وافياً تاماً من غير أن ينال منك اليهود شيئاً، هذا قول الحسن، وابن جريج.

وعلىٰ القول الثاني يكون في الآية تقديم وتأخير، وتقديره: ﴿**إني رافعك إليَّ ومطهِّرك من الذين كفروا**﴾، ومتوفيك بعد ذلك.

٥١٠ - **قال سعيد بن المسيب:** رُفع عيسىٰ وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة.

٥١١ - **وقال مقاتل:** رفع من بيت المقدس ليلة القدر في رمضان.

وقيل: عاشت أمه مريم بعد رفعه ست سنين. ويقال: ماتت قبل رفعه.

قوله تعالى ﴿وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ **فيه قولان:**

أحدهما: أنه رفعه من بين أظهرهم.

والثاني: منعهم من قتله.

وفي الذين اتبعوه قولان:

أحدهما: أنهم مسلمون من أمّة محمّد ﷺ، لأنهم صدقوا بنبوته، وأنه روح الله وكلمته، وهذا قول قتادة، والرّبيع، وابن السّائب.

والثاني: أنهم النصارىٰ، فهم فوق اليهود، واليهود مستذلون مقهورون، قاله ابن زيد.

قوله تعالى: ﴿فِيمَا كُنتُمۡ فِيهِ تَخۡتَلِفُونَ ۝٥٥﴾ يعني الدّين.

قال ﷻ: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَأُعَذِّبُهُمۡ عَذَابٗا شَدِيدٗا فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ۝٥٦﴾

قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ قيل: هم اليهود والنصارىٰ.

وعذابهم في الدنيا بالسيف والجزية، وفي الآخرة بالنّار.

قال ﷻ: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمۡ أُجُورَهُمۡۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٥٧﴾

قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ نَتۡلُوهُ عَلَيۡكَ﴾ يعني ما جرىٰ من القصص.

مِنَ الْآياتِ يعني الدلالات علىٰ صحة رسالتك، إذ كانت أخباراً لا يعلمها أميٌّ.

﴿وَٱلذِّكۡرِ ٱلۡحَكِيمِ ۝٥٨﴾

٥١٢ - قال **ابن عباس**: هو القرآن.

قال ﷻ: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ۝٥٩﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَۖ﴾

٥١٣ - قال **أهل التفسير:** سبب نزول هذه الآية، مخاصمة وفد نجران من النصارىٰ للنبيّ ﷺ، في أمر عيسىٰ، وقد ذكرناه في أول السورة. فأما تشبيه عيسىٰ بآدم، فلأنهما جميعـًا من غير أب.

وقوله تعالى: ﴿خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ﴾ يعني: آدم.

٥١٤ - قال **ثعلب:** وهذا تفسير لأمر آدم. وليس بحال.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ قَالَ لَهُۥ﴾ يعني آدم، وقيل لعيسىٰ ﴿كُن فَيَكُونُ ۝٥٩﴾ أي: فكان: فأريد بالمستقبل الماضي، كقوله تعالىٰ: ﴿وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَـٰطِينُ﴾ [سورة البقرة:١٠٢] أي: ما تلت.

قال ﷻ: ﴿ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ۝٦٠﴾

قوله تعالى: ﴿ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ﴾، المعنىٰ: الذي أنبأتك به في قصة عيسىٰ الحق من ربك ﴿فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ۝٦٠﴾ أي: الشاكين. والخطاب للنبي خطابٌ للخلق، لأنه لم يشك.

قال ﷻ: ﴿فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ ۝٦١﴾

قوله تعالى ﴿فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ﴾ **في هاء «فيه» قولان:**

أحدهما: أنها ترجع إلى عيسى.

والثاني: إلى الحق.

والعلم: البيان والإيضاح.

قوله تعالى: ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا۟﴾،

٥١٥ - **قال المفسرون**: أراد بأبنائنا: فاطمة، والحسن، والحسين.

٥١٦ - **وروى مسلم في «صحيحه» من حديث سعد بن أبي وقاص قال**: لما نزلت هذه الآية ﴿تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ﴾ دعا رسول الله ﷺ علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً فقال: «اللهم هؤلاء أهلي».

قوله تعالى ﴿وَأَنفُسَنَا﴾ **فيه خمسة أقوال:**

أحدها: أراد علي بن أبي طالب، قاله الشعبي.

والعرب تخبر عن ابن العم بأنه نفس ابن عمه.

والثاني: أراد الإخوان.

والثالث: أراد أهل دينه.

والرابع: أراد الأزواج.

والخامس: أراد القرابة القريبة.

فأما الابتهال هو التداعي باللَّعن، يقال: عليه بَهلةُ الله، وبُهلته، أي: لعنته.

٥١٧ - **قال جابر بن عبد الله:** قدم وفد نجران فيهم السيّد والعاقب فذكر الحديث.. إلىٰ أن قال: فدعاهما إلىٰ الملاعنة، فواعداه أن يغادياه، فغدا رسول الله ﷺ فأخذ بيد علي وفاطمة والحسن والحسين، ثم أرسل اليهما، فأبيا أن يجيباه، فأقرا له بالخراج فقال: «والذي بعثني بالحقّ لو فعلا لأمطر الوادي نارا».

قال ﷻ: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّۚ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ٦٢﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُۚ﴾، دخلت «مِن» هاهنا توكيداً ودليلاً علىٰ نفي جميع ما ادعىٰ المشركون من الآلهة.

قال ﷻ: ﴿فَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِٱلْمُفْسِدِينَ ٦٣﴾

قوله تعالى ﴿فَإِن تَوَلَّوْاْ﴾ فيه ثلاثة أقوال:

أحدها: عن الملاعنة، قاله مقاتل.

والثاني: أنه عن البيان الذي أتىٰ به النبيّ ﷺ.

والثالث: عن الإقرار بوحدانية الله، وتنزيهه عن الصاحبة والولد.

وفي الفساد هاهنا قولان:

أحدهما: أنه العمل بالمعاصي، قاله مقاتل.

والثاني: الكفر.

قال ﷻ: ﴿قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ شَيۡـٔٗا وَلَا يَتَّخِذَ بَعۡضُنَا بَعۡضًا أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُولُواْ ٱشۡهَدُواْ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ ٦٤﴾

قوله تعالى ﴿قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ **فيه ثلاثة أقوال**:

أحدها: أنهم اليهود، قاله قتاده، وابن جريج، والربيع بن أنس.

والثاني: وفد نجران الذين حاجوا في عيسىٰ، قاله السدي ومقاتل.

والثالث: أهل الكتابين جميعاً، قاله الحسن.

٥١٨ - **قال ابن عباس**: نزلت في القسيسين والرهبان، فبعث بها النبيّ ﷺ إلىٰ جعفر وأصحابه بالحبشة. فقرأها جعفر، والنجاشي جالس، وأشراف الحبشة.

فأما «الكلمة» فقال المفسرون هي: لا إله إلا الله.

قوله تعالى: ﴿سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ﴾، يعني بالسّواء العدل.

قوله تعالى ﴿وَلَا يَتَّخِذَ بَعۡضُنَا بَعۡضًا أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ﴾ **فيه ثلاثة أقوال**:

أحدها: أنه سجود بعضهم لبعض، قاله عكرمة.

والثاني: لا يطيع بعضنا بعضاً في معصية الله، قاله ابن جريج.

والثالث: لا نجعل غير الله رباً، كما قالت النصارىٰ في المسيح، قاله مقاتل.

قال ﷻ: ﴿يَـٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَـٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوۡرَىٰةُ وَٱلۡإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ٦٥﴾

قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَـٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ﴾

٥١٩ - قال **ابن عباس والحسن والسدي:** اجتمع عند النبيّ ﷺ نصارىٰ نجران، وأحبار اليهود، فقال هؤلاء: ما كان إبراهيم إلا يهوديًا، وقال هؤلاء: ما كان إلا نصرانيا. فنزلت هذه الآية.

قال ﷻ: ﴿هَـٰٓأَنتُمۡ هَـٰٓؤُلَآءِ حَـٰجَجۡتُمۡ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيۡسَ لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ٦٦﴾

قوله تعالى ﴿فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞ﴾ **فيه قولان:**

أحدهما: أنه ما رأوا وعاينوا قاله قتادة.

والثاني: ما أُمروا به ونهوا عنه، قاله السدي.

٥٢٠ - عن أَبِي الْعَالِيَةِ: ﴿هَـٰٓأَنتُمۡ هَـٰٓؤُلَآءِ حَـٰجَجۡتُمۡ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞ﴾ يَقُولُ: فِيمَا شَهِدْتُمْ وَرَأَيْتُمْ وَعَايَنْتُمْ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيما لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ يَقُولُ: فِيمَا لَمْ تَشْهَدُوا وَلَمْ تَرَوْا وَلَمْ تُعَايِنُوا.

فأما الذي ليس لهم به علم، فهو شأن إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ.

٥٢١ - روى **أبو صالح عن ابن عباس:** أنه كان بين إبراهيم وموسىٰ، خمسمائة وخمس وسبعون سنة. وبين موسىٰ وعيسىٰ ألف وستمائة واثنتان وثلاثون سنة.

٥٢٢ - وقال **ابن إسحاق**: كان بين إبراهيم وموسىٰ خمسمائة وخمس وستون سنة، وبين موسىٰ وعيسىٰ ألف وتسعمائة وخمس وعشرون سنة.

وقد سبق في «البقرة» معنى الحنيف.

قال ﷻ: ﴿مَا كَانَ إِبۡرَٰهِيمُ يَهُودِيّٗا وَلَا نَصۡرَانِيّٗا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفٗا مُّسۡلِمٗا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٦٧ إِنَّ أَوۡلَى ٱلنَّاسِ بِإِبۡرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۗ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٦٨﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَوۡلَى ٱلنَّاسِ بِإِبۡرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ﴾ في سبب نزولها قولان:

أحدهما: أن رؤساء اليهود قالوا للنبيّ ﷺ: لقد علمت أنَّا أولىٰ بدين إبراهيم منك، وأنه كان يهوديًا، وما بك إلا الحسد، فنزلت هذه الآية. ومعناها: أحق الناس بدين إبراهيم، الذين اتبعوه علىٰ دينه، وهذا النبي محمّد ﷺ علىٰ دينه، قاله ابن عباس.

والثاني: أن عمرو بن العاص أراد أن يُغضب النجاشي علىٰ أصحاب النبي ﷺ، فقال للنجاشي: إنهم ليشتمون عيسىٰ. فقال النجاشي: ما يقول صاحبكم في عيسىٰ؟ فقالوا: يقول: إنه عبد الله وروحه، وكلمته ألقاها إلىٰ مريم. فأخذ النجاشي من سواكه قدر ما يقذي العين، فقال: والله ما زاد علىٰ ما يقول صاحبكم ما يَزِن هذا القذىٰ، ثم أبشروا، فلا دهورة اليوم علىٰ حزب إبراهيم. قال عمرو بن العاص: ومن حزب إبراهيم؟ قال: هؤلاء الرّهط وصاحبهم فأنزل الله يوم خصومتهم علىٰ النبيّ ﷺ هذه الآية، هذا قول عبد الرحمن بن غنم.

قال ﷻ: ﴿وَدَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٦٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَدَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ﴾

سبب نزولها أن اليهود قالوا لمعاذ بن جبل، وعمّار بن ياسر: تركتما دينكما، واتبعتما دين محمّد، فنزلت هذه الآية، قاله ابن عباس.

والطّائفة: اسم لجماعة مجتمعين علىٰ ماجتمعوا عليه من دين، ورأي، ومذهب، وغير ذلك.

وفي هذه الطائفة قولان:

أحدهما: أنهم اليهود، قاله ابن عباس.

والثاني: اليهود والنّصارىٰ.

والضّلال: الحيرة.

وفيه هاهنا قولان:

أحدهما: أنه الاستذلال عن الحقّ إلىٰ الباطل، وهو قول ابن عباس، ومقاتل.

والثاني: الإهلاك، ومنه ﴿أَءِذَا ضَلَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [سورة السجدة:١٠] قاله ابن جرير.

وفي قوله تعالى: ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٦٩﴾﴾ **قولان:**

أحدهما: وما يشعرون أنّ الله يدلّ المؤمنين علىٰ حالهم.

والثاني: وما يشعرون أنهم يضلّون أنفسهم.

قال ﷻ: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَأَنتُمۡ تَشۡهَدُونَ ٧٠﴾

قوله تعالى: ﴿لِمَ تَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾

٥٢٣ - قال **قتادة:** يعني: محمداً والإسلام ﴿وَأَنتُمۡ تَشۡهَدُونَ ٧٠﴾ أن بعث محمد في كتابكم، ثم تكفرون به.

٥٢٤ - وعن قَتَادَةَ فِي قوله: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَأَنتُمۡ تَشۡهَدُونَ ٧٠﴾ قَالَ: تَشْهَدُونَ أَنَّ نَعْتَ نَبِيِّ اللهِ مُحَمَّدٍ فِي كِتَابِكُمْ، ثُمَّ تَكْفُرُونَ بِهِ، وَتُنْكِرُونَهُ، وَلَا تُؤْمِنُونَ بِهِ، وَأَنْتُمْ تَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَكُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ: النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ.

قال ﷻ: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَلۡبِسُونَ ٱلۡحَقَّ بِٱلۡبَٰطِلِ وَتَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٧١﴾

قوله تعالى: ﴿لِمَ تَلۡبِسُونَ ٱلۡحَقَّ بِٱلۡبَٰطِلِ﴾

٥٢٥ - قال **اليزيدي:** معناه: لم تخلطون الحق بالباطل؟

٥٢٦ - قال **ابن فارس:** واللبس: اختلاط الأمر، وفي الأمر لبسة، أي: ليس بواضح.

وفي الحق والباطل أربعة أقوال:

أحدها: أن الحق: إقرارهم ببعض أمر النبيّ ﷺ، والباطل: كتمانهم بعض أمره.

والثاني: الحق: إيمانهم بالنبيّ ﷺ غدوة، والباطل: كفرهم به عشية، رويا عن ابن

عباس.

والثالث: الحق: التوراة، والباطل: ما كتبوه فيها بأيديهم، قاله الحسن، وابن زيد.

والرابع: الحق: الإسلام. والباطل: اليهودية والنصرانية، قاله قتادة.

قوله تعالى: ﴿وَتَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ﴾

٥٢٧ - **قال قتادة**: كتموا الإسلام، وكتموا أمر محمّد ﷺ.

قال ﷻ: ﴿وَقَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ ءَامِنُواْ بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَجۡهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكۡفُرُوٓاْ ءَاخِرَهُۥ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ٧٢﴾

قوله تعالى ﴿وَقَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ في سبب نزولها قولان:

أحدهما: أن طائفة من اليهود قالوا: إذا لقيتم أصحاب محمد أول النهار، فآمنوا، وإذا كان آخره، فصلوا صلاتكم لعلهم يقولون: هؤلاء أهل الكتاب، وهم أعلم منا، فينقلبون عن دينهم، رواه عطية عن ابن عباس.

٥٢٨ - **وقال الحسن والسدي**: تواطأ اثنا عشر حبراً من اليهود، فقال بعضهم لبعض: ادخلوا في دين محمد باللسان أول النهار، واكفروا آخره، وقولوا: إنا نظرنا في كتبنا، وشاورنا علماءنا، فوجدنا محمداً ليس بذلك، فيشك أصحابه في دينهم، ويقولون: هم أهل الكتاب، وهم أعلم منا، فيرجعون إلىٰ دينكم، فنزلت هذه الآية. وإلىٰ هذا المعنىٰ ذهب الجمهور.

والثاني: أن الله تعالىٰ صرف نبيه إلىٰ الكعبة عند صلاة الظهر، فقال قوم من علماء اليهود: ﴿ءَامِنُواْ بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَجۡهَ ٱلنَّهَارِ﴾ يقولون: آمنوا بالقبلة التي صلوا

إليها الصبح، واكفروا بالتي صلوا إليها آخر النهار، لعلهم يرجعون إلىٰ قبلتكم، رواه أبو صالح عن ابن عباس.

٥٢٩ - قال **مجاهد وقتادة**: وجه النهار: أوله.

قال ﷻ: ﴿وَلَا تُؤْمِنُوٓاْ إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ ٱلْهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ أَن يُؤْتَىٰٓ أَحَدٌ مِّثْلَ مَآ أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَآجُّوكُمْ عِندَ رَبِّكُمْ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٧٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَا تُؤْمِنُوٓاْ إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ﴾، اختلف العلماء في توجيه هذه الآية علىٰ أربعة أقوال:

أحدها: أن معناه: ولا تصدقوا إلا من تبع دينكم، ولا تصدقوا أن يؤتىٰ أحدٌ مما أوتيتم من العلم، وفلق البحر، والمنِّ والسلوىٰ، وغير ذلك، ولا تصدقوا أن يجادلوكم عند ربكم، لأنكم أصح ديناً منهم، فيكون هذا كله من كلام اليهود بينهم، وتكون اللام في «لمن» صلة، ويكون قوله تعالىٰ: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ﴾ كلاماً معترضاً بين كلامين، هذا معنىٰ قول مجاهد.

والثاني: أن كلام اليهود تام عند قوله: ﴿لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ﴾ والباقي من قول الله تعالىٰ، لا يعترضه شيءٌ من قولهم، وتقديره: قل يا محمد: إن الهدىٰ هدىٰ الله أن يؤتىٰ أحدٌ مثل ما أوتيتم يا أمة محمد، إلاّ أن تجادلكم اليهود بالباطل، فيقولون: نحن أفضل منكم، هذا معنىٰ قول الحسن، وسعيد بن جبير.

والثالث: أن في الكلام تقديما وتأخيرا تقديره: ولا تؤمنوا أن يؤتىٰ أحدٌ مثل ما أوتيتم، إلا من تبع دينكم، فأخرت «أن»، وهي مقدمة في النية علىٰ مذهب العرب في التقديم والتأخير، ودخلت اللام علىٰ جهة التوكيد، كقوله تعالىٰ: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ رَدِفَ لَكُم﴾ [سورة النمل:٧٢] أي: ردفكم.

والرابع: أن اللام غير زائدة، والمعنىٰ: لا تجعلوا تصديقكم النبي في شيء مما جاء به إلا لليهود. فإنكم إن قلتم ذلك للمشركين كان عونـًا لهم علىٰ تصديقه.

٥٣٠ - قال **ابن الأنباري:** لا تؤمنوا أن محمداً وأصحابه علىٰ حق، إلا لمن تبع دينكم، مخافة أن يطلع علىٰ عنادكم الحق، ويحاجوكم به عند ربكم. فعلىٰ هذا يكون معنىٰ الكلام: لا تقروا بأن يؤتىٰ أحدٌ مثل ما أوتيتم إلا لمن تبع دينكم.

وفي قوله تعالى ﴿أَوْ يُحَآجُّوكُمْ عِندَ رَبِّكُمْ﴾ **قولان:**

أحدهما: أن معناه: ولا تصدقوا أنهم يحاجوكم عند ربكم، لأنهم لا حجة لهم، قاله قتادة.

والثاني: أن معناه: حتىٰ يحاجوكم عند ربكم علىٰ طريق التعبّد، كما يقال: لا يلقاه أو تقوم الساعة، قاله الكسائي.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ﴾

٥٣١ - قال **ابن عباس:** يعني النبوة، والكتاب، والهدىٰ ﴿يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ﴾ لا ما تمنَّيتموه أنتم يا معشر اليهود من أنه لا يؤتىٰ أحدٌ مثل ما أوتيتم.

قال ﷻ: ﴿يَخۡتَصُّ بِرَحۡمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ٧٤﴾

قوله تعالى ﴿يَخۡتَصُّ بِرَحۡمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۗ﴾ في الرحمة ثلاثة أقوال:

أحدها: أنها الإسلام، قاله ابن عباس ومقاتل.

والثاني: النبوة، قاله مجاهد.

والثالث: القرآن والإسلام، قاله ابن جريج.

قال ﷻ: ﴿۞وَمِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ مَنۡ إِن تَأۡمَنۡهُ بِقِنطَارٖ يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيۡكَ وَمِنۡهُم مَّنۡ إِن تَأۡمَنۡهُ بِدِينَارٖ لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيۡكَ إِلَّا مَا دُمۡتَ عَلَيۡهِ قَآئِمٗاۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَالُواْ لَيۡسَ عَلَيۡنَا فِي ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ سَبِيلٞ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ٧٥﴾

قوله تعالى: ﴿وَمِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ مَنۡ إِن تَأۡمَنۡهُ بِقِنطَارٖ﴾

٥٣٢ - قال **ابن عباس**: أودع رجل ألفا ومائتي أوقيه من ذهب عبد الله بن سلام، فأداها إليه، فمدحه الله بهذه الآية، وأودع رجل فنحاصَ بن عازوراء ديناراً، فخانه.

وأهل الكتاب: اليهود. وقد سبق الكلام في القنطار.

فان قيل: لم خصَّ أهل الكتاب بأن فيهم خائناً وأميناً والخلق علىٰ ذلك، فالجواب: أنهم يخونون المسلمين استحلالا لذلك، وقد بيّنه في قوله تعالىٰ: ﴿لَيۡسَ عَلَيۡنَا فِي ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ سَبِيلٞ﴾ فحذّر منهم.

٥٣٣ - وقال **مقاتل**: الأمانة ترجع إلىٰ من أسلم منهم، والخيانة ترجع إلىٰ من لم

يسلم.

وقيل: إن الذين يؤدون الأمانة: النصارىٰ، والذين لا يؤدونها: اليهود.

قوله تعالى ﴿إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِمًاۗ﴾ **وفي هذا القيام قولان:**

أحدهما: أنه التقاضي، قاله مجاهد، وقتادة.

والمعنى: ما دمت مواظبـًا بالاقتضاء له والمطالبة. وأصل هذا أن المطالب بالشيء يقوم فيه ويتصرَّف والتارك له يقعد عنه.

والثاني: أنه القيام حقيقة، فتقديره: إلا ما دمت قائمـًا علىٰ رأسه، فإنه يعترف بأمانته، فاذا ذهبت ثم جئت، جحدك، قاله السدي.

قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ﴾ يعني: الخيانة. والسبيل: الإثم والحرج، ونظيره ﴿مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍۚ﴾ [سورة التوبة:٩١].

٥٣٤ – قال **قتادة:** إنما استحل اليهود أموال المسلمين، لأنهم عندهم ليسوا أهل كتاب.

قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ﴾

٥٣٥ – قال **السدي:** يقولون: قد أحلّ الله لنا أموال العرب.

وفي قوله تعالى: ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ ۝٧٥﴾ **قولان:**

أحدهما: يعلمون أن الله قد أنزل في التوراة الوفاء، وأداء الأمانة.

والثاني: يقولون الكذب، وهم يعلمون أنه كذب.

قال ﷻ: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ وَٱتَّقَىٰ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ۝٧٦﴾

قوله تعالى: ﴿بَلَىٰ﴾ ردّ الله ﷻ عليهم قولهم: ﴿لَيْسَ عَلَيْنَا فِى ٱلْأُمِّيِّۦنَ سَبِيلٌ﴾ بقوله: ﴿بَلَىٰ﴾

والعهد: ما عاهدهم الله ﷻ عليه في التّوراة.

وفي «هاء» بِعَهْدِهِۦ قولان:

أحدهما: أنها ترجع إلىٰ الله تعالىٰ.

والثاني: إلىٰ الموفي.

قال ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُو۟لَٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝٧٧﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ **في سبب نزولها ثلاثة أقوال:**

أحدها: أن الأشعث بن قيس خاصم بعض اليهود في أرض، فجحده اليهودي فقدّمه إلىٰ النبيّ ﷺ، فقال له: «ألك بينة»؟ قال: لا. قال لليهودي: «أتحلف»؟ فقال الأشعث: إذاً يحلف فيذهب بمالي. فنزلت هذه الآية. أخرجه البخاري ومسلم.

والثاني: أنها نزلت في اليهود، عهد الله إليهم في التوراة تبيّن صفة النبيّ ﵇، فجحدوا، وخالفوا لما كانوا ينالون من سفلتهم من الدنيا، هذا قول عكرمة، ومقاتل.

والثالث: أن رجلاً أقام سلعته في السوق أول النهار، فلما كان آخره، جاء رجل يساومه، فحلف: لقد منَعَها أول النهار من كذا، ولولا المساء لما باعها به، فنزلت هذه الآية. هذا قول الشعبي، ومجاهد.

فعلىٰ القول الأول، والثالث، العهد: لزوم الطاعة، وترك المعصية، وعلىٰ الثاني: ما عهده إلىٰ اليهود في التوراة. واليمين: الحلف. وإن قلنا: إنها في اليهود، والكفار، فإن الله لا يكلمهم يوم القيامة أصلاً. وإن قلنا: إنها في العصاة، فقد روي عن ابن عباس أنه قال: لا يكلمهم الله كلام خير.

قوله تعالى: ﴿وَلَا يُزَكِّيهِمْ﴾ أي: لا يطهّرهم من دنس كفرهم وذنوبهم.

قال ﷻ: ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُۥنَ أَلْسِنَتَهُم بِٱلْكِتَٰبِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمَا هُوَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ۝٧٨﴾

قوله تعالى ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا﴾ **اختلفوا فيمن نزلت على قولين:**

أحدهما: أنها نزلت في اليهود، رواه عطية عن ابن عباس.

والثاني: في اليهود والنصارىٰ، رواه الضحاك عن ابن عباس.

ومعنى ﴿يَلْوُۥنَ أَلْسِنَتَهُم﴾: يقلبونها بالتحريف والزيادة.

٥٣٦ - عن ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُۥنَ أَلْسِنَتَهُم﴾ قَالَ: هُمُ الْيَهُودُ، كَانُوا يَزِيدُونَ فِي الْكِتَابِ مَا لَمْ يُنَزِّلِ اللهُ.

قال ﷻ: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤۡتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحُكۡمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُواْ عِبَادٗا لِّي مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمۡ تُعَلِّمُونَ ٱلۡكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمۡ تَدۡرُسُونَ ٧٩﴾

قوله تعالى ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ﴾ **في سبب نزولها ثلاثة أقوال:**

أحدها: أن قوماً من رؤساء اليهود والنصارىٰ، قالوا: يا محمد أتريد أن نتّخذك ربّا؟ فقال: معاذ الله، ما بذلك بعثني، فنزلت هذه الآية، قاله ابن عباس.

والثاني: أن رجلاً قال للنبي ﷺ: ألا نسجد لك؟ قال «لا، فإنه لا ينبغي أن يُسجَد لأحد من دون الله» فنزلت هذه الآية، قاله الحسن البصري.

والثالث: أنها نزلت في نصارىٰ نجران حيث عبدوا عيسىٰ. قاله الضحاك، ومقاتل.

وفيمن عنى بـ «البشر» قولان:

أحدهما: محمّد ﷺ، والكتاب: القرآن، قاله ابن عباس، وعطاء.

والثاني: عيسىٰ، والكتاب: الإنجيل، قاله الضحاك، ومقاتل.

والحكم: الفقه والعلم، قاله قتادة في آخرين.

ومعنىٰ الآية لا يجتمع لرجل نبوَّة، والقول للناس: كونوا عباداً لي من دون الله، لأن الله لا يصطفي الكذبة.

قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِن كُونُواْ﴾ أي: ولكن يقول لهم: كونوا، فحذف القول لدلالة الكلام عليه.

فأما الرّبّانيّون، فروي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال: هم الذين يغذّون الناس

بالحكمة، ويربونهم عليها.

٥٣٧ - وقال **ابن عباس، وابن جبير:** هم الفقهاء المعلِّمون.

٥٣٨ - وقال **قتادة، وعطاء**: هم الفقهاء العلماء الحكماء.

واحدهم رباني، وهم العلماء المعلمون.

٥٣٩ - وقال **أبو عبيد:** أحسب الكلمة ليست بعربية، إنما هي عبرانية، أو سريانيّة، وذلك أن عبيدة زعم أن العرب لا تعرف الربانيين.

٥٤٠ - وقال **أبو عبيد:** وإنما عرفها الفقهاء، وأهل العلم، قال: وسمعت رجلاً عالمـًا بالكتب يقول: هم العلماء بالحلال والحرام، والأمر والنهي.

٥٤١ - وحكى **ابن الأنباري عن بعض اللغويين:** الرباني: منسوب إلىٰ الرب، لأن العلم: مما يطاع الله به، فدخلت الألف والنون في النسبة للمبالغة، كما قالوا: رجل لحياني: إذا بالغوا في وصفه بكبر اللحية.

قوله تعالى: ﴿بِمَا كُنتُمۡ تُعَلِّمُونَ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ والدراسة: القراءة.

ومعنى الكلام: ليكن هديكم في التعليم هدي العلماء والحكماء، لأن العالم إنما يستحق هذا الاسم إذا عمل بعلمه.

قال ﷻ: ﴿وَلَا يَأۡمُرَكُمۡ أَن تَتَّخِذُواْ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرۡبَابًاۗ أَيَأۡمُرُكُم بِٱلۡكُفۡرِ بَعۡدَ إِذۡ أَنتُم مُّسۡلِمُونَ ٨٠﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَا يَأۡمُرَكُمۡ﴾

٥٤٢ - قال **ابن جريج**: ولا يأمركم محمّد.

قال ﷻ: ﴿وَإِذۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيۡتُكُم مِّن كِتَٰبٖ وَحِكۡمَةٖ ثُمَّ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مُّصَدِّقٞ لِّمَا مَعَكُمۡ لَتُؤۡمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥۚ قَالَ ءَأَقۡرَرۡتُمۡ وَأَخَذۡتُمۡ عَلَىٰ ذَٰلِكُمۡ إِصۡرِيۖ قَالُوٓاْ أَقۡرَرۡنَاۚ قَالَ فَٱشۡهَدُواْ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ٨١﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِذۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾

٥٤٣ - **قال ابن عباس:** الميثاق: العهد.

وفي الذي أخذ ميثاقهم عليه قولان:

أحدهما: أنه تصديق محمّد ﷺ، روي عن علي، وابن عباس، وقتادة، والسدي.

والثاني: أنه أخذ ميثاق الأول من الأنبياء ليؤمننَّ بما جاء به الآخر منهم، قاله طاوس.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ﴾

٥٤٤ - **قال عليّ** رضي الله عنه: ما بعث الله نبيـاً إلا أخذ عليه العهد، إن بعث محمد وهو حي ليؤمنن به ولينصرنه. وقال غيره: أخذ ميثاق الأنبياء أن يصدق بعضُهم بعضـاً.

والإصر هاهنا: العهد في قول الجماعة.

قوله تعالى: ﴿قَالَ فَٱشۡهَدُواْ﴾ **وفيمن خوطب بهذا قولان:**

أحدهما: أنه خطاب للنّبيين ثم فيه قولان:

أحدهما: أن معناه: فاشهدوا علىٰ أممكم، قاله علي بن أبي طالب.

والثاني: فاشهدوا علىٰ أنفسكم، قاله مقاتل.

والثاني: أنه خطاب للملائكة، قاله سعيد بن المسيب، فعلىٰ هذا يكون كناية عن

غير مذكور.

٥٤٥ - عن عَلِيٍّ فِي قَوْلِهِ: ﴿قَالَ فَٱشۡهَدُواْ﴾ يَقُولُ: فَاشْهَدُوا عَلَىٰ أُمَمِكُمْ بِذَلِكَ وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ عَلَيْكُمْ وَعَلَيْهِمْ فَمَنْ تَوَلَّىٰ عَنْكَ يَا مُحَمَّدُ بَعْدَ هَذَا الْعَهْدِ مِنْ جَمِيعِ الْأُمَمِ فَأُولئِكَ هُمُ الْفاسِقُونَ هم العاصون في الكفر.

قال ﷻ: ﴿فَمَن تَوَلَّىٰ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ٨٢ أَفَغَيۡرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبۡغُونَ وَلَهُۥٓ أَسۡلَمَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ طَوۡعٗا وَكَرۡهٗا وَإِلَيۡهِ يُرۡجَعُونَ ٨٣﴾

قوله تعالى: ﴿أَفَغَيۡرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبۡغُونَ﴾

٥٤٦ - **قال ابن عباس:** اختصم أهل الكتابين، فزعمت كلُّ فرقة أنها أولىٰ بدين إبراهيم، فقال النبيّ ﷺ: «كلا الفريقين بريء من دين إبراهيم». فغضبوا، وقالوا: والله لا نرضىٰ بقضائك، ولا نأخذ بدينك، فنزلت هذه الآية.

والمراد بدين الله، دين محمّد ﷺ. وَلَهُ أَسْلَمَ انقاد، وخضع طَوْعـًا وَكَرْهـًا الطوع: الانقياد بسهولة، والكره: الانقياد بمشقة.

وفي معنى الطوع والكره ستة أقوال:

أحدها: أن إسلام الكل كان يوم الميثاق طوعـًا وكرهـًا، رواه مجاهد عن ابن عباس، والأعمش عن مجاهد، وبه قال السدي.

والثاني: أن المؤمن يسجد طائعـًا، والكافر يسجد ظلُّه وهو كاره، روي عن ابن عباس، ورواه ابن أبي نجيح، وليث عن مجاهد.

والثالث: أن الكل أقروا له بأنه الخالق، وإن أشرك بعضهم، فإقراره بذلك حجة عليه في إشراكه، هذا قول أبي العالية، ورواه منصور عن مجاهد.

والرابع: أن المؤمن أسلم طائعـًا، والكافر أسلم مخافة السيف، هذا قول الحسن.

والخامس: أن المؤمن أسلم طائعـًا، والكافر أسلم حين رأىٰ بأس الله، فلم ينفعه في ذلك الوقت، وهذا قول قتادة.

والسادس: أن إسلام الكل خضوعهم لنفاذ أمره في جبلّتهم، لا يقدر أحدهم أن يمتنع من جبّلةٍ جبله عليها، ولا علىٰ تغييرها، وهو معنىٰ قول الشّعبيّ: انقاد كلّهم له.

قال ﷻ: ﴿قُلْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿٨٤﴾ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾ كَيْفَ يَهْدِى ٱللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ وَشَهِدُوٓا۟ أَنَّ ٱلرَّسُولَ حَقٌّ وَجَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿٨٧﴾﴾

قوله تعالى ﴿كَيْفَ يَهْدِى ٱللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ﴾ **في سبب نزولها ثلاثة أقوال:**

أحدها: أن رجلاً من الأنصار ارتدَّ، فلحق بالمشركين، فنزلت هذه الآية، إلىٰ قوله ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟﴾ [سورة البقرة:١٦٠] فكتب بها قومه إليه، فرجع تائبا فقبل النبي ﷺ ذلك منه وخلّىٰ عنه. رواه عكرمة عن ابن عباس. وذكر مجاهد والسدي أن اسم ذلك الرجل:

الحارث بن سويد.

والثاني: أنها نزلت في عشرة رهط ارتدوا، فيهم الحارث بن سويد، فندم، فرجع. رواه أبو صالح عن ابن عباس، وبه قال مقاتل.

والثالث: أنها في أهل الكتاب، عرفوا النبيّ ﷺ، ثم كفروا به. رواه عطية عن ابن عباس. وقال الحسن: هم اليهود والنصارىٰ.

وقيل: إن «كيف» هاهنا لفظها لفظ الاستفهام، ومعناها الجحد، أي: لا يهدي الله هؤلاء.

قال ﷻ: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٨٩﴾﴾

قوله تعالى ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾ أي في عذاب الله، ﴿وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٨٨﴾﴾ أي: يؤخرون عن الوقت.

قال ومعنىٰ: ﴿وَأَصْلَحُواْ﴾ أي: أظهروا أنهم كانوا علىٰ ضلال، وأصحلوا ما كانوا أفسدوه، وغروا به من تبعهم ممن لا علم له.

وهذه الآية استثنت من تاب ممن لم يتب، وقد زعم قوم أنها نسخت ما تضمنه الآيات قبلها من الوعد والوعيد، والاستثناء ليس بنسخ.

قال ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعۡدَ إِيمَٰنِهِمۡ ثُمَّ ٱزۡدَادُواْ كُفۡرٗا لَّن تُقۡبَلَ تَوۡبَتُهُمۡ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلضَّآلُّونَ ٩٠﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعۡدَ إِيمَٰنِهِمۡ﴾ اختلفوا فيمن نزلت على ثلاثة أقوال:

أحدها: أنها نزلت فيمن لم يتب من أصحاب الحارث بن سويد، فإنهم قالوا: نقيم بمكة ونتربص بمحمد ريب المنون، قاله ابن عباس، ومقاتل.

والثاني: أنها نزلت في اليهود كفروا بعيسىٰ والإنجيل، ثم ازدادوا كفراً بمحمد والقرآن، قاله الحسن، وقتادة، وعطاء الخراساني.

والثالث: أنها نزلت في اليهود والنصارىٰ، كفروا بمحمد بعد إيمانهم بصفته، ثم ازدادوا كفراً بإقامتهم علىٰ كفرهم، قاله أبو العالية.

٥٤٧ - قال **الحسن**: كلما نزلت آية كفروا بها، فازدادوا كفراً.

وفي علة امتناع قبول توبتهم أربعة أقوال:

أحدها: أنهم ارتدوا، وعزموا علىٰ إظهار التوبة لستر أحوالهم، والكفر في ضمائرهم، قاله ابن عباس.

والثاني: أنهم قوم تابوا من الذنوب في الشرك، ولم يتوبوا من الشرك، قاله أبو العالية.

والثالث: أن معناه: لن تُقبل توبتهم حين يحضرهم الموت، وهو قول الحسن، وقتادة، وعطاء الخراساني، والسدي.

والرابع: لن تقبل توبتهم بعد الموت إذا ماتوا على الكفر، وهو قول مجاهد.

قال ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمۡ كُفَّارٞ فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡ أَحَدِهِم مِّلۡءُ ٱلۡأَرۡضِ ذَهَبٗا وَلَوِ ٱفۡتَدَىٰ بِهِۦٓۗ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٩١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمۡ كُفَّارٞ﴾

٥٤٨ - روى أبو صالح عن ابن عباس أن النبيّ ﷺ لما فتح مكة، دخل من كان من أصحاب الحارث بن سويد حياً في الإسلام، فنزلت هذه الآية فيمن مات منهم كافراً.

٥٤٩ - قال **سيبويه، والخليل**: والملء بفتح الميم: الفعل.

٥٥٠ - وقال **ابن فارس**: ربما أُنث الذهب، فقيل: ذهبة، ويجمع على الأذهاب.

قوله تعالى: ﴿وَلَوِ ٱفۡتَدَىٰ بِهِۦٓۗ﴾، فلن يقبل من أحدهم ملء الأرض ذهباً تبرعاً ولو افتدى به.

قال ﷻ: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلۡبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيۡءٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٞ ﴿٩٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلۡبِرَّ﴾ **في البر أربعة أقوال:**

أحدها: أنه الجنة، قاله ابن عباس، ومجاهد، والسدي في آخرين.

والثاني: التقوى، قاله عطاء، ومقاتل.

والثالث: الطاعة، قاله عطية.

والرابع: الخير الذي يُستحق به الأجر، قاله أبو روق.

قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَۚ﴾ **فيه قولان**:

أحدهما: أنه نفقة العبد من ماله وهو صحيح شحيح، رواه ابن عمر عن النّبيّ ﷺ.

والثاني: أنه الإنفاق من محبوب المال، قاله قتادة، والضحاك.

وفي المراد بهذه النفقة ثلاثة أقوال:

أحدها: أنها الصدقة المفروضة، قاله ابن عباس، والحسن، والضحاك.

والثاني: أنها سائر الصدقات، قاله ابن عمر.

والثالث: أنها سائر النفقات التي يُبتغىٰ بها وجه الله تعالىٰ، سواء كانت صدقة، أو لم تكن، نُقل عن الحسن.

٥٥١ - وروى البخاري ومسلم في «الصحيحين» من حديث أنس بن مالك قال: كان أبو طلحة أكثر أنصاري بالمدينة مالاً من نخل، وكان أحب أمواله إليه بيرحاء، وكانت مستقبلة المسجد، وكان النبيّ ﷺ يدخلها ويشرب من ماءٍ فيها طيبٍ، قال أنس: فلما نزلت: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلۡبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَۚ﴾ قام أبو طلحة، فقال: يا رسول الله، إن الله يقول: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلۡبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَۚ﴾، وإن أحب أموالي إليّ بيرحاء، وإنها صدقة لله، أرجو برّها وذخرها عند الله تعالىٰ، فضعها حيث أراك الله، فقال ﷺ: «بخ بخ، ذاك مال رابح أو رائح - شك الراوي - وقد سمعتُ ما قلت، وإني أرىٰ أن تجعلها في الأقربين» فقسمها أبو طلحة في أقاربه، وبني عمِّه.

٥٥٢ - وروي عن عبد الله بن عمر أنه قرأ هذه الآية فقال: لا أجد شيئًا أحب إليَّ

من جاريتي رميثة، فهي حرة لوجه الله، ثم قال: لولا أني أعود في شيء جعلته لله لنكحتها، فأنكحها نافعًا، فهي أم ولده.

٥٥٣ - **وسئل أبو ذر**: أي الأعمال أفضل؟ فقال: الصلاة عماد الإسلام، والجهاد سنام العمل، والصّدقة شيء عجب. فقال السائل: يا أبا ذرٍ لقد تركت شيئًا هو أوثق عمل في نفسي ما ذكرته. قال: ما هو؟ قال: الصيام. فقال: قربة وليس هناك، وتلا قوله تعالىٰ: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلۡبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَۚ﴾.

قال ﷻ: ﴿۞ كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلّٗا لِّبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسۡرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦ مِن قَبۡلِ أَن تُنَزَّلَ ٱلتَّوۡرَىٰةُۚ قُلۡ فَأۡتُواْ بِٱلتَّوۡرَىٰةِ فَٱتۡلُوهَآ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ٩٣﴾

قوله تعالى: ﴿كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلّٗا لِّبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾

سبب نزولها:

أن النبيّ ﷺ قال: «أنا علىٰ ملة إِبراهيم» فقالت اليهود: كيف وأنت تأكل لحوم الإِبل، وتشرب ألبانها؟

فقال: «كان ذلك حلالا لإبراهيم». فقالوا: كل شيء نحرِّمه نحن، فإنه كان محرّمًا علىٰ نوح وإبراهيم حتىٰ انتهىٰ إلينا. فنزلت هذه الآية تكذيبًا لهم. قاله أبو روق، وابن السائب.

و«الطعام»: اسم للمأكول. والحلّ: الحلال.

وفي الذي حرَّمه على نفسه، ثلاثة أقوال:

أحدها: لحوم الإبل وألبانها. روي عن النبي ﷺ، ورواه أبو صالح عن ابن

عباس، وهو معنىٰ قول الحسن، وعطاء بن أبي رباح، وأبي العالية في آخرين.

والثاني: أنه العروق، رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس، وهو قول مجاهد، وقتادة، والضحاك، والسدي في آخرين.

والثالث: أنه زيادتا الكبد، والكليتان، والشحم إلا ما علىٰ الظهر، قاله عكرمة.

وفي سبب تحريمه لذلك أربعة أقوال:

أحدها: أنه طال به مرضٌ شديد، فنذر: لئن شفاه الله، ليحرِّمنَّ أحبَّ الطعام والشراب إليه، روي عن النبيّ ﷺ.

والثاني: أنه اشتكىٰ عرق النسا فحرّم العروق، قاله ابن عباس في آخرين.

والثالث: أن الأطباء وصفوا له حين أصابه «النسا» اجتناب ما حرمه، فحرمه، رواه الضحاك عن ابن عباس.

والرابع: أنه كان إذا أكل ذلك الطعام، أصابه عرق النّسا فيبيت وقيدا، فحرمه.

واختلفوا: **بماذا ثبت تحريم الطعام الذي حرمه على اليهود، على ثلاثة أقوال:**

أحدها: أنه حرم عليهم بتحريمه، ولم يكن محرمـًا في التوراة، قاله عطية.

٥٥٤ - **وقال** ابن عباس: قال يعقوب: لئن عافاني الله لا يأكله لي ولد.

والثاني: أنهم وافقوا أباهم يعقوب في تحريمه، لا أنه حرِّم عليهم بالشرع، ثم أضافوا تحريمه إلىٰ الله، فأكذبهم الله بقوله: ﴿قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا﴾، هذا قول الضحاك.

والثالث: أن الله حرمه عليهم بعد التوراة لا فيها. وكانوا إذا أصابوا ذنبـًا عظيمـًا، حرم عليهم به طعام طيب، أو صب عليهم عذاب، هذا قول ابن السائب.

٥٥٥ - قال ابن عباس: ﴿فَأْتُوا۟ بِٱلتَّوْرَىٰةِ فَٱتْلُوهَآ﴾ هل تجدون فيها تحريم لحوم الإبل وألبانها.

٥٥٦ - وأخرج ابْنُ جَرِيرٍ، وَابْنُ الْمُنْذِرِ، وَابْنُ أَبِي حَاتِمٍ عَنْهُ قَالَ: قَالَتِ الْيَهُودُ لِلنَّبِيِّ ﷺ نَزَلَتِ التَّوْرَاةُ بِتَحْرِيمِ الَّذِي حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ، فقال الله لمحمد ﷺ ﴿قُلْ فَأْتُوا۟ بِٱلتَّوْرَىٰةِ فَٱتْلُوهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٩٣﴾﴾ وكذبوا ليس في التوراة.

قال ﷻ: ﴿فَمَنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٩٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿فَمَنِ ٱفْتَرَىٰ﴾، يقول: اختلق ﴿عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ﴾، أي: من كان بعد البيان في كتابهم، وقيل: من بعد مجيئكم بالتّوراة وتلاوتكم إياها.

قال ﷻ: ﴿قُلْ صَدَقَ ٱللَّهُ ۗ فَٱتَّبِعُوا۟ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٩٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿قُلْ صَدَقَ ٱللَّهُ ۗ﴾ الصدق: الإخبار بالشيء على ما هو به.

واختلفوا أي خبر عنى بهذه الآية؟ على قولين:

أحدهما: أنه عنى قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا﴾ [سورة آل عمران:٦٧]، قاله مقاتل.

والثاني: أنه عنى قوله تعالى: ﴿كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ [سورة آل عمران:٩٣].

قال ﷻ: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ ۝٩٦﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ﴾

٥٥٧ - قال **مجاهد:** افتخر المسلمون واليهود، فقالت اليهود: بيت المقدس أفضل من الكعبة. وقال المسلمون: الكعبة أفضل. فنزلت هذه الآية.

وفي معنى كونه أوّلا قولان:

أحدهما: أنه أول بيت كان في الأرض، واختلف أرباب هذا القول، كيف كان أوّل بيت على ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه ظهر علىٰ وجه الماء حين خلق الله الأرض، فخلقه قبلها بألفي عام، ودحاها من تحته.

٥٥٨ - وروى **سعيد المقبري عن أبي هريرة قال:** كانت الكعبة حشفة علىٰ وجه الماء، عليها ملكان يسبحان الليل والنهار قبل الأرض بألفي سنة.

٥٥٩ - وقال **ابن عباس:** وضع البيت في الماء علىٰ أربعة أركان قبل أن تخلق الدنيا بألفي سنة، ثم دُحيت الأرض من تحت البيت.

وبهذا القول يقول ابن عمر، وابن عمرو، وقتادة، ومجاهد، والسدي في آخرين.

والثاني: أن آدم استوحش حين أُهبط، فأوحىٰ الله إليه، أن: ابن لي بيتاً في الأرض، فاصنع حوله نحو ما رأيت الملائكة تصنع حول عرشي، فبناه، رواه أبو صالح، عن ابن عباس.

والثالث: أنه أُهبط مع آدم، فلما كان الطوفان، رُفع فصار معموراً في السماء، وبنىٰ إبراهيم علىٰ أثره، رواه شيبان عن قتادة.

القول الثاني: أنه أول بيت وضعه الله للعباد، وقد كانت قبله بيوت، هذا قول عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه، والحسن، وعطاء بن السائب في آخرين.

فأما بكة: يصلح هذا الاسم أن يكون مشتقًا من البَكِّ. يقال: بكَّ الناس بعضهم بعضًا، أي: دفع.

واختلفوا في تسميتها بكة على ثلاثة أقوال:

أحدها: لازدحام الناس بها، قاله ابن عباس، وسعيد بن جبير، وعكرمة، وقتادة، ومقاتل.

والثاني: لأنها تبكّ أعناق الجبابرة، أي: تدُقّها، فلم يقصدها جبارٌ إلا قصمه الله، روي عن عبد الله بن الزبير.

والثالث: لأنها تضع من نخوة المتجبرين، يقال: بككت الرجل، أي: وضعت منه، ورددت نخوته، قاله أبو عبد الرحمن اليزيدي، واتفقوا علىٰ أن مكة اسمٌ لجميع البلدة.

واختلفوا في بكة على أربعة أقوال:

أحدها: أنه اسمٌ للبقعة التي فيها الكعبة، قاله ابن عباس، ومجاهد، وأبو مالك، وإبراهيم، وعطيَّة.

والثاني: أنها ما حول البيت، ومكة ما وراء ذلك، قاله عكرمة.

والثالث: أنها المسجد، والبيت. ومكة: اسمٌ للحرم كله، قاله الزهري، وضمرة بن حبيب.

والرابع: أن بكة هي مكة، قاله الضحاك.

قوله تعالى: ﴿مُبَارَكًا﴾، فأما بركته، ففيه تغفر الذنوب، وتضاعف الحسنات،

ويأمَن مَن دخله.

٥٦٠ - وروى **ابن عمر عن النبيّ ﷺ أنه قال:** «من طاف بالبيت، ولم يرفع قدما، ولم يضع أُخرىٰ، إلا كتب الله له بها حسنة، وحطّ عنه بها خطيئة، ورفع له بها درجة».

قوله تعالى: ﴿وَهُدًى لِّلۡعَٰلَمِينَ ۝٩٦﴾ **في معنى الهدى هاهنا أربعة أقوال:**

أحدها: أنه بمعنىٰ القبلة، فتقديره: وقبلة للعالمين.

والثاني: أنه بمعنىٰ: الرحمة.

والثالث: أنه بمعنىٰ: الصلاح، لأن من قصده، صلحت حاله عند ربه.

والرابع: أنه بمعنىٰ: البيان.

قال ﷻ: ﴿فِيهِ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٞ مَّقَامُ إِبۡرَٰهِيمَۖ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنٗاۗ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلۡبَيۡتِ مَنِ ٱسۡتَطَاعَ إِلَيۡهِ سَبِيلٗاۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٩٧﴾

قوله تعالى: ﴿فِيهِ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٞ﴾

٥٦١ - روى **عطاء عن ابن عباس أنه قرأ:** (فيه آية بينة مقام إبراهيم).

فأما مَن قرأ: آياتٌ فقال عليّ بن أبي طالب ؓ: الآيات: مقام إبراهيم، وأمنُ مَنْ دخله.

٥٦٢ - وقال **أبو رجاء:** كان الحسن يعدّهن، وأنا أنظر إلىٰ أصابعه: مقام إبراهيم، ومَن دخله كان آمنـًا، ولله علىٰ الناس حج البيت.

٥٦٣ - قال **المفسرون:** الآيات فيه كثيرة، منها مقام إبراهيم، ومنها: أمن من

دخله، ومنها: امتناع الطير من العلو عليه، واستشفاء المريض منها به، وتعجيل العقوبة لمن انتهك حرمته، وإهلاك أصحاب الفيل لما قصدوا إخرابه، إلىٰ غير ذلك.

قوله تعالى: ﴿وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًاۗ﴾، وقد اختلف الفقهاء في ذلك،

٥٦٤ - قال **أحمد في رواية المروذي:** إذا قتل، أو قطع يداً، أو أتىٰ حداً في غير الحرم، ثم دخله، لم يقم عليه الحدُّ، ولم يقتصَّ منه، ولكن لا يبايع، ولا يشارىٰ، ولا يؤاكل حتىٰ يخرج، فإن فعل شيئًا من ذلك في الحرم، استوفي منه.

٥٦٥ - وقال **أحمد في رواية حنبل:** إذا قتل خارج الحرم، ثم دخله، لم يقتل. وإن كانت الجناية دون النفس، فإنه يقام عليه الحد.

٥٦٦ - وقال **مالك والشافعي:** يقام عليه جميع ذلك في النفس، وفيما دون النفس.

وفي قوله تعالىٰ: ﴿وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًاۗ﴾ دليل علىٰ أنه لا يقام عليه شيء من ذلك، وهو مذهب ابن عمر، وابن عباس، وعطاء، والشّعبيّ، وسعيد بن جبير، وطاوس.

٥٦٧ - عن **ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ:** ﴿وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًاۗ﴾ قَالَ: مَنْ عَاذَ بِالْبَيْتِ أَعَاذَهُ الْبَيْتُ، وَلَكِنْ لَا يُؤْوَىٰ، وَلَا يُطْعَمُ، وَلَا يُسْقَىٰ، فَإِذَا خَرَجَ أُخِذَ بِذَنْبِهِ.

٥٦٨ - وعن **ابْنِ عُمَرَ قَالَ:** لَوْ وَجَدْتُ قَاتِلَ أَبِي فِي الْحَرَمِ مَا هِجْتُهُ.

قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ﴾

قال **مجاهد:** لما أنزل قوله تعالىٰ: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾

[سورة آل عمران:٨٥] قال أهل الملل كلهم: نحن مسلمون، فنزلت هذه الآية، فحجه المسلمون، وتركه المشركون، وقالت اليهود: لا نحجه أبداً.

قوله تعالى: ﴿مَنِ ٱسۡتَطَاعَ إِلَيۡهِ سَبِيلٗاۚ﴾ [سورة آل عمران:٩٧]

٥٦٩ - قد روي عن ابن مسعود، وابن عمر، وأنس، وعائشة عن النّبيّ ﷺ أنه سُئِل: ما السبيل؟ فقال: «من وجد الزّاد والرّاحلة».

قوله تعالى: ﴿وَمَن كَفَرَ﴾**، فيه خمسة أقوال:**

أحدها: أن معناه: من كفر بالحج فاعتقده غير واجب، رواه مقسم عن ابن عباس، وابن جريج عن مجاهد، وبه قال الحسن، وعطاء، وعكرمة، والضحاك، ومقاتل.

والثاني: من لم يرج ثواب حجه، ولم يخف عقاب تركه، فقد كفر به، رواه علي بن أبي طلحة عن ابن عباس، وابن أبي نجيح عن مجاهد.

والثالث: أنه الكفر بالله، لا بالحج، وهذا المعنىٰ مروي عن عكرمة، ومجاهد.

والرابع: أنه إذا أمكنه الحج، فلم يحج حتىٰ مات، وسم بين عينيه: كافر، هذا قول ابن عمر.

والخامس: أنه أراد الكفر بالآيات التي أُنزلت في ذكر البيت، لأن قوماً من المشركين قالوا: نحن نكفر بهذه الآيات، هذا قول ابن زيد.

قال ﷻ: ﴿قُلۡ يَـٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَـٰبِ لِمَ تَكۡفُرُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعۡمَلُونَ ۝٩٨ قُلۡ يَـٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَـٰبِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنۡ ءَامَنَ تَبۡغُونَهَا عِوَجٗا وَأَنتُمۡ شُهَدَآءُۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ۝٩٩﴾

قوله تعالى: ﴿قُلۡ يَـٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَـٰبِ﴾

٥٧٠ - قال **الحسن:** هم اليهود والنصارىٰ.

فأما آيات الله

٥٧١ - فقال **ابن عباس:** هي القرآن ومحمّد ﷺ. وأما الشهيد: هو بمعنىٰ الشاهد.

قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَـٰبِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنۡ ءَامَنَ﴾

٥٧٢ - قال **مقاتل:** دعت اليهود حذيفة، وعمار بن ياسر، إلىٰ دينهم، فنزلت هذه الآية.

٥٧٣ - عن قَتَادَةَ قَال: لِمَ تَصُدُّونَ عَنِ الْإِسْلَامِ وَعَنْ نَبِيِّ اللهِ مَنْ آمَنَ بِاللهِ ﴿وَأَنتُمۡ شُهَدَآءُۗ﴾ فيما تقرؤون مِنْ كِتَابِ اللهِ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَأَنَّ الْإِسْلَامَ دِينُ اللهِ الَّذِي لَا يَقْبَلُ غَيْرَهُ وَلَا يَجْزِي إِلَّا بِهِ يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ.

وفي المراد بأهل الكتاب هاهنا قولان:

أحدهما: أنهم اليهودُ والنصارىٰ، قاله الحسن.

والثاني: اليهود. قاله زيد بن أسلم، ومقاتل.

٥٧٤ - قال **ابن عباس:** ﴿لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: الإسلام، والحج.

٥٧٥ - وقال **قتادة:** لمَ تصدون عن نبي الله، وعن الإسلام.

٥٧٦ - قال **السديُّ:** كانوا إذا سئلوا: هل تجدون محمداً في كتبكم؟ قالوا: لا. فصدوا عنه الناس.

قوله تعالى: ﴿تَبۡغُونَهَا﴾، الهاء كناية عن السبيل، والسبيل يذكَّر ويؤَنَّث.

ومعنى «تبغونها»: تبغون لها.

ومعنى الآية: يلتمسون لسبيل الله الزيغ والتحريف، وتريدون ردَّ الإيمان والاستقامة إلىٰ الكفر والاعوجاج، وتطلبون العدول عن القصد.

٥٧٧ - قال **ابن جريج:** خرج هذا الكلام علىٰ السبيل، والمعنىٰ: لأهله، كأن المعنىٰ: تبغون لأهل دين الله، ولمن آمن هو علىٰ سبيل الحقِ عوجاً. أي: ضلالاً.

٥٧٨ - قال **أبو عبيد:** العوج بكسر العين، في الدين، والكلام، والعمل، والعَوج بفتحها، في الحائطِ والجذعِ.

قوله تعالى ﴿وَأَنتُمۡ شُهَدَآءُۗ﴾: أن معناه، وأنتم شاهدون بصحة ما صددتم عنه، وبُطلان ما أنتم عليه، وهذا المعنىٰ مروي عن ابن عباس، وقتادة، والأكثرين.

قال ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقٗا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡ كَٰفِرِينَ ١٠٠﴾

سبب نزولها:

أن الأوس والخزرج كان بينهما حرب في الجاهلية، فلمّا جاء النّبيّ ﷺ أطفأ تلك الحرب بالإسلام، فبينما رجلان أوسي وخزرجي يتحدثان، ومعهما يهودي، جعل اليهودي يذكِّرِهُما أيامهما، والعداوة التي كانت بينهما حتىٰ اقتتلا، فنادىٰ كل

واحد منهما قومه، فخرجوا بالسلاح، فجاء النبيّ ﷺ، فأصلح بينهم، فنزلت هذه الآية، قاله مجاهد، وعكرمة، والجماعة.

٥٧٩ - قال **المفسرون:** والخطاب بهذه الآية للأوس والخزرج.

٥٨٠ - قال **زيد بن أسلم:** وعنىٰ بذلك الفريق: شاس بن قيس اليهودي وأصحابه.

قال ﷻ: ﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُۥ ۗ وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ﴾ أي: يمتنع، وأصل العصمة: المنع.

٥٨١ - عن **ابْنِ جُرَيْجٍ فِي قَوْلِهِ:** ﴿وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ﴾ قَالَ: يُؤْمِنْ بِهِ.

٥٨٢ - وعن **أَبِي الْعَالِيَةِ قَالَ:** الِاعْتِصَامُ: الثِّقَةُ بِاللهِ.

قال ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾

٥٨٣ - قال **عكرمةُ:** نزلت في الأوس والخزرج حين اقتتلوا، وأصلح النبيّ ﷺ بينهم.

وفي ﴿حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾ **ثلاثة أقوال:**

أحدها: أن يطاع فلا يُعصىٰ، وأن يُذكر فلا يُنسىٰ، وأن يشكر فلا يكفر، رواه ابن مسعود عن النبيّ ﷺ. وهو قول ابن مسعود، والحسن، وعكرمة، وقتادة، ومقاتل.

والثاني: أن يجاهد في الله حق الجهاد، وأن لا يأخذ العبد فيه لومة لائم، وأن يقوموا له بالقسط، ولو علىٰ أنفسهم، وآبائهم، وأبنائهم، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس.

والثالث: أن معناه: اتقوه فيما يحق عليكم أن تتقوه فيه.

فصل: **واختلف العلماء: هل هذا الكلام محكم أو منسوخ؟ على قولين:**

أحدهما: أنه منسوخ، وهو قول ابن عباس، وسعيد بن جبير، وقتادة، وابن زيد، والسدي، ومقاتل. قالوا: لما نزلت هذه الآية، شقت علىٰ المسلمين، فنسخها قوله تعالىٰ: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾ [سورة التغابن:١٦].

والثاني: أنها محكمة، رواه علي بن أبي طلحة عن ابن عباس، وهو قول طاوس.

قال ﷻ: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ۝١٠٣﴾

قوله تعالى: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا﴾، اعتصموا: استمسكوا.

فأما الحبل، ففيه ستة أقوال:

أحدها: أنه كتاب الله: القرآن. رواه سفيان عن ابن مسعود، وبه قال قتادة، والضحاك، والسدي.

والثاني: أنه الجماعة، رواه الشعبي عن ابن مسعود.

والثالث: أنه دين الله، قاله ابن عباس، وابن زيد، ومقاتل.

٥٨٤ - **وقال ابن زيد:** هو الإسلام.

والرابع: عهد الله، قاله مجاهد، وعطاء، وقتادة في رواية، وأبو عبيدة.

والخامس: أنه الإخلاص، قاله أبو العالية.

والسادس: أنه أمر الله وطاعته، قاله مقاتل بن حيان.

وقوله: ﴿جَمِيعًا﴾ أي: كونوا مجتمعين علىٰ الاعتصام به.

وأصل ﴿تَفَرَّقُواْ﴾ تتفرَّقوا.

قوله تعالى: ﴿وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ اختلفوا فيمن أُريد بهذا الكلام على قولين:

أحدهما: أنهم مشركو العرب، كان القوي يستبيح الضعيف، قاله الحسن، وقتادة.

والثاني: الأوس والخزرج، كان بينهم حرب شديد، قاله ابن إسحاق.

والأعداء: جمع عدو.

٥٨٥ - **قال ابن فارس:** وهو من عَدَا: إِذا ظَلَم.

قوله تعالى: ﴿فَأَصْبَحْتُم﴾ أي: صرتم.

والشَّفا: الحرف.

واعلم أن هذا مثل ضربه الله لإشرافهم علىٰ الهلاك، وقربهم من العذاب، كأنه قال: كنتم علىٰ حرف حفرةٍ من النَّار، ليس بينكم وبين الوقوع فيها إلا الموت علىٰ الكفر.

٥٨٦ - **قال السّدّيّ:** فأنقذكم منها محمّد ﷺ.

٥٨٧ - وعن السُّدِّيِّ أيضا فِي قَوْلِهِ: ﴿وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ﴾ يَقُولُ: كُنْتُمْ عَلَىٰ طَرَفِ النَّارِ، مَنْ مَاتَ مِنْكُمْ وَقَعَ فِي النَّارِ، فَبَعَثَ اللهُ محمدا ﷺ واستنقذكم به من تلك الحفرة.

قال ﷻ: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ﴾، معنىٰ الكلام: ولتكونوا كلكم أمة تدعون إلىٰ الخير، وتأمرون بالمعروف، ولكن «من» هاهنا تدخل لتخصيص المخاطبين من سائر الأجناس.

ويدل علىٰ أن الكل أُمروا بالمعروف والنهي عن المنكر.

فأما الخير، ففيه قولان:

أحدهما: أنه الإسلام، قاله مقاتل.

والثاني: العمل بطاعة الله.

وأما المعروف فهو ما يعرف، وضده المنكر، وقيل: المعروف ها هنا: طاعة الله، والمنكر: معصيته.

قال ﷻ: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾﴾

قوله تعالى ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟﴾ **فيهم قولان:**

أحدهما: أنهم اليهود والنصارىٰ، قاله ابن عباس، والحسن في آخرين.

والثاني: أنهم الحروريّة، قاله أبو أمامة.

قال ﷻ: ﴿يَوۡمَ تَبۡيَضُّ وُجُوهٞ وَتَسۡوَدُّ وُجُوهٞۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسۡوَدَّتۡ وُجُوهُهُمۡ أَكَفَرۡتُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡ فَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡفُرُونَ ١٠٦﴾

٥٨٨ – **قال ابن عباس**: تبيض وجوه أهل السنَّة، وتسود وجوه أهل البدعة.

وفي الذين اسودت وجوههم، خمسة أقوال:

أحدها: أنهم كل من كفر بالله بعد إيمانه يوم الميثاق، قاله أُبيّ بن كعب.

والثاني: أنهم الحرورية، قاله أبو أُمامة، وأبو إسحاق الهمذاني.

والثالث: اليهود، قاله ابن عباس.

والرابع: أنهم المنافقون، قاله الحسن.

والخامس: أنهم أهل البدع، قاله قتادة.

قوله تعالى: ﴿أَكَفَرۡتُم﴾ معناه: فيقال لهم: أكفرتم.

والألف لفظها لفظ الاستفهام، ومعناها التقرير والتوبيخ. فإن قلنا: إنهم جميع الكفار، فإنهم آمنوا يوم الميثاق، ثم كفروا، وإن قلنا: إنهم الحرورية، وأهل البدع، فكفرهم بعد إيمانهم: مفارقة الجماعة في الاعتقاد، وإن قلنا: اليهود، فإنهم آمنوا بالنبي قبل مبعثه، ثم كفروا بعد ظهوره، وإن قلنا: المنافقون، فإنهم قالوا بألسنتهم، وأنكروا بقلوبهم.

وفي كتاب الخليل: كل ما نزل بإنسان من مكروه، فقد ذاقه.

قال ﷻ: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِى رَحْمَةِ ٱللَّهِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١٠٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ﴾

٥٨٩ - قال **ابن عباس:** هم المؤمنون. ورحمة الله: جنته.

قال ﷻ: ﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ قال بعضهم: معناه: لا يعاقبهم بلا جُرمٍ.

قال ﷻ: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿١٠٩﴾ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١١٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾

سبب نزولها:

أن مالك بن الضيف ووهب بن يهوذا اليهوديين، قالا لابن مسعود وسالم مولىٰ أبي حذيفة: ديننا خير مما تدعونا إليه، ونحن أفضل منكم، فنزلت هذه الآية، هذا قول عكرمة ومقاتل.

وفيمن أُريد بهذه الآية، أربعة أقوال:

أحدها: أنهم أهل بدر.

والثاني: أنهم المهاجرون.

والثالث: سائر الصحابة.

والرابع: سائر أمة محمد ﷺ، نقلت هذه الأقوال كلها عن ابن عباس.

٥٩٠ - وقد روىٰ بهز بن حكيم عن أبيه عن جدّه عن النبيّ ﷺ، أنه قال: «إِنكم توفون سبعين أمة أنتم خيرها، وأكرمها علىٰ الله ﷻ».

وفي قوله تعالى: ﴿كُنتُمْ﴾ قولان:

أحدهما: أنها على أصلها، والمراد بها الماضي، ثم فيه ثلاثة أقوال:

أحدها: أن معناه: كنتم في اللوح المحفوظ.

والثاني: أن معناه: خلقتم وجدتم. ذكرهما المفسرون.

والثالث: أن المعنىٰ: كنتم مذ كنتم، ذكره ابن الأنباري.

والثاني: أن معنى كنتم: أنتم، كقوله تعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٩٦﴾﴾ [سورة النساء:٩٦].

وفي قوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ قولان:

أحدهما: أن معناه: كنتم خير الناس للناس.

٥٩١ - قال أبو هريرة: يأتون بهم في السلاسل حتىٰ يدخلوهم في الإسلام.

والثاني: أن معناه: كنتم خير الأمم التي أُخرجت.

وفي قوله تعالى: ﴿تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ قولان:

أحدهما: أنه شرط في الخيريَّة، وهذا المعنىٰ مروي عن عمر بن الخطاب، ومجاهد.

والثاني: أنه ثناء من الله عليهم، قاله الربيع بن أنس.

٥٩٢ - قال **أبو العالية**: والمعروف: التوحيد. والمنكر: الشرك.

٥٩٣ - قال **ابن عباس**: وأهل الكتاب: النّصارىٰ واليهود.

قوله تعالى: ﴿مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ مَنْ أسلم، كعبد الله بن سلام وأصحابه. ﴿وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١١٠﴾﴾ يعني: الكافرين، وهم الذين لم يسلموا.

قال ﷻ: ﴿لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّآ أَذًى ۖ وَإِن يُقَٰتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ ٱلْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴿١١١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّآ أَذًى ۖ﴾

٥٩٤ - قال **مقاتل**: سبب نزولها أن رؤساء اليهود عمدوا إلىٰ عبد الله بن سلام وأصحابه فآذوهم لإسلامهم، فنزلت هذه الآية.

٥٩٥ - قال **ابن عباس**: والأذىٰ قولهم: «عزير ابن الله» و «المسيح ابن الله» و «ثالث ثلاثة».

٥٩٦ - وقال **الحسن**: هو الكذب علىٰ الله، ودعاؤهم المسلمين إلىٰ الضلالة.

ومقصود الآية إعلام المسلمين بأنه لن ينالهم منهم إلا الأذىٰ باللسان من دعائهم إياهم إلىٰ الضلال، واستماعهم الكفر، ثم وعدهم النَّصرَ عليهم في قوله: ﴿وَإِن

﴿يُقَٰتِلُوكُمۡ يُوَلُّوكُمُ ٱلۡأَدۡبَارَ﴾، وكذلك كان.

قال ﷻ: ﴿ضُرِبَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيۡنَ مَا ثُقِفُوٓاْ إِلَّا بِحَبۡلٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبۡلٖ مِّنَ ٱلنَّاسِ وَبَآءُو بِغَضَبٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَضُرِبَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَسۡكَنَةُۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَانُواْ يَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقۡتُلُونَ ٱلۡأَنۢبِيَآءَ بِغَيۡرِ حَقّٖۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ١١٢﴾

قوله تعالى: ﴿أَيۡنَ مَا ثُقِفُوٓاْ﴾ معناه: أُدركوا وَوُجِدوا، وذلك أنهم أين نزلوا احتاجوا إلىٰ عهد من أهل المكان، وأداء جزية.

٥٩٧ - قال **الحسن:** أدركتهم هذه الأمة، وإنّ المجوس لتجبيهم الجزية.

وأما الحبل:

٥٩٨ - فقال **ابن عباس، وعطاء، والضحاك، وقتادة، والسدي، وابن زيد:** الحبل: العهد.

٥٩٩ - قال **بعضهم:** ومعنىٰ الكلام: إلا بعهدٍ يأخذونه من المؤمنين بإذن الله.

وقد سبق في «البقرة» تفسير باقي الآية.

قال ﷻ: ﴿۞لَيۡسُواْ سَوَآءٗۗ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ أُمَّةٞ قَآئِمَةٞ يَتۡلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ وَهُمۡ يَسۡجُدُونَ ١١٣﴾

قوله تعالى: ﴿لَيۡسُواْ سَوَآءٗۗ﴾ في سبب نزولها قولان:

أحدهما: أن النبيّ ﷺ، احتبس عن صلاة العشاء ليلةً حتىٰ ذهب ثلث الليل، ثم

جاء فبشرهم، فقال: «إِنه لا يصلي هذه الصلاة أحدٌ من أهل الكتاب» ، فنزلت هذه الآية، قاله ابن مسعود.

٦٠٠ - أخرج أحمد في مسنده من طريق شَيْبَانُ، عَنْ عَاصِمٍ، عَنْ زِرٍّ، عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ، قَالَ: أَخَّرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ صَلَاةَ الْعِشَاءِ، ثُمَّ خَرَجَ إِلَىٰ الْمَسْجِدِ، فَإِذَا النَّاسُ يَنْتَظِرُونَ الصَّلَاةَ، قَالَ: " أَمَا إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِ هَذِهِ الْأَدْيَانِ أَحَدٌ يَذْكُرُ اللهَ هَذِهِ السَّاعَةَ غَيْرُكُمْ "، قَالَ: وَأَنْزَلَ هَؤُلَاءِ الْآيَاتِ: ﴿لَيْسُواْ سَوَآءٗۗ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ حَتَّىٰ بَلَغَ: ﴿وَمَا يَفۡعَلُواْ مِنۡ خَيۡرٖ فَلَن يُكۡفَرُوهُۗ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلۡمُتَّقِينَ ١١٥﴾ [سورة آل عمران:١١٥].

والثاني: أنه لما أسلم ابن سلاّم في جماعة من اليهود، قال أحبارهم: ما آمن بمحمد إلا أشرارنا، فنزلت هذه الآية، قاله ابن عباس، ومقاتل.

وفي معنى الآية قولان:

أحدهما: ليس أمة محمد واليهود سواء، هذا قول ابن مسعود، والسدي.

والثاني: ليس اليهود كلهم سواء، بل فيهم من هو قائم بأمر الله، هذا قول ابن عباس، وقتادة.

وفي معنى «قائمة» ثلاثة أقوال:

أحدها: أنها الثابتة علىٰ أمر الله، قاله ابن عباس، وقتادة.

والثاني: أنها العادلة، قاله الحسن، ومجاهد، وابن جريج.

والثالث: أنها المستقيمة، قاله أبو عبيدة.

﴿ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ﴾ ساعاته، وواحد الآناء: إنىٰ.

٦٠١ - قال **ابن فارس**: يقال: مضىٰ من الليل إنىٰ وإنيان، والجمع: الآناء.

واختلف المفسرون: هل هذه الآناء معينة من الليل أم لا؟ على قولين:

أحدهما: أنها معينة، ثم فيها ثلاثة أقوال:

أحدها: أنها صلاة العشاء، قاله ابن مسعود، ومجاهد.

والثاني: أنها ما بين المغرب والعشاء، رواه سفيان عن منصور.

والثالث: جوف الليل، قاله السدي.

والثاني: أنها ساعات الليل من غير تعيين، قاله قتادة في آخرين.

وفي قوله تعالى ﴿وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾﴾ **قولان:**

أحدهما: أنه كناية عن الصلاة، قاله مقاتل.

والثاني: أنه السجود المعروف.

قال ﷻ: ﴿يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَأُو۟لَٰٓئِكَ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١١٤﴾ وَمَا يَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ ﴿١١٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَا يَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ﴾، إخباراً عن الأمة القائمة.

٦٠٢ - قال **قتادة:** فلن تُكفروه: لن يضل عنكم.

قال ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن تُغۡنِيَ عَنۡهُمۡ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗاۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۚ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ١١٦ مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِي هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا كَمَثَلِ رِيحٖ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتۡ حَرۡثَ قَوۡمٖ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ فَأَهۡلَكَتۡهُۚ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِنۡ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ١١٧﴾

قوله تعالى ﴿مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِي هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾ **اختلفوا فيمن أنزلت على أربعة أقوال:**

أحدها: أنها في نفقات الكفّار، وصدقاتهم، قاله مجاهد.

والثاني: في نفقة سفلة اليهود علىٰ علمائهم، قاله مقاتل.

والثالث: في نفقة المشركين يوم بدر.

والرابع: في نفقة المنافقين إذا خرجوا مع المسلمين لحرب المشركين.

٦٠٣ - **وقال السدي**: إنما ضرب الإنفاق مثلاً لأعمالهم في شركهم.

وفي الصرّ ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه البرد، قاله الأكثرون.

والثاني: أنه النّار، قاله ابن عباس، قال ابن الأنباري: وإنما وصفت النار بأنها صرّ لتصويتها عند الالتهاب.

والثالث: أن الصرّ: التصويت، والحركة من الحصىٰ والحجارة، ومنه: صرير النعل، ذكره ابن الأنباري.

والحرث: الزرع.

وفي الذين ﴿ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ﴾ **قولان:**

أحدهما: ظلموها بالكفر، والمعاصي، ومنع حق الله تعالىٰ.

والثاني: بأن زرعوا في غير وقت الزّرع.

قوله تعالى: ﴿وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ﴾

٦٠٤ - قال **ابن عباس**: أي: ما نقصهم ذلك بغير جرم أصابوه، وإنما أُنزل بهم ذلك لظلمهم أنفسهم بمنع حق الله منه، وهذا مثل ضربه الله لإبطال أعمالهم في الآخرة.

وحُدّثنا عن ثعلب، قال: بدأ الله ﷻ هذه الآية بالريح، والمعنىٰ: علىٰ الحرث، كقوله تعالىٰ: ﴿كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ﴾ [سورة البقرة:١٧١] وإنما المعنىٰ علىٰ المنعوق به.

٦٠٥ - عن **السُّدِّيِّ فِي الْآيَةِ يقول: ﴿مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ﴾ أَيِ: الْمُشْرِكُونَ، وَلَا يُتَقَبَّلُ مِنْهُمْ، كَمَثَلِ هَذَا الزَّرْعِ إِذَا زَرَعَهُ الْقَوْمُ الظَّالِمُونَ فَأَصَابَهُ رِيحٌ فِيهَا صِرٌّ فَأَهْلَكَتْهُ، فَكَذَلِكَ أَنْفَقُوا فَأَهْلَكَهُمْ شِرْكُهُمْ.**

قال ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ۝١١٨﴾

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ﴾

٦٠٦ - قال **ابن عباس، ومجاهد**: نزلت في قوم من المسلمين كانوا يصافون المنافقين، ويواصِلون رجالاً من اليهود لما كان بينهم من القرابة، والصداقة، والجوار، والرضاع، والحلف، فنهوا عن مباطنتهم.

البطانة: الدُّخلاء الذين يستبطنون أمره وينبسط إليهم، يقال: فلان بطانة لفلان، أي: مُداخل له، مؤانس.

ومعنىٰ لا يألونكم: لا يبقون غاية في إلقائكم فيما يُضرُّكم.

ومعنى ﴿مِّن دُونِكُمْ﴾ **أي**: من غير المسلمين.

والخبال: الشر.

قوله تعالى: ﴿وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ﴾ أي: ودُّوا عَنتكم، وهو ما نزل بكم من مكروه وضرّ، ويقال: فلان يعنت فلانـًا، أي: يقصد إدخال المشقة والأذىٰ عليه.

قوله تعالى: ﴿قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ﴾

٦٠٧ - قال **ابن عباس**: أي: قد ظهر لكم منهم الكذب، والشتم، ومخالفة دينكم.

قال ﷻ: ﴿هَٰٓأَنتُمْ أُوْلَآءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِٱلْكِتَٰبِ كُلِّهِۦ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ عَضُّواْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ مِنَ ٱلْغَيْظِ ۚ قُلْ مُوتُواْ بِغَيْظِكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١١٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿هَٰٓأَنتُمْ أُوْلَآءِ تُحِبُّونَهُمْ﴾

٦٠٨ - قال **ابن عباس**: كان عامة الأنصار يواصلون اليهود وتواصلوهم، فلما أسلم الأنصار أبغضهم اليهود، فنزلت هذه الآية. والخطاب بهذه الآية للمؤمنين.

ومعنى الكلام: ها أنتم يا هؤلاء. فأما «تحبونهم»، فالهاء والميم عائدة إلىٰ الذين نهوا عن مصافاتهم.

وفي معنى محبة المؤمنين لهم أربعة أقوال:

أحدها: أنها الميل إليهم بالطباع، لموضع القرابة والرضاع والحلف، وهذا المعنىٰ منقول عن ابن عباس.

والثاني: أنها بمعنىٰ الرحمة لهم، لما يفعلون من المعاصي التي يقابلها العذاب الشديد، وهذا المعنىٰ منقول عن قتادة.

والثالث: أنها لموضع إظهار المنافقين الإيمان، روي عن أبي العالية.

والرابع: أنها بمعنىٰ إرادة الإسلام لهم، وهم يريدون المسلمين علىٰ الكفر، وهذا قول المفضّل.

والكتاب: بمعنىٰ الكتب.

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا﴾ هذه حالة المنافقين،

٦٠٩ - **وقال مقاتل**: هم اليهود.

والأنامل: أطراف الأصابع.

٦١٠ - **قال ابن عباس**: والغيظ: الحنق عليكم.

ومعنى ﴿مُوتُواْ بِغَيْظِكُمْۗ﴾ ابقوا به حتىٰ تموتوا، وإنما كان غيظهم من رؤية شمل المسلمين ملتئماً.

٦١١ - **قال ابن جرير**: هذا أمر من الله تعالىٰ لنبيه أن يدعو عليهم بأن يهلكم الله كمدًا من الغيظ.

قال ﷻ: ﴿إِن تَمۡسَسۡكُمۡ حَسَنَةٞ تَسُؤۡهُمۡ وَإِن تُصِبۡكُمۡ سَيِّئَةٞ يَفۡرَحُواْ بِهَاۖ وَإِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمۡ كَيۡدُهُمۡ شَيۡـًٔاۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعۡمَلُونَ مُحِيطٞ ١٢٠﴾

قوله تعالى: ﴿إِن تَمۡسَسۡكُمۡ حَسَنَةٞ﴾

٦١٢ - قال **قتادة:** وهي الألفة والجماعة.

والسيئة: الفرقة والاختلاف، وإصابة طرف من المسلمين.

قوله تعالى: ﴿وَإِن تَصۡبِرُواْ﴾ **فيه قولان:**

أحدهما: على أذاهم، قاله ابن عباس.

والثاني: على أمر الله، قاله مقاتل.

وفي قوله تعالى ﴿وَتَتَّقُواْ﴾ **قولان:**

أحدهما: الشرك، قاله ابن عباس.

والثاني: المعاصي، قاله مقاتل.

قوله تعالى: ﴿لَا يَضُرُّكُمۡ﴾، الضر والضير بمعنىٰ واحد.

فأما الكيد: هو المكر.

قال ﷻ: ﴿وَإِذۡ غَدَوۡتَ مِنۡ أَهۡلِكَ تُبَوِّئُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ مَقَٰعِدَ لِلۡقِتَالِۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ١٢١﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِذۡ غَدَوۡتَ مِنۡ أَهۡلِكَ﴾

٦١٣ - قال **المفسرون:** في هذا الكلام تقديم وتأخير، تقديره: ولقد نصركم الله

ببدر، وإذ غدوت من أهلك.

٦١٤ - عن ابْنِ عَبَّاسٍ ﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ﴾ الْآيَةَ قَالَ: يَوْمَ أُحُدٍ.

تبوّئ، من قولك: بوّأتُك منزلاً: إذا أفدتك إياه، أو أسكنتكه.

ومعنىٰ مقاعد للقتال: المعسكر والمصافُّ.

قال ﷻ: ﴿إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَا وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٢٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ﴾، كانت التبوئة في ذلك الوقت. وتفشلا: تجبنا، وتخورا. ﴿وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَا﴾، أي: ناصرهما.

٦١٥ - قال **جابر بن عبد الله**: نحن هم بنو سلمة، وبنو حارثة، وما نحبُّ أن لو لم يكن ذلك لقول الله: ﴿وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَا﴾

٦١٦ - وقال **الحسن**: هما طائفتان من الأنصار همتا بذلك، فعصمهما الله ﷻ.

وقيل: لما رجع عبد الله بن أُبي في أصحابه يوم أُحد، همت الطائفتان باتباعه، فعصمهما الله تعالىٰ.

فصل: فأما التوكل، فقال ابن عباس: هو الثقة بالله.

قال ﷻ: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾﴾

قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ﴾ **في تسمية بدر قولان:**

أحدهما: أنها بئر لرجل اسمه بدر، قاله الشعبي.

والثاني: أنه اسم للمكان الذي التقوا عليه، ذكره الواقدي عن أشياخه.

قوله تعالى: ﴿وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ﴾ أي لقلة العَدد والعُدد ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾﴾ أي لتكونوا من الشّاكرين.

قال ﷻ: ﴿إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَاثَةِ ءَالَافٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ ﴿١٢٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم﴾

٦١٧ - قال **الشعبي**: قال كُرْز بن جابر لمشركي مكة: إني أمدكم بقومي، فاشتد ذلك على المسلمين، فنزلت هذه الآية.

وفي أي يوم كان ذلك؟ فيه قولان:

أحدهما: يوم بدر، قاله ابن عباس، وعكرمة ومجاهد، وقتادة.

والثاني: يوم أُحد، وعدهم فيه بالمدد إن صبروا، فلما لم يصبروا لم يُمدُّوا، روي عن عكرمة، والضحاك، ومقاتل.

والأول أصح.

والكفاية: مقدار سد الخلة.

والاكتفاء: الاقتصار على ذلك.

والإمداد: إعطاء الشيء بعد الشيء.

قوله تعالى: ﴿مُنزَلِينَ ۝١٢٤﴾ قرأ الأكثرون بتخفيف الزاي.

قال ﷻ: ﴿بَلَىٰٓۚ إِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ وَيَأۡتُوكُم مِّن فَوۡرِهِمۡ هَٰذَا يُمۡدِدۡكُمۡ رَبُّكُم بِخَمۡسَةِ ءَالَٰفٖ مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ ۝١٢٥﴾

قوله تعالى ﴿وَيَأۡتُوكُم مِّن فَوۡرِهِمۡ﴾ **هذا فيه قولان:**

أحدهما: أن معناه: من وجههم وسفرهم هذا، قاله ابن عباس والحسن، ومجاهد وقتادة وبن زيد ومقاتل.

والثاني: من غضبهم هذا، قاله عكرمة، ومجاهد، والضحاك في آخرين.

٦١٨ - وأخرج ابْنُ جَرِيرٍ عَنْ عِكْرِمَةَ فِي قَوْلِهِ: ﴿بَلَىٰٓۚ إِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ﴾ الْآيَةَ، قَالَ: هَذَا يَوْمُ أُحُدٍ، فَلَمْ يَصْبِرُوا، وَلَمْ يَتَّقُوا، فَلَمْ يُمَدُّوا يَوْمَ أُحُدٍ، وَلَوْ أُمِدُّوا لَمْ يَنْهَزِمُوا يَوْمَئِذٍ.

وفي يوم فورهم قولان:

أحدهما: أنه يوم بدر، قاله قتادة.

والثاني: يوم أُحد، قال مجاهد، والضحاك: كانوا غضبوا يوم أُحد ليوم بدر مما لقوا.

قوله تعالى: ﴿مُسَوِّمِينَ﴾ فمن فتح الواو، أراد أن الله سوَّمها، ومن كسرها، أراد أن الملائكة سومت أنفسها.

٦١٩ - **وقال الأخفش**: سوّمت خيلها.

٦٢٠ - **وفي الحديث عن النبيّ ﷺ أنه قال يوم بدر:** «سوموا فإن الملائكة قد سومت».

ومعنى مسومين: معلمين بعلامة الحرب، وهو من السّيماء، والسومة: العلامة التي يعلم بها الفارس نفسه.

٦٢١ - **قال عليّ** رضي الله عنه: وكان سيماء خيل الملائكة يوم بدر، الصوف الأبيض في أذنابها ونواصيها.

٦٢٢ - **وقال أبو هريرة:** العهن الأحمر.

٦٢٣ - **وقال مجاهد:** كانت أذناب خيولهم مجزوزة، وفيها العهن.

٦٢٤ - **وقال هشام بن عروة:** كانت الملائكة علىٰ خيل بلق، وعليهم عمائم صفر.

٦٢٥ - **وروى ابن عباس عن رجل من بني غفار قال:** حضرت أنا وابن عم لي بدراً، ونحن علىٰ شركنا، فأقبلت سحابة، فلما دنت من الجبل سمعنا فيها حمحمة الخيل، وسمعنا فارساً يقول: أقدم حيزوم، فأما صاحبي فمات مكانه، وأما أنا فكدت أهلك، ثم انتعشت.

٦٢٦ - **وقال أبو واقد الليثي:** إني لأتبع يوم بدر رجلاً من المشركين لأضربه، فوقع رأسه قبل أن يصل إليه سيفي، فعرفت أن غيري قد قتله.

وفي عدد الملائكة يوم بدر خمسة أقوال:

أحدها: خمسة آلاف، قاله الحسن.

٦٢٧ - **وروى جبير بن مطعم عن عليّ** رضي الله عنه **قال:** بينا أنا أمتح من قليب بدر، جاءت ريح شديدة لم أر أشد منها، ثم جاءت ريح شديدة لم أر أشد منها إلا التي كانت

قبلها، ثم جاءت ريح شديدة لم أر أشد منها، فكانت الريح الأولىٰ جبريل نزل في ألفين من الملائكة، وكان مع رسول الله ﷺ، وكانت الريح الثانية ميكائيل نزل مع ألفين من الملائكة عن يمين رسول الله، وكانت الريح الثالثة إسرافيل نزل في ألف من الملائكة عن يسار رسول الله، وكنت عن يساره، وهزم الله أعداءه.

والثاني: أربعة آلاف، قاله الشعبي.

والثالث: ألف، قاله مجاهد.

والرابع: تسعة آلاف.

والخامس: ثمانية آلاف.

قال ﷻ: ﴿وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦ ۗ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١٣٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ﴾ يعني المدد ﴿إِلَّا بُشْرَىٰ﴾، أي: إلا بشارة تطيِّب أنفسكم، ﴿وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦ﴾، فتسكن في الحرب، ولا تجزع. والأكثرون علىٰ أن هذا المدد يوم بدر.

٦٢٨ - وقال **مجاهد**: يوم أُحد.

٦٢٩ - وروي عنه ما يدل علىٰ أن الله أمدّهم بالملائكة في اليومين جميعًا، غير أن الملائكة لم تقاتل إلا يوم بدر.

قوله تعالى: ﴿وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ أي: ليس بكثرة العَدد والعدد.

قال ﷻ: ﴿لِيَقۡطَعَ طَرَفٗا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوۡ يَكۡبِتَهُمۡ فَيَنقَلِبُواْ خَآئِبِينَ ١٢٧﴾

قوله تعالى: ﴿لِيَقۡطَعَ طَرَفٗا﴾ معناه: نصركم ببدر ليقطع طرفًا. أي: ليقتل قطعةً منهم.

وفي أي يوم كان ذلك فيه قولان:

أحدهما: في يوم بدر، قاله الحسن، وقتادة، والجمهور.

والثاني: يوم أُحد، قتل منهم ثمانية وعشرون، قاله السدي.

قوله تعالى ﴿أَوۡ يَكۡبِتَهُمۡ﴾ **فيه سبعة أقوال:**

أحدها: أن معناه: يهزمهم، قاله ابن عباس.

والثاني: يخزيهم، قاله قتادة، ومقاتل.

والثالث: يصرعهم، قاله أبو عبيد، واليزيدي.

٦٣٠ - **وقال الخليل:** هو الصرع على الوجه.

والرابع: يهلكهم، قاله أبو عبيدة.

والخامس: يلعنهم، قاله السدي.

والسادس: يُظفِّر عليهم، قاله المبرّد.

والسابع: يغيظهم، قاله النّصر بن شميل.

قوله تعالى: ﴿فَيَنقَلِبُواْ خَآئِبِينَ ١٢٧﴾، الخائب: الذي لم ينل ما أمَّل.

قال ﷻ: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١٢٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ﴾ **في سبب نزولها خمسة أقوال:**

أحدها: أن النبيّ ﷺ كسرت رباعيته يوم أُحد، وشج في جبهته حتىٰ سال الدم علىٰ وجهه، فقال: «كيف يفلح قوم فعلوا هذا بنبيهم، وهو يدعوهم إلىٰ ربّهم ﷻ؟!» فنزلت هذه الآية. أخرجه مسلم في أفراده من حديث أنس. وهو قول ابن عباس، والحسن، وقتادة، والرّبيع.

والثاني: أن النبيّ ﷺ، لعن قوماً من المنافقين، فنزلت هذه الآية، قاله ابن عمر.

والثالث: أن النبيّ ﷺ همَّ بسب الذين انهزموا يوم أُحد، فنزلت هذه للآية، فكفَّ عن ذلك، نقل عن ابن مسعود، وابن عباس.

والرابع: أن سبعين من أهل الصفة، خرجوا إلىٰ قبيلتين من بني سليم، عصية وذكوان، فقتلوا جميعا، فدعا النبيّ ﷺ عليهم أربعين يوماً، فنزلت هذه الآية، قاله مقاتل بن سليمان.

والخامس: أن النبيّ ﷺ لما رأىٰ حمزة ممثلاً به، قال: «لأُمثلن بكذا وكذا منهم» فنزلت هذه الآية، قاله الواقدي.

وفي معنى الآية قولان:

أحدهما: ليس لك من استصلاحهم أو عذابهم شيء.

والثاني: ليس لك من النصر والهزيمة شيء.

قوله تعالى: ﴿أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾ ولما نفىٰ الأمر عن نبيه، أثبت أن جميع الأمور

إليه بقوله تعالىٰ: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۚ﴾ [سورة آل عمران:١٠٩].

قال الله تعالىٰ ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأْكُلُواْ ٱلرِّبَوٰٓاْ أَضْعَٰفًا مُّضَٰعَفَةًۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٣٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأْكُلُواْ ٱلرِّبَوٰٓاْ﴾

٦٣١ - قال **أهل التفسير:** هذه الآية نزلت في ربا الجاهلية.

٦٣٢ - قال **سعيد بن جبير:** كان الرجل يكون له علىٰ الرجل المال، فاذا حلّ الأجل، فيقول: أخّر عني، وأزيدك علىٰ مالك، فتلك الأضعاف المضاعفة.

قال ﷻ: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِيٓ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴿١٣١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِيٓ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴿١٣١﴾﴾

٦٣٣ - قال **ابن عباس:** هذا تهديد للمؤمنين، لئلا يستحلوا الربا.

والمعنىٰ: اتقوا أن تحلّوا ما حرّم الله فتكفّروا.

قال ﷻ: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٣٢﴾ * وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ بادروا إلىٰ ما يوجب المغفرة.

وفي المراد بموجب المغفرة هاهنا عشرة أقوال:

أحدها: أنه الإخلاص، قاله عثمان بن عفّان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

والثاني: أداء الفرائض، قاله علي بن أبي طالب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

والثالث: الإسلام، قاله ابن عباس.

والرابع: التكبيرة الأولىٰ من الصلاة، قاله أنس بن مالك.

والخامس: الطاعة، قاله سعيد بن جبير.

والسادس: التّوبة، قاله عكرمة.

والسابع: الهجرة، قاله أبو العالية.

والثامن: الجهاد، قاله الضحاك.

والتاسع: الصلوات الخمس، قاله يمان.

والعاشر: الأعمال الصالحة، قاله مقاتل.

٦٣٤ - عن عَطَاءِ بْنِ أَبِي رَبَاحٍ قَالَ: قَالَ الْمُسْلِمُونَ: يَا رَسُولَ اللهِ! أَبَنُو إِسْرَائِيلَ كَانُوا أَكْرَمَ عَلَىٰ اللهِ مِنَّا؟ كَانُوا إِذَا أَذْنَبَ أَحَدُهُمْ ذَنْبًا أَصْبَحَ كَفَّارَةُ ذَنْبِهِ مَكْتُوبَةً فِي عَتَبَةِ بَابِهِ اجْدَعْ أَنْفَكَ اجْدَعْ أُذُنَكَ افْعَلْ كَذَا وَكَذَا، فَسَكَتَ النَّبِيُّ ﷺ، فَنَزَلَتْ: ﴿وَسَارِعُوٓاْ﴾ الْآيَةَ.

قوله تعالى: ﴿وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ﴾ أراد بالعرض السعة، ولم يرد العرض الذي يخالف الطول، والعرب تقول: بلاد عريضة، أي: واسعة.

٦٣٥ - وقال النبي ﷺ للمنهزمين يوم أحد: «لقد ذهبتم فيها عريضة».

وأصل هذا من العرض الذي هو خلاف الطول، وإذا عرض الشيء اتسع، وإذا

لم يعرض ضاق ودق.

٦٣٦ - **وقال سعيد بن جبير:** لو ألصق بعضهن إلىٰ بعض كانت الجنة في عرضهنّ.

قال ﷻ: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤﴾

قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ﴾

٦٣٧ - **قال ابن عباس:** في العسر واليسر.

ومعنى الآية: أنهم رغبوا في معاملة الله، فلم يبطرهم الرخاء فينسيهم، ولم تمنعهم الضراء فيبخلوا.

قوله تعالى: ﴿وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ﴾، يقال: كظمت الغيظ: إذا أمسكت علىٰ ما في نفسك منه.

٦٣٨ - **وقال ابن الأنباري:** الأصل في الكظم: الإمساك علىٰ غيظ وغم.

٦٣٩ - **وروى ابن عمر عن النبيّ ﷺ أنه قال:** «ما تجرع عبد جرعة أفضل عند الله من جرعة غيظ يكظمها ابتغاء وجه الله تبارك وتعالى».

قوله تعالى ﴿وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ﴾ **فيه قولان:**

أحدهما: أنه العفو عن المماليك، قاله ابن عباس.

والثاني: أنه علىٰ إطلاقه، فهم يعفون عمن ظلمهم، قاله زيد بن أسلم، ومقاتل.

قال ﷻ: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُولَٰئِكَ جَزَاؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴿١٣٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً﴾ في سبب نزولها ثلاثة أقوال:

أحدها: أن امرأة أتت إلىٰ نبهان التمار تشتري منه تمراً فضمّها، وقبّلها، ثم ندم، فأتىٰ النبيّ ﷺ فذكر ذلك فنزلت هذه الآية، رواه عطاء عن ابن عباس.

والثاني: أن أنصاريـًا وثقفيـًا آخىٰ النبيّ ﷺ بينهما، فخرج الثّقفيّ مع النبيّ ﷺ في بعض مغازيه، فكان الأنصاري يتعاهد أهل الثقفي، فجاء ذات يوم فأبصر المرأة قد اغتسلت وهي ناشرة شعرها، فدخل ولم يستأذن فذهب ليلثمها فوضعت كفها علىٰ وجهها، فقبّله ثم ندم، فأدبر راجعا، فقال: سبحان الله خنت أمانتك، فخرج يسيح في الجبال، ويتوب إلىٰ الله من ذنبه. فلما قدم الثقفي أخبرته المرأة فخرج يطلبه، فوافقه ساجداً يقول: ذنبي ذنبي، فقال له: يا فلان انطلق إلىٰ رسول الله ﷺ فاسأله عن ذنبك، لعله أن يجعل لك منه مخرجـًا، فرجع إلىٰ المدينة، فنزلت هذه الآية بتوبته، رواه أبو صالح عن ابن عباس. وذكر نحوه مقاتل.

والثالث: أن المسلمين قالوا للنبيّ ﷺ: بنو إسرائيل أكرم علىٰ الله منا! كان أحدهم إذا أذنب، أصبحت كفارة ذنوبه مكتوبة في عتبة بابه، فنزلت هذه الآية، فقال النبيّ ﷺ: «ألا أخبركم بخير من ذلك» فقرأ هذه الآية، والتي قبلها، هذا قول عطاء.

واختلفوا هل هذه الآية نعت للمنفقين في السراء والضراء؟ أم لقوم آخرين؟ على

قولين:

أحدهما: أنها نعت لهم، قاله الحسن.

والثاني: أنها لصنف آخر.

والفاحشة: القبيحة، وكل شيء جاوز قدره فهو فاحش.

وفي المراد بها هاهنا قولان:

أحدهما: أنها الزنىٰ، قاله جابر بن زيد، والسدي، ومقاتل.

والثاني: أنها كل كبيرة، قاله جماعة من المفسرين.

واختلفوا في «الظلم» المذكور بعدها، فلم يفرق قوم بينه وبين الفاحشة، وقالوا: الظلم للنفس فاحشة أيضـًا، وفرق آخرون، فقالوا: هو الصغائر.

٦٤٠ - عن النَّخَعِيِّ فِي الْآيَةِ قَالَ: الظُّلْمُ مِنَ الْفَاحِشَةِ، وَالْفَاحِشَةُ مِنَ الظُّلْمِ.

وفي قوله تعالى ﴿ذَكَرُواْ ٱللَّهَ﴾ قولان:

أحدهما: أنه ذكر اللسان، وهو الاستغفار، قاله ابن مسعود، وعطاء في آخرين.

والثاني: أنه ذكر القلب، ثم فيه خمسة أقوال:

أحدها: أنه ذكر العرض علىٰ الله، قاله الضحاك.

والثاني: أنه ذكر السؤال عنه يوم القيامة، قاله الواقدي.

والثالث: ذكر وعيد الله لهم علىٰ ما أتوا، قاله ابن جرير.

والرابع: ذكر نهي الله لهم عنه.

والخامس: ذكر غفران الله.

٦٤١ - أخرج ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ، وَأَحْمَدُ عَنْ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ

يَقُولُ: «مَا مِنْ رَجُلٍ يُذْنِبُ ذَنْبًا، ثُمَّ يَقُومُ عِنْدَ ذِكْرِ ذَنْبِهِ فَيَتَطَهَّرُ، ثُمَّ يُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ يَسْتَغْفِرُ اللهَ مِنْ ذَنْبِهِ ذَلِكَ، إِلَّا غَفَرَ اللهُ لَهُ، ثُمَّ قَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً﴾ [سورة آل عمران:١٣٥]. الآية».

فأما الإصرار هو الإقامة علىٰ الشيء.

٦٤٢ - قال **ابن فارس:** هو العزم علىٰ الشيء والثبات عليه.

وللمفسرين في المراد بالإصرار ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه موافقة الذنب عند الاهتمام به، وهذا مذهب مجاهد.

والثاني: أنه الثبوت عليه من غير استغفار، وهذا مذهب قتادة، وابن إسحاق.

والثالث: أنه ترك الاستغفار منه، وهذا مذهب السدي.

وفي معنى ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ ثلاثة أقوال:

أحدها: وهم يعلمون أن الإصرار يضر، وأن تركه أولىٰ من التمادي، قاله ابن عباس، والحسن.

والثاني: يعلمون أن الله يتوب علىٰ من تاب، قاله مجاهد، وأبو عمارة.

والثالث: يعلمون أنهم قد أذنبوا، قاله السّدّيّ، ومقاتل.

٦٤٣ - عن **مُقَاتِلٍ** ﴿وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ١٣٦﴾ **قَالَ: أَجْرُ الْعَامِلِينَ بِطَاعَةِ اللهِ الجنة.**

قال ﷻ: ﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ۝١٣٧﴾

قوله تعالى: ﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ﴾ السنن: جمع سنة، وهي الطريقة.

وفي معنى الكلام قولان:

أحدهما: قد مضىٰ قبلكم أهل سنن وشرائع، فانظروا ماذا صنعنا بالمكذبين منهم، وهذا قول ابن عباس.

والثاني: قد مضت قبلكم سنن الله في إهلاك من كذب من الأمم، فاعتبروا بهم، وهذا قول مجاهد.

وفي معنى ﴿فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ **قولان:**

أحدهما: أنه السير في السفر.

إذا سرتم في أسفاركم، عرفتم أخبار الهالكين بتكذيبهم.

والثاني: أنه التفكر.

ومعنى: فانظروا: اعتبروا،

والعاقبة: آخر الأمر.

قال ﷻ: ﴿هَـٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ۝١٣٨﴾

قوله تعالى: ﴿هَـٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ﴾

٦٤٤ - **قال سعيد بن جبير:** هذه الآية أول ما نزل من «آل عمران».

وفي المشار إليه ب «هذا» قولان:

أحدهما: أنه القرآن، قاله الحسن، وقتادة، ومقاتل.

والثاني: أنه شرح أخبار الأمم السالفة، قاله ابن اسحاق.

والبيان: الكشف عن الشيء.

٦٤٥ - **قال الشعبي**: هذا بيان للناس من العمىٰ، وهدىً من الضلالة، وموعظة من الجهل.

قال ﷻ: ﴿وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ١٣٩﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟﴾

سبب نزولها:

أنّ أصحاب رسول الله ﷺ لما انهزموا يوم أُحد، أقبل خالد بن الوليد بخيل المشركين يريد أن يعلو عليهم الجبل، فقال النبيّ ﷺ: «اللهم لا يعلون علينا، اللهم لا قوَّةَ لنا إِلا بك» فنزلت هذه الآيات، قاله ابن عباس.

٦٤٦ - **قال ابن عباس، ومجاهد**: ﴿وَلَا تَهِنُوا۟﴾ أي: ولا تضعفوا.

وفيما نهوا عن الحزن عليه أربعة أقوال:

أحدها: أنه قتل إخوانهم من المسلمين، قاله ابن عباس.

والثاني: أنه هزيمتهم يوم أُحد، وقتلهم، قاله مقاتل.

والثالث: أنه ما أصاب النبيّ ﷺ من شجه، وكسر رباعيته.

والرابع: أنه ما فات من الغنيمة.

قوله تعالى: ﴿وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ﴾،

٦٤٧ - **قال ابن عباس:** يقول: أنتم الغالبون وآخر الأمر لكم.

قال ﷻ: ﴿إِن يَمۡسَسۡكُمۡ قَرۡحٞ فَقَدۡ مَسَّ ٱلۡقَوۡمَ قَرۡحٞ مِّثۡلُهُۥۚ وَتِلۡكَ ٱلۡأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيۡنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعۡلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَتَّخِذَ مِنكُمۡ شُهَدَآءَۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٤٠﴾

قوله تعالى: ﴿إِن يَمۡسَسۡكُمۡ قَرۡحٞ﴾

٦٤٨ - **قال ابن عباس:** أصابهم يوم أحد قرح، فشكوا إلىٰ النّبيّ ﷺ ما لقوا، فنزلت هذه الآية.

فأما المس، فهو الإصابة.

٦٤٩ - **عن مُجَاهِدٍ:** ﴿إِن يَمۡسَسۡكُمۡ قَرۡحٞ﴾ **قَالَ: جِرَاحٌ وَقَتْلٌ.**

٦٥٠ - **وعن الْحَسَنِ فِي قَوْلِهِ:** ﴿إِن يَمۡسَسۡكُمۡ قَرۡحٞ فَقَدۡ مَسَّ ٱلۡقَوۡمَ قَرۡحٞ مِّثۡلُهُۥ﴾ **قَالَ: إِنْ يُقْتَلْ مِنْكُمْ يَوْمَ أُحُدٍ فَقَدْ قُتِلَ مِنْهُمْ يَوْمَ بَدْرٍ.**

ومعنى نداولها: أي: نجعل الدولة في وقت للكفار علىٰ المؤمنين إذا عصىٰ المؤمنون، فأما إذا أطاعوا، فهم منصورون.

قوله تعالى ﴿وَلِيَعۡلَمَ ٱللَّهُ﴾

٦٥١ - **قال ابن عباس:** معنىٰ العلم هاهنا: الرؤية.

قوله تعالى: ﴿وَيَتَّخِذَ مِنكُمۡ شُهَدَآءَۗ﴾

٦٥٢ - عن ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ﴾ قَالَ: إِنَّ الْمُسْلِمِينَ كَانُوا يَسْأَلُونَ رَبَّهُمْ: اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَرِنَا يَوْمًا كَيَوْمِ بَدْرٍ نُقَاتِلُ فِيهِ الْمُشْرِكِينَ وَنُبْلِيكَ فِيهِ خَيْرًا، وَنَلْتَمِسُ فِيهِ الشَّهَادَةَ، فَلَقُوا الْمُشْرِكِينَ يَوْمَ أُحُدٍ فَاتَّخَذَ مِنْهُمْ شُهَدَاءَ.

٦٥٣ - قال ابن عباس: والظالمون هاهنا: المنافقون.

٦٥٤ - وقال غيره: هم الذين انصرفوا يوم أحد مع ابن أبيّ.

قال ﷻ: ﴿وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَمْحَقَ ٱلْكَٰفِرِينَ ١٤١﴾

قوله تعالى: ﴿وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ معنى الكلام: جعل الله الأيام مداولة بين الناس، ليمحص المؤمنين، ويمحق الكافرين.

وفي التمحيص قولان:

أحدهما: أنه الابتلاء والاختبار، وهذا قول الحسن، ومجاهد، والسدي، ومقاتل.

والثاني: أنه التنقية، والتخليص.

فعلى القول الأول التمحيص: ابتلاء المؤمنين بما يجري عليهم، وعلى الثاني: هو تنقيتهم من الذنوب بذلك.

قوله تعالى ﴿وَيَمْحَقَ ٱلْكَٰفِرِينَ ١٤١﴾ **فيه أربعة أقوال:**

أحدها: يهلكهم، قاله ابن عباس.

والثاني: يذهب دعوتهم، قاله مقاتل.

والثالث: ينقصهم ويقللهم.

والرابع: يحبط أعمالهم.

قال ﷻ: ﴿أَمۡ حَسِبۡتُمۡ أَن تَدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ وَلَمَّا يَعۡلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمۡ وَيَعۡلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٤٢ وَلَقَدۡ كُنتُمۡ تَمَنَّوۡنَ ٱلۡمَوۡتَ مِن قَبۡلِ أَن تَلۡقَوۡهُ فَقَدۡ رَأَيۡتُمُوهُ وَأَنتُمۡ تَنظُرُونَ ١٤٣﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ كُنتُمۡ تَمَنَّوۡنَ ٱلۡمَوۡتَ﴾

٦٥٥ - قال **ابن عباس**: لما أخبرهم الله تعالىٰ علىٰ لسان نبيّه ﷺ، بما فعل بشهداء يوم بدر من الكرامة، رغبوا في ذلك، فتمنوا قتالاً يستشهدون فيه، فيلحقون بإخوانهم، فأراهم الله يوم أُحد، فلم يلبثوا أن انهزموا إلا مَن شاء الله منهم، فنزل فيهم ﴿وَلَقَدۡ كُنتُمۡ تَمَنَّوۡنَ ٱلۡمَوۡتَ﴾ يعني القتال ﴿مِن قَبۡلِ أَن تَلۡقَوۡهُ﴾ أي: من قبل أن تنظروا إليه يوم أُحد ﴿فَقَدۡ رَأَيۡتُمُوهُ﴾ يومئذ.

قوله تعالى ﴿فَقَدۡ رَأَيۡتُمُوهُ﴾ أي: رأيتم أسبابه، وهي السيف ونحوه من السلاح.

وفي معنى ﴿وَأَنتُمۡ تَنظُرُونَ﴾، تنظرون إلىٰ السيوف، قاله ابن عباس.

قال ﷻ: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٞ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِ ٱلرُّسُلُۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوۡ قُتِلَ ٱنقَلَبۡتُمۡ عَلَىٰٓ أَعۡقَٰبِكُمۡۚ وَمَن يَنقَلِبۡ عَلَىٰ عَقِبَيۡهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيۡـٔٗاۗ وَسَيَجۡزِي ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ١٤٤﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٞ﴾

٦٥٦ - قال **ابن عباس**: صاح الشيطان يوم أُحد: قتل محمد. فقال قوم: لئن كان

قتل لنعطينهم بأيدينا إنهم لعشائرنا وإخواننا، ولو كان محمد حياً لم يهزم، فترخصوا في الفرار، فنزلت هذه الآية.

٦٥٧ - وقال **الضحاك:** قال قوم من المنافقين: قتل محمد، فالحقوا بدينكم الأول، فنزلت هذه الآية.

٦٥٨ - وقال **قتادة:** قال أناس: لو كان نبياً ما قُتل، وقال ناسٌ من عِلْيَة أصحاب رسول الله: قاتلوا علىٰ ما قاتل عليه نبيكم حتىٰ تلحقوا به، فنزلت هذه الآية.

ومعنى الآية: أنه يموت كما ماتت قبله الرُّسل، أفإن مات علىٰ فراشه، أو قتل كمن قبله من الأنبياء، أتنقلبون علىٰ أعقابكم؟! أي: ترجعون إلىٰ ما كنتم عليه من الكفر؟! وهذا علىٰ سبيل المثل، يقال لكل من رجع عما كان عليه: قد انقلب علىٰ عقبيه، وأصله: رجعة القهقرىٰ، والعقب: مؤخّر القدم.

٦٥٩ - عن علي ﵁ **أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ فِي حَيَاةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ إِنَّ اللهَ يَقُولُ: ﴿أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ﴾ وَاللهِ لَا نَنْقَلِبُ عَلَىٰ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللهُ، وَاللهِ لَئِنْ مَاتَ، أَوْ قُتِلَ، لَأُقَاتِلَنَّ عَلَىٰ مَا قُتِلَ عَلَيْهِ حَتَّىٰ أَمُوتَ.**

وقوله تعالى: ﴿فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا﴾ أي: لن ينقص الله شيئاً برجوعه، وإنما يضر نفسه ﴿وَسَيَجْزِى﴾ أي: يثيب ﴿ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾﴾ **وفيهم ثلاثة أقوال:**

أحدها: أنهم الثابتون علىٰ دينهم، قاله علي ﵁، وقال: كان أبو بكر أمير الشاكرين.

والثاني: أنهم الشاكرون علىٰ التوفيق والهداية.

والثالث: علىٰ الدِّين.

قال ﷻ: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفۡسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِ كِتَٰبٗا مُّؤَجَّلٗاۗ وَمَن يُرِدۡ ثَوَابَ ٱلدُّنۡيَا نُؤۡتِهِۦ مِنۡهَا وَمَن يُرِدۡ ثَوَابَ ٱلۡأٓخِرَةِ نُؤۡتِهِۦ مِنۡهَاۚ وَسَنَجۡزِي ٱلشَّٰكِرِينَ ١٤٥﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفۡسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِ﴾ **في الإذن قولان**:

أحدهما: أنه الأمر، قاله ابن عباس.

والثاني: الإذن نفسه، قاله مقاتل.

ومعنى الآية: وما كانت نفس لتموت إلا بإذن الله.

قوله تعالى: ﴿كِتَٰبٗا مُّؤَجَّلٗاۗ﴾ توكيد، والمعنىٰ: كتب الله ذلك كتاباً ذا أجل. والأجل: الوقت المعلوم.

قوله تعالى: ﴿وَمَن يُرِدۡ ثَوَابَ ٱلدُّنۡيَا نُؤۡتِهِۦ مِنۡهَا﴾ أي: من قصد بعمله الدنيا، أُعطي منها، قليلاً كان أو كثيراً، ومن قصد الآخرة بعمله، أُعطي منها.

٦٦٠ - **وقال مقاتل**: عنىٰ بالآية: من ثبت يوم أحد، ومن طلب الغنيمة.

قال ﷻ: ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيّٖ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٞ فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا ٱسۡتَكَانُواْۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٤٦﴾

قوله تعالى: ﴿قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ﴾ **وفي معنى الربيين خمسة أقوال**:

أحدها: أنهم الألوف، قاله ابن مسعود، وابن عباس في رواية.

والثاني: الجماعات الكثيرة رواه العوفي عن ابن عباس، وبه قال مجاهد، وعكرمة، والضحاك، وقتادة، والسدي، والربيع.

والثالث: أنهم الفقهاء والعلماء، رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس، وبه قال الحسن، واختاره اليزيدي.

والرابع: أنهم الأتباع، قاله ابن زيد.

والخامس: أنهم المتألهون العارفون بالله تعالىٰ، قاله ابن فارس.

قوله تعالى: ﴿فَمَا وَهَنُواْ﴾ **فيه قولان**:

أحدهما: أنه الضعف، قاله ابن عباس.

والثاني: أنه العجز، قاله قتادة.

وفي معنى الكلام قولان:

أحدهما: فما وهنوا بالخوف، وما ضعفوا بنقصان القوة، ولا استكانوا بالخضوع.

والثاني: فما وهنوا لقتل نبيهم، ولا ضعفوا عن عدوهم، ولا استكانوا لما أصابهم.

قال ﷻ: ﴿وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُواْ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِيٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ١٤٧﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ﴾ يعني الربيين. ﴿إِلَّآ أَن قَالُواْ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا﴾ أي: لم

يكن قولهم غير الاستغفار.

والإسراف: تجاوز الحد، وقيل: أريد بالذنوب الصغائر، وبالإسراف: الكبائر.

٦٦١ - عن ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَإِسْرَافَنَا فِيٓ أَمْرِنَا﴾ قَالَ: خَطَايَانَا.

قوله تعالى: ﴿وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا﴾

٦٦٢ - قال ابن عباس: علىٰ القتال.

قال ﷻ: ﴿فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ ٱلْـَٔاخِرَةِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ١٤٨﴾

قوله تعالى ﴿فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا﴾ **فيه قولان:**

أحدهما: أنه النصر، قاله قتادة.

والثاني: الغنيمة، قاله ابن جريج.

٦٦٣ - وروي عن ابن عباس، أنه النصر والغنيمة.

وفي حسن ثواب الآخرة قولان:

أحدهما: أنه الجنة.

والثاني: الأجر والمغفرة.

وهذا تعليم من الله تعالىٰ للمؤمنين ما يفعلون ويقولون عند لقاء العدوّ.

قال ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَرُدُّوكُمۡ عَلَىٰٓ أَعۡقَٰبِكُمۡ فَتَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَ ١٤٩﴾

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾

٦٦٤ - قال **ابن عباس:** نزلت في قول ابن أبي للمسلمين لما رجعوا من أحد: لو كان نبيًا ما أصابه الذي أصابه.

وفي الذين كفروا هاهنا ثلاثة أقوال:

أحدها: أنهم المنافقون، على قول ابن عباس، ومقاتل.

والثاني: أنهم اليهود والنصارى، قاله ابن جريج.

والثالث: أنهم عبدة الأوثان، قاله السدي. قالوا: وكانوا قد أمروا المسلمين بالرجوع عن دينهم.

ومعنى ﴿يَرُدُّوكُمۡ عَلَىٰٓ أَعۡقَٰبِكُمۡ﴾ يصرفوكم إلى الشّرك. ﴿فَتَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَ ١٤٩﴾ بالعقوبة.

٦٦٥ - عن **ابْنِ جُرَيْجٍ فِي قَوْلِهِ:** ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ **قال: لا تنتصحوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ عَلَىٰ دِينِكُمْ، وَلَا تَصْدُقُوهُمْ بِشَيْءٍ فِي دِينِكُمْ.**

قال ﷻ: ﴿بَلِ ٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلنَّٰصِرِينَ ۝١٥٠﴾

قوله تعالى: ﴿بَلِ ٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْ ۖ﴾ أي: وليكم ينصركم عليهم، فاستغنوا عن موالاة الكفّار.

قال ﷻ: ﴿سَنُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ بِمَآ أَشْرَكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا ۖ وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۚ وَبِئْسَ مَثْوَى ٱلظَّٰلِمِينَ ۝١٥١﴾

قوله تعالى: ﴿سَنُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ﴾

٦٦٦ - قال **السدي:** لما ارتحل المشركون يوم أُحد نحو مكة ندموا في بعض الطريق، وقالوا: قتلتموهم حتىٰ إذا لم يبق إلا الشرذمة، تركتموهم؟! ارجعوا فاستأصلوهم، فقذف الله في قلوبهم الرعب، ونزلت هذه الآية.

والسلطان هاهنا: الحجة في قول الجماعة.

والمأوى: المكان الذي يؤوىٰ إليه.

والمثوى: المقام،

والثوى: الإقامة.

٦٦٧ - قال **ابن عباس:** والظّالمون هاهنا: الكافرون.

قال ﷻ: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَٰزَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ ۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ الْآخِرَةَ ۚ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ۖ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ ۗ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُۥٓ﴾

٦٦٨ - قال **محمد بن كعب القرظي:** لما رجع النبي ﷺ وأصحابه من أُحد، قال قومٌ منهم: من أين أصابنا هذا، وقد وعدنا الله النصر؟! فنزلت هذه الآية.

٦٦٩ - وقال **المفسرون:** وعد الله تعالىٰ المؤمنين النصر بأحد، فنصرهم فلما خالفوا، وطلبوا الغنيمة، هُزِموا.

٦٧٠ - وقال **ابن عباس:** ما نُصر رسول الله ﷺ في موطن ما نُصر في أُحد، فأنكر ذلك عليه، فقال: بيني وبينكم كتاب الله، إن الله يقول: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ﴾

فأما الحسُّ، فهو القتل، قاله ابن عباس، والحسن، ومجاهد، والسدي، والجماعة.

وفي قوله تعالى ﴿بِإِذْنِهِۦ﴾ ثلاثة أقوال:

أحدها: بأمره، قاله ابن عباس.

والثاني: بعلمه.

والثالث: بقضائه.

قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَٰزَعْتُمْ﴾ أي: اختلفتم ﴿مِّنۢ بَعْدِ مَآ

﴿أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ﴾ يعني: النصرة.

فيه تقديم وتأخير، معناه: حتىٰ إذا تنازعتم في الأمر، فشلتم وعصيتم.

فأما تنازعهم، فإن بعض الرماة قال: قد إنهزم المشركون، فما يمنعنا من الغنيمة؟ وقال بعضهم: بل نثبت مكاننا كما أمرنا رسول الله ﷺ، فترك المركز بعضهم، وطلب الغنيمة، وتركوا مكانهم، فذلك عصيانهم، وكان النبيّ ﷺ قد أوصاهم: «لو رأيتم الطير تخطفنا فلا تبرحوا من مكانكم».

قوله تعالى: ﴿مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنۡيَا﴾

٦٧١ - قال **المفسرون**: هم الذين طلبوا الغنيمة، وتركوا مكانهم ﴿وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلۡأٓخِرَةَۚ﴾ وهم الذين ثبتوا.

٦٧٢ - وقال **ابن مسعود**: ما كنت أظنّ أحدا من أصحاب محمد يريد الدنيا حتىٰ نزلت هذه الآية.

قوله تعالى: ﴿صَرَفَكُمۡ عَنۡهُمۡ﴾ أي: ردكم عن المشركين بقتلكم وهزيمتكم ﴿لِيَبۡتَلِيَكُمۡۖ﴾ أي: ليختبركم، فيبين الصابر من الجازع.

قوله تعالى ﴿وَلَقَدۡ عَفَا عَنكُمۡۗ﴾ **فيه قولان**:

أحدهما: عفا عن عقوبتكم، قاله ابن عباس.

والثاني: عفا عن استئصالكم، قاله الحسن.

وكان يقول: هؤلاء مع رسول الله، في سبيل الله غضاب لله، يقاتلون أعداء الله، نهوا عن شيء فضيعوه، فما تركوا حتىٰ غموا بهذا الغم، والفاسق اليوم يتجرم كل كبيرة

ويركب كل داهية، ويزعم أن لا بأس عليه، فسوف يعلم.

قوله تعالى ﴿وَٱللَّهُ ذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١٥٢﴾ **فيه قولان:**

أحدهما: إذا عفا عنهم، قاله ابن عباس.

والثاني: إذ لم يقتلوا جميعا، قاله مقاتل.

قال ﷻ: ﴿۞ إِذۡ تُصۡعِدُونَ وَلَا تَلۡوُۥنَ عَلَىٰٓ أَحَدٖ وَٱلرَّسُولُ يَدۡعُوكُمۡ فِيٓ أُخۡرَىٰكُمۡ فَأَثَٰبَكُمۡ غَمَّۢا بِغَمّٖ لِّكَيۡلَا تَحۡزَنُواْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمۡ وَلَا مَآ أَصَٰبَكُمۡۗ وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ١٥٣﴾

قوله تعالى: ﴿إِذۡ تُصۡعِدُونَ﴾

وللمفسرين في معنى الآية قولان:

أحدهما: أنه صعودهم في الجبل، قاله ابن عباس ومجاهد.

والثاني: أنه الإبعاد في الهزيمة، قاله قتادة.

و﴿تَلۡوُۥنَ﴾ بمعنى: تعرجون.

وقوله تعالى: ﴿عَلَىٰٓ أَحَدٖ﴾ عام.

٦٧٣ - **وقد روي عن ابن عباس أنه أراد به النبيّ ﷺ، قال:** والنبيّ ﷺ يناديهم من خلفهم: «إِليَّ عباد الله، أنا رسول الله».

قوله تعالى: ﴿فَأَثَٰبَكُمۡ﴾ أي: جازاكم.

وللمفسرين في المراد بهذين الغمين أقوال:

أحدها: أن الغم الأول ما أصابهم من الهزيمة والقتل، والثاني: إشراف خالد بن الوليد بخيل المشركين عليهم، قاله ابن عباس ومقاتل.

والثاني: أن الأول فرارهم الأول، والثاني فرارهم حين سمعوا أن محمداً قد قتل، قاله مجاهد.

والثالث: أن الأول ما فاتهم من الغنيمة وأصابهم من القتل والجراح، والثاني: حين سمعوا أن النبيّ ﷺ قد قتل، قاله قتادة.

والرابع: أن الأول ما فاتهم من الغنيمة، والفتح، والثاني: إشراف أبي سفيان عليهم، قاله السدي.

والخامس: أن الأول إشراف خالد بن الوليد عليهم، والثاني: إشراف أبي سفيان عليهم.

وفي المراد بغيرهم قولان:

أحدهما: أنهم المشركون غموهم يوم بدر، قاله الحسن.

والثاني: أنه النبي ﷺ غموه حيث خالفوه، فجُوزوا علىٰ ذلك بأن غمّوا بما أصابهم.

قوله تعالى: ﴿لِّكَيْلَا تَحْزَنُواْ﴾ في «لا» قولان:

أحدهما: أنها باقية على أصلها، ومعناها النفي، فعلى هذا في معنى الكلام قولان:

أحدهما: فأثابكم غماً أنساكم الحزن علىٰ ما فاتكم وما أصابكم، وقد روي أنهم لما سمعوا أنّ النبيّ ﷺ قد قتل، نسوا ما أصابهم وما فاتهم.

والثاني: أنه متّصل بقوله تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ﴾ [سورة آل عمران:١٥٢] فمعنىٰ

الكلام: عفا عنكم، لكيلا تحزنوا علىٰ ما فاتكم وأصابكم، لأن عفوه يذهب كل غم.

والقول الثاني: أنها صلة، ومعنى الكلام: لكي تحزنوا على ما فاتكم وأصابكم عقوبة لكم في خلافكم.

ومثلها قوله تعالىٰ: ﴿لِّئَلَّا يَعۡلَمَ أَهۡلُ ٱلۡكِتَٰبِ أَلَّا يَقۡدِرُونَ عَلَىٰ شَيۡءٖ مِّن فَضۡلِ ٱللَّهِ﴾ [سورة الحديد:٢٩] أي: ليعلم. هذا قول المفضل.

٦٧٤ – **قال ابن عباس:** والذي فاتهم: الغنيمة، والذي أصابهم: القتل والهزيمة.

قال ﷻ: ﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيۡكُم مِّنۢ بَعۡدِ ٱلۡغَمِّ أَمَنَةٗ نُّعَاسٗا يَغۡشَىٰ طَآئِفَةٗ مِّنكُمۡۖ وَطَآئِفَةٞ قَدۡ أَهَمَّتۡهُمۡ أَنفُسُهُمۡ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ ظَنَّ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِۖ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلۡأَمۡرِ مِن شَيۡءٖۗ قُلۡ إِنَّ ٱلۡأَمۡرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِۗ يُخۡفُونَ فِيٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبۡدُونَ لَكَۖ يَقُولُونَ لَوۡ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلۡأَمۡرِ شَيۡءٞ مَّا قُتِلۡنَا هَٰهُنَاۗ قُل لَّوۡ كُنتُمۡ فِي بُيُوتِكُمۡ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقَتۡلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمۡۖ وَلِيَبۡتَلِيَ ٱللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمۡ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمۡۚ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ١٥٤﴾

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيۡكُم مِّنۢ بَعۡدِ ٱلۡغَمِّ أَمَنَةٗ﴾

الأمنة: الأمن.

يقال: وقعت الأمنة في الأرض.

معنى الآية: أعقبكم بما نالكم من الرعب أن أمنكم أمنًا تنامون معه، لأن الشديد الخوف لا يكاد ينام.

وفي وجه الامتنان عليهم بالنعاس قولان:

أحدهما: أنه أمنهم بعد خوفهم حتىٰ ناموا، فالمنة بزوال الخوف، لأن الخائف

لا ينام.

والثاني: قواهم بالاستراحة علىٰ القتال.

قوله تعالى: ﴿يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمْ﴾ فأما الطائفة التي غشيها النوم، فهم المؤمنون، والطائفة الذين أهمَّتهم أنفسهم: المنافقون، أهمهم خلاص أنفسهم، فذهب النوم عنهم.

٦٧٥ - قال **أبو طلحة**: كان السيف يسقط من يدي، ثم آخذه، ثم يسقط، وآخذه من النعاس، وجعلت أنظر، وما منهم أحد يومئذ إلا يميد تحت حَجَفَته من النعاس.

٦٧٦ - وقال **الزبير**: أرسل الله علينا النوم، فما منَّا رجل إلا ذقنه في صدره، فو الله إني لأسمع كالحلم قول معتب بن قشير: ﴿لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا﴾ فحفظتها منه.

قوله تعالى ﴿يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ﴾ **فيه أربعة أقوال**:

أحدها: أنهم ظنُّوا أن الله لا ينصر محمداً وأصحابه، رواه أبو صالح عن ابن عباس.

والثاني: أنهم كذبوا بالقدر، رواه الضحاك، عن ابن عباس.

والثالث: أنهم ظنوا أن محمداً قد قتل، قاله مقاتل.

والرابع: ظنّوا أن أمر النبي ﷺ مضمحل.

قوله تعالى: ﴿ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ﴾

٦٧٧ - قال **ابن عباس**: أي: كظن الجاهلية.

قوله تعالى: ﴿يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلۡأَمۡرِ مِن شَيۡءٖۗ﴾ لفظه لفظ الاستفهام، ومعناه: الجحد، تقديره: ما لنا من الأمر من شيء.

٦٧٨ - قال **الحسن:** قالوا: لو كان الأمر إلينا ما خرجنا، وإنما أُخرجنا كرهـاً.

٦٧٩ - وقال **غيره:** المراد بالأمر: النصر والظفر، قالوا: إنما النصر للمشركين، ﴿قُلۡ إِنَّ ٱلۡأَمۡرَ كُلَّهُۥ﴾، أي: النصر والظفر، والقضاء والقدر لِلَّهِ.

قوله تعالى: ﴿يُخۡفُونَ فِيٓ أَنفُسِهِم﴾ **في الذي أخفوه ثلاثة أقوال:**

أحدها: أنه قولهم: «لو كنا في بيوتنا ما قتلنا هاهنا».

والثاني: أنه إسرارهم الكفر، والشك في أمر الله.

والثالث: الندم علىٰ حضورهم مع المسلمين بأحد.

والذي قال: ﴿هَل لَّنَا مِنَ ٱلۡأَمۡرِ مِن شَيۡءٖۗ﴾ عبد الله بن أُبي. والذي قال: ﴿لَوۡ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلۡأَمۡرِ شَيۡءٞ﴾ معتب بن قشير.

قوله تعالى: ﴿قُل لَّوۡ كُنتُمۡ فِي بُيُوتِكُمۡ﴾ أي: لو تخلفتم، لخرج منكم من كُتب عليه القتل، ولم ينجه القعود. والمضاجع: المصارع بالقتل.

ومعنىٰ ﴿لَبَرَزَ﴾: صاروا إلىٰ براز، وهو المكان المنكشف.

ومعنىٰ ﴿وَلِيَبۡتَلِيَ ٱللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمۡ﴾ أي: ليختبره بأعمالكم، لأنه قد علمه غيباً، فيعلمه شهادة.

قوله تعالى: ﴿وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمۡۚ﴾

٦٨٠ - قال **قتادة:** أراد ليطهرها من الشك والارتياب، بما يريكم من عجائب

صنعه من الأمنة، وإظهار سرائر المنافقين، وهذا التمحيص خاص للمؤمنين.

قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ١٥٤﴾ أي: بما فيها.

قال ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوۡاْ مِنكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِ إِنَّمَا ٱسۡتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ بِبَعۡضِ مَا كَسَبُواْۖ وَلَقَدۡ عَفَا ٱللَّهُ عَنۡهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٞ ١٥٥﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوۡاْ مِنكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِ﴾ الخطاب للمؤمنين، وتوليهم: فرارهم من العدو.

والجمعان: جمع المؤمنين، وجمع المشركين، وذلك يوم أُحد.

واستزلهم: طلب زللهم.

والذي كسبوا: يريد به الذّنوب.

وفي سبب فرارهم يومئذ قولان:

أحدهما: أنهم سمعوا أن النبيّ ﷺ قد قتل، فترخصوا في الفرار، قاله ابن عباس في آخرين.

والثاني: أن الشيطان أذكرهم خطاياهم، فكرهوا لقاء الله إلا علىٰ حال يرضونها.

قال ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَقَالُواْ لِإِخۡوَٰنِهِمۡ إِذَا ضَرَبُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَوۡ كَانُواْ غُزّٗى لَّوۡ كَانُواْ عِندَنَا مَا مَاتُواْ وَمَا قُتِلُواْ لِيَجۡعَلَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ حَسۡرَةٗ فِي قُلُوبِهِمۡۗ وَٱللَّهُ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ١٥٦﴾

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ أي كالمنافقين الذين قالوا لإخوانهم في النفاق، وقيل: إخوانهم في النسب.

٦٨١ - قال **المفسرون:** ومعنىٰ ﴿ضَرَبُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ ساروا وسافروا.

و«غزىً» جمع غازي.

وفي الكلام محذوف تقديره: إذا ضربوا في الأرض فماتوا، وغزوا، فقتلوا.

٦٨٢ - عن **مُجَاهِدٍ فِي قَوْلِهِ:** ﴿وَقَالُواْ لِإِخۡوَٰنِهِمۡ إِذَا ضَرَبُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ **الْآيَةَ، قَالَ: هَذَا قَوْلُ عَبْدِ اللهِ بْنِ أُبَيٍّ ابْنِ سَلُولَ وَالْمُنَافِقِينَ.**

قوله تعالى: ﴿لِيَجۡعَلَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ﴾

٦٨٣ - قال **ابن عباس:** ليجعل الله ما ظنوا من أنهم لو كانوا عندهم، سلموا، ﴿حَسۡرَةٗ فِي قُلُوبِهِمۡۗ﴾ أي: حزنـًا.

٦٨٤ - قال **ابن فارس:** الحسرة: التلهف علىٰ الشيء الفائت.

قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۗ﴾ أي: ليس تحرُّز الإنسان يمنعه من أجله.

قال ﷻ: ﴿وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ١٥٧﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَئِن قُتِلْتُمْ﴾ اللام في «لئن» لام القسم، تقديره: والله لئن قتلتم في الجهاد أَوْ مُتُّمْ في إقامتكم.

قوله تعالى: ﴿لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ١٥٧﴾ أي: من أعراض الدنيا التي تتركون الجهاد لجمعها.

٦٨٥ - قال **ابن عباس:** خير مما يجمع المنافقون في الدنيا.

قال ﷻ: ﴿وَلَئِن مُّتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى ٱللَّهِ تُحْشَرُونَ ١٥٨﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَئِن مُّتُّمْ﴾ أي: في إقامتكم. ﴿أَوْ قُتِلْتُمْ﴾ في جهادكم. ﴿لَإِلَى ٱللَّهِ تُحْشَرُونَ ١٥٨﴾.

وهذا تخويف من القيامة.

قال ﷻ: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ١٥٩﴾

قوله تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ﴾ **وفيمن تتعلق به هذه الرحمة قولان:**

أحدهما: أنها تتعلّق بالنبيّ ﷺ.

والثاني: بالمؤمنين.

٦٨٦ - قال **قتادة**: ومعنىٰ ﴿لِنتَ لَهُمۡۖ﴾ لان جانبك، وحَسُن خُلُقُك، وكثر احتمالك.

والفظّ: الغليظ الجانب، السّيئ الخلق، يقال: فظظت تفظ فظاظة وفظظًا.

فأما الغليظ القلب، فقيل: هو القاسي القلب، فيكون ذكر الفظاظة والغلظ - وإن كانا بمعنىٰ واحد- توكيداً.

٦٨٧ - وقال **ابن عباس**: الفظ: في القول، والغليظ القلب: في الفعل.

قوله تعالى: ﴿لَٱنفَضُّواْ﴾ أي: تفرقوا.

وتقول: فضضت عن الكتاب ختمه: إذا فرقته عنه.

﴿فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ﴾ أي: تجاوز عن هفواتهم، وسل الله المغفرة لذنوبهم ﴿وَشَاوِرۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِۖ﴾ معناه: استخرج آراءهم، واعلم ما عندهم.

واختلف العلماء لأي معنى أمر الله نبيه بمشاورة أصحابه مع كونه كامل الرأي، تام التدبير، على ثلاثة أقوال:

أحدها: ليستن به من بعده، وهذا قول الحسن، وسفيان بن عيينة.

والثاني: لتطيب قلوبهم، وهو قول قتادة، والربيع، وابن إسحاق، ومقاتل.

٦٨٨ - قال **الشّافعيّ**: نظير هذا قوله ﷺ: «البكر تُستأمر في نفسها»، إنما أراد استطابة نفسها، فإنها لو كرهت، كان للأب أن يزوجها، وكذلك مشاورة إبراهيم ﷺ لابنه حين أُمر بذبحه.

والثالث: للإعلام ببركة المشاورة، وهو قول الضحاك.

وفي الذي أُمر بمشاورتهم فيه قولان:

أحدهما: أنه أمر الدنيا خاصة.

والثاني: أمر الدين والدنيا، وهو أصح.

وقد قرأ ابن مسعود، وابن عباس «وشاورهم في بعض الأمر».

قوله تعالى: ﴿فَإِذَا عَزَمۡتَ﴾

٦٨٩ - قال **ابن فارس**: العزم: عقد القلب علىٰ الشيء ويريد أن يفعله.

ومعنى الكلام: فإذا عزمت علىٰ فعل شيء، فتوكل علىٰ الله، لا علىٰ المشاورة.

قال ﷻ: ﴿إِن يَنصُرۡكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمۡۖ وَإِن يَخۡذُلۡكُمۡ فَمَن ذَا ٱلَّذِي يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعۡدِهِۦۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ١٦٠﴾

قوله تعالى: ﴿إِن يَنصُرۡكُمُ ٱللَّهُ﴾

٦٩٠ - قال **ابن فارس**: النصر: العون، والخذلان: ترك العون.

قال ﷻ: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّۚ وَمَن يَغۡلُلۡ يَأۡتِ بِمَا غَلَّ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا كَسَبَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ١٦١﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّۚ﴾ **في سبب نزولها سبعة أقوال:**

أحدها: أن قطيفة من المغنم فقدت يوم بدر، فقال ناس: لعلّ النبيّ ﷺ أخذها،

فنزلت هذه الآية، رواه عكرمة عن ابن عباس.

والثاني: أن رجلاً غلَّ من غنائم هوازن يوم حنين، فنزلت هذه الآية، رواه الضحاك عن ابن عباس.

والثالث: أن قومـًا من أشراف الناس طلبوا من رسول الله ﷺ أن يخصهم بشيء من الغنائم، فنزلت هذه الآية، نقل عن ابن عباس أيضـًا.

والرابع: أن النبيّ ﷺ بعث طلائعا، فغنم النبيّ ﷺ غنيمة، ولم يقسم للطلائع، فقالوا قسم الفيء ولم يقسم لنا، فنزلت هذه الآية، قاله الضّحّاك.

والخامس: أن قومـًا غلُّوا يوم بدر، فنزلت هذه الآية، قاله قتادة.

والسادس: أنها نزلت في الذين تركوا مركزهم يوم أُحد طلبـًا للغنيمة، وقالوا: نخاف أن يقول النبيّ ﷺ: «من أخذ شيئا، فهو له» فقال لهم النبيّ ﷺ: «ألم أعهد إليكم ألّا تبرحوا؟! أظننتم أنّا نغلّ؟!» فنزلت هذه الآية، قاله مقاتل.

والسابع: أنها نزلت في غلول الوحي، قاله القرظيّ، وابن إسحاق.

٦٩١ - قال أَبُو عُبَيْدٍ: الْغُلُولُ: مِنَ الْمَغْنَمِ خَاصَّةً، وَلَا نَرَاهُ مِنَ الْخِيَانَةِ وَلَا مِنَ الْحِقْدِ.

وَإِنَّمَا خَصَّ خِيَانَةَ الْأَنْبِيَاءِ مَعَ كَوْنِ خِيَانَةِ غَيْرِهِمْ مِنَ الْأَئِمَّةِ وَالسَّلَاطِينِ وَالْأُمَرَاءِ حَرَامًا، لِأَنَّ خِيَانَةَ الْأَنْبِيَاءِ أَشَدُّ ذَنْبًا وَأَعْظَمُ وِزْرًا.

٦٩٢ - عن ابْنِ عَبَّاسٍ: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ﴾ قَالَ: مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَتَّهِمَهُ أَصْحَابُهُ.

وذكر بعض المفسرين أنهم كانوا يكرهون ما في القرآن من عيب دينهم وآلهتهم، فسألوه أن يطوي ذلك، فنزلت هذه الآية.

وفي هذه الخيانة قولان:

أحدهما: خيانة المال على قول الأكثرين.

والثاني: خيانة الوحي على قول القرظيّ، وابن إسحاق.

وقرأ الباقون: بضمّ الياء وفتح الغين، ولها وجهان:

أحدهما: أن يكون المعنى يخان قاله الحسن.

والثاني: يخوّن.

قوله تعالى: ﴿وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ الغلول: أخذ شيء من المغنم خفية، ومنه الغلالة، وهي ثوب يلبس تحت الثياب.

وفي إتيانه بما غلّ ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه يأتي بما غلّه، يحمله،

ويدلّ عليه ما:

٦٩٣- روى البخاريّ ومسلم في «الصّحيحين» من حديث أبي هريرة قال: قام فينا رسول الله ﷺ يومـًا فذكر الغلول، فعظمه، وعظم أمره، ثم قال: «لا أُلفينَّ أحدَكم يجيء يوم القيامة على رقبته بعير له رغاء، يقول: يا رسول الله أغثني، فأقول: لا أملك لك شيئا، قد أبلغتك. لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته فرس له حمحمة، فيقول: يا رسول الله أغثني، فأقول: لا أملك لك شيئا، قد أبلغتك. لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته شاة لها ثغاء، يقول: يا رسول الله أغثني، فأقول: لا أملك

لك شيئـًا، قد أبلغتك. لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة علىٰ رقبته نفس لها صياح، فيقول: يا رسول الله أغثني، فأقول: لا أملك لك شيئـًا، قد أبلغتك. لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة علىٰ رقبته رقاع تخفق، فيقول: يا رسول الله أغثني، فأقول: لا أملك لك شيئا، قد أبلغتك. لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة علىٰ رقبته صامت، فيقول: يا رسول الله أغثني، فأقول: لا أملك لك شيئـًا، قد أبلغتك».

الرغاء: صوت البعير، والثغاء: صوت الشاة، والنفس: ما يُغل من السَّبي، والرقاع: الثياب، والصامت: المال.

والقول الثاني: أنه يأتي حاملاً إثم ما غل.

والثالث: أنه يردُّ عوض ما غل من حسناته.

والقول الأوّل أصحّ لمكان الأثر الصّحيح.

قوله تعالى ﴿ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ﴾ أي: تعطىٰ جزاء ما كسبت.

قال ﷻ: ﴿أَفَمَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ كَمَنۢ بَآءَ بِسَخَطٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ۝١٦٢﴾

قوله تعالى ﴿أَفَمَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ﴾ **اختلفوا في معنى هذه الآية على قولين:**

أحدهما: أن معناها: أفمن اتبع رضوان الله، فلم يغل، ﴿كَمَنۢ بَآءَ بِسَخَطٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ حين غل؟! هذا قول سعيد بن جبير، والضحاك، والجمهور.

والثاني: أنّ النبيّ ﷺ لما أمر المسلمين باتباعه يوم أُحد، اتبعه المؤمنون، وتخلف جماعة من المنافقين، فأخبر الله بحال من تبعه، وعن من تخلف عنه.

قال ﷻ: ﴿هُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا يَعۡمَلُونَ ١٦٣﴾

قوله تعالى: ﴿هُمۡ دَرَجَٰتٌ﴾ **وفي معنى درجات قولان:**

أحدهما: أنها درجات الجنة، قاله الحسن.

والثاني: أنها فضائلهم، فبعضهم أفضل من بعض.

وفيمن عنى بهذا الكلام قولان:

أحدهما: أنهم الذين اتبعوا رضوان الله، والذين باؤوا بسخط من الله، فلمن اتبع رضوانه الثواب، ولمن باء بسخطه العذاب، هذا قول ابن عباس.

والثاني: أنهم الذين اتبعوا رضوان الله فقط، فإنهم يتفاوتون في المنازل، هذا قول سعيد بن جبير، وأبي صالح، ومقاتل.

قال ﷻ: ﴿لَقَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ بَعَثَ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ١٦٤﴾

قوله تعالى: ﴿لَقَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ أي: أنعم عليهم.

و«أنفسهم»: جماعتهم، وقيل: نسبَهم.

وفي وجه الامتنان عليهم بكونه من أنفسهم أربعة أقوال:

أحدها: لكونه معروف النسب فيهم، قاله ابن عباس، وقتادة.

والثاني: لكونهم قد خبروا أمره، وعلموا صدقه.

والثالث: ليسهل عليهم التعلم منه، لموافقة لسانه للسانهم.

والرابع: لأن شرفهم يتم بظهور نبي منهم.

وهل هذه الآية خاصة أم عامة؟ فيه قولان:

أحدهما: أنها خاصة للعرب. روي عن عائشة والجمهور.

والثاني: أنها عامة لسائر المؤمنين، فيكون المعنىٰ أنه ليس بملكٍ، ولا من غير بني آدم. وقد سبق في (البقرة) بيان باقي الآية.

قال ﷻ: ﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٞ قَدۡ أَصَبۡتُم مِّثۡلَيۡهَا قُلۡتُمۡ أَنَّىٰ هَٰذَاۖ قُلۡ هُوَ مِنۡ عِندِ أَنفُسِكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ١٦٥﴾

قوله تعالى: ﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٞ﴾، فأما «المصيبة» فما أصابهم يوم أُحد، وكانوا قد أصابوا مثليها من المشركين يوم بدر، لأنه قتل منهم يوم أحد سبعون، فقتلوا يوم بدر سبعين، وأسروا سبعين، وهذا قول ابن عباس، والضحاك، وقتادة، والجماعة.

قوله تعالى: ﴿قُلۡ هُوَ مِنۡ عِندِ أَنفُسِكُمۡۗ﴾ **فيه ثلاثة أقوال:**

أحدها: أن معناه: بأخذكم الفداء يوم بدر، قاله عمر بن الخطاب.

٦٩٤ - **وقال عليّ بن أبي طالب** رضي الله عنه: جاء جبريل إلىٰ النبيّ ﷺ فقال: إن الله قد كره ما صنع قومك من أخذهم الفداء، وقد أمرك أن تخيِّرهم بين أن يضربوا أعناق الأسارىٰ، وبين أن يأخذوا الفداء علىٰ أن يُقتل منهم عدَّتهم، فذكر ذلك للناس، فقالوا: عشائرنا وإخواننا، بل نأخذ منهم الفداء، ويستشهد منا عدّتهم، فقتل منهم يوم

أُحد سبعون رجلا، عدد أسارىٰ بدر، فعلىٰ هذا يكون المعنىٰ: قل هو بأخذكم الفداءَ، واختياركم القتل لأنفسكم.

والثاني: أنه جرىٰ ذلك بمعصية الرماة يوم أُحد، وتركهم أمر رسول الله ﷺ، قاله ابن عباس، ومقاتل في آخرين.

والثالث: أنه بمخالفتهم الرسول في الخروج من المدينة يوم أُحد، فإنه أمرهم بالتحصُّن فيها، فقالوا: بل نخرج، قاله قتادة، والربيع.

٦٩٥ - **قال مقاتل**: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ﴾ من النّصر والهزيمة ﴿قَدِيرٌ ١٦٥﴾.

قال ﷻ: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِ فَبِإِذۡنِ ٱللَّهِ وَلِيَعۡلَمَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١٦٦ وَلِيَعۡلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُواْۚ وَقِيلَ لَهُمۡ تَعَالَوۡاْ قَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوِ ٱدۡفَعُواْۖ قَالُواْ لَوۡ نَعۡلَمُ قِتَالٗا لَّٱتَّبَعۡنَٰكُمۡۗ هُمۡ لِلۡكُفۡرِ يَوۡمَئِذٍ أَقۡرَبُ مِنۡهُمۡ لِلۡإِيمَٰنِۚ يَقُولُونَ بِأَفۡوَٰهِهِم مَّا لَيۡسَ فِي قُلُوبِهِمۡۚ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا يَكۡتُمُونَ ١٦٧﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِ﴾

الجمعان: النبي وأصحابه، وأبو سفيان وأصحابه، وذلك في يوم أحد، وقد سبق ذكر ما أصابهم.

قوله تعالى: ﴿فَبِإِذۡنِ ٱللَّهِ﴾ **فيه ثلاثة أقوال**:

أحدها: أمره.

والثاني: قضاؤه، رويا عن ابن عباس.

والثالث: علمه.

قوله تعالى: ﴿وَلِيَعْلَمَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝١٦٦﴾ أي: ليظهر إيمان المؤمنين بثبوتهم على ما نالهم، ويظهر نفاق المنافقين بفشلهم وقلة صبرهم.

٦٩٦ - عن **الأصمعي**: ولليربوع أربعة أجحرة: النافقاء: وهو الذي يخرج منه كثيراً، ويدخل منه كثيراً.

٦٩٧ - قال **أبو زيد**: فشبه المنافق به، لأنه يدخل في الإسلام بلفظه، ويخرج منه بعقده، كما يدخل اليربوع من باب ويخرج من باب.

والنفاق: لفظ إسلامي لم تكن العرب تعرفه قبل الإسلام.

٦٩٨ - قال **ابن عباس**: والمراد بالذين نافقوا عبد الله بن أُبي، وأصحابه.

٦٩٩ - قال **موسىٰ بن عقبة**: خرج النبيّ ﷺ يوم أُحد، ومعه المسلمون، وهم ألف رجل، والمشركون ثلاثة آلاف، فرجع عنه ابن أُبي في ثلاثمائة.

فأما القتال، فمباشرة الحرب.

وفي المراد بالدفع ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه التكثير بالعدد. رواه مجاهد عن ابن عباس، وهو قول الحسن، وعكرمة، والضحاك، والسدي، وابن جريج في آخرين.

والثاني: أن معناه: ادفعوا عن أنفسكم وحريمكم، رواه أبو صالح عن ابن عباس، وهو قول مقاتل.

والثالث: أنه بمعنىٰ القتال أيضـًا. قاله ابن زيد.

قوله تعالى: ﴿لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا﴾ **فيه ثلاثة أقوال**:

أحدها: أن معناه: لو نعلم أن اليوم يجري قتال ما أسلمناكم، ذكره ابن اسحاق.

والثاني: لو كنا نحسن القتال لاتّبعناكم.

والثالث: إن معناه: أن هناك قتلاً وليس بقتال.

قوله تعالى: ﴿هُمۡ لِلۡكُفۡرِ﴾ أي: إلىٰ الكفر ﴿أَقۡرَبُ مِنۡهُمۡ لِلۡإِيمَٰنِۚ﴾ أي: إلىٰ الإيمان.

وإنما قال: يومئذ، لأنهم فيما قبل لم يظهروا مثل ما أظهروا، فكانوا بظاهر حالهم فيما قبل أقرب إلىٰ الإيمان.

قوله تعالى: ﴿يَقُولُونَ بِأَفۡوَٰهِهِم مَّا لَيۡسَ فِي قُلُوبِهِمۡۚ﴾ **فيه وجهان**:

أحدهما: ينطقون بالإيمان، وليس في قلوبهم إلا الكفر.

والثاني: يقولون: نحن أنصار، وهم أعداء.

وذكر في الذي يكتمون وجهين:

أحدهما: أنه النّفاق.

والثاني: العداوة.

قال ﷻ: ﴿ٱلَّذِينَ قَالُواْ لِإِخۡوَٰنِهِمۡ وَقَعَدُواْ لَوۡ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُواْۗ قُلۡ فَٱدۡرَءُواْ عَنۡ أَنفُسِكُمُ ٱلۡمَوۡتَ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ١٦٨﴾

قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ قَالُواْ لِإِخۡوَٰنِهِمۡ﴾

٧٠٠ - **قال ابن عباس**: نزلت في عبد الله بن أُبي.

وفي إخوانهم قولان:

أحدهما: أنهم إخوانهم في النفاق، قاله ابن عباس.

والثاني: إخوانهم في النسب، قاله مقاتل.

فعلىٰ الأول يكون المعنىٰ: قالوا لإخوانهم المنافقين: لو أطاعونا الذين قتلوا مع محمد ما قتلوا، وعلىٰ الثاني يكون المعنىٰ: قالوا عن إخوانهم الذين استشهدوا بأحد: لو أطاعونا ما قتلوا.

قوله تعالى: ﴿وَقَعَدُواْ﴾ يعني القائلين قعدوا عن الجهاد.

قوله تعالى: ﴿فَٱدۡرَءُواْ﴾ أي: فادفعوا ﴿عَنۡ أَنفُسِكُمُ ٱلۡمَوۡتَ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ١٦٨﴾ أنّ الحذر ينفع مع القدر.

قال ﷻ: ﴿وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمۡوَٰتَۢاۚ بَلۡ أَحۡيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمۡ يُرۡزَقُونَ ١٦٩﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمۡوَٰتَۢاۚ﴾ **اختلفوا فيمن نزلت على ثلاثة أقوال**:

أحدها: أنها نزلت في شهداء أُحد.

٧٠١ - روىٰ **ابن عباس عن النبيّ ﷺ أنه قال**: «لما أصيب إخوانكم بأحد، جعل الله أرواحهم في أجواف طير خضر، ترد أنهار الجنة، وتأكل من ثمارها، وتأوي إلىٰ قناديل من ذهب معلقة في ظل العرش، فلما وجدوا طيب مأكلهم ومشربهم، ومقيلهم، قالوا: من يبلغ إخواننا عنا أننا في جنة نرزق، لئلا يزهدوا في الجهاد، فقال الله تعالىٰ: أنا أبلغهم عنكم، فأنزل الله تعالىٰ هذه الآية» وهذا قول سعيد بن جبير،

وأبي الضحىٰ.

والثاني: أنها نزلت في شهداء بدر لما أفضوا إلىٰ كرامة الله ﷻ فأصابوا قالوا: ربّنا أعلم إخواننا، فنزلت هذه الآية والتي بعدها، رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس، وهو قول مقاتل.

والثالث: أنها نزلت في شهداء بئر معونة.

٧٠٢ - روىٰ **محمد بن إسحاق** عن أشياخ له، أنّ النبيّ ﷺ بعث المنذر بن عمرو في سبعين رجلاً من خيار المسلمين إلىٰ أهل نجد، فلما نزلوا بئر معونة، خرّع حرام بن ملحان إلىٰ عامر بن الطفيل بكتاب رسول الله ﷺ، فلم ينظر فيه عامر، وخرج رجل من كسر البيت برمح، فضرب به في جنب حرام حتىٰ خرج من الشق الآخر، فقال: الله أكبر، فزت ورب الكعبة، وقتل سائر أصحابه غير واحد منهم، قال أنس بن مالك: فأنزل الله تعالىٰ فيهم: «بلغوا قومنا عنا أنا قد لقينا ربنا، فرضي عنا ورضينا عنه» ثم رفعت، ونزلت هذه الآية: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا﴾.

فهذا اختلاف الناس فيمن نزلت، واختلفوا في سبب نزولها على ثلاثة أقوال:

أحدها: أن الشهداء بعد استشهادهم سألوا الله أن يخبر إخوانهم بما صاروا إليه، وقد ذكرناه عن ابن عباس.

والثاني: أن رجلاً قال: يا ليتنا نعلم ما لقي إخواننا الذين استشهدوا، فنزلت، قاله مقاتل.

والثالث: أن أولياء الشهداء كانوا إذا أصابتهم نعمة أو سرور، تحسروا، وقالوا نحن في النعمة والسرور، وآباؤنا، وأبناؤنا، وإخواننا، في القبور، فنزلت هذه الآية.

فأما التفسير، فمعنىٰ الآية: لا تحسبنهم أمواتـًا كالأموات الذين لم يقتلوا في سبيل الله، وقد بينا هذا المعنىٰ في (البقرة) وذكرنا أن معنىٰ حياتهم: أن أرواحهم في حواصل طير تأكل من ثمار الجنة، وتشرب من أنهارها.

٧٠٣ - **قال مجاهد:** يرزقون من ثمر الجنة.

قال ﷻ: ﴿فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ وَيَسۡتَبۡشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمۡ يَلۡحَقُواْ بِهِم مِّنۡ خَلۡفِهِمۡ أَلَّا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ١٧٠﴾

قوله تعالى: ﴿فَرِحِينَ﴾ الفرح: المسرة، فأما الذي آتاهم الله، فما نالوا من كرامة الله ورزقه، والاستبشار: السرور بالبشارة، ﴿بِٱلَّذِينَ لَمۡ يَلۡحَقُواْ بِهِم مِّنۡ خَلۡفِهِمۡ﴾ إخوانهم من المسلمين.

وفي سبب استبشارهم بهم ثلاثة أقوال:

أحدها: أنّ الله تعالىٰ لمّا أخبر بكرامة الشهداء، أخبر الشهداء بأني قد أنزلت علىٰ نبيكم، وأخبرته بأمركم فاستبشروا، وعلموا أن إخوانهم سيحرصون علىٰ الشهادة، قاله سعيد بن جبير.

والثاني: يستبشرون بإخوانهم الذين يرجون لهم الشهادة، يقولون: إن قتلوا نالوا ما نلنا من الفضل، قاله قتادة.

والثالث: أن الشهيد يؤتىٰ بكتاب فيه ذكر من تقدم عليه من إخوانه وأهله، وفيه يقدم عليه فلان يوم كذا وكذا، فيستبشر بقدومه، كما يستبشر أهل الغائب به، هذا قول

السدي.

و «الهاء» و «الميم» في قوله تعالىٰ: ﴿أَلَّا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ﴾ تعود إلىٰ الذين لم يلحقوا بهم.

معناه: يستبشرون لهم بأنهم لا خوف عليهم، ولا حزن.

وفي ماذا يرتفع «الخوف» و «الحزن» عنهم؟ فيه قولان:

أحدهما: لا خوف عليهم فيمن خلفوه من ذريتهم، ولا يحزنون علىٰ ما خلفوا من أموالهم.

والثاني: لا خوف عليهم فيما يقدمون عليه، ولا يحزنون علىٰ مفارقة الدنيا فرحًا بالآخرة.

قال ﷻ: ﴿۞ يَسۡتَبۡشِرُونَ بِنِعۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضۡلٖ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١٧١﴾

قوله تعالىٰ: ﴿يَسۡتَبۡشِرُونَ بِنِعۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضۡلٖ﴾

٧٠٤ - **قال مقاتل:** برحمة ورزق.

قال ﷻ: ﴿ٱلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعۡدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلۡقَرۡحُۚ لِلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ مِنۡهُمۡ وَٱتَّقَوۡاْ أَجۡرٌ عَظِيمٌ ١٧٢﴾

قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ **في سبب نزولها قولان:**

أحدهما: أن المشركين لما انصرفوا يوم أحد، ندب النبيّ ﷺ أصحابه لاتباعهم، ثم خرج بمن انتدب معه، فلقي أبو سفيان قومـًا، فقال: إن لقيتم محمداً، فأخبروه أني في جمع كثير، فلقيهم النبيّ ﷺ فسألهم عنه؟ فقالوا: لقيناه في جمع كثير، ونراك في قلةٍ، فأبىٰ إلا أن يطلبه، فسبقه أبو سفيان، فدخل مكة، فنزلت هذه الآية، هذا قول ابن عباس، والجمهور.

والثاني: أن أبا سفيان لما أراد الانصراف عن أُحد، قال: يا محمد، موعد بيننا وبينك موسم بدر، فلما كان العام المقبل، خرج أبو سفيان، ثم ألقىٰ الله في قلبه الرعب، فبدا له الرجوع، فلقي نُعيم بن مسعود، فقال: إني قد واعدت محمداً وأصحابه أن نلتقي بموسم بدر الصغرىٰ، وهذا عام جدب، لا يصلح لنا، فثبطهم عنا، وأعلمهم أنَّا في جمع كثير، فلقيهم فخوفهم، فقالوا: حسبنا الله ونعم الوكيل، وخرج النبيّ ﷺ بأصحابه، حتىٰ أقاموا ببدر ينتظرون أبا سفيان، فنزل قوله تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ الآيات. وهذا المعنىٰ مروي عن مجاهد، وعكرمة.

والاستجابة: الإجابة.

وفي مراد النبيّ ﷺ وخروجه وندب الناس إلى الخروج ثلاثة أقوال:

أحدها: ليرهب العدو باتباعهم.

والثاني: لموعد أبي سفيان.

والثالث: لأنه بلغه عن القوم أنهم قالوا: أصبتم شوكتهم، ثم تركتموهم.

وقد سبق الكلام في القرح.

قوله تعالى: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُواْ مِنْهُمْ﴾ أي: أحسنوا بطاعة الرسول، واتقوا مخالفته.

قال ﷻ: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ١٧٣﴾

قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ﴾ **في المراد بالناس ثلاثة أقوال**:

أحدها: أنهم ركب لقيهم أبو سفيان، فضمن لهم ضمانًا لتخويف النبيّ ﷺ وأصحابه، قاله ابن عباس، وابن إسحاق.

والثاني: أنه نعيم بن مسعود الأشجعي، قاله مجاهد، وعكرمة، ومقاتل في آخرين.

والثالث: أنهم المنافقون، لمّا رأوا النبيّ ﷺ يتجهز، نهوا المسلمين عن الخروج، وقالوا: إن أتيتموهم في ديارهم، لم يرجع منكم أحد، هذا قول السدي.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ﴾ يعني أبا سفيان وأصحابه.

قوله تعالى: ﴿فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا﴾ زادهم ذلك التخويف ثبوتًا في دينهم، وإِقامة على نصرة نبيهم، وقالوا: ﴿حَسْبُنَا ٱللَّهُ﴾ أي: هو الذي يكفينا أمرهم.

فأما «**الوكيل**» الكافي. والكفيل.

قال ﷻ: ﴿فَٱنقَلَبُواْ بِنِعۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضۡلٖ لَّمۡ يَمۡسَسۡهُمۡ سُوٓءٞ وَٱتَّبَعُواْ رِضۡوَٰنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضۡلٍ عَظِيمٍ ۝١٧٤﴾

قوله تعالى: ﴿فَٱنقَلَبُواْ بِنِعۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ﴾

الانقلاب: الرجوع.

وفي النعمة، ثلاثة أقوال:

أحدها: أنها الأجر، قاله مجاهد.

والثاني: العافية، قاله السدي.

والثالث: الإيمان والنصر.

وفي الفضل، ثلاثة أقوال:

أحدها: ربح التجارة، قاله مجاهد، والسدي، وهذا قول من يرى أنهم خرجوا لموعد أبي سفيان.

٧٠٥ - **قال الزهري:** لما استنفر النبيّ ﷺ المسلمين لموعد أبي سفيان ببدر، خرجوا ببضائع لهم، وقالوا: إن لقينا أبا سفيان، فهو الذي خرجنا إليه، وإن لم نلقه ابتعنا ببضائعنا، وكانت بدر متجراً يوافي كل عام، فانطلقوا فقضوا حوائجهم، وأخلف أبو سفيان الموعد.

والثاني: أنهم أصابوا سرية بالصفراء، فرزقوا منها، قاله مقاتل.

والثالث: أنه الثواب.

قوله تعالى: ﴿لَّمۡ يَمۡسَسۡهُمۡ سُوٓءٞ﴾

٧٠٦ - **قال ابن عباس:** لم يؤذهم أحد.

﴿وَٱتَّبَعُواْ رِضۡوَٰنَ ٱللَّهِۗ﴾ في طلب القوم.

﴿وَٱللَّهُ ذُو فَضۡلٍ﴾ أي: ذو منّ بدفع المشركين عن المؤمنين.

قال ﷻ: ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوۡلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمۡ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ١٧٥﴾

وفي قوله تعالى ﴿يُخَوِّفُ أَوۡلِيَآءَهُۥ﴾ **قولان:**

أحدهما: أن معناه: يخوّفكم بأوليائه.

والثاني: أن معناه: يخوف أولياءه المنافقين، ليقعدوا عن قتال المشركين، قاله الحسن والسدي.

قوله تعالى: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمۡ﴾ يعني: أولياء الشيطان ﴿وَخَافُونِ﴾ في ترك أمري.

وفي «إنْ» قولان:

أحدهما: أنها بمعنىٰ: «إذ» ، قاله ابن عباس، ومقاتل.

والثاني: أنها للشرط.

قال ﷻ: ﴿وَلَا يَحۡزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡكُفۡرِۚ إِنَّهُمۡ لَن يَضُرُّواْ ٱللَّهَ شَيۡـٔٗاۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَلَّا يَجۡعَلَ لَهُمۡ حَظّٗا فِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٌ ١٧٦﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَا يَحۡزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡكُفۡرِۚ﴾ **وفي الذين يسارعون في الكفر أربعة أقوال:**

أحدها: أنهم المنافقون، ورؤساء اليهود، قاله ابن عباس.

والثاني: المنافقون، قاله مجاهد.

والثالث: كفار قريش، قاله الضحاك.

والرابع: قوم ارتدوا عن الإسلام.

قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّوا۟ ٱللَّهَ شَيْـًٔا﴾ **فيه قولان**:

أحدهما: لن ينقصوا الله شيئًا بكفرهم، قاله ابن عباس، ومقاتل.

والثاني: لن يضروا أولياء الله شيئًا، قاله عطاء.

٧٠٧ - **قال ابن عباس**: والحظ: النصيب، والآخرة: الجنة ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ في النار.

قال ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ لَن يَضُرُّوا۟ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ١٧٧﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ﴾،

٧٠٨ - **قال مجاهد**: المنافقون آمنوا ثم كفروا، وقد سبق في (البقرة) معنىٰ الاشتراء.

قال ﷻ: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ ۚ إِنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِثْمًا ۚ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ١٧٨﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ ۚ﴾ **اختلفوا فيمن**

نزلت على أربعة أقوال:

أحدها: في اليهود والنصارى والمنافقين، قاله ابن عباس.

والثاني: في قريظة والنضير، قاله عطاء.

والثالث: في مشركي مكة، قاله مقاتل.

والرابع: في كل كافر.

قوله تعالى ﴿نُمْلِي لَهُمْ﴾ أي: نطيل لهم في العمر، ومثله: ﴿وَٱهْجُرْنِي مَلِيًّا ۝٤٦﴾ [سورة مريم:٤٦].

٧٠٩ - عن ابْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: مَا مِنْ نَفْسٍ بَرَّةٍ وَلَا فَاجِرَةٍ إِلَّا وَالْمَوْتُ خَيْرٌ لَهَا مِنَ الْحَيَاةِ إِنْ كَانَ بَرًّا، فَقَدْ قَالَ اللهُ: وَما عِنْدَ اللهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرارِ وَإِنْ كَانَ فَاجِرًا، فَقَدْ قَالَ: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾ الْآيَةَ.

قال ﷻ: ﴿مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجْتَبِى مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُ ۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۚ وَإِن تُؤْمِنُواْ وَتَتَّقُواْ فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ۝١٧٩﴾

قوله تعالى: ﴿مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ﴾ **في سبب نزولها خمسة أقوال:**

أحدها: أن قريشا قالت: تزعم يا محمد أن من اتبعك فهو في الجنة، ومن خالفك فهو في النار؟! فأخبرنا بمن يؤمن بك ومن لا يؤمن، فنزلت هذه الآية، هذا قول ابن عباس.

والثاني: أن المؤمنين سألوا أن يعطوا علامة يفرقون بها بين المؤمن والمنافق، فنزلت هذه الآية، هذا قول أبي العالية.

والثالث: أن النبي ﷺ قال: عُرِضتْ عليَّ أُمتي، وأُعلمت من يؤمن بي ومن يكفر، فبلغ ذلك المنافقين فاستهزءوا وقالوا: فنحن معه ولا يعرفنا، فنزلت هذه الآية، قاله السّدّيّ.

والرابع: أن اليهود، قالت: يا محمد قد كنتم راضين بديننا، فكيف بكم لو مات بعضكم قبل نزول كتابكم؟! فنزلت هذه الآية. هذا قول عمر مولىٰ غفرة.

والخامس: أن قوماً من المنافقين ادَّعوْا أنهم في إيمانهم مثل المؤمنين، فأظهر الله نفاقهم يوم أُحد، وأنزل هذه الآية.

وفي المخاطب بهذه الآية قولان:

أحدهما: أنهم الكفار والمنافقون، وهو قول ابن عباس، والضحاك.

والثاني: أنهم المؤمنون، فيكون المعنىٰ: ما كان الله ليذركم علىٰ ما أنتم عليه من التباس المؤمن بالمنافق.

قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ﴾ فأما الطيب، فهو المؤمن.

وفي الخبيث قولان:

أحدهما: أنه المنافق، قاله مجاهد، وابن جريج.

والثاني: الكافر، قاله قتادة، والسدي.

وفي الذي وقع به التمييز بينهم ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه الهجرة والقتال، قاله قتادة، وهو قول من قال: الخبيث: الكافر.

والثاني: أنه الجهاد، وهو قول من قال: هو المنافق. قال مجاهد: فميّز الله يوم أُحد بين المؤمنين والمنافقين، حيث أظهروا النفاق وتخلّفوا.

والثالث: أنه سائر الفرائض والتكاليف، فإن المؤمن مستور الحال بالإقرار، فإذا جاءت التكاليف بانَ أمرُه، هذا قول ابن كيسان.

وفي المخاطب بقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ﴾ **قولان**:

أحدهما: أنهم كفار قريش، فمعناه: ما كان الله ليُبين لكم المؤمن من الكافر، لأنهم طلبوا ذلك، فقالوا: أخبرنا بمن يؤمن ومن لا يؤمن، هذا قول ابن عباس.

والثاني: أنه النبيّ ﷺ، فمعناه: وما كان الله ليطلع محمداً علىٰ الغيب، قاله السّدّيّ.

و «يجتبي» بمعنىٰ يختار.

فمعنىٰ الكلام علىٰ القول الأول: أن الله لا يطلع علىٰ الغيب أحداً إلا الأنبياء الذين اجتباهم، وعلىٰ القول الثاني: أن الله لا يطلع علىٰ الغيب أحداً إلا أنه يجتبي من يشاء فيطلعه علىٰ ما يشاء.

قال ﷻ: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۗ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٨٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ﴾ **اختلفوا فيمن نزلت على قولين**:

أحدهما: أنها نزلت في الذين يبخلون أن يؤدوا زكاة أموالهم، وهو قول ابن مسعود وأبي هريرة، وابن عباس في رواية أبي صالح، والشعبي، ومجاهد، وفي رواية السدي في آخرين.

والثاني: أنها في الأحبار الذين كتموا صفة النبيّ ﷺ، ونبوته، رواه عطية عن ابن عباس، وابن جريج عن مجاهد.

والذي آتاهم الله علىٰ قول من قال: البخل بالزكاة: هو المال، وعلىٰ قول من قال: البخل بذكر صفة النّبيّ ﷺ هو العلم.

قوله تعالى ﴿هُوَ﴾ إشارة إلىٰ البخل وليس مذكوراً، ولكنه مدلول عليه بـ «يبخلون».

وفي معنى تطويقهم به أربعة أقوال:

أحدها: أنه يجعل كالحية يطوق بها الإنسان.

٧١٠ - روى **ابن مسعود عن النبيّ ﷺ أنه قال**: «ما من رجل لا يؤدي زكاة ماله إلا مُثِّل له يوم القيامة شجاع أقرع يفر منه، وهو يتبعه حتىٰ يطوقه في عنقه» ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُواْ بِهِۦ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ﴾، وهذا مذهب ابن مسعود، ومقاتل.

٧١١ - عن أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ: «مَنْ آتَاهُ اللهُ مَالًا فَلَمْ يُؤَدِّ زَكَاتَهُ، مثل له يوم القيامة شُجَاعًا أَقْرَعَ لَهُ زَبِيبَتَانِ يُطَوَّقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثم يأخذ بلهزمتيه- يعني: شدقيه- فَيَقُولُ: أَنَا مَالُكَ، أَنَا كَنْزُكَ، ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ».

٧١٢ - عن ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَلَا يَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ﴾ قَالَ: هُمْ أَهْلُ الْكِتَابِ بَخِلُوا أَنْ يُبَيِّنُوهُ لِلنَّاسِ.

والثاني: أنه يجعل طوقاً من نار، رواه منصور عن مجاهد، وإبراهيم.

والثالث: أن معنىٰ تطويقهم به: تكليفهم أن يأتوا به، رواه ابن أبي نجيح، عن مجاهد.

والرابع: أن معناه: يلزم أعناقهم إثمه.

قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مِيرَاثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ﴾

٧١٣ - قال **ابن عباس**: يموت أهل السّماوات وأهل الأرض، ويبقىٰ رب العالمين.

قال ﷻ: ﴿لَّقَدۡ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوۡلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٞ وَنَحۡنُ أَغۡنِيَآءُۘ سَنَكۡتُبُ مَا قَالُواْ وَقَتۡلَهُمُ ٱلۡأَنۢبِيَآءَ بِغَيۡرِ حَقّٖ وَنَقُولُ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ ١٨١﴾

قوله تعالى: ﴿لَّقَدۡ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوۡلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٞ﴾ **في سبب نزولها قولان**:

أحدهما: أن أبا بكر الصّدّيق رضي الله عنه دخل بيت مدراس اليهود، فوجدهم قد اجتمعوا علىٰ رجل منهم، اسمه فنحاص، فقال له أبو بكر: اتّق الله وأسلم، فو الله إنك لتعلم أن محمداً رسول الله. فقال: والله يا أبا بكر ما بنا إلىٰ الله من فقر. وإنه إلينا لفقير، ولو كان غنيّا عنّا ما استقرضنا.

فغضب أبو بكر وضرب وجه فنحاص ضربة شديدة، وقال: والله لو لا العهد الذي بيننا لضربت عنقك.

فذهب فنحاص يشكو إلىٰ النبي ﷺ، وأخبره أبو بكر بما قال، فجحد فنحاص، فنزلت هذه الآية، ونزل فيما بلغ من أبي بكر من الغضب ﴿وَلَتَسۡمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ

﴿ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَذًى كَثِيرًا﴾ [سورة آل عمران:١٨٦]. هذا قول ابن عباس، وإلىٰ نحوه ذهب مجاهد، وعكرمة والسدي، ومقاتل.

والثاني: أنه لما نزل قوله تعالىٰ: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا﴾ [سورة البقرة:٢٤٥] قالت اليهود: إنما يستقرض الفقير من الغني، فنزلت هذه الآية، هذا قول الحسن، وقتادة.

وفي الذين قالوا: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ﴾ أربعة أقوال:

أحدها: أنه فنحاص بن عازوراء اليهودي، قاله ابن عباس، ومقاتل.

والثاني: حيي بن أخطب، قاله الحسن وقتادة.

والثالث: أن جماعة من اليهود قالوه. قال مجاهد: صكَّ أبو بكر رجلاً من الذين قالوا: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ﴾

والرابع: أنه النَّباش بن عمرو اليهودي.

وفي معنى ﴿سَنَكْتُبُ﴾ ما قالُوا قولان:

أحدهما: سنحفظ عليهم ما قالوا، قاله ابن عباس.

والثاني: سنأمر الحفظة بكتابته، قاله مقاتل.

قوله تعالى: ﴿وَقَتْلَهُمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ﴾ أي: ونكتب ذلك.

فإن قيل: هذا القائل لم يقتل نبياً قط! فالجواب: أنه رضي بفعل متقدميه لذلك، كما بينا في قوله تعالىٰ: ﴿وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّۦنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ [سورة البقرة:٦١].

عَنِ الْعَلَاءِ بْنِ بَدْرٍ أَنَّهُ سُئِلَ عَنْ قَوْلِهِ: ﴿وَقَتْلَهُمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾ وهم لم يدركوا ذَلِكَ، قَالَ: بِمُوَالَاتِهِمْ مَنْ قَتَلَ الْأَنْبِيَاءَ.

ومعنىٰ عَذابَ الْحَرِيقِ: عذاب محرق، أي: عذاب بالنار، لأن العذاب قد يكون بغير النّار.

قال ﷻ: ﴿ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيۡسَ بِظَلَّامٖ لِّلۡعَبِيدِ ١٨٢﴾

ذلِكَ إشارة إلىٰ العذاب، والذي قدّمت أيديهم: الكفر والخطايا.

٧١٤ - عن ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيۡسَ بِظَلَّامٖ لِّلۡعَبِيدِ ١٨٢﴾ قَالَ: مَا أَنَا بِمُعَذِّبٍ مَنْ لَمْ يَجْتَرِمْ.

قال ﷻ: ﴿ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ عَهِدَ إِلَيۡنَآ أَلَّا نُؤۡمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأۡتِيَنَا بِقُرۡبَانٖ تَأۡكُلُهُ ٱلنَّارُۗ قُلۡ قَدۡ جَآءَكُمۡ رُسُلٞ مِّن قَبۡلِي بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَبِٱلَّذِي قُلۡتُمۡ فَلِمَ قَتَلۡتُمُوهُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ١٨٣﴾

قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ عَهِدَ إِلَيۡنَا﴾

٧١٥ - **قال ابن عباس:** نزلت في كعب بن الأشرف، ومالك بن الصيف، وحيي بن أخطب، وجماعة من اليهود، أتوا رسول الله ﷺ، فقالوا: إن الله عهد إلينا، أي: أمرنا في التوراة: أن لا نؤمن لرسول، أي: لا نصدق رسولاً يزعم أنه رسول، حتىٰ يأتينا بقربان تأكله النار.

والقربان: ما تُقرب به إلىٰ الله تعالىٰ من ذبح وغيره. وإنما طلبوا القربان، لأنه كان

من سنن الأنبياء المتقدمين، وكان نزول النار علامة القبول.

٧١٦ - قال **ابن عباس:** كان الرجل يتصدق، فإذا قبلت منه، نزلت نار من السماء فأكلته، وكانت ناراً لها دويٌّ، وحفيف.

٧١٧ - وقال **عطاء:** كان بنو إسرائيل يذبحون لله، فيأخذون أطايب اللحم، فيضعونها في وسط البيت تحت السماء، فيقوم النبي في البيت، ويناجي ربه، فتنزل نار، فتأخذ ذلك القربان، فيخر النبي ساجداً، فيوحي الله إليه ما يشاء.

٧١٨ - قال **ابن عباس:** قل يا محمد لليهود ﴿قَدۡ جَآءَكُمۡ رُسُلٞ مِّن قَبۡلِي بِٱلۡبَيِّنَٰتِ﴾ أي: بالآيات، وَبِالَّذِي سألتم من القربان.

قال ﷻ: ﴿فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدۡ كُذِّبَ رُسُلٞ مِّن قَبۡلِكَ جَآءُو بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُنِيرِ ١٨٤﴾

قوله تعالى: ﴿فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدۡ كُذِّبَ رُسُلٞ مِّن قَبۡلِكَ﴾ معناه: لست بأول رسول كذب.

و «الزبر» جمع زبور، والزبور كل كتاب ذي حكمة.

قوله تعالى: ﴿وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُنِيرِ ١٨٤﴾ يعني به الكتاب النّيّرة بالبراهين والحجج.

٧١٩ - **عن قَتَادَةَ فِي قَوْلِهِ:** ﴿بِٱلۡبَيِّنَٰتِ﴾ **قَالَ الْحَلَالُ وَالْحَرَامُ** ﴿وَٱلزُّبُرِ﴾ **قَالَ: كُتُبُ الْأَنْبِيَاءِ** ﴿وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُنِيرِ ١٨٤﴾ **قال: هو القرآن.**

قال ﷻ: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ١٨٥﴾

قوله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِۗ﴾

قال **ابن عباس:** لما نزل قوله تعالىٰ: ﴿قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ﴾ [سورة السجدة:١١] قالوا: يا رسول الله إنما نزل في بني آدم، فأين ذكر الموت في الجن، والطير، والأنعام، فنزلت هذه الآية.

وفي ذكر الموت تهديد للمكذبين بالمصير، وتزهيد في الدنيا وتنبيه علىٰ اغتنام الأجل.

وفي قوله تعالى: ﴿وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۖ﴾ بشارة للمحسنين، وتهديد للمسيئين.

قوله تعالى: ﴿فَمَن زُحْزِحَ﴾ نُجِّي وأُبعد.

قوله تعالى: ﴿فَقَدْ فَازَۗ﴾ تباعد عن المكروه ولقي ما يحب، يقال لمن نجا من هلكة ولمن لقي ما يغتبط به: قد فاز.

قوله تعالى: ﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ١٨٥﴾ يريد أن العيش فيها يغر الإنسان بما يمنِّيه من طول البقاء، وسيقطع عن قريب.

٧٢٠ - قال **سعيد بن جبير:** هي متاع الغرور لمن لم يشتغل بطلب الآخرة، فأما من يشتغل بطلب الآخرة، فهي له متاع بلاغ إلىٰ ما هو خير منها.

قال ﷻ: ﴿۞ لَتُبْلَوُنَّ فِيٓ أَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ أَذًى كَثِيرًاۚ وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٨٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿لَتُبْلَوُنَّ فِيٓ أَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ﴾ في سبب نزولها خمسة أقوال:

أحدها: أن النبي ﷺ مرَّ بمجلس فيه عبد الله بن أُبيّ، وعبد الله بن رواحة، فغشي المجلس عجاجة الدابة، فخمر ابن أُبيّ أنفه بردائه، وقال: لا تغبّروا علينا، فنزل رسول الله ﷺ، ثم دعاهم إلىٰ الله، وقرأ عليهم القرآن، فقال ابن أُبي: لا أحْسَنَ ما تقول، إن كان حقاً فلا تؤذنا في مجالسنا. وقال ابن رواحة: اغشنا به في مجالسنا يا رسول الله، فإنَّا نحب ذلك، فاستبَّ المسلمون، والمشركون، واليهود، ونزلت هذه الآية، رواه عروة عن أسامة بن زيد.

والثاني: أن المشركين واليهود كانوا يؤذون النبيّ ﷺ وأصحابه أشدّ الأذىٰ، فنزلت هذه الآية، قاله كعب بن مالك الأنصاري.

والثالث: أنها نزلت فيما جرىٰ بين أبي بكر الصديق، وبين فنحاص اليهودي، وقد سبق ذكره عن ابن عباس.

والرابع: أنها نزلت في النبيّ ﷺ وأبي بكر الصديق، قاله أبو صالح عن ابن عباس. واختاره مقاتل.

٧٢١ - وقال **عكرمة**: نزلت في النبيّ ﷺ، وأبي بكر الصديق، وفنحاص اليهودي.

والخامس: أنها نزلت في كعب بن الأشرف، كان يحرِّض المشركين علىٰ رسول الله ﷺ وأصحابه في شعره، وهذا مذهب الزهري.

ومعنى ﴿لَتُبۡلَوُنَّ﴾ لتخبرنّ، أي: توقع عليكم المحن، فيعلم المؤمن حقاً من غيره.

وفي البلوى في الأموال قولان:

أحدهما: ذهابها ونقصانها.

والثاني: ما فرض فيها من الحقوق.

وفي البلوى في الأنفس أربعة أقوال:

أحدها: المصائب، والقتل.

والثاني: ما فرض من العبادات.

والثالث: الأمراض.

والرابع: المصيبة بالأقارب، والعشائر.

٧٢٢ - قال **عطاء**: هم المهاجرون أخذ المشركون أموالهم، وباعوا رباعهم، وعذبوهم.

قوله تعالى: ﴿وَلَتَسۡمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ﴾

٧٢٣ - قال **ابن عباس**: هم اليهود والنصارىٰ، ﴿وَٱلَّذِينَ أَشۡرَكُوٓاْ﴾ مشركو العرب ﴿وَإِن تَصۡبِرُواْ﴾ علىٰ الأذىٰ ﴿وَتَتَّقُواْ﴾ الله بمجانبة معاصيه.

قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ١٨٦﴾ أي: مما يعزم عليه، لظهور رشده.

فصل: والجمهور علىٰ إحكام هذه الآية، وقد ذهب قوم إلىٰ أن الصبر المذكور منسوخ بآية السّيف.

قال ﷻ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴿١٨٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ﴾ **فيهم ثلاثة أقوال**:

أحدها: أنهم اليهود، قاله ابن عباس، وابن جبير، والسدي، ومقاتل. فعلىٰ هذا، الكتاب: التوراة.

والثاني: أنهم اليهود والنصارىٰ، والكتاب: التوراة والإنجيل.

والثالث: أنهم سائر العلماء فيكون الكتاب اسم جنس.

قوله تعالى: ﴿لَتُبَيِّنُنَّهُۥ﴾ **وفي هاء الكناية في «لتبيننه» و«تكتمونه» قولان**:

أحدهما: أنها ترجع إلىٰ النبيّ محمّد ﷺ، وهذا قول من قال: هم اليهود.

والثاني: أنها ترجع إلىٰ الكتاب، قاله الحسن، وقتادة، وهو أصح، لأن الكتاب أقرب المذكورين، ولأن من ضرورة تبيينهم ما فيه إظهار صفة محمّد ﷺ، وهذا قول من ذهب إلىٰ أنه عام في كل كتاب.

٧٢٤ - **وقال علي بن أبي** رضي الله عنه: ما أخذ الله علىٰ أهل الجهل أن يتعلموا حتىٰ أخذ علىٰ أهل العلم أن يعلّموا.

٧٢٥ - **عن الحسن قال: لولا الميثاق الذي أخذه الله علىٰ أهل العلم ما حدّثتكم**

بكثير ممّا تسألون عنه.

قوله تعالى: ﴿فَنَبَذُوهُ﴾ أي: رمَوْا به، يقال للذي يطرح الشيء ولا يعبأ به: قد جعلت هذا الأمر بظهر.

وفي هاء «فنبذوه» قولان:

أحدهما: أنها تعود إلىٰ الميثاق.

والثاني: إلىٰ الكتاب.

قوله تعالى: ﴿وَٱشْتَرَوْاْ بِهِۦ﴾ يعني: استبدلوا بما أخذ الله عليهم القيام به، ووعدهم عليه الجنة ﴿ثَمَنًا قَلِيلًاۖ﴾ أي: عرضا يسيرا من الدنيا.

قال ﷻ: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَوا۟ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا۟ بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا۟ فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ ٱلْعَذَابِۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨٨﴾﴾

قوله تعالى ﴿لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَوا۟﴾ **وفي سبب نزولها ثمانية أقوال:**

أحدها: أن النبيّ ﷺ، سأل اليهود عن شيء، فكتموه، وأخبروه بغيره، وأروه أنهم قد أخبروه به، واستحمدوا بذلك إليه، وفرحوا بما أتوا من كتمانهم إياه، فنزلت هذه الآية.

٧٢٦ - عن أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ: أَنَّ رِجَالًا مِنَ الْمُنَافِقِينَ كَانُوا إِذَا خَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إلىٰ الغزو، وتخلفوا عَنْهُ وَفَرِحُوا بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَإِذَا قَدِمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنَ الْغَزْوِ اعْتَذَرُوا إِلَيْهِ، وَحَلَفُوا، وَأَحَبُّوا أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا،

فَنَزَلَتْ.

والثاني: أنها نزلت في قوم من اليهود، فرحوا بما يصيبون من الدنيا، وأحبّوا أن يقول الناس: إنهم علماء، وهذا القول والذي قبله عن ابن عباس.

والثالث: أن اليهود قالوا: نحن علىٰ دين إبراهيم، وكتموا ذكر محمّد ﷺ، فنزلت هذه الآية، قاله سعيد بن جبير.

والرابع: أن يهود المدينة كتبت إلىٰ يهود العراق واليمن، ومن بلغهم كتابهم من اليهود في الأرض كلها، أن محمداً ليس بنبي، فاثبتوا علىٰ دينكم، فأجمعوا كلهم علىٰ الكفر به، ففرحوا بذلك، وقالوا: نحن أهل الصوم والصّلاة، وأولياء الله، فنزلت هذه الآية، هذا قول الضحاك، والسدي.

والخامس: أن يهود خيبر أتوا النبي ﷺ وأصحابه، فقالوا: نحن علىٰ رأيكم، ونحن لكم ردء، وهم مستمسكون بضلالتهم، فأرادوا أن يحمدهم نبيّ الله بما لم يفعلوا، فنزلت هذه الآية، قاله قتادة.

والسادس: أن ناسًا من اليهود جهزوا جيشا إلىٰ النبيّ ﷺ، وأنفقوا عليهم، فنزلت هذه الآية، قاله إبراهيم النخعي.

والسابع: أن قومًا من أهل الكتاب دخلوا علىٰ النبيّ ﷺ ثم خرجوا من عنده فذكروا للمسلمين أنهم قد أخبروا بأشياء قد عرفوها، فحمدوهم، وأبطنوا خلاف ما أظهروا، فنزلت هذه الآية.

والثامن: أن رجالاً من المنافقين كانوا يتخلّفون عن الغزو مع النبيّ ﷺ، فإذا قدم

اعتذروا إليه، وحلفوا، وأحبوا أن يحمدوا بما لم يفعلوا، فنزلت هذه الآية، قاله أبو سعيد الخدري، وهذا القول يدل علىٰ أنها نزلت في المنافقين، وما قبله من الأقوال يدل علىٰ أنها في اليهود.

وفي الذي أتوا ثمانية أقوال:

أحدها: أنه كتمانهم ما عرفوا من الحق.

والثاني: تبديلهم التوراة.

والثالث: إيثارهم الفاني من الدنيا علىٰ الباقي من الثواب.

والرابع: إضلالهم الناس.

والخامس: اجتماعهم علىٰ تكذيب النبي ﷺ.

والسادس: نفاقهم بإظهار ما في قلوبهم ضده.

والسابع: اتفاقهم علىٰ محاربة النبي ﷺ، وهذه أقوال من قال: هم اليهود.

والثامن: تخلُّفهم في الغزوات، وهذا قول من قال: هم المنافقون.

وفي قوله تعالى ﴿وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُواْ بِمَا لَمْ يَفْعَلُواْ﴾ **ستة أقوال:**

أحدها: أحبّوا أن يحمدوا علىٰ إجابة النبيّ ﷺ، عن شيء سألهم عنه وما أجابوه.

والثاني: أحبّوا أن يقول الناس: إنهم علماء، وليسوا كذلك.

والثالث: أحبوا أن يحمدوا بما لم يفعلوا من الصلاة والصيام، وهذه الأقوال الثلاثة عن ابن عباس.

والرابع: أحبوا أن يحمدوا علىٰ قولهم: نحن علىٰ دين إبراهيم، وليسوا عليه، قاله

سعيد بن جبير.

والخامس: أحبوا أن يحمدوا علىٰ قولهم: إنا راضون بما جاء به النبي، وليسوا كذلك، قاله قتادة. وهذه أقوال من قال: هم اليهود.

والسادس: أنهم كانوا يحلفون للمسلمين، إذا نصروا: إنا قد سررنا بنصركم، وليسوا كذلك، قاله أبو سعيد الخدري، وهو قول من قال: هم المنافقون.

قوله تعالى: ﴿فَلَا تَحۡسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ﴾

٧٢٧ - **قال ابن زيد**: بمنجاة.

قال ﷻ: ﴿وَلِلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ١٨٩﴾

قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ﴾ فيه تكذيب القائلين: بأنه فقير.

وفي قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ١٨٩﴾ تهديد لهم، أي: لو شئت لعجلت عذابهم.

قال ﷻ: ﴿إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ لَأٓيَٰتٖ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ١٩٠﴾

قوله تعالى ﴿إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ في سبب نزولها ثلاثة أقوال:

أحدها: أن قريشاً قالوا لليهود: ما الذي جاءكم به موسىٰ؟ قالوا: عصاه ويده البيضاء، وقالوا للنصارىٰ: ما الذي جاءكم به عيسىٰ؟ قالوا: كان يبرئ الأكمه والأبرص ويحيي الموتىٰ. فأتوا النبيّ ﷺ، وقالوا: ادع ربك يجعل لنا الصفا ذهباً،

فنزلت هذه الآية، رواه ابن جبير عن ابن عباس.

والثاني: أن أهل مكة سألوه أن يأتيهم بآية، فنزلت هذه الآية، رواه أبو صالح عن ابن عباس.

والثالث: أنه لما نزل قوله تعالىٰ: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾ [سورة البقرة:١٦٣] قالت قريش: قد سوىٰ بين آلهتنا، إئتنا بآية، فنزلت هذه الآية، قاله أبو الضحىٰ، واسمه: مُسلم بن صُبيح. فأما تفسير الآية فقد سبق.

قال ﷻ: ﴿ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾﴾

قوله تعالى ﴿ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا﴾ في هذا الذكر ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه الذّكر في الصّلاة، يصلي قائما، فإن لم يستطع فقاعدًا، فإن لم يستطع فعلىٰ جنب، هذا قول علي، وابن مسعود، وابن عباس، وقتادة.

٧٢٨ - عن عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ قَالَ: «كَانَتْ بِي بواسير، فسألت النبي ﷺ عَنِ الصَّلَاةِ فَقَالَ: صَلِّ قَائِمًا فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فَقَاعِدًا فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فَعَلَىٰ جَنْبٍ».

والثاني: أنه الذكر في الصلاة وغيرها، وهو قول طائفة من المفسرين.

والثالث: أنه الخوف، فالمعنىٰ: يخافون الله قياماً في تصرفهم وقعوداً في دعتهم، وعلىٰ جنوبهم في منامهم.

قوله تعالى: ﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾

٧٢٩ - قال **ابن فارس:** الفكرة: تردد القلب في الشيء.

٧٣٠ - قال **ابن عباس:** ركعتان مقتصدتان في تفكرٍ خيرٌ من قيام ليلة، والقلب ساه.

ومعنىٰ ﴿سُبۡحَٰنَكَ﴾ براءةً لك من السوء، وتنزيهـًا لك أن تكون خلقتهما باطلاً، ﴿فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ١٩١﴾ فقد صدَّقْنا أنّ لك جنّة ونارا.

قال ﷻ: ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدۡخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدۡ أَخۡزَيۡتَهُۥۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ ١٩٢﴾

قوله تعالى: ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدۡخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدۡ أَخۡزَيۡتَهُۥۖ﴾ المخزىٰ في اللغة المذلّ المحقور بأمر لزمه وبحجة.

وفيمن يتعلق به هذا الخزي قولان:

أحدهما: أنه يتعلق بمن يدخلها مخلَّداً، قاله أنس بن مالك، وسعيد بن المسيّب، وابن جبير، وقتادة، وابن جريج، ومقاتل.

والثاني: أنه يتعلق بكل داخل إليها، وهذا المعنىٰ مروي عن جابر بن عبد الله، واختاره ابن جرير الطبري.

قوله تعالى: ﴿وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ ١٩٢﴾

٧٣١ - قال **ابن عباس:** وما للمشركين من مانع يمنعهم عذاب الله تعالىٰ.

٧٣٢ - عن **ابن أَنَسٍ فِي قَوْلِهِ:** ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدۡخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدۡ أَخۡزَيۡتَهُۥۖ﴾ **قَالَ: مَنْ تُخَلِّدْ فِي النَّارِ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ.**

٧٣٣ - عن **سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ فِي الْآيَةِ قَالَ: هَذِهِ خَاصَّةٌ بِمَنْ لَا يَخْرُجُ مِنْهَا.**

قال ﷻ: ﴿رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَٰنِ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا ۚ رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ ﴿١٩٣﴾﴾

قوله تعالى ﴿رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا﴾ **في المنادي قولان:**

أحدهما: أنه النبيّ ﷺ، قاله ابن عباس، وابن جريج، وابن زيد، ومقاتل.

والثاني: أنه القرآن، قاله محمد بن كعب القرظي.

قوله تعالى: ﴿يُنَادِى لِلْإِيمَٰنِ﴾ **فيه قولان:**

أحدهما: ينادي إلىٰ الإيمان، ومثله: ﴿ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا﴾ [سورة الأعراف:٤٣]، ﴿بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ﴿٥﴾﴾ [سورة الزلزلة:٥].

والثاني: بأنه مقدم ومؤخر، والمعنىٰ: سمعنا منادياً للإيمان ينادي، قاله أبو عبيدة.

قوله تعالى: ﴿وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا﴾

٧٣٤ - قال مقاتل: امح عنا خطايانا.

وقال غيره: غطها عنا.

ومعنى ﴿مَعَ ٱلْأَبْرَارِ ﴿١٩٣﴾﴾ فيهم، قال ابن عباس: وهم الأنبياء والصّالحون.

قال ﷻ: ﴿رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿١٩٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا﴾

٧٣٥ - قال ابن عباس: يعنون: الجنة عَلىٰ رُسُلِكَ أي: علىٰ ألسنتهم.

٧٣٦ - عن ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: بِتُّ عِنْدَ خَالَتِي مَيْمُونَةَ، فَنَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ حَتَّىٰ انْتَصَفَ اللَّيْلُ، أَوْ قَبْلَهُ بِقَلِيلٍ، أَوْ بَعْدَهُ بِقَلِيلٍ، ثُمَّ اسْتَيْقَظَ، فَجَعَلَ يَمْسَحُ النوم عن وجهه بيده، ثُمَّ قَرَأَ الْعَشْرَ الْآيَاتِ الْأَوَاخِرَ مِنْ سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ حَتَّىٰ خَتَمَ.

عَنْ عَائِشَةَ مَرْفُوعًا: وَيْلٌ لِمَنْ قَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ وَلَمْ يَتَفَكَّرْ فِيهَا.

قال ﷻ: ﴿فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ۖ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ ۖ فَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَأُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأُوذُوا۟ فِي سَبِيلِي وَقَٰتَلُوا۟ وَقُتِلُوا۟ لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلثَّوَابِ ﴿١٩٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ﴾

٧٣٧ - روي عن أم سلمة أنها قالت: يا رسول الله، لا أسمع ذكر النساء في الهجرة بشيء؟ فنزلت هذه الآية.

واستجاب: بمعنىٰ أجاب. والمعنىٰ: أجابهم بأن قال لهم: إني لا أُضيع عمل عامل منكم ذكرا كان أو أُنثىٰ.

وفي معنى قوله تعالى: ﴿بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ﴾ ثلاثة أقوال:

أحدها: بعضكم من بعض في الدين، والنُصرة والموالاة.

والثاني: حكم سائركم في الثواب واحد، لأن الذكور من الإناث والإناث من الذكور.

والثالث: كلكم من آدم وحواء.

قوله تعالى: ﴿فَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ﴾ أي: تركوا الأوطان والأهل والعشائر ﴿وَأُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ﴾ يعني: المؤمنين الذين أخرجوا من مكة بأذىٰ المشركين، فهاجروا، وقاتلوا المشركين وَقُتِلُوا.

قوله تعالى: ﴿ثَوَابٗا مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِۚ﴾ هو مصدرٌ مؤكد لما قبله.

قال ﷻ: ﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي ٱلۡبِلَٰدِ ١٩٦ مَتَٰعٞ قَلِيلٞ ثُمَّ مَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ ١٩٧﴾

قوله تعالى: ﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي ٱلۡبِلَٰدِ ١٩٦﴾ **اختلفوا فيمن نزلت على قولين:**

أحدهما: أنها نزلت في اليهود، ثم في ذلك قولان:

أحدهما: أن اليهود كانوا يضربون في الأرض. فيصيبون الأموال، فنزلت هذه الآية، قاله ابن عباس.

والثاني: أن النبيّ ﷺ، أراد أن يستسلف من بعضهم شعيرًا، فأبىٰ إلّا علىٰ رهن، فقال النبيّ ﷺ: «لو أعطاني لأوفيته، إني لأمينٌ في السماء أمينٌ في الأرض» فنزلت.

والقول الثاني: أنها نزلت في مشركي العرب كانوا في رخاءٍ، فقال بعض المؤمنين: قد أهلكنا الجهد، وأعداء الله فيما ترون، فنزلت هذه الآية، هذا قول مقاتل.

٧٣٨ - **قال قتادة:** والخطاب للنبيّ ﷺ، والمراد غيره.

٧٣٩ - **وقال غيره:** إنما خاطبه تأديبًا وتحذيرًا، وإن كان لا يغتر.

وفي معنى «تقلبهم» ثلاثة أقوال:

أحدها: تصرُّفهم في التجارات، قاله ابن عباس.

والثاني: تقلُّب ليلهم ونهارهم، وما يجري عليهم من النعم، قاله عكرمة ومقاتل.

والثالث: تقلُّبهم غير مأخوذين بذنوبهم، ذكره بعض المفسرين.

قوله ﴿مَتَٰعٌ قَلِيلٌ﴾ ذلك الكسب والربح متاع قليل، وقال ابن عباس: منفعة يسيرة في الدنيا.

والمهاد: الفراش.

قال ﷻ: ﴿لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ لَهُمۡ جَنَّٰتٌ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِۗ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٌ لِّلۡأَبۡرَارِ ١٩٨﴾

٧٤٠ - **قال ابن عباس:** «النزل» الثواب.

٧٤١ - **قال ابن فارس:** النُّزُل: ما يهيأ للنّزيل، والنّزيل: الضّيف.

٧٤٢ - قال ابن زيدٍ وَما عِنْدَ اللهِ مِمَّا أَعَدَّهُ لِمَنْ أَطَاعَهُ خَيْرٌ لِلْأَبْرارِ مِمَّا يَحْصُلُ لِلْكُفَّارِ مِنَ الرِّبْحِ فِي الْأَسْفَارِ.

قال ﷻ: ﴿وَإِنَّ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ لَمَن يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِمۡ خَٰشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشۡتَرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنٗا قَلِيلًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ١٩٩﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ لَمَن يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ﴾ **اختلفوا فيمن نزلت على أربعة أقوال:**

أحدها: أنها نزلت في النجاشي، لأنه لما مات صلّىٰ عليه النبيّ ﷺ، فقال قائل: يصلي علىٰ هذا العلج النصراني، وهو في أرضه؟! فنزلت هذه الآية، هذا قول جابر بن عبد الله، وابن عباس، وأنس. وقال الحسن، وقتادة: فيه وفي أصحابه.

والثاني: أنها نزلت في مؤمني أهل الكتاب من اليهود والنصارىٰ، روىٰ هذا المعنىٰ أبو صالح عن ابن عباس، وبه قال مجاهد.

والثالث: في عبد الله بن سلام، وأصحابه، قاله ابن جريج، وابن زيد، ومقاتل.

والرابع: في أربعين من أهل نجران، وثلاثين من الحبشة، وثمانية من الروم كانوا علىٰ دين عيسىٰ، فآمنوا بالنبي ﷺ، قاله عطاء.

٧٤٣ - عن أَنسٍ قَالَ: لَمَّا مَاتَ النَّجَاشِيُّ قال ﷺ: صَلُّوا عَلَيْهِ، قَالُوا يَا رَسُولَ اللهِ! نصلي علىٰ عبد حبشي؟ فأنزل الله وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ الْآيَةَ.

قوله تعالى: ﴿وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ﴾ يعني: القرآن، ﴿وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِمۡ﴾ يعني: كتابهم.

والخاشع: الذليل، ﴿لَا يَشۡتَرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنٗا قَلِيلًاۚ﴾ أي: عرضًا من الدنيا كما فعل رؤساء اليهود. وقد سبق بيان سرعة الحساب.

قال ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٢٠٠﴾

وفي الذي أمروا بالصبر عليه خمسة أقوال:

أحدها: البلاء والجهاد، قاله ابن عباس.

والثاني: الدين، قاله الحسن، والقرظي.

والثالث: المصائب، روي عن الحسن أيضاً.

والرابع: الفرائض، قاله سعيد بن جبير.

والخامس: طاعة الله، قاله قتادة.

وفي الذي أمروا بمصابرته قولان:

أحدهما: العدو، قاله ابن عباس، والجمهور.

والثاني: الوعد الذي وعدهم الله: قاله عطاء، والقرظيّ.

وفيما أمروا بالمرابطة عليه قولان:

أحدهما: الجهاد للأعداء، قاله ابن عباس، والحسن، وقتادة في آخرين.

والثاني: أنه الصلاة، أُمروا بالمرابطة عليها، قاله أبو سلمة بن عبد الرحمن.

٧٤٤ - عن أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: أَلا أُخْبِرُكُمْ بِمَا يَمْحُوا اللهُ بِهِ الْخَطَايَا، وَيَرْفَعُ بِهِ الدَّرَجَاتِ: إِسْبَاغُ الْوضُوءِ عَلَىٰ الْمَكَارِهِ، وَكَثْرَةُ الْخُطَا إِلَىٰ الْمَسَاجِدِ، وَانْتِظَارُ الصلاة بعد الصلاة، فذلك الرباط، ثلاثا.



ف

الفهرست

